د. محمد بن عبد الله السلومي

الإسلام والغرب

بين المنافسة والصراع

رؤية مستقبلية للواقع العربي والإسلامي وعلاقته بالآخر

WESTT
CENTER FOR WESTERN THOUGHT
مركز الفكر الغربي

الإسلام والغرب

بين المنافسة والصراع

- هل العلاقة بين الإسلام والغرب علاقة منافسة أم صراع؟
- لم يفرق الباحث بين غرب متعصب وغرب آخر؟
- كيف يؤكد المؤلف على أهمية العلاقة والحوار مع الغرب بالرغم من عدوانيته الظاهرة على كثيرٍ من دول العالم الإسلامي وشعوبه؟
- لم يفرق المؤلف بين حوار الشعوب بقطاعها الثالث، وبين حوار الحكومات مع بعضها؟
- لم استدعت «القراءةُ التاريخية» عن المنافسة والصراع بمعطياتها «الرؤيةَ المستقبلية» بمؤشراتها ولوازمها كمشروع نهضة وحماية للأمة؟
- كيف يثبت الباحث أن أحداث الصراع العربي المعاصر هي امتدادٌ طبيعي للصراع الاستراتيجي التاريخي بين الغرب والإسلام؟
- هل يعدُّ المؤلف عموم الشيعة وإيران من صنَّاع الصراع في المنطقة، تكاملاً مع متعصبي الغرب والصهيونية العالمية؟

د. محمد بن عبد الله السلومي: باحث في دراسات القطاع الثالث، وأستاذ تاريخٍ سابقٍ بجامعة أم القرى. حصل على شهادتي الماجستير والدكتوراه من جامعة ويلز في بريطانيا. عضو في عدد من المؤسسات والجمعيات المحلية والمنظمات الدولية. من مؤلفاته: "القطاع الخيري ودعاوى الإرهاب" و"ضحايا بريئة للحرب العالمية على الإرهاب" و"القطاع الثالث والفرص السانحة .. رؤية مستقبلية."


ISBN 978-603-02-3877-4
9 786030 238774



P. O. Box 241526, Riyadh, 11322
Saudi Arabia
www.cwestt.com
Email: cwestt@cwestt.com

الإسلام والغرب

بين المنافسة والصراع

رؤية مستقبلية للواقع العربي والإسلامي وعلاقته بالآخر!

د. محمد بن عبد الله السلومي

(١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م)

الطبعة الأولى ١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

السلومي، محمد عبد الله

الإسلام والغرب بين المنافسة والصراع ./ محمد عبد الله السلومي
- الرياض، ١٤٣٨هـ

٥٤٢ ص ١٤ × ٢١ سم

ردمك: ٤ - ٣٨٧٧ - ٠٢ - ٦٠٣ - ٩٧٨

١ - الإسلام والغرب ٢ - صراع الحضارات

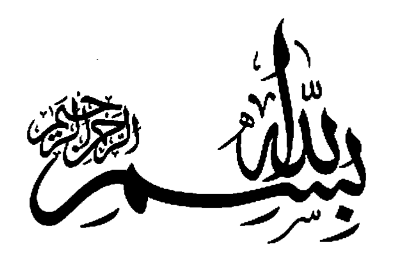
أ. العنوان

ديوي ٢١٤, ٩٤ ١٤٣٨/٤٥١٥

رقم الإيداع: ١٤٣٨/٤٥١٥
ردمك: ٤ - ٣٨٧٧ - ٠٢ - ٦٠٣ - ٩٧٨

الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر مركز الفكر الغربي، وإنما عن وجهة نظر المؤلف.

تصميم الغلاف: كريم بن منصور


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ (هود:١١٨).

وقال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (الحج:٤٠).

وقال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران:٦٤).

الإهداء

- إلى من ينشدُ المعرفة عن حق التنافس بين الحضارات، ودوافع الصراع بين الدول والحكومات.

- إلى شعوب العالم ضحية المبادئ الشريرة للحكومات العالمية والمصالح السياسية.

- إلى مصانع الكراهية الغربية في الكنائس والإعلام الدعائي المنتجة للصراع والحروب.

- إلى عقلاء الغرب صمام الأمان لمجتمعاتهم وشعوبهم ودولهم في التعاطي مع الإسـلام وقضايا المسلمين بعدالةٍ وعقلانية.

- إلى الجهات السياسية والأمنية ومنسوبيها، وواضعي الاستراتيجيات المستقبلية لدعم اتخاذ القرار، من المخلصين لدينهم وشعوبهم وأوطانهم في عالمنا العربي والإسلامي.

- ثم إلى الأجيال القادمة لئلا تُؤخذ الأمة على غرةٍ من أمرها فتُختَطف عقولها، وتُصادر هوياتها، وتُنتهك حريات دينها وسيادة دولها.

المقدمة

موضوع كبير وشائك بين الغرب العلماني والشرق الإسلامي، حول قِيَم المنافسة بين الأمم والحضارات، والصراع بين الدول والحكومات. وقد كانت هذه القضايا وما يماثلها تسترعي انتباهي بإلحاح حينما كنت أعمل على تأليف كتابي (ضحايا بريئة للحرب العالمية على الإرهاب)، حيث موضوع منافسة المؤسسات الإسلامية الخيرية الدولية ودوافع حصارها المتجدد باستراتيجيةٍ غربيةٍ بعيدة المدى وطويلة الأجل.

وتتأكد أهمية الكتابة العلمية عن المنافسة والصراع في المشرق الإسلامي بعد أن أصبح الإسلام رقماً مهماً في المعادلات الدولية وفي ظل تزايد التدخل الدولي في سيادة الشعوب العربية والإسلامية وخياراتها وحرياتها، بل وأعمالها الخيرية الإنسانية، ومن خلال صمت كثيرٍ من الحكومات الغربية تجاه ما يجري في العالم العربي والإسلامي من انتهاك شبه مُنظَّم لحقوق الإنسان وكرامته، بل إن الغرب[١] بممارساته المتسمة بالتعصب تجاوز الصمت إلى الدعم المكشوف لبعض الحكومات والانقلابات كما في مصر وليبيا وتونس، أو إلى اللعب المفضوح باستغلال التباينات الدينية والعرقية كما في الحالتين العراقية والسورية الفاضحتين، وكذلك اليمن وغيرها، بالرغم من الضحايا الكبيرة والكثيرة لتلك النظم الاستبدادية الأمر الذي شكّك في كثير من القيم الأخلاقية للدول الغربية الكُبرى، كالعدالة والحرية والحقوق التي تتشدق بها تلك الدول!

(١) يمكن معرفة المقصود بالغرب في المبحث الأول من الكتاب، تحت عنوان: (مصطلحات ومفاهيم عن الحضارتين).

كما تأكد للباحث أهمية الكتابة في هذا الموضوع حيث انكشاف الواقع العالمي تجاه أحداث الصراع والحروب وما يصحبه من احتضار لمصداقية المنظومة الدولية ومنظماتها الأممية وهيئاتها الأمنية والإنسانية مع فشلٍ كبيرٍ في آلياتها، وأحداث العالم العربي والإسلامي خير شاهدٍ على ذلك.

ولم يكن غائباً عن دوافع تأليف هذا الكتاب ما أحدثه كتاب (صدام الحضارات) من ضجيج إعلامي حول قناعة المؤلف صموئيل هنتنجتون بحتمية انتصار الصراع الغربي وفرض هيمنته وسيادته خاصةً مع الإسلام والمسلمين الذين اعتبرهم أكبر مصادم للحضارة الغربية مع تجاهل لفُرص العدالة والسلام والحوار في الإسلام وعمّا لدى المسلمين عبر حضارتهم وتاريخهم[1].

وكذلك كتاب (نهاية التاريخ) لمؤلفه فرانسيس فوكوياما المُكَمِّل لأفكار سابقه هنتنجتون يعكس الاستلاب الحضاري من الآخرين، والذي ربما ينطلق من تراكماتٍ عقدية ومن عُقدة العَظمة الأمريكية[2] أكثر من كونه كتاباً علمياً وموضوعياً، والكتابان بالرغم من ورود نتائج منطقية فيهما إلا أن فكرتهما الأساسية ستبقى في قفص الاتهام التاريخي، فالزمن بأحداثه ومستجداته أصبح ينقض كثيراً مما ورد في رسالة الكتابين حول أبدية السيادة المطلقة للثقافة الغربية وقيمها وحضارتها!

---

(١) يلاحظ أن هنتنجتون لم يُوفق في اختيار العنوان العلمي الأكثر دقةً للكتاب، فالصراع والصدام ليس بين الحضارات بقدر ما هو بين الدول أو بين الحكومات، كما أن الصراع أو الصدام يتطلب التكافؤ بين الطرفين، وواقع الحال هو لإقصاء أو لإلغاء من الطرف القوي تجاه الطرف الضعيف، وما بين الحضارات هو المنافسة.

(٢) يلاحظ عند الحديث عن الغرب في هذا الكتاب استخدام أمريكا في التعبير أكثر من غيرها من دول الغرب؛ نظراً لكونها أكثر تأثيراً في الأحداث العالمية.

والبشرية في هذا وذاك أصبحت في زمنٍ تاريخي فريد من نوعه في دقة المعلومات وسرعة انكشاف المغالطات، حيث لَمْ يَعُدِ الحصول على المعلومة الصحيحة أو توثيقها تحدياً لدى الباحثين، بل إن التحدي الكبير أصبح في التوظيف القوي للمعلومة، والتحدي الأكبر في تسويقها وتأثيرها في خضم الصراع الإعلامي وأجندات تضليله.

(٢)

وتتأكد أهمية هذا الموضوع الشائك بين الغرب والإسلام، حيث مستجدات الصراع وأدواته الوظيفية تتزايد بصورة مخيفة، فجديد المعطيات السياسية بداية من عام ٢٠١٣م كشفت عن العلاقة المعلنة والتحالف غير الأخلاقي بين الغرب من جهة، وإيران (الشيعية الصفوية) من جهة أخرى، ولذلك فإن المقصود بالإسلام في العنوان هو (السُّنِّي) تحديداً الذي عليه غالبية أمة الإسلام، حيث الكتلة السُّنِّية تمثل نسبة ٨٥٪ من مسلمي العالم الذين يبلغ عددهم نحو ١,٤ مليار نسمة عام ٢٠١٤م[١].

وتُفسَّر هذه العلاقة الإيرانية الغربية بأنها قائمةٌ على تقاطع المصالح التي أدَّت إلى تحالفٍ استراتيجي بين الطرفين، حيث تلتقي المصالح في إفشال أي سيادة للمشروع السُّنِّي ليكون هذا التقاطع في المصالح قاسماً مُشتركاً بينهما، بحكم ما في المشروع من مناعة وحصانة وقوة ومقاومة وجهاد أمام أطراف التحالف، ولذلك فإن هذا الكتاب معني بإسلام الأمة وصراع الغرب المتعصب معه

---

(١) انظر بتصرف: نبيل خليفة، استهداف أهل السُّنَّة، ط١، لبنان: مركز بيبلوس للدراسات والأبحاث، ٢٠١٤م، ص١٢-١٣.

بغض النظر عن أدوات الغرب من الشركاء أو الوكلاء العدائيين من تجّار الموت كإيران والكيان الصهيوني وروسيا وغيرها! وعن هذا التحالف الموصوف بالغادر ترد تساؤلات عديدة عن إيران ذاتها! فهل هي بهذا التحالف العملي أكّدت أكثر على انشقاقها العقدي عن غالبية الأمة الإسلامية؟ وهل برهنت بأفعالها على خصومتها الأيديولوجية السياسية لأمة الإسلام كما تصفها كثيرٌ من الكتابات الغربية والعربية؟ وهل إيران بعد هذا الدعم الغربي أصبحت خطراً يُهدِّد المنطقة بأسرها؟ وهل ما جرى ويجري في العراق وسوريا من حرب إبادة غير مسبوقة يؤكد عن أبدية الخصومة الأيديولوجية العقدية والسياسية لعموم العالم الإسلامي؟ ولعل في ثنايا فصول هذا الكتاب ما يجيب على الأبرز من هذه التساؤلات.

وما يهم في هذا المقام هو مدى انكشاف النظامين الغربي والإيراني وجنوحهما للصراع، وإيران بهذا الواقع الجديد وُصفت إعلامياً وسياسياً بأنها قوة إقليمية كبرى سِيّما من قِبل الولايات المتحدة الأمريكية، التي تمنحها بهذا الوصف رُخصةً لتكون شُرطيَّ المنطقة، وهو ما قوّى إيران وأيديولوجيتها وتصديرها القوي للتشيع بنشر هذه الأيديولوجيا عالمياً من خلال أذرعتها الخارجية الدينية والسياسية والتعليمية والإغاثية، فاتفاقيات الغرب مع إيران بتاريخ ١٤ يوليو ٢٠١٥م حول البرنامج النووي الإيراني عزَّز من قوتها السياسية والعسكرية العدوانية، وهي بما سبق أصبحت -عملياً- حليفاً آخر للغرب بعد الكيان الصهيوني فيما يُسمى قضية الشرق الأوسط، حيث الوكالة عنه في الحرب على عموم المسلمين وما في ذلك من إجهاض لمشروعهم في السيادة والاستقلال تحت مزاعم

حرب الإرهاب (GWOT)! الموصوفة بالحرب الماحقة حسب تعبير الباحث والمفكر الأمريكي نعوم تشومسكي، وإيران بهذا الصراع مع الطرف الإسلامي قد تجني على نفسها بالتدمير!

(٣)

وفي ظل المنافسة والصراع المتجدد بين الإسلام وخصومه يرد التساؤل: إذا كان الغرب يمتلك مقومات السيطرة السياسية والتحكم في العالم، فلماذا الخوف من الإسلام؟! وهل هو حقيقة؟!

عن هذا القلق من الإسلام والخوف منه!! كتب كثير من الباحثين الغربيين، ومما قاله بعض هؤلاء أن المشكلة مع الإسلام تكمن في كونه بديلاً حضارياً للعالم سيما في ظل تطبيقات حاكمية الإسلام، وهو ما يُسميه الغرب (الإسلام السياسي)[1]، وأنه يمتلك عقيدةً ذات جاذبية، وتشريعات دينية ذات شمول ومنافسة في السياسة والاقتصاد والاجتماع، وأن المسلمين يمتلكون إمكانات منافِسَة يستمدونها من العقيدة واللغة والتاريخ، إضافةً إلى أن قِيم الإسلام تمنح قوةً معنوية لا تُقهر، حيث ثوابت القيم الأخلاقية وعقيدة الجهاد القتالية، فهل الإسلام -في نظر الغرب- يُشكِّل خطراً على مستقبل سيادة الغرب ومنظومته المسيطرة على العالم؟!

وإضافةً إلى هذا الخوف من الإسلام! فهل الصحوة الدينية واليقظة السياسية عند الشعوب الإسلامية خاصة بعد ثورات ما يُسمى (الربيع العربي ٢٠١١م) - والتي تُعدُّ مؤشراً قوياً لميلادٍ جديدٍ

---

(١) انظر: تعريفات عن الإسلام السياسي في المبحث الأول تحت عنوان: (الإفلاس القيمي والاقتصادي).

للأمة ولمطالب التغيير والإصلاح برغم كثيرٍ من الإخفاقات - تُمثِّل خطراً مُستقبلياً في إضعاف الهيمنة الغربية وسيادتها؟

وهل هذه التحولات الجديدة في موازين القوى لصالح الشعوب العربية والإسلامية على حساب حكوماتها مصدر قلق جديد للغرب وأنها مؤثر على مستقبله؟ وهو ما قد يُبرر خوف الغرب من وجهة نظر المتعصبين منهم.

وهل يمكن لـ(وثيقة كامبل السرية) أن تكشف من خلال مفرداتها -كأنموذج- حقيقة هذا الخوف القديم الحديث كما في المبحث الخامس؟ حيث تكشف عن محاولات تدمير المنافس الإسلامي، مثل تغيير الخرائط السياسية سابقاً ولاحقاً، والسيطرة على الأنظمة العربية، ومجدداً محاولات فرض القيم الغربية بالقوة الناعمة كالديمقراطية (المشوهة)، وتغريب المجتمعات المسلمة، وتطبيع الليبرالية الاقتصادية الاستهلاكية، فهل ذلك أو بعضه مما قد يعكس حجم القلق الغربي من منافسة الإسلام والخوف من معتنقيه ومشروع نهضتهم، وهو ما يُسمى (إسلام فوبيا)؟!

هذه التساؤلات وإجاباتها التي تضمنها هذا الكتاب تشير إلى خوف «الغرب المتعصب» من المقاومة الحضارية المتوقعة للمسلمين، ولاسيما أن الحرية (الليبرالية) المطلقة أفقدت الغرب -ولازالت تفقده- أهم عنصرين من عناصر استمرار القوة والسيادة له، فالعلاقات الأسرية والاجتماعية تُمثِّل عنصراً قوياً في البقاء والقوة، لكن الحرية الفردية حطَّمت قيم العلاقات الأسرية، فأصبحت هذه الحرية التي هي مصدر لقوة الدول في بعض جوانب الحياة مِعوَلاً

أساسياً لهدم حياة الأسرة والمجتمع، كما أن العنصر الثاني وهو العلاقات الدولية التي أصبحت تُشكِّل خطراً على مصداقية الغرب، حيث طغت فيها المصالح على المبادئ والعدالة وحقوق الإنسان العالمية، وهذا الواقع مما يزيد من حالات الصراع والحروب العالمية.

ولذلك فهل الغرب الأوروبي وأقصد منهم المتصف بالتعصب -بالرغم من هذه القوة المادية- يعيش حالة من الهلع والفزع وضعف الثقة بمستقبله؟ وبالتالي -مثلاً- طغى عليه الخوف من ضياع قوته وبقاء وحدته التي لم تكتمل نصف قرن في أوروبا.

ومن المهم هنا التأكيد على أن إيراد التصريحات الغربية المتصفة بالعدوانية في ثنايا هذا الكتاب، أو تدوين بعض النماذج من الممارسات الغربية بحق معظم دول العالم العربي والإسلامي، لا يُقصدُ منه تحميل عقلاء ومتعصبي الغرب وَدولهم المسؤولية الكاملة، فهذا السلوك غير مُنصف، ومن شأنه أن يزيد من ضعف العرب والمسلمين وهوانهم على أنفسهم، بل يؤدي إلى عدم مبادراتهم في التصحيح والإصلاح، وقد علَّمنا القرآن الكريم العدل في القول ومراجعة النفس والضمير: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (آل عمران:١٦٥). ففي حالات ليست بالقليلة يتحمل العالم الإسلامي حكوماتٍ وشعوباً باختلافٍ فيما بين الدول مسؤولية واقعها بقابليتها للكيد العالمي والمكر الكُبَّار، مما يتطلب بذل الجهد الكبير في تصحيح العوامل الداخلية لدى المسلمين أنفسهم بالعمل على تصحيح المُناخ السياسي وإصلاحه، وتفويت مؤامرات المُصارعين أو الخصوم

من خلال المعالجة الصحيحة للأفكار الخاطئة حول مزاعم قُصور الشعوب في تحمل مسؤوليات أوطانهم السياسية، وبالعمل الجاد والدؤوب في نقد الذات وإصلاحها ورفع سقف العلم والمعرفة والحرية السياسية.

(٤)

وتتأكد القيمة العلمية لموضوع هذا البحث بأن الباحث يأمل أن يُسهم في طرح بعض الرؤى حول العلاقة الحوارية بين الإسلام والغرب، بالرغم من السياسات الغربية الموصوفة بالعدوانية، وبالرغم من أن الغرب المتعصب أصلٌ في الصراعات والحروب داخل دول العالم الإسلامي -كما يرى كثيرٌ من الباحثين في هذا الشأن-[١] ولذلك أصبحتُ مؤمناً بأهمية الحوار حيناً، وضرورته حيناً آخر، بل ووجوبه في أحيانٍ كثيرة، وهذا التحول في القناعة بحكم معطيات هذا البحث التاريخية والسياسية التي كشفت كثيراً من الفجوات بين الحكومات والشعوب لدى الغرب حيث التضليل، ولدى المسلمين بصورةٍ أكبر حيث التهميش، وكذلك الفرق بين المنافسة والصراع مما سوف يجده القارئ في مجمل مباحث هذا الكتاب، علماً أنه في مقدماته ومباحثه ونتائجه ليس بحثاً شرعياً أو فقهياً، فهذا له فُرسَانه من العلماء، ولكنه بحثٌ مساعد قائم على الجوانب الرئيسة من المعطيات

---

(١) توجد كتابات كثيرة تدعم هذه الرؤية بأن الغرب أصل الصراع العالمي، ولاسيما بين الغرب والمسلمين، وذلك في مؤلفاتٍ مشهورة ومقالات وبحوث منشورة، انظر على سبيل المثال: كتاب صدام الحضارات، للمؤلف صموئيل هنتنجتون، وكتاب المركز العربي للدراسات الإنسانية في إصداره الثاني لكتاب الغرب أصل الصراع، للمؤلف عامر عبد المنعم، وكتاب استهداف أهل السُنَّة، للمؤلف نبيل خليفة، وغير ذلك كثير.

التاريخية والمؤشرات السياسية المعاصرة، والاستدلال بشيءٍ من القرآن والسُّنَّة إنما جاء لتأكيد النتائج بالنسبة للمسلم، ولم يكن في سياق التقريرات والمقدمات أو المدخلات للبحث، بالرغم من هذه الأحقية.

والطريف أن الحوار كإحدى نتائج موضوع هذا الكتاب لم يكن أولوية في العلاقة مع الآخر قبل الشروع في عمل هذا البحث، حيث كنت أرى أن الحوار مع الآخر (غير المسلمين) عبثٌ وإضاعة وقتٍ وجُهدٍ ومال، وهزيمة لا انتصار فيها، تلك هي نظرتي أو رؤيتي وقناعتي السابقة! وذلك بناءً على أن واقع الحوار القائم غير متكافئ في القوة المعنوية أو المادية، وهو في الوقت ذاته بين الحكومات أكثر مما هو بين الشعوب المعنية بالحوار، فالشعوب هي الضحية للصراع والحروب، إضافةً إلى أن الحوارات القائمة -في كثيرٍ منها- تفتقد الاعتراف بالإسلام رسالةً ورسولاً، ولهذا فإن الجدل لدى كثيرٍ من المسلمين دائر بحدة بالغة حول الحوار وأهميته، ولاسيما في أوساط العلماء والدعاة والمثقفين والمفكرين باختلاف في حجمه!!

ويدعم نظرة رفض الحوار تساؤلات تطرحها الساحة الثقافية والفكرية، من أبرزها:

لماذا الطرح المتكرر عن التسامح الإسلامي والحوار مع الآخر مع واقع العدائية الغربية وصناعتهم لمناخ الحروب والكراهية، وواقع فرض الحسم السياسي والعسكري من قِبَل الغرب على العالم الإسلامي؟

ولماذا اللهث وراء الحوار مع تكرار الفزاعات الغربية من

المصطلحات الضبابية كالإرهاب، والوهابية، والسلفية، وأخيراً الإسلام السياسي! وغير ذلك من حرب المصطلحات التي يُطلقها الغرب ويسوِّقها التلاميذ المتأثرون بهم داخل دول العالم الإسلامي؟!

ولماذا استجابت حكومات الدول الإسلامية للحوار مع الغرب؟ وفشلت في الحوار مع شعوبها وجماعاتها! بل صَنعت عدواً وهمياً، وحروباً هامشية داخلية قائمة على الاستفزاز وردود الفعل! حتى وقعت في فخ الصراع الداخلي لتدفع ثمناً غالياً يتمثل بأزمة الثقة بين الحاكم والمحكوم! وتم تفريغها من داخلها من خلال الاستجابة لضغوط أعدائها، ومعظم الدول الإسلامية قد فقدت بهذا كثيراً من قوتها الجهادية ومناعتها الفكرية وحصانتها العقدية بالرغم من الحاجة إليها مستقبلاً.

وتساؤلات أخرى في نفس السياق تقول: هل دول العالم الإسلامي غازية أم مَغزوة عسكرياً وفكرياً؟ ومَن الـمُستفِزُّ والـمُستَفز من الطرفين؟ ثم مَن الـمُصارِع ومَن المنافِس من الطرفين؟ ومَن الظالم والمظلوم من الجهتين؟ وما الرؤية الاستراتيجية في التعامل صراعاً أم منافسةً، حواراً أم مقاومةً، أو جهاداً مع تلك الاعتداءات المكشوفة؟ كما أن الجدل يدور بقوة عند عقلاء الغرب بالقول: هل الإسلام مُعتَدٍ أم مُعتَدًى عليه؟

وإضافة إلى ما سبق يرد التعجب والاستنكار قائلاً: كيف يكون الحوار مع الغرب وهو الذي لم يتحمل أو لم يحتمل حتى وجود منافسة مؤسسات العمل الخيري الإنساني الإسلامية في الساحات الدولية، بل تتم محاولات تحجيمها وإضعافها، ومع ذلك يُطرح (الحوار) مع

الآخر أو يُفرض؟!

تساؤلات وجيهة ومطروحة بإلحاح شديد قادتني إلى الخروج من رِق الواقع الخاطئ للحوار إلى البحث في البواعث والأسباب للحصول على نتائج منطقية غير أسيرة للواقع، ليتحدد الموقف من الآخر برؤية واضحة.

ولهذا فإن الكتاب كما أن من نتائجه البارزة الدعوة إلى الحوار بين الحكومات وشعوبها، وبين الشعوب طرفي الصراع، بل ومع المخالف أياً كان بالرغم من ثبوت صناعة الصراع من خصوم الإسلام وأعدائه، فإن المقاومة والجهاد تُعدُّ نتيجة أخرى لا تقل عن الحوار وأهميته.

والحوار والجهاد كنتائج منطقية لمعطيات هذا البحث تُعزِّزان العمل على تحرير البشرية من منطق القوة والاستبداد الدولي واسترقاقه للآخرين، وتدعمان عدالة الحق وحرية البشرية الحقيقية، إضافةً لدفع سوء الفهم عند من غابت عنهم الحقيقة من الطرفين (الغرب والمسلمين) وبالحوار المتكافئ والجهاد الشرعي يتحقق ما يليق بالمسلم وعقيدته وعزته وكرامته، وعُلوِّ دينه وسمو رسالته، قال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران:١٣٩).

(٥)

علماً أن التاريخ المعاصر يقول: البشرية ترى خلال عقد واحد من الزمن (العقد الأول من القرن الواحد والعشرين) أن الغرب تدخل عسكرياً في عدد من الدول الإسلامية (العراق وسوريا وأفغانستان

وباكستان)، وانتهك سيادتها بصورة مباشرة، فهل هذا مما يَطرحُ إمكانية التلازم بين مشروع المقاومة والجهاد والحوار في الوقت ذاته؟ ولاسيما أن الغرب ليس واحداً، ففيه الحكومات وفيه الشعوب، وفيه غرب مسالم وغرب معاد، وغرب كافر وغرب مسلم، وغرب مع وغرب ضد، فليس عدواً كله وليس صديقاً كله، ولأجل هذا كثيراً ما يردُ التعبير في ثنايا هذا الكتاب بعبارة (الغرب المتعصب) للخروج من إشكالية التعميم، وقد أشار القرآن إلى شيء من ذلك كما في قوله تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ (آل عمران:١١٣).

ولذلك يأتي طرح فكرة القوة الجهادية مع الحوار في هذا الكتاب بعد أن أصبحت السياسات الغربية تجاه العالم الإسلامي تتجاوز المؤامرة إلى العمل المكشوف والنفاق السياسي الفاضح غير المسبوق كما أوضح ذلك مرشح الرئاسة الأمريكية آل جور (Al Gore) ناقداً وناصحاً حكومة بلاده في كتابه (هجوم على العقل): «يبدو أن الاعتماد الدائم والقوي على الأكاذيب قاعدة للسياسة -حتى في مواجهة دليل ساطع جليّ- قد بلغ بكثير من الأمريكيين مستويات لم يكن أحد أن يتصورها من قبل»[١].

وكما صَرَّح جيمس وولسي الرئيس السابق لوكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية الذي قال بوضوح فاضح: «المنطقة العربية لن تعود كما كانت، وسوف تزول دول، وسوف تتغير حدود دول

---

(١) انظر: ألبرت أرنولد آل جور، هجوم على العقل، نقله إلى العربية نشوى ماهر كرم الله، ط١، الرياض/ أبو ظبي: مكتبة العبيكان/ كلمة، ١٤٣٠هـ (٢٠٠٩م)، ص١٣.

موجودة»[1].

وبهذا وما يُماثله فقد تَعرَّت أقنعة حقوق الإنسان! وما يُسمى بالسلام الدولي! إضافةً إلى انكشاف حقيقة الشرعية الدولية! وأنها القوة فقط وليست العدالة والحقوق.

ومع هذ الاستنتاج المبكر فإن الاستشهاد بتصريحات الساسة والمفكرين من الغرب -الواردة في المبحث (الثالث) و(الرابع) و(الخامس) وكذلك ما ورد في المبحث (السابع) وغيرها- لا أقصد بها إثارة الكراهية ضد الغرب، لأن الغرب في علاقاته مع العالم الإسلامي هو من يصنع هذه الكراهية بأفعاله وسياساته وإعلامه الدعائي! ومن المهم أن تُبنَى النتائج المنطقية على المعطيات الحقيقية فلا يكون التجاهل لحقائق التاريخ أو عدم النظر لواقع الممارسات السياسية الغربية، ومع هذا فإنني أستحضر ما يجب على العقلاء من كل الأمم والحضارات -وليس المسلم فحسب- من أهمية إثارة الكراهية وتغذيتها ضد المبادئ الشريرة في الثقافة الغربية أو تجاه من يمثلها من سياسات غربية متطرفة تدعو إلى الكراهية وتُعزز ردود الفعل، كما أن الكراهية يجب أن تكون ضد أي ممارسات خاطئة من الطرف الإسلامي، ولذلك تَضمَّن هذا الكتاب رسالة إلى عُقلاء الغرب ومنصفيه وشعوبه لمعرفة الحقيقة الغائبة عن كثيرٍ منهم، فالصراع السياسي الجغرافي الغربي (جيوبوليتك) القائم والقادم لا يمكن التستر عليه أو عدم كشفه، حيث أهمية وجوب تجنب الكوارث السياسية والإنسانية قبل وقوعها بقدر الإمكان.

---

(١) انظر: المقال الأصلي باللغة الإنجليزية والعربية بعنوان: الغرب يعيش على غباء العالم الثالث والدول الفقيرة، بتاريخ ١٠ أغسطس ٢٠١٦م، الرابط التالي: http://bit.ly/2bouTRP.

(٦)

وأنا أكتب مباحث هذا الكتاب التي لا تخرج عن كونها من التدوين التاريخي لهذا العصر، فإن تخصصي في التاريخ غير غائب عمّا قرأته في تاريخ الحروب الصليبية وجرائمها ومحاكم التفتيش وجناياتها في الأندلس وغير ذلك[١]، كما لم يكن غائباً عَنِّي ما يستحضره المسلم عن واقع غير المسلمين من المتعصبين وتعاطيهم مع الإسلام وقضايا المسلمين، حيث من المُسَلَّمات عند المسلمين ما ورد في القرآن الكريم كما في قوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ (البقرة:١٢٠)، وكذلك ما يستحضره المسلمون وهم يتلون كتاب الله في آيات تكشف صوراً كثيرة من الكيد والمكر مما يُعد بلغة العصر من المؤامرات، مثل قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ (آل عمران:١٢٠). وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾ (الطارق:١٥). وقوله: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ (الأنفال:٣٠). وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (آل عمران:١١٨).

والمسلم يرى أن ما قرره القرآن يُصدِّقه الواقع، وأن السلوك

(١) تم استبعاد تقصِّي الأحداث التاريخية القديمة بين الغرب الصليبي والمسلمين لتفويت مقولة أن حاضر الغرب العلماني يختلف عن ماضيه الصليبي، ولذلك اقتصر الباحث في الرؤية التاريخية والقراءة لها بالغرب وأحداثه المعاصرة.

العدواني موجود مُشاهد، ثم أنه تأتي تعاليم الإسلام للمسلمين بالحث على حرية الأمة وسيادتها، وأن العوائق والابتلاءات مما يُحفِّز على الوحدة والسيادة، وحسب القراءة التاريخية عند المسلمين، فليس هناك ما يمنع من ميلادٍ جديد لحضارة الأمة الإسلامية، ومن مقدمات ذلك أن أصبحت فيه الشعوب العربية والمسلمة تعيش نضجاً سياسياً ووعياً ثقافياً وصحوةً حقوقيةً في الشراكة السياسية، وتطلعاً للعزة والسيادة بواقع يفوق حال حكوماتها. وهذا من التفاؤل الذي تم ذكره في ثنايا الكتاب ومبحثه الأخير.

وفي الوقت ذاته فهذا الكتاب بموضوعه رسالةٌ إلى أبناء الإسلام وأجياله للوعي بصور الصراع، ولاسيما أنهم يُعايشون الصراع الغربي المعاصر مع الإسلام والمسلمين، أو الحروب فيما بين الحكومات والشعوب العربية ذاتها مما يُضعف الثقة بتاريخهم ودينهم، خصوصاً مع ضَعف قراءتهم عن الصراع الغربي مع نفسه في معظم تاريخه، ونقص قراءتهم التاريخية عن حضارة الإسلام وما في دينهم من قيم العدل والسلام.

ولذلك تأتي أهمية استيعاب الأجيال المسلمة بأن واقع الممارسات السياسية العربية الخاطئة -خاصةً المعاصرة- لا تُمثل الحُكم السياسي الرشيد الموصوف أحياناً بالمثالي، ولاسيما عند استحضار الموروثات الثقافية الإسلامية وما فيها من العدالة والسلام، وهي ما ينعش روح الأمل عند المسلم بتعزيز الثقة بنفسه وتاريخه وحضارته، بل وبمستقبل دينه، وتذكيره بأن مقتضى هذا الدين هو الإيمان الذي لا يتزعزع بأن السلام ممكن على الأرض، وأنها ستُملأ عدلاً -يوماً

ما- كما مُلئَت جوراً، وأن نور الله الذي تريد قوى الشر أو مشركو الأرض أن يطفئوه بأفواههم لا بد أن يتم، فالله لا يخلف وعده، كما قال تعالى: ﴿وَعْدَ اللهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الروم:٦). ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾(التوبة:٣٢).

ومع ذلك فالمنهجية العلمية في هذا الكتاب تقتضي -كما سبق- أن لا يكون الاستدلال بالقرآن والسُّنَّة النبوية مقدمات أو مُدخلات لموضوعات البحث بقدر ما هو تأكيد للمعطيات والمؤشرات بنتائجهما، بل إن الإيمان بالآيات القرآنية مما يدعو للبحث في آليات ووسائل التعامل مع الآخر والتعاطي معه لكي يكون هذا التعامل والتعاطي نافعاً غير ضار، ويُقدِّم ولا يُؤخِّر.

(٧)

ولأن العلاقة بين الإسلام والغرب تتأثر بأحداث التاريخ والواقع السياسي المعاصر فقد اضطررت بأن أُكثر من النقل والاقتباس والسياقات لتساعد القارئ الكريم على أن يُقرِّر بنفسه قدر المستطاع الموقف من طبيعة هذه العلاقة ، ففي كلٍ مبحث على حِدة معطيات علمية تُسهم في بناء النتيجة، كما تُجيب عمّا ورد من تساؤلات في هذه المقدمة وغيرها، وكان لمقولة شيخي وأستاذي الشيخ صالح الحصين -رحمه الله- أثرٌ في هذه المنهجية العلمية، حيث هذا الكتاب تغلب عليه الاقتباسات المقصودة[1]، فهو: «ألبوم من الصور الواقعية

---

(١) يلاحظ أن بعض النصوص تكرر القوسان [المعقوفان] داخلها وذلك للتوضيح أو لتصحيح المنقول، كما أن النقاط (...) تعني الحذف الجزئي من بعض النصوص.

للأحداث والأفكار، ولم يتدخل المحرِّر إلا عند الضرورة، وبغرض ربط الصور بعضها ببعض»[1].

ومن المهم الاعتراف بشجاعة أن هذه النقولات والتصريحات والاستدلال بها إذا كانت أعطت استنتاجات واضحة عن طبيعة المنافسة الإسلامية وطبيعة الصراع الغربي بعدوانيته ومؤامراته، ففي الوقت ذاته يُمكن لباحث آخر وفق أيديولوجيته أن يصل إلى نتائج مُغايرة حول التسامح الغربي تجاه الإسلام والمسلمين باستدلالاتٍ ونقولاتٍ وتصريحاتٍ أخرى، لكن الفَيْصَل في هذا المنهج أو ذاك هو مدى دعم الواقع من عدمه وقناعة القارئ من عكسها من خلال الأحداث السياسية المعاصرة -عملياً- فالكتاب أولاً وأخيراً -بعد تدوينه- إنما هو لقارئه وليس لكاتبه.

وللنقولات من الأقوال الغربية ضريبتها العلمية، فكثير من الكُتب والكتابات عن الغرب باللغة العربية تقتصر على النقل من مصادر وسيطة، والبحث العلمي المُحكَّم يتطلب الرجوع إلى المصادر الأساسية قدر المستطاع، مع ترجمة تلك النصوص بدقة مما يجعل الاستنتاج قائماً على مدخلات صحيحة ودقيقة، وقد تطلب ذلك جهداً علمياً ووقتاً طويلاً في سبيل تحقيق أكبر قدر ممكن من الالتزام بهذه المنهجية لتكون الجوانب العلمية الواردة في الكتاب سليمةً قدر المستطاع.

---

(١) انظر: صالح بن عبد الرحمن الحصين، رؤى تأصيلية في طريق الحرية، ترتيب جمع من الباحثين، ط١، ١٤٣٦هـ (٢٠١٥م)، ص١٢. ولتحميل الكتاب الرابط التالي:
http://saaid.net/book/20/13650.pdf

ومما يحكم الكتابة في هذا الموضوع عن الإسلام والغرب أحقية التلازم بين التاريخ والسياسة من جهة والعقائد من جهةٍ أُخرى، لكن البحث في هذا الكتاب أقرب ما يكون إلى المعالجة من الزاوية التاريخية والسياسية أكثر منه إلى العقيدة، والحاجة ماسة إلى المعالجة الشاملة في كُتبٍ وأبحاث أخرى لتتكامل الصورة الواضحة عن الصراع وصانعيه ويتم بذلك التعاطي المتكامل. فالنقص في هذا الكتاب في جوانب عرض التاريخ الإسلامي والصليبي المعروفة إلى حدٍ كبير، كما أن القصور في تضمينه بعض الدراسات الشرعية التأصيلية المعنية لا يعني عدم أهميتها في أي دراسات في هذا الموضوع، حيث أهمية البحث بشمولٍ أوسع خاصة في قضايا العلاقات المعاصرة بين الطرفين، ليكون وضوح الرؤية في التعامل الأمثل مع أزمة العلاقة مع الآخر[1].

وحول منهجية هذه الدراسة فقد حرصت على أن يكون الطرح لقضايا هذا الكتاب موضوعياً، ولذلك جاءت معطيات (القراءة التاريخية) المعنية بالمنافسة والصراع في المباحث الأولى الستة من الكتاب، وتكتمل هذه القراءة مع (الرؤية الاستشرافية المستقبلية) بمؤشراتها في المبحث السابع، لتكوّن هذه المعطيات والمؤشرات نتائج ولوازم مفصلة في المبحث الثامن، وفيه كذلك جاءت التوصية حول أهمية (المشروع الاستراتيجي)، ونظراً لأهمية هذا فقد تطلب ذلك التوسع في مناقشة تفاصيله.

---

(١) الآخر: مفهوم جديد يرى البعض أنه لا يخلو من الانهزامية، حيث فيه محاولةٌ للهروب من تسمية النصارى واليهود وغيرهم بالكفار، كما سيأتي توضيحه في المبحث الأول.

(٨)

وأرجو أن تسهم مباحث هذا الكتاب في توضيح الصورة الحقيقية لعقلاء الغرب عن ممارسات متعصبيهم، كما تعمل على توعية الأمة الإسلامية عمّا يجري حولها من مخاطر وما هو متوقع من أحداثٍ جِسام.

ويأمل الباحث بهذا الموضوع الكبير مع أفول زمن الاحتكار العلمي والمعرفي والإعلامي أن يكون باعثاً للمناقشة لدى الباحثين، ومحفِّزاً لطلاب الدراسات العليا في رسائلهم العلمية، وأن يكون الكتاب مُقدمةً لأصحاب الاختصاص لإكمال قضية تُعد في هذا العصر من أهم قضايا الساعة، وتتضاعف أهميتها في ظل معطيات تاريخية ومؤشراتٍ سياسية معاصرة -لا تبعث على الطمأنينة- وقد تُعد الأخطر في تاريخ العلاقة بين الغرب المتعصب والإسلام، وقد يَصْدُقُ على هذه العلاقة المتوقعة أنها أصبحت أم القضايا الدولية، حيث الإرهاب الدولي وردود الفعل تجاهه أصبحا -إلى حدٍ كبير- يشكلان القضية الكبرى أو (اللعبة الكبرى) في العلاقة بين الغرب والإسلام، أو بين الغرب والعالم الإسلامي.

وفي هذا المقام فإن الباحث لا يدعي أنه أوفى موضوع هذا الكتاب حقه كاملاً بقدر ما أسهَم في أهمية التفاعل المنتظر في مزيدٍ من البحث والدراسة فيه، ومحاولة تقصي حقائقه، وفتح الآفاق في جوانبه التاريخية والسياسية والدينية لتحديد طبيعة العلاقة مع الآخر، وبحث الحلول بشكل أوسع في ظل صراعٍ محمومٍ يتجدد، وسلام يتناقص من الساحات الإقليمية والدولية.

وقد استغرق البحث في هذا الموضوع الشائك أكثر من ست سنوات، كما أن المستجدات وتطورات الأحداث والصراعات والحروب التي تُعطي رؤيةً مستقبليةً تطلبت تأخير صدور هذا الكتاب حوالي سنتين أُخريين، لتكون القراءة التاريخية والرؤية المستقبلية فيه تقابل شيئاً من تطلعات القراء والباحثين وراء الحقيقة.

ولا يفوتني في هذا المقام أن أشكر من راجع أو صحح أو حَكَّم هذا الكتاب من الأساتذة الفضلاء الذين كان لهم الفضل بعد الله برفع نسبة الصواب في مقدماته واستنتاجاته، وأخص بالشكر معالي الأستاذ الدكتور علي بن إبراهيم النملة الذي استدرك عليه في بعض مراحله المُتعددة وعبَّر عنه بقوله: «جهدٌ متعوبٌ عليه، ويدخل في سلسلة مواجهة الإرهاب، وهو محاولة جادة، وسعيٌ إلى وضع قدمٍ في فهم الواقع المعيش». ودعواتي للشيخ خليفة بن بطاح الخزي -رحمه الله- الذي كان لملاحظاته دور إيجابي في تطويره. وشكري للشيخ محمد بن عائض القرني بمراجعته اللغوية. كما أشكر المهندس سليمان ابن محمد البطحي والدكتور محمد أحمد الزهراني والأستاذ أمين بن سليمان الدُّخيِّل على مراجعتهم الدقيقة وملاحظاتهم المُسدِّدة وكذلك الدكتور سعد بن بجاد العتيبي، والدكتور عبد الرحمن بن معمر السنوسي، والشيخ فيصل بن عبود المشعبي، والدكتور خالد بن علي الربيعان، والدكتور رجا بن مناحي المرزوقي، والدكتور سامر رضوان أبو رمان، والدكتور يوسف بن صالح الصُّغَير، والدكتور سليمان بن عبد الله العمير، والأستاذ محمد بن عبد الله الرَّشيد، والأستاذ علي ابن صالح الزيدي، والدكتور خالد بن عبد الله السريحي، والدكتور يحيى بن مفرح الزهراني، والدكتور عمر بن صالح المالكي، والأستاذ

فيصل بن علي الكاملي، وغيرهم ممن راجعوا الكتاب أو أجزاءً منه، فلهم وافر الشكر والتقدير، والحمد لله أولاً وآخراً، والشكر له ظاهراً وباطناً على إتمام نعمته على عباده.

د. محمد بن عبد الله السلومي

١٤٣٨/٤/٤هـ

info@the3rdsector.org

تمهيد

بين المنافسة والصراع

كتب المفكر الألماني مراد هوفمان، وهو ممن عاش التجربتين الغربية والإسلامية، بل إنه من قُرَّاء التاريخ الإسلامي والغربي، وهو ممن يؤكد -كغيره- أن الاندماج[1] بين الثقافتين أو الحضارتين غير ممكن، ولكن التعايش[2] هو الممكن، وهو ما دعت إليه الشريعة الإسلامية. وأوضح هوفمان أبرز الفروق الجوهرية التي تؤدي إلى المنافسة بين الطرفين، وبالتالي تأتي أهمية الحوار، قائلاً: «ألخص هذه الفروق الكثيرة بين الغرب والشرق في مسمًّى واحد، وإن كان هذا -بطبيعة الحال يقلل من حجم الحقيقة إن لم يكن يكاد يمحوها- الفارق الأساسي بين العالمين الغربي والشرقي يتلخص في الفرق بين الكمية، والكيفية (Quantity & Quality)، فالغرب [غالبه] لا يعرف قيمة أي شيء ما لم يستطع أن يعبر عن نفسه في أرقام!

فالقيم الفكرية والروحية لا يمكن تسويقها أو الإعلان عنها، ولذلك فهي بلا قيمة مادية. وفي هذا الإطار، فإن اهتمام الإنسان الغربي يدور حول ما يملكه وما يكون لديه، أما الإنسان الشرقي فيهتم بالوجود. ويثبت ذلك أن الحديث يدور بكثرة في الغرب وليس الشرق عن جودة الحياة، ومن يعيش في الشرق يكتشف في حقيقة الأمر: جودةً ومعنىً للحياة غير قابلة للإعلان عنها أو

---

(١) الاندماج: هو انصهار الحضارتين وفق رؤى ومبادئ مشتركة، فإذا كان المقصود بالاندماج ذوبان المسلم والتخلي عن هويته الإسلامية فإن هذا مرفوض في دينه الإسلامي وتشريعاته، وإذا كان معنى الاندماج هو احترام المسلم المقيم في الدول غير الإسلامية للنظم والقوانين وعدم التعدي على قيم تلك المجتمعات وعاداتها، فهذا السلوك مما أوجبه الإسلام على أهله.

(٢) التعايش: تعريف لغوي يُقصد به الاحترام المتبادل بين الأطراف الدينية أو العرقية في القطر الواحد، والمساواة في الحقوق الأهلية والمدنية -دون الحقوق السيادية في حالة الأقليات- وعدم إثارة الصراع بين الأطراف، والتعايش الدولي لا يخرج عمّا سبق.

تسويقها، ويظهر في السلوكيات مثل: الموقف غير المتشنج بل الهادئ من الوقت، كرم الضيافة، تواضع العلماء، الهدوء والرضا والقناعة كأسلوب حياة، تحويل كل ما يراه الغرب من ضروريات الحياة إلى مرتبة ثانية، الهدوء والرضا والقناعة كأسلوب حياة.

إن الأمر كله يكمن في هذا النور، هذا الضوء الذي كان دائماً يَشعُّ من الشرق. هذا الضوء بمعناه الحرفي ومعناه الرمزي (ex oriente Lux)، إنني بجدالي هنا عن كون الإسلام يملك الإجابات الصحيحة عن أسئلة الغرب الكثيرة وأزماته المتعددة، إنما أوضح وأثبت أن الإسلام ليس طالب إحسان من الغرب، ولكنه مانح رئيس لكثير من القيم وأساليب الحياة»[١].

وإذا كان ما ذكره ابن الحضارة الغربية عن أبرز الفروق بين الحضارتين وبأنه نور عقيدة الإسلام، فإن هذا القول يكشف في الوقت ذاته عن أبرز قيم المنافسة عند المسلمين، وهذه المنافسة قد تكون من عوامل الصراع أو دوافعه عند مُتعصبي الغرب ولاسيما في غيبة قيم العدالة الغربية تجاه غيرهم، فالإسلام بمنافسته وحده أصبح من بين الأديان في هذا العالم الواسع هو الخصم الذي يتعرض لحملات التشويه! وهو الفزَّاعة التي لا تهدأ من قبل خصومه!

وإذا كان ما سبق يُعدُّ من الفروق بين الحضارتين، فهناك من كتب عن بعض أسباب المنافسة بين حضارة الإسلام وحضارة الغرب، ودوافع الصراع لدى مُتعصبي الغرب تجاه الإسلام، ومن هؤلاء

---

(١) انظر: مراد هوفمان، الإسلام في الألفية الثالثة ديانة في صعود، تعريب عادل المعلم ويس إبراهيم، ط١، الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٤هـ (٢٠٠٣م)، ص٢٩٨.

مؤلف كتاب (الإسلام والغرب) محمود زقزوق الباحث في العلاقة بين الإسلام والغرب، وكان مما قال: «إن سوء فهم الإسلام في الغرب بصفة عامة يرجع أساساً إلى تشويه متعمد للإسلام منذ قرون طويلة، فالحملات الضارية ضد الإسلام اليوم ليست وليدة ظروف جديدة طارئة، وإنما هي نتيجة ترسبات قديمة ترسخت في العقلية الغربية منذ الحروب الصليبية، بل حتى قبل الحروب الصليبية حينما فتح المسلمون الأندلس، وحينما فتح المسلمون فيها بعد القسطنطينية واجتاحوا البلقان وحاصروا العاصمة النمساوية فيينا.

ولقد شهدت العصور الوسطى في أوروبا كثيراً من الافتراءات ضد الإسلام والمسلمين، وراح اللاهوتيون المسيحيون في ذلك الوقت المبكر ينشرون الافتراءات والأكاذيب حول الإسلام ونبيه محمد ﷺ»[1]، ثم قال: «وقد ترسخ في العقلية الغربية أن الإسلام دين عدواني متعصب شهواني تواكلي إلخ... ولا تزال حتى يومنا هذا تُدرَّس للأطفال في المدارس الغربية معلومات خاطئة عن الإسلام والمسلمين»[2].

وعن الخلفيات التاريخية للصراع بين الغرب والإسلام والتكفير المتبادل بين الطرفين، قال ولي العهد البريطاني الأمير تشارلز[3] في

---

(١) انظر: محمود حمدي زقزوق، الإسلام والغرب، ط١، القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ١٤٢٦هـ (٢٠٠٥م)، ص١٦٣-١٦٤.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص١٦٤، يلاحظ أن هناك من الأساطير في وصف الإسلام بالكفر، وهي أساطير مغرقة في الخيال وفي الضلال اخترعها الكُتَّاب في ذلك العصر مثل أنشودة رولاند الشهيرة وغيرها من آثار أدبية تصف المسلمين بأنهم عُبَّاد أصنام.

(٣) يُلاحظ أن الأمير تشارلز له أقوال موضوعية، كما له أقوال وتصريحات معادية للإسلام.

محاضرته الشهيرة في مركز جامعة أكسفورد للدراسات الإسلامية عام ١٩٩٣م: «لأن عالمينا [الإسلام والغرب] غالباً ما ينظران إلى ذلك الماضي بمنظورين متعارضين، فبالنسبة لتلاميذ المدارس الغربية يعتبرون الحروب الصليبية التي استمرت مئتي عام سلسلة من الأعمال البطولية والمجيدة حاول خلالها الملوك والفرسان والأمراء والأطفال الأوروبيون تخليص القدس من أيدي الكفار المسلمين الأشرار!! أما المسلمون فيعتبرون الحروب الصليبية حقبة من الوحشية الشديدة وأعمال السلب والنهب المروعة التي قام بها المرتزقة الغربيون الكفار، وكذلك الفضائح المرعبة التي ربما كان أفضل ما يمثلها المذابح التي ارتكبها الصليبيون عندما استردوا عام ١٠٩٩م القدس التي تُعد ثالث المدن المقدسة لدى المسلمين، وبالنسبة لنا في الغرب يُعد عام ١٤٩٢م عام البحوث الإنسانية والآفاق الجديدة، عام كولومبوس واكتشاف الأمريكيتين، أما بالنسبة للمسلمين فإن هذا العام هو عام مأساوي، حيث سقطت قرطبة في أيدي فرديناند وإزابيلا، وانتهت بذلك ثمانية قرون من الحضارة الإسلامية في أوروبا»[1].

كما قال تشارلز: «ونتيجة لنظرتنا إلى تاريخنا في (ديارنا) الغرب، فإن الإسلام غالباً ما يُعتبر تهديداً، أي كفاتح عسكري في العصور الوسطى، وكمصدر لعدم التسامح والتطرف والإرهاب في العصر الحديث»[2].

---

(١) انظر: خطاب الأمير تشارلز، الإسلام والغرب، بتاريخ ٢٧ أكتوبر ١٩٩٣م، في مركز أكسفورد للدراسات الإسلامية، الموقع الرسمي للملكية البريطانية، الرابط التالي:
http://www.princeofwales.gov.uk/media/speeches/speech-hrh-the-prince-of-wales-titled-islam-and-the-west-the-oxford-centre-islamic

(٢) انظر: المرجع السابق.

ومن الملاحظ أن من عناصر الصراع بين الغرب والإسلام أن الغرب الذي يعمل بمبدأ القوة ويعبدها قد تفوَّق في الاستقرار السياسي لدوله بعد حروب طويلة دامية بين شعوبه وأعراقه وأجناسه، ومنها حرب مئة العام بين فرنسا وبريطانيا، وحرب الثلاثين عاماً بين الكاثوليك والبروتستانت، إضافةً إلى الحربين الأوروبيتين (العالميتين)، وقد تنبه الغرب -فيما بعد ذلك- كردٍّ فعل لواقعه السياسي المتردي الذي كان يقوده طغيان القسيس واستبداد الحاكم في ظل تحريف الكتاب المُقدس (الإنجيل)، وأفرز ذلك الواقع الفاسد إصلاح وصياغة منظومة حياته فيما بعد ذلك، ومنها الحرية وحقوق الإنسان وتحقيق العدالة المحلية والديمقراطية الخاصة به، إضافة إلى صناعته للمنظمات الدولية المعنية بما يُسمَّى الشرعية الدولية والسلام وتحكُّمه بها، وبالتالي انعكست هذه المنتجات على قوة الغرب العسكرية والاقتصادية وسيادته السياسية لتُشكل منافسةً للعالم الإسلامي.

والغرب المعاصر مع هذا قد فاق غيره في ميادين العلوم المادية والتقنية وهو منافسٌ قويٌّ في ذلك، ليكون بهذا أكبر مالكٍ لمنظومة القوة التي أفرزت مزيداً من التعالي والغرور، وهذا ما جعله يحاور غيره بلغة فوقية.

وفي ظل هذه القوة بَرزت سيطرة المصالح (البراغماتية)[1] على القيم والمبادئ، وأصبحت المصالح -وليست المبادئ والقيم- تحكم وتتحكم بالعلاقات الدولية، ومن حتميات هذه العلاقة التصادم والصراع وما يتلازم معهما من تهديد لأمن وسلام المجتمعات والشعوب والدول،

(١) انظر: تعريف البراغماتية في المبحث الثامن من الكتاب، تحت عنوان: (نتائج الرؤية المستقبلية) النتيجة الثامنة.

فهل واقع الغرب بما سبق يعزز المحبة والسلام؟ أم أنه يثير الكراهية؟ وهل ما يوجد في إعلامه وتصريحات رجال دينه المتعصبين تجاه الإسلام والمسلمين مما يَئِد الكراهية أو يصنعها؟ وهل هذا السلوك مما يعزز المنافسة؟ أم يصنع الصراع وردود الفعل لدى الطرف المسلم؟

وبالتالي فهل صحيحٌ أن هذه القوة لدى الغرب أفرزت معظم سياساته التي هي في حقيقتها مِعوَل هدم للسلام وتقويض للعدالة الدولية؟ أم أن هناك عوامل أخرى مساعدة؟ وهل في قضايا فلسطين وأفغانستان والعراق ما يكشف عن حقيقة الصراع؟ وهل ما يجري بعد الثورات العربية (الربيع العربي) في بعض دول العالم العربي والإسلامي من دعمٍ للانقلابات المتنوعة على تلك الثورات مما يُعدُّ صناعة للفوضى الخلّاقة أو الفوضى البنَّاءة كما هو تنظير الغرب؟ وهل صناعة الصراع الشيعي ضد أمة الإسلام وإذكاءه بصورةٍ أكثر انكشافاً من السابق يأتي في السياق نفسه؟!

وهل تُعدُّ هذه الصناعات الغربية حالات دراسية تكشف مزيداً من الحقيقة عن نزعة العدوان الغربي؟ لعل طرح هذا الموضوع في ثنايا الكتاب مما يُسهم في فهم أعمق عن هذا التنافس الإسلامي الغربي، وعن الصراع الغربي الإسلامي.

وإذا كان ما ورد عن عناصر المنافسة لدى الغرب في هذا العصر أنه حقيقة لا جدال فيها، فإن الإسلام بتاريخه وحضارته وإمكانية عودة قوته وتأثيره وسيادته يُعد عنصراً أساسياً في المنافسة والقوة كذلك، وفي الأقوال المنقولة في مُجمل مباحث هذا الكتاب ما يكشف عن جوانب هذه المنافسة الإسلامية مع الغرب، ومن ذلك ما قاله الأمير تشارلز:

«إننا نشترك في الكثير من القيم: احترام المعرفة والعدل والرأفة بالفقراء والمحرومين، وأهمية الحياة العائلية، واحترام الوالدين»[1].

كما قال تشارلز عن منافسة الإسلام وسبقِه الحضاري في العلم والمعرفة: «لقد شجع الإسلام البحث والتنقيب وحافظ عليهما، وثمة قول مأثور جاء فيه: (إن حِبر العالم أقدس من دم الشهيد)، لقد كانت قرطبة في القرن العاشر أكثر المدَن تحضراً في أوروبا، فنحن نعرف عن وجود مكتبات عامة في إسبانيا في الوقت الذي كان فيه الملك ألفريد يرتكب أخطاء جسيمة في فنون الطبخ في هذه البلاد، ويقال: إن مكتبة حاكم قرطبة كانت تضم أربعمائة ألف (٤٠٠,٠٠٠) مجلد، أي ما يزيد على عدد الكتب في جميع المكتبات في بقية أوروبا معاً، وقد كان ذلك ممكنا لأن العالم الإسلامي اكتسب من الصين مهارة صُنع الورق قبل أكثر من أربعمائة عام من حصول أوروبا غير المسلمة على تلك المهارة، كما أن كثيراً من المزايا التي تفخر بها أوروبا العصرية جاءت أصلاً من إسبانيا في أثناء الحكم الإسلامي، فالدبلوماسية وحرية التجارة والحدود المفتوحة، وأساليب البحث الأكاديمي وعلم الإنسان، وآداب السلوك وتطوير الأزياء، والطب البديل والمستشفيات، جاءت كلها من تلك المدنية العظيمة»[2].

وقال عن التسامح الإسلامي بما يكشف عن عكسه لدى الغرب: «وقد كان الإسلام في العصور الوسطى ديناً يتسم بقَدْر لافتٍ للنظر

---

(١) انظر: خطاب الأمير تشارلز، الإسلام والغرب، بتاريخ ٢٧ أكتوبر ١٩٩٣م، في مركز أكسفورد للدراسات الإسلامية، الموقع الرسمي للملكية البريطانية، الرابط التالي:
http://www.princeofwales.gov.uk/media/speeches/speech-hrh-the-prince-of-wales-titled-islam-and-the-west-the-oxford-centre-islamic

(٢) انظر: المرجع السابق.

من التسامح بالنسبة لتلك الحقبة، فقد مَنَح اليهود والمسيحيين الحق لممارسة معتقداتهم الموروثة، وكان بذلك قدوة لم تحتذِ بها للأسف دول كثيرة في الغرب، والمدهش هو مدى تشكيل الإسلام جزءاً من أوروبا لفترة زمنية طويلة، أولاً في إسبانيا ثم في البلقان، ومدى مساهمته في الحضارة التي كثيراً ما نعتقد خطأً أنها غربية بأكملها، إن الإسلام جزء من ماضينا وحاضرنا في جميع مجالات البحث الإنساني، وقد ساهم في إنشاء أوروبا المعاصرة، إنه جزء من تراثنا وليس شيئاً منفصلاً عنه»[1].

وفي سياق الحديث عن منافسة الحضارة الإسلامية بعلومها وتاريخها للغرب قال وزير الخارجية البريطانية السابق روبين كوك عام ١٩٩٨م: «فالفن الإسلامي والعلوم والفلسفة الإسلامية قد ساعدت على تشكيل تطورنا وعملت على تكييف نمونا كأفراد، وتداخلت في كيفية تفكيرنا وطريقة معيشتنا، فالأرقام الإسلامية ما زالت معنا، وهي التي علمتنا طريقة العد الصحيحة، إن ثقافتنا مدينة للإسلام بدَيْنٍ يجدر بالغرب ألَّا ينساه»[2].

ووفق ما سبق فإن هذه المنافسة التاريخية في الإسلام قادرةٌ على صناعة النهضة والسيادة للأمة الإسلامية مرةً أُخرى، بل إن كثيراً من معطيات الحضارة الغربية المادية المعاصرة تُعدُّ من عوامل صناعة النهضة الإسلامية في العصر الحاضر وعودتها، فهل هذا التاريخ والواقع بمعطياته مصدر قلق للمنافس والمصارع على حدٍّ سواء؟ لعل في مباحث هذا الكتاب ما يُجيب عن هذا التساؤل.

---

(١) انظر: المرجع السابق.

(٢) انظر: محمود حمدي زقزوق، الإسلام والغرب، ص١٩٣.

المبحث الأول

مصطلحات ومفاهيم عن الحضارتين

«لكي نفهم العالم فهمًا صحيحًا لا بد أن نعرف المصادر الحقيقية للأفكار التي تحكم هذا العالم وأن نفهم معانيها».

(علي عزت بيجوفيتش - الإسلام بين الشرق والغرب)

من المُسلَّمات أن تعريف المصطلحات يرفع الغموض ويحرر المسائل العلمية، وبضده يكون التخليط والفساد كما قال ابن حزم الأندلسي: «والأصل في كل بلاء وعماء وتخليط وفساد: اختلاط الأسماء، ووقوع اسم واحد على معانٍ كثيرة، فيخبر المخبر بذلك الاسم، وهو يريد أحد المعاني التي تحته، فيحمله السامع على غير ذلك المعنى الذي أراد المخبر، فيقع البلاء والإشكال»[1]. والتعريفات هنا قد تُجسِّر العلاقة بين كلٍ من الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية، بـل قد تكشف عن محـددات المنافسة أو الصراع، ومن الحقائق أن الصراع مع الآخر يقتصر مجاله على النواحي السياسية أو العسكرية، ولاسيما أن الصراع عند المتعصبين ضعيفي الثقة بأنفسهم أينما كانوا جزء من مقومات البقاء لهم حسب ظنهم، والتنافس ميدانه بين الثقافات والحضارات، وهي أنشطة الحياة الإنسانية لأية أمة: كاللغات والأفكار والعلم والمعرفة والقيم والعادات!

ففي موضوع الحضارات تحديداً -وبخلاف قناعات المتعصبين الغربيين- نرى أن الحضارات من حقها أن تتنافس، ويمكن أن تتفاعل وتتسابق وتتغالب، لكنها لا يمكن أن تتحارب أو تتصارع، مهما عمل هؤلاء لقلب هذه الحقيقة الطبيعية الكونية، ومن المهم التفريق بين مصالح الحكومات وبين قيم الشعوب وثقافاتها، وبين من ينشد المنافسة وبين من يريد الصراع.

وتحرير بعض المصطلحات في هذه القضية توطئة لابد منها للدخول في موضوعات المنافسة والصراع، وبالتالي الحوار أو المقاومة أو كلاهما في آنٍ واحد.

---

(١) انظر: أبو محمد علي بن حزم الأندلسي، الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق أحمد شاكر، ج٨، ط٢، بيروت: دار الآفاق الجديدة، ١٤٠٣هـ (١٩٨٣م)، ص١٠١.

ومن هذه المصطلحات التي تحتاج إلى تعريف وتوضيح، المصطلحات التالية:

الإسلام والغرب: عنوان رئيس للكتاب، وهما كلمتان أو مصطلحان بحاجة إلى تحريرٍ علمي ليحصل التعاطي الصحيح مع مباحث هذا الكتاب، وتحرير مصطلح شامل كامل عن الإسلام مما تحارُ في تحديده العقول والأفهام، لكن المحاولة مطلوبة.

(الإسلام): هو اسم مصدر أسلمَ، وهو الخضوع لله على أي دين من الأَديان السماوية، سيما الدين الذي بعث الله به محمدًا ﷺ[1].

والمقصود بالإسلام هنا: هو الدين السماوي الذي نزل على النبي الرسول محمد ﷺ أساسه قرآنٌ يُتلى إلى يوم القيامة، ليكون منهج حياةٍ للإنسان على هذه الأرض، فهو عقيدة وعبادة وتشريعات في مناحي الحياة الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

والإسلام بهذا التعريف يُمثل غالبية الأمة الإسلامية؛ إلا أن هناك من الطوائف من هو مرفوض فهمه للإسلام بعقيدته الأصلية من قِبل عامة المسلمين، لأن هذه الطوائف أظهرت فهماً مغايراً ومختلفاً، كما أن عداوتها لعموم المسلمين واضحةٌ وظاهرة مثل طائفتي الشيعة الاثني عشرية وغُلاة الصوفية، لأن هؤلاء من المجموعات المنشقة عن أمة الإسلام، وليسوا أصحاب منافسة أو مقاومة للغرب حول سيادة الإسلام ونهضته وحضارته التاريخية.

وممن كَتَب عن هذا الانشقاق للشيعة الرافضة كأنموذج معاصر الدكتور أحمد عثمان التويجري بقوله عنهم: «إن الشيعة الاثني عشرية

(١) انظر: معجم المعاني، الرابط التالي: http://goo.gl/A7AAKN.

بعد الانحرافات التي أصابت المذهب هم آخر من له الحق في الحديث عن التكفير؛ لأن جمهور علماء المذهب الاثني عشري هم في نظري أكبر التكفيريين في العالم... فقد حكم علماء المذهب الاثني عشري بردة جميع الصحابة ما عدا ثلاثة أو أربعة أو تسعة أو أربعة عشر، على اختلاف في الروايات، كما حكموا بكفر جميع المسلمين من غير الشيعة الاثني عشرية»[1].

ويسرد الدكتور التويجري بصفحات متتابعة حوالي اثني عشر نصًّا منقولاً عن أئمة الشيعة وعلمائهم، ومن كتبهم، تؤكد أن عقيدتهم قائمة على تكفير أمة محمد ﷺ، وهذه النصوص تؤكد انشقاقهم عن الإسلام والمسلمين، وهو بالتالي مما أخرج الشيعة الرافضة من الصف الإسلامي المعني بصراع الغرب مع الإسلام.

ويختصر رئيس المرصد الدولي لملاحقة جرائم إيران الدكتور أنور مالك الوصف عن منحرفي الشيعة وانشقاقهم بتغريدة واحدة في حسابه على (تويتر) حينما قال: «لا أمان أبداً للشيعة، علاقتهم بالله شرك، وبالرسول قذف، وبالقرآن تحريف، وبالصحابة تكفير، وبالسُّنَّة تدليس، وبالمسلمين خيانة، ولغيرهم نصرة، وبالعلماء طعن»[2].

وعن انشقاق غُلاة الصوفية عن أمة الإسلام ورد ما يؤكد تحالفاتهم مع المحتلين عبر التاريخ، ومن ذلك ما ورد في المؤشر الخامس عشر من المبحث السابع من هذا الكتاب.

---

(١) انظر: أحمد التويجري، مقال بعنوان: رسالة عتاب إلى الدكتور توفيق السيف، صحيفة سبق الإلكترونية، الرابط التالي: http://sabq.org/TD1aCd

(٢) انظر: تغريدة الدكتور أنور مالك في حسابه على التويتر، الرابط التالي:
https://twitter.com/anwarmalek/status/411157684201615360

كما أن مصطلح (الغرب) يعني: جهة جغرافية تُشير إلى حقائق جغرافية سياسية (جيوبوليتك) لبشر يعيشون في غرب خارطة العالم في دول محدَّدة ومتعدّدة، تحكمها حكومات مختلفة في أنظمتها السياسية، ذات حضارة علمانية تكوَّنت من أرضية ثقافية تجمع بين الديانتين المسيحية واليهودية -وإن كانت اليابان وأستراليا وكوريا تقع في شرق العالم لكن أنظمتها السياسية ومدنيتها غربية التوجه-[1].

علماً بأن المقصود بالغرب ليست المحددات الجغرافية، بل السلوك الجمعي الغربي المنظم المصحوب غالباً بالقوة السياسية والعسكرية والإعلامية، فلا تدخل دول أمريكا الجنوبية بذلك مثلاً، ويلاحظ أن هناك اختلافاً فيما بين الدول الغربية ذاتها، وكذلك بين بعض الشعوب الغربية من جهة وبين حكوماتهم تجاه الإسلام والمسلمين من جهةٍ أخرى، فوجود قطاع من العقلاء في الغرب -بغض النظر عن حجمه- ينظرون إلى الإسلام بشيء من «الموضوعية» والإنصاف، ويدعون إلى حوار الحضارات بالمفهوم الصحيح، بالرغم من أن استطلاعات الرأي في الغرب تكشف -في أحيانٍ كثيرة- عن عداوة الحكومات المتعصبة والشعوب على حدٍ سواء، ويُعزى بعض هذا إلى قوة الحملات الإعلامية الغربية الدعائية المُضلِّلة.

ولذلك فحينما يُذكر في هذا الكتاب كلمة (الغرب المتعصب) فالمعني به غالباً أصحاب القرار السياسي، وكذلك رجال الدين

---

(١) انظر: غانم جواد، عن تعريف الغرب - الإسلام الليبرالي، ورقة عمل قُدمت في مؤتمر: نحو خطاب إسلامي ديمقراطي مدني، عَمّان: تنظيم مركز القدس للدراسات السياسية، في ٢٧-٢٩ مايو ٢٠٠٦م.

المتعصبون، ومن يدور في فلَكِ التعصب والكراهية[1] من رجال الإعلام والفكر.

وعندما يُقال (الإسلام والغرب) فالمعني بذلك قوتان مختلفتان إلى حدٍ كبير، وبينهما موروثات ثقافية متباينة، وحروب تاريخية غير غائبة، وغالباً ما تكون القوة المادية تتلازم مع الغرب، والقوة المعنوية تتلازم مع الإسلام، وهذا الاختلاف الجوهري يصنع المنافسة، والمنافسة قد تؤدي إلى الصراع ولاسيما مع غياب الإيمان بثوابت القيم والمبادئ في ظل سيطرة المصالح وتقديسها أحياناً كثيرة، وتقديمها على القيم الإنسانية العادلة عند من يمتلك القوة السياسية والعسكرية.

وعن هذا الموضوع صدرت كتابات كثيرة غربية وإسلامية فيها ثراء من زوايا متعددة ولا غُنية عنها، ولكن المؤلف في عرضه في هذا الكتاب يختلف من حيث تناول المنافسة والصراع، وقد يكون فيه رؤيةٌ أخرى في ذلك، وفي الوقت ذاته فلعله مُسهمٌ ومُكمِّلٌ لتلك الكِتابات الأخرى عن طبيعة العلاقة بين الإسلام والغرب، وما يُمكن أن يَنتُج

---

(١) الكراهية والمحبة: كلاهما أمر فطري جُبلت عليه البشرية، فالمسلم وغير المسلم على حدٍّ سواء مجبولون على هذا الجانب العاطفي الناتج من الدين أو غيره، وبالنسبة للمسلمين فعقيدة الولاء والبراء مما تحكم حياة المسلم وتصرفاته وهي لا تعني الاعتداء على الآخر، والولاء والبراء الذي مجاله العقيدة لا يتعارض مع التسامح في التعامل والمعاملات مع المسلم وغير المسلم، بخلاف واقع الغرب المتعصب فالكراهية تدفعه إلى عدم التسامح، بل وتتحول الكراهية عنده في الغالب إلى فعلٍ إرادي، حيث إن مصالحهم وكراهيتهم للعالم الإسلامي وشعوبه المسلمة تتحول إلى حروب وصراعات وانتهاكٍ لحقوق الشعوب والدول وتهميش لحقوق العالم الإسلامي وإقصاء دوره في المنظومة الدولية، وحملات الكراهية الإعلامية الغربية الدعائية تجاه العالم الإسلامي والمسلمين لا تُقارن بغيرها -كما سيرد في ثنايا الكتاب-.

عن طبيعتها من حوار أو مقاومة أو جهاد[1].

ومما يدخل في مصطلح (الإسلام والغرب) حالة الصراع مع بعض دول المشرق من دول العالم العربي والإسلامي، فهو إلى حدٍّ كبير غير معني بالدول الإسلامية من غير دول المشرق.

و(المنافسة): تعني درجة من المواجهة[2] السلمية تدور حول المسابقة أو المغالبة، أو المقابسة، وهي حق من حقوق الأمم، وبين المواجهة والمجابهة فارقٌ لُغوي يحسن فهمه، ويكاد يكون المبحث الأول والثاني بعمومهما عن المنافسة بين الحضارتين.

و(الصراع): يعني درجة من المجابهة[3] تعني القتال أو الحرب، أو صناعة أسبابه التي غالباً ما تكون من القوي تجاه الأضعف.

و(الحوار): هو المحاورة، والتحاور: المرادَّة في الكلام، ويكون بين

---

(١) ومن هذه الكتب: (العلاقات الدولية بين منهج الإسلام ومنهج الحضارة المعاصرة) للشيخ صالح الحصين، (الإسلام على مفترق الطرق) لمحمد أسد، (الإسلام بين الشرق والغرب) لعلي عزت بيجوفيتش، (الإسلام كما يراه ألماني مسلم) لمراد هوفمان، (الإسلام عام ٢٠٠٠) لمراد هوفمان، (الإسلام والغرب في كتابات الغربيين) د. زغلول نجار، (الإسلام في الألفية الثالثة) لمراد هوفمان، (الإسلام والغرب) لمحمود حمدي زقزوق، (الإسلام السياسي والمعركة القادمة) لمصطفى محمود، (الشرق والغرب منطلقات العلاقات ومحدّداتها) د. علي إبراهيم النملة، (حقيقة العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين) لسعيد إسماعيل صيني، (صراع الغرب مع الإسلام) لآصف حسين، وغيرها من الكتب.

(٢) المواجهة: المُقَابَلَةُ. وَالْمُواجَهَةُ: اسْتِقْبالُكَ الرَّجُلَ بِكَلامٍ أَوْ وَجْهٍ، قالَهُ اللَّيْثُ، انظر: محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، تحقيق عبد الله الكبير ومحمد حسب الله وهاشم الشاذلي، ج٨، القاهرة: دار المعارف، ص٤٧٧٦.

(٣) المجابهة: (اسم)، مصدر جابَهَ مجابهة: مُوَاجَهَةٌ، تَحَدٍّ، مُقَاوَمَةٌ، مواجهة عسكريّة أو مسلَّحة بسبب نزاع قائم أو رغبة في الاعتداء أو الاحتلال، معارك دامية، محاربة ومنع انتشار، انظر: معجم المعاني الجامع، الرابط التالي: http://goo.gl/K7bxU4.

الطرفين فصاعداً، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾ (المجادلة:١)، والخطاب هنا للنبي ﷺ وللمرأة التي كانت تجادله في زوجها الذي ظاهر منها. ويقول تعالى عن حوار الرجلين الكافر والمؤمن: ﴿فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ (الكهف:٣٤)[٤].

الحوار في الاصطلاح اللغوي هو نشاط عقلي ولفظي يقدم المتحاورون الأدلة والحجج والبراهين التي تبرر وجهات نظرهم بحرية تامة من أجل الوصول إلى حل لمشكلة أو توضيح لقضية ما[٥].

والحوار في الاصطلاح هو نوع من الحديث بين شخصين أو فريقين، يتم فيه تداول الكلام بينهما بطريقة متكافئة فلا يستأثر به أحدهما دون الآخر، ويغلب عليه الهدوء والبعد عن الخصومة والتعصب[٦].

وهو مصطلح يُعبِّر عن حال جهتين تجمعهما قضية مُعيَّنة للحوار حول مبادئ دينية أو أُسس إنسانية مشتركة أو غير مشتركة، يتم التحاور أو التعاون بينهما بهدف التعرف على المبادئ المشتركة. وغيرها بين الطرفين المتحاورين للحيلولة دون الصراع أو لعلاجه، والمقصود هنا هو الحوار ما بين أتباع الحضارتين الإسلامية والغربية، لذا فتسميةُ هذا الحوار بالمواجهة بين الحضارتين بلغة المنافسة أو المغالبة دون غيرها من المصطلحات أقرب للصواب.

---

(٤) انظر: الحوار الحضاري والثقافي أهدافه ومجالاته، مؤتمر مكة الخامس، مكة المكرمة: رابطة العالم الإسلامي، ١٤٢٥هـ (٢٠٠٥م)، ص٢٩.

(٥) انظر: موسوعة ويكيبيديا الحرة، الرابط التالي: http://bit.ly/2jJGVkQ

(٦) انظر: خالد بن محمد المغامسي، الحوار آدابه وتطبيقاته في التربية الإسلامية، الرياض: مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني، ط٣، ١٤٢٨هـ (٢٠٠٧م)، ص٢١، نقلاً عن: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، في أصول الحوار، الرياض: الندوة العالمية، ١٤١٥هـ ص١١.

والمقصود بالحوار في هذا الكتاب: ليس الحوار الذي يتبادر إلى فَهم كثيرٍ من الناس بأنه الحوار المعني فيما بين الحكومات المُعاصرة فحسب، والذي تُنشأ له مراكز الحوارات العالمية، وهذه الحوارات موضع نقدٍ لدى كثيرٍ من المفكرين من أمثال المفكر الألماني مراد هوفمان الذي يقول عنه: «الحوار بين الشمال والجنوب هو في اتجاه واحد، فقد ربح الغرب سباق الإعلام من زمان، ليعرض أفكاره على المسلمين بالجملة، ويتحكم في حياتهم كالطاعون»[1].

ولذلك فالمقصود بالحوار ما هو أشمل وأوسع وأهم، فهو الحوار الحُر من هيمنة الحكومات، وفي لغاتٍ شتى بين الأفراد مع الأفراد من الطرف الآخر، وهو حوار المجموعات مع المجموعات الأخرى، وهو حوار المسجد بعلمائه، والمركز الإسلامي والمدرسة الإسلامية، والكنيسة ورهبانها، وهو الحوار العلمي بالكتب والمقالات والمنشورات والمجلات والدوريات والصحف والإصدارات، وهو الحوار بين المراكز البحثية والمعلوماتية والجامعات من الطرفين، وهو الحوار الإعلامي الفردي والجماعي عبر القنوات التلفزيونية والمواقع الإلكترونية، ومن خلال وسائل التواصل الاجتماعي المتنوعة المعاصرة مثل: (الفيس بوك، والتويتر، والواتس أب) وغيرها من الوسائل مما يجدُّ، وهو كذلك الحوار بالمظلات الرسمية وغير الرسمية، وهو الحوار بلا حدود مع الشعوب وَفق محدداته وضوابطه وآدابه التي ذكرها بعض من بحث في موضوع الحوار.

(١) انظر: مراد هوفمان، الإسلام عام ٢٠٠٠، نقله للعربية عادل المعلم، ط١، الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٤هـ (٢٠٠٣م)، ص٣٧.

وعن الحوار صدرت كُتبٌ كثيرةٌ لا يمكن حصرها، والتي تضمنت معلوماتٍ ثرية عن طبيعة الحوار وآدابه، وعن تأصيله الشرعي الإسلامي، أو عن الحوار الفعَّال، وما شابه ذلك[1].

(العلاقة مع الآخر): هي اتصال أو تفاعل بين شخصين أو جهتين أو شيئين[2].

والعلاقة مع الآخر مصطلح حديثٌ محدود الاستخدام، وهو لا يعني العلاقة مع الآخرين بقدر ما يعني المفهوم الذي أراده من أطلقوه وأرادوا تطبيعه، وذكره في عنوان الكتاب من باب مجاراة المصطلح لتوضيحه والنقاش حوله بغض النظر عمّا فيه من الخطأ أو الصواب! ولذلك فالاستخدام لهذا المصطلح لا يعني القبول له بأهداف من أطلقه بانهزاميةٍ أو بمحاولة التضليل بغرض تلافي وصف الآخر بالكافر[3].

(الحضارة): الحضارة في مفهومها العام هي ثمرة أيِّ جُهد يقوم به الإنسان لتحسين ظروف حياته، سواء أكان المجهود المبذول للوصول إلى تلك الثمرة مقصوداً أم غير مقصود، وسواء أكانت الثمرة مادية

---

(١) ومن هذه الكتب: (الحوار آدابه وتطبيقاته في التربية الإسلامية) لخالد محمد المغامسي، (الحوار في القرآن وتنوع أساليبه) لسناء الثقفي، (الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسُّنَّة) ليحيى بن محمد الزمزمي، (قواعد ومبادئ الحوار الفعال) لعبد الله الصقهان ومحمد الشويعر، (مظاهر الإعجاز في الحوار القرآني) لأحمد البشايرة، (حوار الحضارات) لفهد بن عبد العزيز السنيدي، (الحوار الحضاري والثقافي أهدافه ومجالاته) رابطة العالم الإسلامي، وغيرها كثير.

(٢) انظر: المعجم: عربي عامة، الرابط التالي: http://goo.gl/ozdnpW.

(٣) يلاحظ أن التراث النصراني يزخر بوصف المسلم بالكافر، كما يزخر بتكفير الكاثوليك النصارى لإخوانهم البروتستانت الخارجين عن الدين حسب وصفهم للآخر من ملتهم داخل مجتمعاتهم غير المتسامحة مع بعض.

أو معنوية، ومن الواضح أن التحسين المعنوي مقدم على التحسين المادي[١].

وتعرف الحضارة (Civilization) كذلك: بأنها أسلوب حياة ينشأ بعد أن يسكن الناس المدن أو في مجتمعات منظّمة كالدول، واشْتُقَّت الكلمة من الكلمة اللاتينية (Civis) والتي تعني المواطن في الدولة والمدينة[٢].

وللحضارة مظهران: المظهر المادي: ويتجلى فيما يحرزه الإنسان في مجالات الحياة المادية كالعمارة والأدوات الصناعية والزراعية. والمظهر المعنوي: ويُعنى به العقلي والروحي، كالأخلاق، والقانون، والعلوم بأنواعها، والفنون بألوانها[٣].

والحضارة هي نشاط إنساني متداخل ومتفاعل، يشمل مجمل تفاعل النتاج العقدي والفكري والأدبي والثقافي والاجتماعي والأخلاقي والقانوني، وغيرها من الأنشطة الإنسانية لأي أمة من الأمم، ولا يرتبط وجودها بوجود أفراد معينين، أو حكومات أو دول محددة، والحضارة تستمد قوتها وبقاءها من مجموع القيم والمبادئ الإنسانية التي تحملها، ومن شرعية وأخلاقية الأدوات والوسائل التي تستخدمها، ثم من إيمان الأمة بها وحراستها لها وللقيم التي

---

(١) انظر بالتفصيل: حسين مؤنس، الحضارة: دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ع١، ط٢، الكويت، ١٩٧٨م، ص٤٨،١٣.

(٢) انظر: ويكيبيديا الموسوعة الحرة، الرابط التالي: https://goo.gl/c2YkLZ.

(٣) انظر: محمد كمال شبانة، الإسلام فكراً وحضارة، ط٢، دبي: دار العالم العربي، ١٤٢٨هـ (٢٠٠٨م)، ص١٥٠.

تحملها، ويمكن أن تتبادلها البشرية وتتفاعل معها أو تعرض عنها، وقد تتوسع أو تنحسر، لكنها في النهاية تبقى عميقة الجذور، لديها إمكانية التحريك وبعث الأمم والنهوض من جديد، ويلجأ إليها الأحفاد في فترات من حياتهم إن أرادوا ذلك، كما أن (الحضارة) ليست دولة أو حكومة أو جيشاً أو كياناً مادياً حتى يمكن مصارعته أو حربه.

وفي هذا الكتاب ورد مصطلحا (المعطيات والمؤشرات) وهي كلماتٌ أو عباراتٌ عامة، لكن المعطيات هنا تعني: الوقائع والأحداث التاريخية، والتقارير والتصريحات التي حدثت أو أصبحت ظاهرةً ومؤثرةً في الساحات العالمية كحقائق بُنيت عليها سياسات أو قرارات، وهي مما يرتبط ويتكرر مع (القراءة التاريخية).

كما أن المؤشرات الواردة في المبحث السابع تعني: الأحداث العسكرية المعاصرة والتصريحات السياسية الحديثة التي تساعد على فهم الواقع وتؤكد على المعطيات السابقة، وهي بهذا تُسهم في صياغة النتائج، بالرغم من كونها متغيرةً متجددةً لكنها لا تتعارض مع استراتيجيات الصراع الغربي وثوابته، والمؤشرات مع المعطيات مما يدعم الحصول على نتائج أكثر وضوحاً حول (الرؤية المستقبلية الاستشرافية) وهي ما وردت في كلٍ من المبحث السابع والثامن كخلاصة عن الصراع الحاضر والمستقبل، كما أن هذه الرؤية تُعدُّ النتيجة الأبرز في هذا الكتاب.

وسيتكرر في هذا الكتاب خاصةً في المبحث الأخير منه عبارة (المشروع الاستراتيجي) للأمة، وهو يعني هنا: أهمية صناعة

استراتيجية[1] متكاملة سياسياً وعقدياً من قِبل دول المنطقة المُستهدَفة بمشروعاتٍ منفردةً لكل دولة، ومجتمعةً فيما بين الدول كحقٍّ سيادي بهدف الحماية من المخاطر الاستعمارية الجديدة، والتعاطي مع التحولات في موازين القوى على المستوى الإقليمي والدولي، وهو مشروعٌ لا يهدف إلى الوحدة السياسية لصعوبة ذلك، بقدر ما هو معني بتبديد المخاطر وإجهاض أهداف الصراعات والحروب والمؤامرات ضد الإسلام والمسلمين، ويمكن أن تكون الرؤية عن أهمية هذا المشروع الواردة في المبحث الثامن تنبيهاً وتذكيراً للأمة لإعداد مشروعٍ أكبر وأوسع معني بنهضة الأمة الإسلامية.

مرجعية الحضارتين (الإسلامية والغربية):

الكتابة عن أبرز جوانب المرجعيات للحضارة الإسلامية والغربية يكشف عن قوة أهمية عناصر المنافسة بين الحضارتين، وأيهما المؤهلة لتقديم قيم البقاء كالعلاقات الأسرية والاجتماعية والعلاقات الدولية القائمة على المبادئ -وليس المصالح-؟ ومن الذي يحقق بقيمه السلام والعدل؟ وأيهما التي تحترم التشريعات السماوية العادلة التي تحقق الأمن والاستقرار والسعادة في الأرض؟

وما ذكره المؤرخ الأمريكي الشهير ول وايريل ديورانت في كتابه (قصة الحضارة) عن الحضارة الغربية المعاصرة واستلهامها من الحضارتين اليونانية والرومانية يكشف بجلاء أن معطياتها لا تعدو

(١) يُعرِّف هاري آر. يارغر الاستراتيجية في جميع مستوياتها بأنها: حساب الأهداف والمفاهيم والموارد ضمن حدود مقبولة للمخاطر، لخلق نتائج ذات مزايا أفضل مما كان يمكن أن تكون عليه الأمور لو تُركت للمصادفة أو تحت أيدي أطراف أخرى. انظر: هاري آر. يارغر، الاستراتيجية ومحترفو الأمن القومي، ط١، أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ٢٠١١م، ص١٦.

أن تكون جوانب مادية هندسية ومعمارية وفنية وخرافات عقدية خالية من التشريعات والقيم في ميادين الأخلاق والعدل والسلام والعلاقات، وذلك ما يفتقر إليه العالم اليوم حيث المعركة الحقيقية هي في كسب العقول والأفكار القائمة على العقائد والقيم والتشريعات الصالحة للبقاء في أي زمان ومكان.

إن البشرية اليوم ترى آثار ومنتجات حضارة (اليونان الوثنيين، والرومان الماديين) بمعظم قيمها وأفكارها وسياساتها وفنونها وآدابها، بل ومعتقداتها وخرافاتها وأساطيرها وآلهتها؛ حاضرة في حياة الغرب الصناعي المادي التكنولوجي، والغرب اليوم (أوروبا وأمريكا) عالة على حضارة أولئك القوم الذين بادوا، يفخرون بتلوين أنشطتهم السياسية والفكرية والثقافية والاجتماعية والرياضية، والفنية في الموسيقى والغناء والرسم والنحت بتلك الألوان الإغريقية، ويطلقون أسماء آلهتها على معظم أنشطتهم ومكتشفاتهم واختراعاتهم في السياسة والعلوم المادية والتقنية والفلَك والفنون والرياضة والمؤسسات والشركات وغيرها بما كان شائعاً في حضارة اليونان الإغريق من آلهة وغيرها!... ابتداءً من المصطلحات السياسية كالديموقراطية والديكتاتورية والليبرالية والفوضى الخلّاقة، والفنون كالكوميديا والتراجيديا، مروراً بالألعاب الأولمبية والمصارعة وكمال الأجسام، وانتهاءً بـ[السنّ الأزرق (البلوتوث)]، والأيقونات الصفراء التي تظهر على شاشات الكمبيوترات![1].

---

(١) يمكن الرجوع إلى ذلك بتفصيلٍ أكثر من خلال قراءة الكاتب الأمريكي (ول وايريل ديورانت ١٨٨٥ - ١٩٨١م) في كتابه (قصة الحضارة- حياة اليونان) عن أثر الحضارة اليونانية على أوروبا والغرب، ترجمة محمد بدران، مجلد ٨ في الخاتمة ص ٢٠٦ - ٢٠٩، بيروت: دار الجيل.

والخلاصة: أن الحضارة المادية الغربية المعاصرة متفوقةٌ في الجوانب التقنية العلمية، وفي التفوق السياسي والاقتصادي والعسكري والديمقراطية والحقوق، وهي بحق عناصر منافسة قوية داخل المجتمعات الغربية ولا سيما في ظل ضعف المنافس لها أو فشله، لكن على الجانب الآخر فإن حقوق الإنسان أصبحت خاصةً بالرجل الغربي، كما أن الجانب الروحي لا يهتم بقيم الحياة الأُسرية والعلاقات الاجتماعية بتشريعاتٍ سماوية مُقدسة تضمن لها البقاء الأقوى، وتحقق لها النصر الدائم أو المنافسة الدائمة للآخرين، كما سيرد عن منافسة الإسلام.

وفي المقابل نجد الحضارة الإسلامية تقوم على منهج حياةٍ متكامل، فهي قد صبغت الحياة البشرية -إلى حدٍّ كبير- بصبغتها الأخلاقية والإنسانية المستمدة من تشريعاتها الإسلامية على نحو فريد، وحسب التاريخ فهي حضارة إنسانية عالمية عاشت بعض أوروبا عدالتها وسماحتها خاصة في الغرب الأوروبي (الأندلس) وشرقها مثل دول البلقان، بل عايشت بعض أوروبا عملياً حكم الإسلام ودولته، مُستمدةً قيمها من كتاب ربها: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات: ١٣). وارتكزت على موروث ضخم من القيم والمبادئ الإنسانية، قيم الحرية والقسط بين البشر (مسلمين، أو غير مسلمين) إضافة إلى كونها عقيدة وعبادة لله وتشريعات انعكست على تكوينها ونشأتها، كما أن دين هذه الحضارة الإسلامية ليس حكراً على الشعوب العربية، بل هو رحمة عامة للعالمين: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (النحل: ٩٠).

وحضارة الإسلام رفعت من قيمة العلم والعلماء: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (المجادلة:١١). وأَغْنَتْ حضارة الإسلام المعارف والعلوم الإنسانية بكثير من الكنوز والروائع الخالدة، وأنشأت بتلك العقيدة والتشريعات وحدة ثقافية وعقدية وتاريخية على امتداد رقعتها الجغرافية، وقد عَرَفَت الأمة المسلمة الوحدة والاتحاد بين أقطارها وأقاليمها وذلك على نحو فريد لم يحدث في تاريخ البشرية من قبل، ولم يتكرر بعدها حتى اليوم[1]، ولا نشك في أنها تمتلك مقومات الوحدة والبقاء والقوة التي جربتها سابقاً عبر التاريخ الإسلامي، وبالتالي فإنها ستبقى بمنهجها وقيمها فعَّالة مؤثرة على امتداد التاريخ الإنساني.

لقد تفاعلت حضارة الإسلام العظيمة مع الحضارات الأخرى كاليونانية والفارسية والهندية والصينية واستوعبتها وأخذت منها الأفضل في الماديات، وطورته وحسنته وتركت الرديء بثقة واقتدار، وهذا ما دوَّنه أنصار الحق والصواب من كُتَّاب الغرب ومؤرخيه[2].

والمنصفون من الغربيين يعترفون أنّ حضارة الإسلام كان لها دور بارز في إيقاظ البشرية من سبات عميق، وأوجدت المنهج العلمي التطبيقي الذي كان سبباً في معظم المكتشفات والاختراعات العلمية

---

(١) يؤمن المسلمون بوعد الله، وأن الوحدة سوف تتكرر مستقبلاً وبعدالة تفوق عدالة قيم الأرض، وعلى مستوى الأرض أو معظمها: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ (الصف:٩).

(٢) هناك كُتبٌ كثيرة كُتبت عن كثيرٍ من جوانب الحضارة الإسلامية بإنصاف مثل: زيغريد هونكه في كتابها (شمس العرب تسطع على الغرب)، ومثل: غوستاف لوبون في كتابه (حضارة العرب)، وبروكلمان في كتابه (تاريخ الشعوب الإسلامية)، وغيرها كثير.

التي ظهرت فيما بعد لكنّ استراتيجيات رجال السياسة والمتعصبين من الغربيين تكشف عن نواياهم في تحويل المنافسة إلى صراع.

ولأن الإسلام آخر الأديان، والقرآن الكريم آخر الكتب السماوية، ورسوله عليه الصلاة والسلام آخر الأنبياء والرسل، وشريعته آخر الشرائع فالمسلمون يعتقدون جازمين أن هذا الدين قائمٌ وباقٍ إلى قيام الساعة، وقد أصبح هذا الدين بموروثاته الحضارية تتوالى بشائر انبعاثه ويقظة أمته ليقود البشرية من جديد، وليُخرجها من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة.

من عناصر المنافسة الإسلامية (الشمول):

كتب الشيخ صالح الحصين وهو من مفكري المسلمين وله اهتمامات علمية حول التسامح والعدوانية، فقال عن صناعة الغرب للصراع مع الإسلام، وأنه ناتج عن قوة الحضارة الإسلامية، وعن أثر الإسلام في كسب القلوب والعقول: «لاشك أنّ للموروثات الثقافية (Cultural heritage) أثرًا في تكوين هذا الاتجاه لدى الغرب ضد الإسلام، ولكنّ شعور المتعصبين من الغرب بعظمة الإسلام وقوته الروحية وهو يختلف عن شعوره تجاه الديانات الأخرى التي يراها بدائية، ولا ترقى لأن تكون ندًّا لديانته أو ثقافته، هذا الشعور هو الذي له أثره الغالب في تكوين اتجاه الغرب العدائي ضد الإسلام، يزيدُ هذا الشعور حدةً عدمُ ثقة الغرب المتعصب بأنه يمتلك أسباب النصر في معركته الثقافية ضد الإسلام، وتجاربه التاريخية لا تشجعه على مثل هذه الثقة»[1].

---

(١) انظر: محمد بن عبد الله السلومي «القطاع الخيري ودعاوى الإرهاب» تقديم صالح الحصين، ط٢، الرياض: مجلة البيان ١٤٢٥هـ (٢٠٠٤م)، ص٨،٩.

لقد مرّت الحضارة الإسلامية -كغيرها من الحضارات- بفترات ازدهار وانتصار في نشر قِيَمِهَا ومبادئها في أنحاء الأرض، كما مرَّت بفترات ضعف وانحسار، لكنها في تاريخها لم تتخل عن ارتباطها بربها ودينها، ولم تُلغ أو تصادر حضارات الأمم الأخرى في فترة قوتها، ولم تضطهد الأقليات الأخرى كالمجوس والصابئة وغيرهم، بل إنها خصّت النصرانية واليهودية، بمصطلح شرعي إنساني خاص يبعث الرهبة والاحترام في نفوس الأكثرية المسلمة، وهو اصطلاح حقوقي يمنحهم حماية إضافية (أهل الذمّة)، وفي ذلك إشارة إلى أن لهم حقوقاً وذمماً لا يجوز انتهاكها، لذلك بقي الأقباط في مصر على دينهم عبر تعاقب الدول الإسلامية عليها، وكذلك إخوانهم النصارى في لبنان وسوريا وفلسطين وبقية الدول العربية والإسلامية محتفظين بدينهم وثقافتهم وعاداتهم وتقاليدهم، كذلك الفرس والهنود والصينيون، وغيرهم من البابليين والآشوريين والكلدانيين والصابئة في العراق وبلاد الشام واليمن؛ ولم يتعرضوا لأي من محاولات الإكراه أو الإبادة والاستئصال عبر التاريخ الإسلامي كما حدث ضد المسلمين في آخر عصرهم في محاكم التفتيش في بلاد الأندلس على سبيل المثال، وهذا الاضطهاد الصليبي هو الشائع في تاريخ معظم الأمم الأخرى حينما تكون لها الغلبة والسيادة آنذاك، ولكن تحت حكم الإسلام وسيادته فالأمر مختلف تماماً[1].

---

(١) انظر بتصرف: عن معاملة المسلمين للطوائف الأخرى في الأندلس كنموذج: صالح الحصين، العلاقات الدولية بين منهج الإسلام ومنهج الحضارة المعاصرة، ط١، الرياض: مؤسسة الوقف، ١٤٢٩هـ (٢٠٠٨م)، ص ٦١-٦٣، وانظر على سبيل المثال: أبو الحسن الندوي، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين.

وعن معاني العدالة والسلام وعدم افتعال الصراع أو القهر عند المسلمين كتب محمد أسد[1] الذي عايش حضارة الغرب وقيم الإسلام بعد إسلامه، فقال: «كانت أهم صفة بارزة لحضارة الإسلام وهي الصفة التي انفردت بها عن الحضارات البشرية السابقة أو اللاحقة أنها منبثقة من إرادة حرة لشعوبها. لم تكن مثل حضارات سابقة وليدة قهر وضغط وإكراه أو تصارع إرادات أو صراع على المصالح، ولكنها كانت جزءاً وَكُلًّا من رغبة حقيقية أصيلة لدى جميع المسلمين مستمدة من إيمانهم بالله وما حثهم عليه من إعمال فكر وعمل»[2].

ويقول أسد عن دراساته ومقارناته في كتابه الثاني (الإسلام على مفترق الطرق): «وكل هذه الدراسات والمقارنات خَلَقت لَديَّ اعتقاداً راسخاً أن الإسلام كظاهرة روحية واجتماعية لا يزال أقوى

---

(١) محمد أسد: هو ليوبولد فايس قبل إسلامه (Leopold Weiss) (١٩٠٠-١٩٩٢)، وهو المولود في النمسا من عائلة يهودية، وكان من وسط أسرة مشهورة من الأجداد الحاخامات حيث جده أحد الحاخامات الأرثوذوكس المشهورين، درس في جامعة فينا الفن والفلسفة في العقود الأولى من القرن العشرين، واشتهر برحلاته المثيرة للشرق الإسلامي والمليئة بالمفاجآت والمغامرة التي أشرف فيها على الموت، كما اشتهر بكتاباته ووظيفته كمحرر في وكالة الأنباء (يونايتد تلجرام)، ثم نائب رئيس تحرير قطاع أخبار الصحافة الإسكندنافية ولم يبلغ عمره ٢٢ سنة، واعتبره البعض سعيداً بما هو أكثر من النجاح في حياته العملية، ولكنه كان يبحث عن شيء مفقود داخل كيانه الروحي حتى قاده ذلك إلى إعلان إسلامه وتسمى باسم (محمد أسد)، وقد ذاع صيت كتبه عن رحلاته واستكشافاته حتى ترجمت إلى أشهر لغات العالم، وأشهرها كتاب: الطريق إلى مكة (The Road to Makkah)، وكتاب: الإسلام على مفترق الطرق (Islam At The Crossroads).

(٢) انظر: محمد أسد، الطريق إلى مكة، ترجمة رفعت السيد علي، عن طبعة ١٩٥٤م، الرياض: مكتبة الملك عبد العزيز العامة، ١٤٢٥هـ، ص٤٠٩.

قوة دافعة عرفها البشر، رغم كل مظاهر التخلف التي خَلَّفَها ابتعاد المسلمين عن الإسلام»[1].

وهذا المفكر المعروف برنارد شو الذي بهره في الإسلام مواءمته وتوفيقه بين المصالح المادية والحاجات الروحية يردد بعد دراسة دقيقة، قوله المشهور: «إنني أرى في الإسلام دين أوروبا في أواخر القرن العشرين»، بل إن المفكر الألماني جوته يصرخ قبله قائلاً: «إذا كان هذا هو الإسلام، أفلا نكون كلنا مسلمين»[2].

وكتب صادق جواد سليمان وهو رئيس مجلس المشرفين على مركز الحوار في واشنطن عمّا يمكن اعتباره عنصر منافسة، فقال: «ما كانت إنجازات الحضارة الإغريقية معروفة لدى الأوروبيين حتى ذلك الوقت، ولا إنجازات حضارات أخرى كفارس والهند والصين، كانت الإصدارات العربية وحدها المنهل الذي ينهل منه الأوروبيون، ذلك أن المسلمين سعوا لتحصيل العلم أنَّى لقوا مصادره: جمعوه، استوعبوه، طوروه، ابتكروا فيه، ثم مع الوقت وضعوا ثمار ما أحرزوا في متناول سائر الأمم، ما أنجزوه أثرى الإسلام وجعله -من بعد كونه- ديناً حضارةً شامخةً، من الصين وإندونيسيا والهند عبر فارس وسورية والقوقاز، إلى أفريقيا فأسبانيا»[3].

---

(١) انظر: محمد أسد، الإسلام على مفترق الطرق، ترجمة الدكتور عمر فروخ، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨١م، ص١٦.

(٢) انظر: صحيفة الجزيرة، بتاريخ ١ أغسطس ٢٠١٥م، الرابط التالي:
http://www.al-jazirah.com/2015/20150801/rj3.htm

(٣) انظر: صادق جواد سليمان، تعارف الحضارات وتقابسها عبر التاريخ، ندوة الجمعية العمانية للكتاب والأدباء بصلالة - عُمان، بتاريخ يوم الأحد ٢٦ أغسطس ٢٠٠٧م، الرابط التالي:
http://www.uae7.com/vb/t28639.html

ومما قال سليمان: «في دراسة التقابس الحضاري بين الأمم يتضح جلياً عِظم الإنجاز المعرفي الإسلامي من حيث محتواه ومداه، يتضح من تقييم عدد من أبرز مؤرخي الحضارات، أذكر منهم ثلاثة: ديورانت، وسارتن، والبيروني»[١].

ومما نقل عن المؤرخين الثلاثة كذلك: «يقول ديورانت: «عندما يتم مسح أدق وأشمل لهذا التراث نصف المنسي، فسوف نصنف القرن العاشر في المشرق الإسلامي كأحد العصور الذهبية في تاريخ العقل».

كتب جورجِ سارتن [توفي عام ١٩٥٦م] مؤرخ العلوم بجامعة هارفرد، في مؤلَفِه (مقدمة في تاريخ العلم) عن الحضارة الإسلامية فقال: «من النصف الثاني للقرن الثامن حتى نهاية القرن الحادي عشر كانت العربية لغة العلم، بل لغة التقدم المعرفي على الإطلاق، وعندما ارتقى الغرب وعياً لدرجة أن أحس بالحاجة لعلم أغزر وجَّه نظره ليس إلى المصادر الإغريقية بل إلى المصادر العربية». وما كتبه سارتن يؤيده أبو الريحان البيروني، وهو عالم ومؤرخ مسلم عاصر ذلك العهد، بقوله: «لقد كانت العلوم تدخل العربية من كل حدب وصوب، فإذا دخلتها اكتسبت جمالياتها، وعندها تغدو العلوم أكثر تشويقاً لطلابنا فينكبون على تحصيلها برغبة أشد»»[٢].

وفي ميدان المنافسة التاريخية في القوة العسكرية والسيادة السياسية فقد دفعت أمريكا الجزية للخلافة العثمانية كحال بعض الدول

---

(١) انظر: المرجع السابق.

(٢) انظر: المرجع السابق.

الأوروبية التي دفعت لها كذلك، ويظهر ذلك في إحدى الوثائق الموجودة بالأرشيف الأمريكي -منها صورة منشورة في الشبكة العنكبوتية- وقد تم تقديمها للجزائر في زيارة وزيرة الخارجية الأمريكية كوندوليزا رايس للجزائر، وفيها: «وبموجب معاهدة ٢١ من صفر ١٢١٠هـ الموافق ٥/ ٩/ ١٧٩٥م المكونة من ٢٢ مادة باللغة التركية وقعت أمريكا على ما يلي: تدفع الولايات الأمريكية إلى ولاية الجزائر التابعة لدولة الخلافة العثمانية فورا مبلغ ٦٤٢ ألف دولارٍ ذهبيٍ، وتدفع لها سنوياً مبلغ ١٢ ألف ليرة عثمانية ذهبية، وفي مقابلَ ذلكَ يطلق سراح الأسرى الأمريكيين الموجودين في الجزائر، ولا تتعرض ولاية الجزائر لأية سفينة أمريكية لا في الأطلسي ولا في البحر الأبيض.

وَوقَّع وَصدَّق على المعاهدة جورج واشنطن بنفسه، وبكلر بك حسن باشا من طرف الدولة العثمانية. وهذه هي المعاهدة الوحيدة التي وقعتها أمريكا طوال تاريخ حياتها بغير لغتها، وفي نفس الوقت هي المعاهدة الوحيدة التي وافقت فيها أمريكا وتعهدت خلال تاريخها كله بدفع ضريبة سنوية لدولة أجنبية. وظلت الولايات المتحدة تدفع هذه الضريبة حماية لسفنها حتى سنة (١٢٢٧هـ/ ١٨١٢م)، حيث سدد القنصل الأمريكي في الجزائر ٦٢ ألف دولار ذهباً، وكانت هذه هي المرة الأخيرة التي تسدد فيها الضريبة السنوية»[١].

---

(١) انظر: عن الوثيقة وتفاصيلها، موقع إسلام الآن، الرابط التالي:
http://khilafaislamiya.blogspot.com/2012/04/blog-post_12.html
وموقع قصة الإسلام، الرابط التالي: http://goo.gl/n28tZ4، وانظر عن صورة الوثيقة الرابط التالي:
http://goo.gl/AvVfOD.

ويبقى ميدان المنافسة بين الحضارات والثقافات والأديان قائماً كحقيقة تاريخية إلى قيام الساعة، لكن ليس من حق القوي تحويل هذه المنافسة إلى صراعٍ وحروب.

من عناصر المنافسة الغربية (التطور العلمي والتقني):

لاشك في أن الثورة التقنية الإلكترونية المعاصرة هي نتاج الثورة الصناعية في أوروبا، التي أسهمت الحضارة الإسلامية بدور رئيس في أسس قيامها -كما هو معلوم-، وأقرَّ به العديد من الدارسين والباحثين الغربيين المنصفين -كما أشرنا إلى شيء من ذلك-.

لقدأحدثت الثورات العلمية والتقنية في أوروبا التي رافقت عصر النهضة الأوروبية منذ القرن الخامس عشر والسادس عشر ومروراً بالثورة الفرنسية (١٧٨٩ - ١٧٩٩م) تغييراً جذرياً في بنية المجتمع الغربي المعاصر وغيره من المجتمعات التي استفادت من هذه الثورات العلمية.

وفي ميدان المنافسة فعــالم الغرب دخل مرحلة التقنية الإلكترونية والمجهرية (النانو) (Nanotechnology) فَفَتحت هذه التقنية له وللعالم آفاقاً جديدة من العلم والمعرفة، وأُتيحت خيارات هائلة للبشرية بعمومها وليس للغرب خاصة -كما كان الحال مع مخرجات الثورة الصناعية-، بل إن ما يميز الثورة التقنية المعاصرة أنها ثورة عالمية شارك في صناعتها معظم دول العالم تقريباً، وإن كان للغرب نصيب الأسد فيها[1]، إلا أن الغرب لم يستطع أن يحتكرها وهي تتطور وتزداد بنمطٍ سريعٍ ومذهلٍ، لم تستطع خطط الغرب السيطرة

(١) الغرب يحاول نشر مبادئه وقيمه في السياسة والاقتصاد والثقافة وغيرها أو فرضها، بما أصبح يسمى بالعولمة.

عليها أو احتواء آثارها، كما لم تستطع مراكز دراساته وأبحاثه التحكم في استثمارها، ولعل ما يحدث اليوم في العالم العربي والإسلامي من استثمار إيجابي لها خير دليل على عدم القدرة على الاحتكار، وفي المقابل أتاحت التقنية فرصاً إيجابيةً كبيرةً جداً لدول العالم الثالث في التطوير الصناعي وغيره -إن هي أرادت-.

وبناءً على هذا فإن العولمة (في جانبها التقني الإلكتروني) مَكَّنت الغرب من التوظيف الكبير في الوصول إلى أسرار شعوب العالم وحكوماتها ومحاولات تغيير ثقافاتها.

إن تطور وسائل الاتصال والتواصل في مجالات الإنترنت والاتصالات أتاحت مجالات هائلة للتواصل ونقل المعلومات وتبادلها بشكل لم يخطر ببال أحدٍ، لقد وضعت حداً لما يسمى بـ(احتكار المعلومة أو احتكار العلم)، فعلى الرغم من الانفجار التقني الحاصل اليوم في المخترعات والمكتشفات المادية التطبيقية بصورة هائلةٍ في الغرب والدول الصناعية، إلا أن الفجوة الثقافية بين العالم الصناعي ودول العالم الثالث قد تقلصت كثيراً، كما تقلَّصت الفجوة بين المدن والقرى، وبين الحضر والبدو.

فالمكتبات المؤرشفة حاسوبياً وبنوك المعلومات والمواقع الإلكترونية أصبحت توفر كماً هائلاً من المعلومات في شؤون الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية والثقافية وغيرها لشعوب العالم، وبسبب التطور الهائل في برامج الترجمة أصبح من الممكن لأي فرد الاطلاع عليها في المكتب والمنزل والشارع، وفي الصحراء أيضاً وبلغته! لقد حولت هذه التقنية معظم المجتمعات

المعاصرة إلى مجتمعات معلوماتية، أصبحت المعرفة فيها مشاعة ربما دون إرادة الحكومات والأنظمة، كما أن برامج الحوار والتواصل الاجتماعي كـ(الفيس بوك، والتويتر، واليوتيوب، والواتس أب، والماسينجر، والإنستقرام، والسناب شات وغيرها كثير) أوجدت (واقعاً افتراضياً) في عالم الإنترنت الإلكتروني يُتيح الاطلاع والتواصل وعقد الاجتماعات وتبادل الحوار والمعلومات رغماً عن القيود المفروضة من بعض الحكومات، كذلك التطور في وسائل تخزين المعلومات من أقراص صلبة صغيرة وكبيرة، وفلاشات وكاميرات التصوير الكبيرة والصغيرة في الحواسيب والهواتف النقالة وغيرها، كل ذلك وفّر فرصاً غير محدودة لتسجيل وتدوين ونقل وتخزين المعلومات والصور والأفلام للعرض والتبادل، كما وفّرت التقنية الحديثة بيئات وواقعاً (إلكترونياً) حقيقياً جديداً، لم يكن ليتخيله أحد قبل عقد أو عقدين من الزمن! مما حتّم وقوع تغيرات وتحولات فكرية واجتماعية لم تكن متوقعة من قبل كثير من الدارسين والمراقبين، فضلاً عن غيرهم، والله أعلم ماذا سيكون القادم؟!

لكن في المقابل فهذا التقدم العلمي والتطور التقني أتاح للغرب خيارات هائلة لتحقيق العدالة والسلام في العالم إن هو أراد ذلك صادقاً! بل إنه بدلاً من ذلك قام بتسخير إمكاناته وقدراته العلمية وسبْقه المادي الصناعي في الاعتداء على الأمم الأخرى وقيمها وثقافتها، وسَخَّرَ العلم والمعرفة لصناعة كثير من الأسلحة الموصوفة بالعدوانية كما هو الحال في صناعاته الفتاكة، وقبل ذلك فقد كان بعد ثورته الصناعية غازياً ومحتلاً لدول العالم الإسلامي، خاصة عبر القرنين الماضيين فهو الغازي وليس المغزو.

والذي يهم القارئ -تحديداً- ما يتعلق بـالمنافسة، وكيف ستؤدي عند طرفٍ إلى الصراع!؟ ولاسيما بعد تلك الثورات العلمية والتقنية الغربية والشرقية، لتكون توطئة لأبرز محددات المنافسة.

أبرز محددات المنافسة:

أولاً: مستجدات تكشف الحقيقة:

هذا التطور التقني في وسائل الاتصال والتواصل ونقل المعلومات قد أنهى احتكار التقنية وما يرتبط بها من العلم والمعرفة، كما أوجد خيارات كثيرة للعالم للتعرف على نفسه بوضوح غير مسبوق -ويشمل ذلك الإسلام بطبيعة الحال- حينما وَفَّرَ فُرصاً هائلة للاطلاع على حضارة (الآخر) بطريقة مباشرة وسهلة وسريعة لم تكن لتخطر ببال أحدٍ أبداً.

لقد قلَّصت هذه الوسائل الجديدة من نفوذ وهيمنة وسيطرة الحكومات الغربية ومتعصبيها من الكُتَّاب والمؤرخين ومهندسي السياسة والإعلاميين على عقول شعوبها وأفكارهم كثيراً، وهذا ما يعكس انكشاف محاولات التشويه من متعصبي الغرب للإسلام والمسلمين، ويُعتقد بأن هذه التقنية الجديدة ستقفز بالشعوب فوق الحدود في فهم الحقيقة، وستتخطى بهم الحواجز، وستوجد فرصاً كبيرة جداً للاطلاع المباشر لكلتا الحضارتين دون وصاية أو تضليل، ووفرت بسهولة وبأيدي أبناء الغرب نفسه هدفاً عظيماً طالما كان يرغب الإسلام في تحقيقه وهو نشر الحرية في الاطلاع والمعرفة التبادلية، وقد وفّرت وسائل الفضاء الإلكتروني فرصاً هائلة للمسلمين لنشر دينهم والتعريف به وبحضارته القائمة على قيم إنسانية وأخلاقية راقية،

وفرصاً إضافية للدفاع عنها والرد على الشبهات والمغالطات بحقها، والمسلمون في هذا يؤدون شيئاً من واجبهم في عرض قيمهم الروحية والأخلاقية للعالم، ولذلك تكاثرت المواقع الإسلامية بلغات العالم بوضعٍ لافتٍ للنظر، وأصبح القرآن الكريم يصدح في فضاء الإنترنت على مَدار الساعة والدقيقة، كما أصبح متاحاً للقراءة والفهم بشتى اللغات العالمية، وامتلأت المواقع الإسلامية بعشرات الآلاف من الكُتب الإسلامية في التفسير والحديث والفقه والتاريخ والحضارة وشتّى أنواع الفنون والعلوم الإسلامية وبلغات كثيرة، وجميع ذلك أصبح متاحاً للآخر الغربي ومن مصادرها الحقيقية دون تحريفٍ أو تشويشٍ أو مغالطة، وهذه فرصة لم تتح للمسلمين في تاريخهم السابق.

وإن أهم ما يميز الإسلام هو حركته (الديناميكية) الفاعلة مع محيطه ومع الآخرين، إنه الدين المتميز الذي تأخذ فيه الدعوة إلى الله -دون مقابلٍ ومصلحة دنيوية- مساحة واسعة كبيرة من أوامره، فعلى مستوى (الفرد) والجماعة والأمة؛ فالكل فيه مجند للدعوة إلى الله حسب علمه وطاقته وإمكاناته، كما قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (يوسف:١٠٨).

لقد اطَّلع المسلمون على حضارة (اليونان) وغيرها من الحضارات الأخرى بحرية، ونقلوا كتبهم وترجموها إلى لغتهم العربية، ونسبوها إلى مؤلفيها بأمانة وصدق وحياد علمي، ودوَّنوا تراثهم وعلومهم، ثم عدَّلوا كثيراً من أفكارها ونظرياتها بأساليب علمية نزيهة، وطرق حضارية راقية، وبثقة بالنفس والمنهج والحضارة التي يمتلكونها،

ويُمكن للمسلمين كذلك استعادة هذا الدور الريادي لهم بالعمل على نفس الأدوات العلمية الغربية وتطويرها ليعملوا كما عمل سَلَفَهم، وكما عمل الغرب كذلك من الاستفادة مما لدى الآخرين.

كتب علي النملة الباحث في الاستشراق عن هذا الموضوع فقال: «الأمة الإسلامية منذ بعثة سيد المرسلين محمد بن عبد الله ﷺ وهي تسير من قوة إلى أقوى، بحيث طبقت الآفاق بمدة قياسية علماً وثقافةً وهدياً. وكان من مؤشرات القوة لدى أمة الإسلام نقل علوم الغير وثقافتهم، ولاسيما المفيد منها، والمتلائم مع المبادئ التي جاء بها الإسلام عند النظر إلى التعامل مع الحياة، بناءً وتعميراً وخلافةً في الأرض، وسعياً إلى بسط النور... ومن هذا المنطلق [الأهمية] بدأت حركة نقل وترجمة قوية منذ العقود الأولى للإسلام، فانتشرت مراكز النقل والترجمة وبيوت العلم ودور الحكمة»[1].

والنقل لمستشرقٍ منصفٍ واحد كافٍ في معرفة حجم المنافسة الإسلامية للغرب والتي يمكن أن تتكرر عبر التاريخ، كتبَت المستشرقة الألمانية زيغريد هونكه، في كتابها (الله ليس كذلك)، عن حال أوروبا عند ازدهار الحضارة الإسلامية، ونقلت عن معاصرين كلمات الحسرة والشعور بالأسى من فقدان بني جنسهم للغتهم الأصلية بسبب الاهتمام بتعلم اللغة العربية وما يرتبط بها من ثقافةٍ وعلمٍ ومعرفة، وقالت في هذا الصدد عن أسقف قرطبة قوله: «إن كثيرينَ من أبناء ديني يقرؤون أساطير العرب! ويتدارسون كتابات المسلمين من

---

(١) انظر: علي بن إبراهيم النملة، مراكز النقل والترجمة في الحضارة الإسلامية، ط ٢، الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤٢٤هـ (٢٠٠٤م)، ص٩، ١٠.

الفلاسفة وعلماء الدين، ليس ليدحضوها وإنما ليتقنوا اللغة العربية ويحسنوا التوسل بها حسب التعبير القويم والذوق السليم. وأين نقع اليوم على النصراني -من غير المتخصصين- الذي يقرأ التفاسير اللاتينية للإنجيل، بل من ذا الذي يدرس الأناجيل الأربعة، والأنبياء ورسائل الرسل؟... واحسرتاه! إن الشباب النصارى جميعهم اليوم، الذين لمعوا وبزُّوا أقرانهم بمواهبهم لا يعرفون سوى لغة العرب والأدب العربي! إنهم يتعمقون (دراسة) المراجع العربية باذلين في قراءتها ودراستها كل ما وَسِعَهم من طاقة، منفقين المبالغ الطائلة في اقتناء الكتب العربية(!) وإنشاء مكتبات خاصة، ويذيعون جهراً في كل مكان أن ذلك الأدب العربي جدير بالإكبار والإعجاب! ولئن حاول أحد إقناعهم بالاحتجاج بكتب النصارى فإنهم يردون عليه باستخفاف، ذاكرين أن تلك الكتب لا تحظى باهتمامهم!... وامصيبتاه! إن النصارى قد نسوا حتى لغتهم الأم، فلا تكاد تجد اليوم واحداً في الألف يستطيع أن يدبج رسالة بسيطة باللاتينية السليمة، بينما العكس من ذلك لا تستطيع إحصاء عدد من يحسن منهم العربية، حتى لقد حذقوه وبذوا في ذلك العرب أنفسهم»[1].

وقالت كذلك: «إن سحر أسلوب المعيشة العربي قد اجتذب إلى فلكه الصليبيين إبان وقت قصير، كما تؤكد شهادة الفارس الفرنسي (فولشير الشارتي): ها نحن الذين كنا أبناء الغرب قد صرنا شرقيين! ثم راح يصور أحاسيسه وقد تملكه الإعجاب بالسحر الغريب لذلك العالم العجيب بما يعبق به من عطر وألوان، تبعث النشوة في

---

(١) انظر: زيغريد هونكه، الله ليس كذلك، ترجمة الدكتور غريب محمد غريب، ط ٢، القاهرة: دار الشروق، ١٤١٧هـ (١٩٩٦م)، ص٤٢.

الوجدان، ثم يتساءل بعد ذلك مستنكراً: أَبعد كل هذا ننقلب إلى الغرب الكئيب؟! بعد ما أفاء الله علينا وبدل الغرب إلى الشرق»[1].

ولهذا فالغرب المُتعصب برموزه الدينية والسياسية والفكرية ودعم حكوماته المتعاقبة، تَعمَّد في حربه الطويلة على الإسلام وحضارته وأهله بطمس بعض معالم الحضارة الإسلامية وعلومها التي تتلمذ عليها قروناً متعاقبة، وتعلم منها القراءة والكتابة والحساب، فضلاً عن علوم الطب والجبر والهندسة والفلك والجغرافيا، وغير ذلك كثير، بل لقد أخذ الغرب من المسلمين علوم أجدادهم اليونانيين التي فُقدت ولم يكونوا يعلمون عنها شيئاً! ودأب بعضهم على التنكر لهذا الفضل الإسلامي!

لقد اتضحت جوانب كثيرة من الواقع، وسيكون الغرب في وضع أدبي حرج، وأخلاقي مُزرٍ؛ أمام التاريخ والحضارة الإنسانية، ذلك أنهم بدؤوا في تلك السياسات التضليلية عن حقيقة الإسلام وحضارته من خلال النظر إلى العالم الإسلامي بعيون استشراقية نقلت صوراً مشوهة عن الإسلام وتاريخ المسلمين مثل إجناتس جولدتسيهر (Ignác Goldziher) (١٨٥٠-١٩٢١م) وكينيث كراج (Kenneth Cragg) (١٩١٣-٢٠١٢م) وحدث هذا في وقت لم تكن فيه المعلومة مشاعة، ولا المعرفة بالإسلام وتاريخه لدى الغرب سهلة؛ ولاسيما حينما كان احتكار المعرفة لفئة محدودة من الدارسين والباحثين الذين يسيطر عليهم التعصب وتلتهب قلوبهم بالحسد، ففي تلك البيئات (القديمة) المُغلقة يمكن بسهولة ترويج الكذب والتضليل على الشعوب، ونشر الإشـــاعات والمغالطات، وتزوير

---

(١) انظر: المرجع السابق، ص٤٢-٤٣.

التاريخ بحق الإسلام وحضارته وأهله، لكن الأمر أصبح صعباً في ظل التقنية الحديثة وما صحبها من شيوع العلم والمعرفة، وسوف تظهر قيم الإسلام الناصعة البيضاء وحضارته الإنسانية العظيمة للشعوب الغربية قبل غيرها ظهوراً كبيراً خصوصاً عندما يتم فصل الإسلام عن الواقع المتخلف للمسلمين، بل إن سياسات التشويه المتعمد للإسلام في ظل التقنية الحديثة مما يقود للبحث والاكتشاف لحقيقته من قبل الشعوب المُضَلَّلَة ولاسيما أن الفُضول المعرفي لدى بعض الغربيين أو كثيرٍ منهم يقوده إلى النتيجة الصحيحة.

إن ما بقي من المخطوطات الإسلامية التي نجت من عمليات التدمير والسرقة والإخفاء وحدها كافٍ لإظهار الحقيقة التي جاهد متعصبو الغرب لإخفائها عن شعوبهم والعالم قروناً طويلة، هذا فضلاً عن حقائق التاريخ الإسلامي، ناهيك عن طبيعة ونور هذا الدين الرباني الذي جاهد متعصبو الغرب على حجبه عن البشرية، وستتعرف قريباً شعوب الأرض على ما في هذا الدين وحضارته الإنسانية، وعندها يدرك الناس معاني أقوى لقول الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (التوبة:٣٢)، ويدركون كذلك معنى حديث رسول الله ﷺ عن دخول الإسلام إلى بيوت المدينة وبيوت الصحراء في أصقاع الأرض، حينما قال المصطفى ﷺ: (ليبلُغنَّ هذا الأمرُ ما بلغَ اللَّيلُ والنَّهارُ، ولا يتركُ اللهُ بيتَ مدَرٍ ولا وبَرٍ إلَّا أدخلَهُ اللهُ هذا الدِّينَ، بعِزِّ عزيزٍ، أو بذلِّ ذليلٍ، عزًّا يعزُّ اللَّهُ به الإسلامَ، وذلًّا يذِلُّ اللهُ به الكفرَ)[1].

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير، ج٢، حديث رقم (١٢٨٠)، القاهرة: مكتبة ابن تيمية، ١٤٠٤هـ ص٥٨.

والغرب مع هذا وذاك يُدرك كيف وصل هذا النور بقوته وجاذبيته عقر داره منتصف القرن العشرين -ولا يزال- وذلك دون جيوش أو حروب أو حتى استراتيجيات إسلامية متكاملة لنشر الإسلام، ففي أوروبا وحدها أصبح حوالي خمسين مليون مسلم (٥٠,٠٠٠,٠٠٠) جزءاً من سكانها ومواطنيها، وكذلك في الولايات المتحدة الأمريكية أكثر من عشرة ملايين مسلم وهكذا، وتلك محددات جديدة للمنافسة أو الصراع[1].

ثانياً: الإفلاس القيمي والاقتصادي:

الغرب بعملية نهب الثروات الاقتصادية لكثير من دول وشعوب العالم؛ يعيش إفلاساً أخلاقياً وقيمياً سوف يُلاحقه عبر التاريخ، كما أنه ليس ببعيد عن الإفلاس الاقتصادي بسبب الديون المتراكمة، وكما بدا واضحاً في الأزمة العقارية، وتهديد نظمه الاقتصادية! حتى وُصفت أوروبا بالقارة العجوز أو أنها شاخت باستنفاد معظم مواردها الاقتصادية، وكذلك أمريكا، ولذلك فما الذي يمنع الغرب أن تكون له مبرراته الخفية بصناعة الحروب في مواطن الموارد؟

وقد أصبح كثير من كهنة الغرب الاقتصاديين يطلبون الحل الإسلامي ويبحثون في الإسلام عن حلول لمشكلاتهم الاقتصادية والمالية، وعلى سبيل المثال قُلِّصتْ فوائد القروض الربوية في بنوك الغرب إلى أقل من ١٪ للخروج من الأزمات الاقتصادية المتكررة.

---

(١) انظر عن تصريحات الفاتيكان مع التحفظ على أرقام المسلمين في العالم، بتاريخ ١٩ ديسمبر ٢٠١١م، الرابط التالي:
http://islammemo.cc/akhbar/Africa-we-Europe/2011/12/19/140196.html

وفي هذا الصدد كشفت الأزمات المالية العالمية عِوار الاقتصاد الرأسمالي وأنه غير قادرٍ على البقاء والاستمرار، وأن المعالجات الدولية لا تعدو أن تكون مهدئات، وعن هذا وردت بعض التقارير، ومن ذلك: «كشف صندوق النقد الدولي أن إجمالي الدين العالمي وصل إلى مستوى غير مسبوق، حيث سجل ١٥٢ تريليون دولار بنهاية ٢٠١٥م.

وقال تقرير لصندوق النقد الدولي: إن الدين العالمي عقب الأزمة المالية العالمية ٢٠٠٨م واصل الارتفاع حتى بلغ ٢٢٥٪ من إجمالي الناتج المحلي العالمي مع نهاية ٢٠١٥م، نحو ٦٥٪ منها ديون القطاع الخاص، أو قرابة ١٠٠ تريليون دولار أمريكي»[١].

والأهم من مؤشرات الإفلاس الاقتصادي والأخطر أن الغرب بعمومه أفلس في عالم القيم والأخلاق والعدالة العالمية والحقوق الإنسانية التي ستتضح لاحقاً في هذا الكتاب، لقد جاهد بما يستطيع لستر عوراته الأخلاقية وسوءاته الإنسانية، فتسربَل بالأقنعة، واستجدى الحيل، حتى انكشفت حقيقته مؤخراً في حروبه -غير المشروعة- في أفغانستان والعراق، ومواقفه في فلسطين، وأخيراً في ضغوطاته المشهودة خاصةً على المؤسسات التطوعية البريئة تحت غطاء ما سُمِّي بـ(الحرب على الإرهاب)، ولم يعد للغرب ما يقدمه اليوم للإنسانية في عالم القيم والأخلاق؛ اللهم إلا أدوات القتل والحروب، المتمثلة في أسلحة الحروب والدمار، والمنتجات الاستهلاكية وأسواقها، وعبادة المادة والمصلحة الاقتصادية المدنسة

(١) انظر: صحيفة اليوم السابع، بتاريخ ٦ أكتوبر ٢٠١٦م، الرابط التالي:
http://bit.ly/2eAbiKT

بالعُري والفساد والانحلال الأخلاقي؛ تحت شعارات براقة زائفة تُرى صباح مساء في الإعلام والأفلام والرياضة والتسويق، وفي مسابقات الجمال، وبيوتات الموضة والأزياء، ومواخير الفساد المقننة، وما شاكل ذلك، والتي يحاول تسويقها على أنها مفردات حضارية.

إن ما لدى الغرب اليوم من مجمعات صناعية كبيرة، وتقنيات هائلة، وأسلحة رهيبة مُدمِّرة، وشركات تجارية، وما لديه من المنشآت المعمارية وناطحات السحاب وأدوات استكشاف الفضاء، كثيرٌ من ذلك يُعدّ من أدوات الحضارة، لكنها ليست الحضارة كما يُظَن[1]!

ويتأكد هذا الإفلاس القيمي الأخلاقي بتبني الأمم المتحدة عولمة زواج المثليين ومحاولة فرض الشذوذ على دول العالم وتطبيعه عالمياً كثقافةٍ غربية بعنوان: (تحويل عالمنا: أجندة ٢٠٣٠ للتنمية المستدامة)، في تاريخ ٢٥ سبتمبر ٢٠١٥م، وفي هذا الاتجاه: «أعلنت المحكمة العليا بالولايات المتحدة الأمريكية (حكم تاريخي) أنه من المسموح عندهم زواج المثليين، في الولايات المتحدة الأمريكية. وقد وصف أوباما هذا الحكم بأنه انتصار لأمريكا وانتصار للحب. وأمرت المحكمة العليا بالولايات المتحدة الأمريكية حكومات الولايات بالاعتراف وتوثيق هذا النوع من الزواج، وأيد هذا القرار

---

(١) مثلما فعل أجداد الغرب البائدون (الرومان)، الذين لم يسجل لهم التاريخ أي حضارة تذكر في عالم القيم والأخلاق الإنسانية، عدا المنشآت المعمارية وتمجيد الجسد وعبادة القوة، وعن الأمثلة في الحضارة الغربية المعاصرة ففي السويد مثلاً هناك (٥٠٠٠) خمسة آلاف جريمة عنصرية وكراهية بسبب الدين والعرق والجنسية، و(٢٧,٠٠٠) سبعة وعشرين ألف جريمة ضد المرأة، وحالات التحرش للمرأة السويدية في تصاعد مرعب، انظر: عن إحصائيات السويد موقع المثقف الجديد، بتاريخ ٢٦ جمادى الأخرة ١٤٣٦هـ الرابط التالي: http://www.al-muthaqaf.net/index/news.php?action=show&id=457

القاضي المحافظ وأربعة قضاة في المحكمة العليا للولايات المتحدة الأمريكية وذلك لإعطاء المثليين جنسيًا فرصة لممارسة حقوقهم دون مساءلة قانونية في جميع أنحاء الولايات الأمريكية... وقالت الكنيسة البابوية أخيرًا عن المثليين: يجب أن يتم التعاطي معهم باحترام!!»[1].

ولعل الآثار لهذه القيم الأخلاقية والاقتصادية في كلتا الحضارتين الإسلامية والغربية تُعدُّ من مُحددات المنافسة بينهما.

ومن الإفلاس القيمي تحول الديمقراطية في الغرب من النضج إلى الفساد كما وصفها الكاتب البريطاني ديفيد هيرست، وكذلك نعوم تشومسكي عالم اللغويات واللسانيات، والفيلسوف الأمريكي، الذي يُعدُّ من أبرز المنتقدين للسياسة الخارجية الأمريكية في العالم، الذي وصف الديمقراطية بالمصلحية الفاسدة، حيث جماعات المستثمرين هم من يتحكم في الناخب والمُنتَخَب الأمريكي، وذلك في مواضع متعددة من هذا الكتاب[2].

ويؤكد هذا التحول القيمي للديمقراطية مسيرة الانتخابات الأمريكية في ٢٠١٦م بين كلٍ من هيلاري كلينتون ودونالد ترمب وما فيها من سقوط لقيم الإعلام الأمريكي والديمقراطية الأمريكية على حدٍ سواء، وقد وُصفت هذه الديمقراطية بإعلامها بتحليلات ومقالات وحوارات كثيرة تكشف عن هذه المُستجدات حول النفاق

---

(١) انظر: خالد بن محمد الشهري، مقال بعنوان: إعلان جمهورية المثليين!! وماذا بعد؟ الرابط التالي:

http://qalmey.blogspot.com/2015/08/blog-post.html

(٢) انظر: عن قول ديفيد هيرست في المبحث الخامس من هذا الكتاب، تحت عنوان: (المؤامرة بين الرفض والقبول)، وعن قول نعوم تشومسكي في المبحث السابع، تحت عنوان: (تركيا والاستهداف).

السياسي للديمقراطية، كما أن هذا في الوقت ذاته مما يُعدُّ من مقدمات ضعف الولايات المتحدة الأمريكية وانقسامها الشديد، أو بداية سقوطها المستقبلي على يد ترمب أو من بعده كما يرى بعض المحللين، وممن كَتَب عن هذه الظاهرة الباحث السويدي ليون برخو مدير مركز دراسات ممارسات الإعلام وتأثيرها على المجتمع بجامعة يونشوبنك عن سقوط قيم الإعلام والديمقراطية في أمريكا: «هناك نفاق سياسي واضح ليس لدى هيلاري كلينتون، مرشحة الحزب الديمقراطي، ولا لدى دونالد ترمب، مرشح الحزب الجمهوري ومناصريهما من السياسيين وأصحاب المال والشأن وحسب، أي قراءة متعمقة مثلاً للخطاب الذي تنقله لنا الوسائل الإعلامية الأمريكية يشير إلى أن الصحافة هناك أيضاً صارت مرتعاً للازدواجية والنفاق وعدم الموضوعية...

وإذا بنا لا نرى فرقاً شاسعاً بين ما تنقله قناة فوكس نيوز من مديح وموقف مساند للمرشح الجمهوري دونالد ترمب، رغم شبقه وعنصريته وكراهيته للمختلف عنه، وما تنقله قناة (سي.إن.إن.) أو جريدة (نيويورك تايمز) من مديح وموقف مساند للمرشحة الديمقراطية هيلاري كلينتون رغم فسادها ونفاقها... وما تم تسريبه من مراسلات حتى الآن ومعرفته عن عشرات الملايين من الدولارات التي جمعتها هي وزوجها بطرق قد لا تقبل بها أي دولة لها ذرة من الديمقراطية!... لقد ضربت هذه الانتخابات وطريقة تغطيتها في الإعلام الأمريكي رقماً قياسياً في النفاق لا بل القذارة والتحيز وفقدان النزاهة والموضوعية...

الإعلام الأمريكي يمر بلحظات كالحة؛ لماذا؟ لأن السلطة الرابعة -الإعلام الموضوعي- التي كنا نتصور أنها حارسة وحامية الحرية والديمقراطية جرفها المرشحان وصارت إما مع أو ضد... الناخب الأمريكي الذي سيدلي بصوته لن يختار الأكفأ والأكثر نزاهة وحكمة بل سيختار أهون الشرين في رأيه»[١].

وفي المقابل يمكن أن يكون هذا الإفلاس الروحي والقيمي والأخلاقي هو ما وَلَّد لدى الغرب عدم ثقته بنفسه وخوفه من الإسلام (الإسلام فوبيا) و(أسلمة أوروبا) و(الزحف الإسلامي والاندماج) وخطر (السلفية والوهابية) وكذلك (الإسلام السياسي)[٢].

والإفلاس هو ما جعل كثيراً من مفكريهم يكتب البحوث والكُتب المتخصصة عن موت الغرب ونهايته وسقوطه، بعناوين مفزعة لشعوبهم، ومما يعكس ذلك الخوف والقلق ما كتبه أحد الباحثين عن بعض جوانب المنافسة، وكان مما قال: «في عام ٢٠٠٨م/ ١٤٢٩هـ، أطلق القسيس جورج جاينزفاين الذي يعمل سكرتيراً خاصاً وقائماً بأعمال البابا بنديكت السادس في الفاتيكان، تحذيراً شديد اللهجة من موجة ما أسماه (أسلمة أوروبا)... وقد سارع عقب ذلك مركز (العلاقة مع الإسلام) التابع إدارياً للكنيسة

---

(١) انظر: ليون برخو، مقال بعنوان: الانتخابات الأمريكية والخيار بين النفاق والجنون، صحيفة الاقتصادية، بتاريخ ٢٧ محرم ١٤٣٨هـ (٢٨ أكتوبر ٢٠١٦م)، الرابط التالي:
https://www.aleqt.com/2016/10/28/article_1097803.html

(٢) يقصد بـالإسلام السياسي في لغة الغرب: الإسلام الذي يعتقد معتنقوه أنه يحكم الشؤون السياسية من الحياة، أو أن الإسلام دين ودولة، (الحصين)، وانظر مزيداً من التعريف الدكتور جعفر إدريس في المبحث الثامن من هذا الكتاب، تحت عنوان: (نتائج القراءة التاريخية ومعطياتها).

الكاثوليكية في فرنسا -كما هو عملُ كثيرٍ من المراكز الغربية الحديثة- إلى عقد ملتقى كبير حاشد، وكان السؤال الجوهري الذي انصبّت عليه مداخلات القساوسة والأساقفة والمُبشِّرين هو: لماذا هذا الإقبال الكبير على الإسلام، مقابل الفراغ اللافت أو أزمة الرواد التي تعيشها الكنائس؟! ومن المفارقات المثيرة، أنه في الطريق المؤدي إلى مقر هذا الملتقى يقع مسجد صغير اكتظّ عن آخرِه بالمصلين الذين ارتادوه بكثافة لأداء صلاة الجمعة، حيث افترش غالبيتهم الأرصفة المحاذية لصحن المسجد، وقد وصفت صحيفة (لوموند العالمية) الفرنسية ذائعة الصيت هذه الدورة التدريبية (الملتقى) وما تضمنته من تكوين وتأهيل لأربعين أسقفاً جديداً، بأنها الأكبر من نوعها، والأهم أيضاً بالنظر لحساسية الموضوع المطروح للنقاش والتداول! كما ذكرت هذه الصحيفة إشارة لافتة مَفادها أن كثيراً من القساوسة والرهبان كان دافعهم الحقيقي إلى حضور هذه الدورة، يتمثل أساساً بما يشاهدونه في أحيائهم من مظاهر (اكتظاظ المساجد، مقابل خلو الكنائس)»[1].

لكن الحديث عن هذا الإفلاس الأخلاقي يُوجب على من ينشد الحق أن يقول بحق عمّا لدى الغرب من جوانب في ميدان المنافسة المعاصرة حول حقوق الإنسان الغربي ومكانته ومسؤوليته وشراكته في الغرب ذاته، حيث عززت هذه الحقوق والشراكة استقراره السياسي، كتب الدكتور محمد العبده عن هذا الجانب فقال: «قد يتبادر إلى الأذهان سؤال يقول: إذا كان الغرب كما وصفت (لم نظلمه في كل ما وصفنا) أليس عنده إيجابيات أفادته في حياته الدنيا؟ سواء جاءته عن طريق التجربة والتفكير البشري! أو عن طريق النصرانية!

(١) انظر: إبراهيم نويري، المجلة العربية، العدد ٣٩٧، بتاريخ صفر ١٤٣١هـ (فبراير ٢٠١٠م).

التي وإن كانت مُحرفة ولكنها هذبت حواشيهم وما كانوا عليه من البعد عن المدنية، ثم جاء احتكاكهم بالإسلام وأهله ودراسة شرائعه كعامل من عوامل نهضتهم! ولهذه الأسباب استمرت حضارتهم هذه القرون الأخيرة، فهم كما يردد عالم الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- مقولة: «إن الله يقيم الدولة العادلة الكافرة، ولا يقيم الدولة المسلمة الظالمة»[1].

ثالثاً: المنظمات الحقوقية والإنسانية:

من الحقائق أن لدى الغرب مفردات حضارية حقيقية أو قيم غربية كالمنظمات الحقوقية التي تعنى بحقوق الإنسان والمرأة والطفل، والأقليات والعمال والشعوب وغيرها، والقوانين المعنية بالحرب والسلام؛ لكن تلك المفردات أو القيم يُمكن القول عنها بأنها تُعد بلا شك إنجازاً كبيراً للغرب بالرغم من أنها ليست ملكاً له فقط، بل هي ملكٌ مشاعٌ للشعوب والأمم تحت مظلة الأمم المتحدة، وفوق هذا أنها لا يمكن أن تمنح الغرب حسن السيرة والسلوك لأنها لا توازي حجم جرائم حروبه مع العالم الإسلامي سابقاً ولاحقاً، وأنها تُستخدم سلاحاً ناعماً فَعَّالاً للتدخل في شؤون الدول الأخرى، واقتحام ثقافات وقيم وحضارات الأمم الأخرى وأديانها ولاسيما مع المسلمين.

وهي في أحيانٍ كثيرة منظمات مسيّسة، وتُستخدم مطية لتحقيق مصالح السياسيين الغربيين وحدهم فقط، وتكيل بمكيالين، ففي

---

(١) انظر: محمد العبده، (تعليق على التعصب الأوروبي أم التعصب الإسلامي؟ - مئة مشروع لتقسيم الدولة العثمانية ١٢٨١م - ١٩١٣م)، ط ١، الرياض: مطابع دار طيبة، ١٤٢٦هـ (١٩٩٥م)، ص١٤-١٥.

التناقض الصارخ بين مواقفها في جنوب السودان من جهة، ومواقفها من سلوك الكيان المغتصِب تجاه الفلسطينيين من جهة أخرى أوضح الأدلة على ذلك، وكما هي سجون (أبو غريب) و(جوانتانامو) والسجون (العائمة)، واحتلال الدول وإشاعة الفوضى فيها مثل: أفغانستان والعراق، وتكوين شركات ومؤسسات حربية خاصة، والتعاقد معها لتنفيذ مهام قتالية بالوكالة التجارية غير الإنسانية بدلاً من الجيوش النظامية، للتحايل على قوانين (جنيف) المتعلقة بالحروب وجرائمها، وهي تصرفاتٌ تدل على سقوط الشعارات الإنسانية التي يرفعها الغرب.

وإذا كان الرجل الأبيض يرى أنه مع القيم! فكيف ستكون إجابته عن أحداث البوسنة والهرسك (١٩٩٢-١٩٩٥م) وما فيها من إحصائيات مرعبة تفوق حجم الهولوكوست أضعافاً مضاعفة، حيث قتل ما يزيد عن (٣٠٠,٠٠٠) ثلاثمئة ألف مسلم، وتم تهجير ما يزيد عن مليون ونصف، واغتصاب حوالي (٦٠,٠٠٠) ستين ألف امرأة بمعسكرات منظمة حسب الغارديان البريطانية، وهدم (٨٠٠) ثمانمئة مسجد، كما وصفت الصحيفة نفسها إبادة المسلمين في البوسنة بعبارة موجزة: حرب في القرن العشرين تُشن بأسلوب القرون الوسطى[1].

ففي ذلك وغيره أكبر دلالةٍ على أن المصلحة هي التي تتحكم في السلوك الغربي، وليست الأخلاق والقيم، ففي حين أن روسيا

---

(١) انظر: موقع صيد الفوائد، الرابط التالي: http://www.saaid.net/arabic/6g6.htm، وانظر: عن بعض الإحصائيات، حرب البوسنة والهرسك، من موسوعة ويكيبيديا الحرة، الرابط التالي: https://goo.gl/Evq8sZ.

تبارك فظائع الصرب تجاه المسلمين، نجد لسان حال أوروبا في أفضل أحواله يقول: (لم آمر بها ولم تسؤني).

أما الحكومة الأمريكية التي ناصرت (البوسنة) المسلمة! ضد (الصرب) النصراني (الأرثوذكسي) فمصالحها السياسية هناك ضد روسيا لا يخطئها أي راصدٍ للحدث، وتقسيم دولة يوغسلافيا الشيوعية لا يخرج عن تحقيق الأهداف الأمريكية في تعزيز نفوذها السياسي، فضلاً عن التأخر في التدخل، بل إنهم لم يتدخلوا إلا بعد أن بدأ المسلمون بتحقيق انتصارات واضحة، فتدخلوا ربما لمنع انتصارهم وتأسيس دولة إسلامية داخل أوروبا! لأن المعطى لمسلمي البوسنة عبارة عن كيان جغرافي محدود المكانة والقوة لا يتناسب مع حقوقهم التاريخية والجغرافية، كما لا تخلو الأهداف الأمريكية من هدف تحجيم النفوذ الروسي في أوروبا الشرقية، وربما مع حسن الظن كانت بعض أهداف التدخل الغربي بدوافعهم الإنسانية كما يقولون! وما قيل عن أهداف التدخل الغربي بالشأن البوسنوي فإنه ينطبق كذلك على التدخل الأمريكي بصفة خاصة بالشأن الكوسوفي إلى حدٍ معين، بالرغم من بعض الخلافات الأوروبية الأمريكية المعلومة في هذا التدخل في شأن البلدين، إلا أنهما متفقان على خطر الوجود الإسلامي في القارة الأوروبية كدولةٍ أو ثِقلٍ إسلامي.

ومع ذلك حتى نكون منصفين فهناك منظمات غربية مستقلة كمنظمة أطباء بلا حدود (Medecins Sans Frontieres MSF) لكن أثرها محدود على أرضِ الواقع وعلى سلوك الحكومات الغربية قياساً بغيرها من المنظمات الكُبرى المُسيسة في كثير من برامجها.

كتب محمد العبده عن بعض الجوانب الإيجابية المنافسة لدى الغرب خاصةً فيما يتعلق بمنظماتهم الحقوقية والإنسانية فقال: «اهتمام حكوماتهم بشعوبهم، وحرية تلك الشعوب في تقويم الحكام، وإنفاقهم الأموال الطائلة على الخير العام يذكرنا بكلام الصحابي عمرو بن العاص ﷺ الذي جاء في صحيح مسلم عن الروم وبعض خصائصهم: (تقومُ الساعةُ والرومُ أكثرُ الناسِ، فقالَ لهُ عمرو: أبصرْ ما تقولُ، قال: أقولُ ما سمعتُ مِنْ رسولِ اللهِ ﷺ، قال: لئنْ قلتَ ذلكَ، إنَّ فيهِمْ لخصالًا أربعًا: إنهُمْ لأحلمُ الناسِ عندَ فتنةٍ، وأسرعُهمْ إفاقةً بعدَ مصيبةٍ، وأوشكُهمْ كرَّةً بعدَ فرَّةٍ، وخيرُهمْ لمسكينٍ ويتيمٍ وضعيفٍ، وخامسةٌ حسنةٌ وجميلةٌ: وأمنعُهُمْ مِنْ ظُلمِ الملوكِ)»[1].

المنافسة وبقاء الأصلح:

ما ورد في هذا المبحث من عناصر المنافسة، وحسب أقوال المنصفين في المبحث الثاني -كما سيأتي- عن حقيقة المنافسة، تُعزِّز الاعتقاد لدى أنصار العدل بأن قيم المنافسة -المُشار إليها في هذا الكتاب وغيره- عنصر غير غائب لدى المتعصبين من الغربيين، حيث تحويل المنافسة بين الحضارات إلى صراع بين الدول، بالرغم من أن سُنَنَ المواجهة في عالم الحضارات هو بالمنافسة فيما بينها وليس الصراع، فلماذا لا تكون الدوافع النفسية كالحسد مغذياً للصراع! كما قال الله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (البقرة: ١٠٩).

---

(١) انظر: محمد العبده، تعليق على التعصب الأوروبي أم التعصب الإسلامي؟ ص١٥، وعن الحديث انظر: صحيح مسلم، كتاب الفتن، حديث رقم (٢٨٩٨).

إن المنافسة والتنافس حق مشروع لكل الأديان والحضارات والبقاء في ذلك للأصلح، والإسلام يؤكد على أهمية التنافس في ميادين نشر الخير والقيم والأخلاق والعمل بها.

وفي هذا المقام أُذكِّر بمقولة ليستر بيرسون في الخمسينات من القرن الماضي حيث قال: «إن الإنسانية يجب أن تتحرك نحو عصر جديد، حيث الحضارات المختلفة ستتعلم العيش جنبًا إلى جنب في سلام متبادل، تتعلم الواحدة من الأخرى، تدرس الواحدة تاريخ الأخرى وأفكارها وفنونها وثقافتها، هذا هو البديل في هذا العالم الصغير المزدحم بسوء الفهم والتوتر والصدام والدمار»[1].

وبعد هذا؛ فللقارئ حقُّ التمييز والتفريق بين الحضارتين الغربية والإسلامية، حيث النتيجة المبكرة قد تقول: هل لدى الغرب ما يقدمه للبشرية من شيء في عالم الحضارة الحقيقية والقيم والأخلاق والعدالة على الرغم من توفُّر كل إمكانات التقنية الحديثة وفرصها؟ وبالرغم من تفوقه السياسي والاقتصادي والعسكري؟ الجواب متروك للقارئ وملاحظاته، والتاريخ بأحداثه المُعاصرة وعلاقاته الدولية المتصفة بالعدائية شاهدٌ من شواهد العصر.

---

(١) انظر: ليستر بيرسون، الديمقراطية في عالم السياسة، مطبعة جامعة برينستون، ١٩٥٥م، ص ٨٣ - ٨٤.

Lester B.Pearson, Democracy in World Politics (princeton: princeton university press 1995) pp.83-84

المبحث الثاني

قِيَم المنافسة بين الحضارتين

«لم يبدُ لي الإسلام ديناً بالمعنى المتعارف عليه بين الناس لكلمة دين، بل بدا لي أسلوباً للحياة؛ ليس نظاماً لاهوتياً بقدر ما هو سلوك فرد ومجتمع يرتكز على الوعي بوجود الله الواحد...»

(محمد أسد - الطريق إلى مكة)

إضافةً إلى ما سبق في المبحث الأول عن عناصر المنافسة بين الحضارتين ومحدداتها، يأتي هذا المبحث لإكمال بعض الجوانب الرئيسية في ميدان المنافسة ولاسيما مثار الجدل بين الطرفين كنماذج من الإسلام وتاريخه وحضارته من خلال بعض الأقوال «الموضوعية» عن منافسة قيم الإسلام للغرب، مع بعض المقارنة مما يكشف المزيد عن عوامل المنافسة وقيمها، ومن ذلك طبيعة الدين ومفهومه عند المسلمين والغرب، الرسل والأنبياء، القرآن والكتاب المقدس، الحضارة الإسلامية والغرب، الأصولية الإسلامية -إن صحت التسمية- والأصولية المسيحية، ومفاهيم الجهاد الإسلامي، ومقارنة بين حروب الحضارتين، والمنافسة في العطاء الخيري، والعلاقات الأسرية وحقوق المرأة، وكذلك العلاقات الدولية، وعن الإسلام بين الواقع والمستقبل كمنافس حضاري قادم، وفي عرض مباحث هذا الكتاب المتتابعة لبعض الحقائق والمفاهيم والقضايا الإسلامية ما قد يكون أبرز نقاط الاختلاف مع الغرب في مسألة منافسة الحضارات، وما في ذلك من بعض التعليقات من مفكري الغرب الأمريكيين والأوربيين، بالرغم من أن اكتمال الإجابة لا يمكن تمامه إلا باستيفاء قراءة جميع المباحث كاملة ليتحقق الأمل بالإجابة، وهذه وقفات يسيرة مع بعض النماذج من عناصر المنافسة:

طبيعة الدين ومفهومه:

يُعبَّر عن الدِّين باللغة الإنجليزية بكلمة (Religion) وهو يعني في حقيقته (نِحلة) أو (معتقد)[١]، وهو بهذا المفهوم ينحصر في الوجدان

---

(١) انظر: أبو الأعلى المودودي، المصطلحات الأربعة في القرآن الكريم، ط٥، الكويت: دار القلم، ١٣٩١هـ (١٩٧١م)، ص١٠.

الداخلي والتعصب في أحيان معينة، أما على مستوى حياة الإنسان وأنشطته الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، فالغرب يعلن أنه مسيحي! علماني ديموقراطي! لأن المسيحية وحدها لا يوجد فيها ما ينظم معظم شؤون الحياة، فاستنجد الغرب بتراثه اليوناني الوثني، والروماني والعقلي المادي لسَنِّ القوانين التي تنظِّم حياته بعيداً عن المسيحية التي يقتصر دورها على وجدانه العاطفي فقط.

بينما الدين في الإسلام أوسع مفهوماً، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأنعام:١٦١-١٦٢)، لذا فالإسلام منهج حياة متكامل في حياة الإنسان، وقد أكد هذا المفكر النمساوي المسلم محمد أسد حينما قال: «فالهدف الجوهري لأي دين هو تعليم البشر، ليس فقط كيف يدركون ويشعرون، بل الأهم كيف يعيشون معيشة صحيحة، وينظمون العلاقات المتبادلة بطريقة سوية لا غبن فيها. وإنّ إحساسَ الرجل الغربي أنّ الدين قد خذله، وجعله يفقد إيمانه الحقيقي بالمسيحية خلال القرون ردةُ فعل على ذلك، وبفقدانه لإيمانه فَقَدَ اقتناعه بأن الكون والوجود تعبير لقوة خلق واحدة، وأن الوجود وحدة عضوية واحدة، وبفقدانه لتلك القناعة، عاش في خواء روحي وأخلاقي»[1].

وقال أسد بعد اكتشاف الإسلام وتميزه عن غيره من الأديان: «لم يبدُ لي الإسلام ديناً بالمعنى المتعارف عليه بين الناس لكلمة دين،

(١) انظر: محمد أسد، الطريق إلى مكة، ص٢٠٩، ويلاحظ أن بعض هذا الكلام حول ما قد يُفهم من المؤلف عن القول بوحدة الوجود، قد يُعدُّ من التأثيرات الثقافية السابقة للمؤلف.

بل بدا لي أسلوباً للحياة؛ ليس نظاماً لاهوتياً بقدر ما هو سلوك فرد ومجتمع يرتكز على الوعي بوجود الله الواحد»[١].

الإسلام هو آخر الرسالات الإلهية إلى الثقلين[٢]، وامتداد لها، جوهرهُ كمال التوحيد في عبادة الله والدعوة إليه[٣]، والاعتراف بالرسل جميعاً فيما بلَّغوا عن ربهم والمتضمن تحرير الإنسان من عبودية العباد، وأن تكون للدين بتشريعاته السيادة في شؤونهم: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (يوسف: ٤٠).

والإسلام في مُستهل القرن الواحد والعشرين يُسجل منافسة جديدة قد تكون مزعجة لمتعصبي الغرب، وعن هذا وَرَد تصريح الفاتيكان بأن الإسلام هو الديانة الأكثر انتشارًا في العالم، وتجاوز المسيحية بأكثر من ثلاثة ملايين مؤمن عبر أنحاء المعمورة منذ ما يقرب من عام تقريبًا، بسبب اعتناق عدد كبير من الغربيين لهذه الديانة.

وأضاف البيان أن الفاتيكان يُقرُّ أن الإسلام بات الديانة الأولى الأكثر انتشارًا في جميع أنحاء المعمورة، حيث إن ١٩ ٪ من سكان العالم مسلمون، مقابل ١٧,٥ ٪ من المسيحيين.

---

(١) انظر: المرجع السابق، ص١٩٣.

(٢) تملأ أساطير الجن والشياطين (الأرواح الشريرة) تاريخ وحياة الغربيين، لكن الإسلام يثبت وجودهم وتكليفهم، ويحدد أحوالهم ويقنن التعامل معهم، رسولنا مرسل إليهم، فهم أمة مكلفة، مُتَعَبَّدة مثلنا، المؤمنون منهم إخوان لنا في المعتقد.

(٣) ذُكر في (إنجيل متى ٤:١٠) على لسان المسيح عليه السلام قوله (اعْبُدِ اللهَ وَحْدَهُ، وَاعْمَلْ مِنْ أَجْلِهِ فقط).

ولاحظ الفاتيكان الإقبال المنقطع النظير من جانب مواطنين غربيين مسيحيين ويهود وديانات ومعتقدات أخرى على اعتناق الدين الإسلامي خلال السنوات الأخيرة الماضية، رغم حملة التشويه التي تقودها ضده جهات معادية للمسلمين، والأموال الطائلة التي تنفق على حملات التبشير المسيحية[1].

لكن الغرب بمعظم مؤسساته الرسمية وهيئاته غير المحايدة يتنكر لتلك المنافسة الحضارية، ويُصر في حالاتٍ كثيرة على الاعتداء على حقائق التاريخ، ومعطيات الواقع، محاولاً طمس معالم الإسلام وجعله ممسوخاً كالنصرانية، يريد أن يجعله إيماناً في القلب، أو معتقداً في الضمير فقط، أما واقع الحياة العملية للمسلمين، فينبغي أن يكون على خُطا اليونان والرومان في الديموقراطية والرأسمالية والحياة المادية التي تشبه الصورة الوثنية في جوهرها، متنكباً للطريق، ومخالفاً لسُنَنِ التاريخ وحقائق العلم، مقصياً لذور الإسلام والمسلمين وسيادتهم، واصفاً السياسة الشرعية بالإسلام السياسي على وجه الانتقاص -الذي هو حق من حقوق المسلمين- وواصفاً له بالراديكالية ومعظم صفات الذم لتجريده من قوته الذاتية، وبالتالي من عناصر قوة المنافسة[2].

---

(١) انظر عن تصريحات الفاتيكان مع التحفظ على أرقام المسلمين في العالم، بتاريخ ١٩ ديسمبر ٢٠١١م، الرابط التالي:

http://islammemo.cc/akhbar/Africa-we-Europe/2011/12/19/140196.html

(٢) انظر نماذج من هذه المحاولات: تقرير مؤسسة راند الشهير، بعنوان: تكوين شبكات إسلامية معتدلة (Building Moderate Muslim Networks) الصادر عام ١٤٢٧هـ (٢٠٠٧م)، وانظر: صالح بن عبد الله الغامدي، الإسلام الذي يريده الغرب - قراءة في وثيقة أمريكية، ط١، الرياض: مركز الفكر المعاصر، ١٤٣٢هـ.

فبهذه المفاهيم اليسيرة عن الديانتين فإن الإسلام بكماله وشمول تشريعاته يَفرض نفسَه ليكون منافساً للديانات الأخرى، كما يمكن وصفه بأنه دين يتسم بالجاذبية.

الرسل والأنبياء:

بما أن الرسل والأنبياء جزء من الدين ومن خلالهم تأتي كلمات الله وتوجيهاته، فإنه لا بد من تناول الحديث عنهم، والرسل والأنبياء مؤتمنين على نقل الوحي، ولهذا يمكن القول بأنه لا يوجد نبي ولا رسول تعرف البشرية نشأته وتفاصيل حياته وسيرته كلها مثل رسول الإسلام محمد ﷺ. فقد وُثّقت سيرته وتواترت صحتها وفق منهجية علمية، ولا توجد أمة في الأرض تملك توثيقاً لرسولها وسيرته مثل ما يملك المسلمون، ولو قارن أي منصف هذا بما كُتِب في الكتاب المقدس بعهدَيْه عن أنبياء الله ورسله من الغرائب والخيالات والأساطير مما يندى له الجبين لوضح الفرق جلياً وليس هذا مجال توضيحه.

إن رسول الإسلام محمد ﷺ عاش الرسالة كاملة. وحفظه الله حتى بنى الدولة الإسلامية، وربَّى جيلاً من الصحابة فهِموا وحفِظوا وكتَبوا كل ما بلَّغه عن ربه، ومات عليه الصلاة والسلام بعد أن أكمل الدين، وأدى دوره في هداية البشرية كاملا، ودلَّهم على الخير كله، ونهاهم عن الشر كله، وبينه لهم، وأشهَد على ذلك الصحابة رضوان الله عليهم، كما شهد التاريخ على ذلك قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسلام دِينًا﴾ (المائدة:٣).

كما أن رسول الله محمداً ﷺ عند المسلمين بشرٌ مثل بقية البشر، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (الكهف: ١١٠)، فكما أنه مرسل من عند الله عز وجل؛ فهو زوجٌ وأبٌ وَجَدّ، داعية ومُعلمٌ وهاد، مجاهد ومسالم، عاش مع أصحابه رضوان الله عليهم حياة كلها شفافية ووضوح، لا لبس فيها ولا غموض ولا أسرار، لقد كان عليه السلام كتاباً مفتوحاً متحركاً واضح المعالم مقروء التفاصيل، يحمل المشاعر الإنسانية من فرح وحزن وغيرها، يتعلّم منه أي مسلم كيفية لباسه ونومه وطعامه ونظافته وصَلاته ومعاشرته لأزواجه وعلاقاته مع والديه وأقاربه وجيرانه، فهو معروف من خلال أدق تفاصيل حياته في بيته، وفي المسجد، وفي ساحة القتال، وفي العبادة وتعامله ومجادلته أهلَ الكتاب والمخالفين. إنه عند المسلمين أسوة ومصدر تشريع، وهاد ومنقذ للعالمين، وهو أخ وابن أخ كريم لمن سبقه من المرسلين كـإسحاق ويعقوب ويوسف وموسى وعيسى: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (البقرة:١٣٣)، فهو من نسل إسماعيل وَلد إبراهيم عليهم السلام، ومن لا يُؤمن بهم جميعاً لا يُقبل إيمانه بمحمد ﷺ، بل إن مما يميز المسلمين عن غيرهم إيمانهم بجميع الأنبياء والرسل، خلافاً لليهود والنصارى كما ذُكر سابقاً.

كتب الباحث نظمي لوقا القبطي بموضوعية عن الرسول والرسالة، فقال: «الرسول الخاتم هو محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام، المولود في مكة سنة٥٧١م، ورسالته مكملة ومتممة

في العقيدة، بل ومصدقًا لما جاء به موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام حيث التوراة والإنجيل.

والرسول ﷺ بَشَرٌ وليس له صورة إله، وهو رجل معروف ميلاده[1] ومماته ومحياه ومعاشه وأفكاره وكلماته، وقد أرسله الله رسولاً للعالمين جميعًا وهدى ورحمة، فالعاقل من اتبع هذا الرسول والتزم بالمنهج الذي جاء به من عند الله، حتى تشمله هذه الرحمة؛ لأنه نبي الرحمة للبشرية جمعاء، وليس للعرب دون سواهم»[2].

وبدلاً من اعتراف الغرب المتعصب بهذه الحقائق التاريخية والعلمية، نجده ينحو منحىً بعيداً عن الموضوعية والإنصاف والعدالة، فحينما يُبالغ في الإطراء[3] لعيسى عليه السلام ويرفعه لدرجة الألوهية متنكِّراً للأساليب العلمية في البحث والاستقراء، وفي المقابل يُجيّش كثير من مؤسساته المدنية من مُستشرقين وكُتَّاب، ومؤسسات وهيئات، وصحافة وإعلام وأفلام، وأنشطة اجتماعية وثقافية للنيل من الرسول ﷺ في ذاته الكريمة، وسيرته الشريفة، ويسعى لتضليل قومه بطريقة مكشوفة تنم عن تعصب أعمى، مثل الرسوم الكاريكاتيرية ضد نبي الإسلام، والأفلام السينمائية المؤذية لمشاعر المسلمين.

---

(١) لم يثبت لدى علماء السيرة تاريخ مولده عليه السلام باليوم أو الشهر أو السنة تحديداً.

(٢) انظر: عن الرسالة والرسول للكاتب القبطي نظمي لوقا والذي عُرف بالموضوعية رُغم نصرانيته، وذلك في كتابيه (محمد الرسالة والرسول) و(محمد في حياته الخاصة). ولذا يعتبره ويسميه بعض الباحثين صديق الإسلام، وفي كتابيه المشار إليهما إشادة بالسيرة النبوية، وفيها الرد على بعض الشبهات التي تُثار على محمد ﷺ ورسالته.

(٣) الوجه الآخر للحقيقة هي تشويه سيرة عيسى عليه السلام والطعن في رسالته وأخلاقه وأخلاق أمه مريم عليها السلام، والطعن في كتبهم السماوية والادعاء بأنها ذات مصدر بشري.

وبهذا الوضوح لمفاهيم الرسالة والرسول أصبح الإسلام منافساً للنصرانية بطوائفها، وهو كذلك منافس بمنهجه الشمولي وجاذبية قيمه وواقعيته.

القرآن الكريم والكتاب المقدس:

الكتاب المقدس عند أهل الكتاب لم يدوّن إلا بعد أكثر من ٣٠٠ عام، ظل خلالها يتناقل بين القساوسة والرهبان مشافهة في الغالب خشية التدوين. يقول الخبير بالدراسات المقارنة والمفكر الإسلامي الدكتور سفر الحوالي في كتابه (العلمانية): «لم يألُ أباطرة الرومان جهداً في القضاء على هذه النحلة، يقصد النصرانية التي رأوا فيها خطراً إن تفشت في مستعمراتهم، واستخدموا لتحقيق ذلك صنوف الاضطهاد والتنكيل طيلة القرون الثلاثة الأولى من الميلاد... فقد أنزل أباطرتهم بأتباع المسيح أشد الأذى، واشتهر باضطهادهم (نيرون ٦٤م) و(تراجان ١٠٦م) و(ريسويس ٢٥١م) و(دقلديانوس ٢٨٠م)، وبلغ بهم الاضطهاد إلى درجة أن بعض الأباطرة كانوا يضعون المسيحيين في جلود الحيوان ويطرحونهم للكلاب فتنهشهم، أو يُلبسونهم ثياباً مطلية بالقار ويوقدونها لتكون مشاعل بشرية يستضيئون بها في مراقصهم... ذلك الاضطهاد الذي أدّى إلى تحول الدعوة المسيحية إلى دعوة سرية، فاختفى الكثير من دعاتها، وتستروا في أقاليم مختلفة وأخفوا معهم نسخ الأناجيل، بل دونوا الأناجيل آنذاك، وكتبوها بلغاتهم الخاصة، وظلوا يتناقلون نسخها سراً، إذ كانت تتعرض للحرق والمصادرة من قبل الروم، وكان الداخل الجديد في دينهم يأخذ عنهم التعاليم مشافهة بعد ترجمتها إلى لغته

الدارجة، ثم يبثها في بني قومه سراً، أيضاً، فإذا أشكل عليهم أمر رجعوا إلى الداعية الذي يملك نسخة لأحد الأناجيل، فيبين لهم رأي الإنجيل أو رأيه الخاص في ذلك الأمر»[١]، فلنا أن نتخيل كيف يكون حجم الشك في المنقول ومصداقيته أو موثوقيته؟!

لقد تأخرت النصرانية في فتح أوروبا -الغارقة في المادية والوثنية- كثيراً ٣٠٠ عام[٢]. وهذه المدة الطويلة، وإن أدت في النهاية إلى تغلغل الفكر النصراني ببطء إلى كافة شرائح المجتمع الأوروبي الروماني، إلا أنها من جهة أخرى أدت إلى فساد القساوسة والرهبان، وإلى تحريف الإنجيل إلى أناجيل، ويؤكد هذا الثورةُ على الدين النصراني، وظهور كثير من حركات التجديد والتصحيح مثل البروتستانت وأفكار مارتن لوثر (Martin Luther).

أما القرآن الكريم فقد وُثّق بطريقة علمية فريدة، ليس لها مثيل، كل آية، بل وكل كلمة فيه يُعرف مصدرها، وأين نزلت، وكيف نزلت، هو كلام الله المعجز، الذي وَعَدَ الله بحفظه من حين نزوله من عنده إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فهو موجود اليوم كما أُنزل من عند الله منذ أربعة عشر قرناً بكل كلماته وحروفه وحركاته، في وجود أمة تتكلم بلغته، وتعرف معانيه.

ولا تملك أمة في الأرض كتاباً هادياً موثقاً مثلما يملك المسلمون، والمتاحف المتنوعة في العالم تعرض أول نسخة مدونة عنه وآخر طبعة مطبوعة منه لتكشف مدى التطابق الدقيق عبر أربعة عشر قرناً من

---

(١) انظر: سفر بن عبد الرحمن الحوالي، العلمانية - نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة، ط١، مكة المكرمة: دار مكة، ١٤٠٢هـ (١٩٨٢م)، ص٥٩، ١٢٥.

(٢) بل أكثر، فشرق أوروبا وروسيا لم تدخل في النصرانية إلا في القرن العاشر الميلادي.

الزمن، وهذا من عناصر المنافسة الظاهرة حيث قوة المرجعية العقدية لأمة الإسلام، ويمكن الرجوع إلى نسخة القرآن في جامعة برمنغهام البريطانية التي يقول العلماء أنها كُتبت قبل حوالي ١٣٠٠ عام ومقارنتها بنسخ العصر الحديث!

ومما يُثبت صدق هذا الكتاب ونسبته إلى الله سبحانه وتعالى جانب إعجازه العلمي، والاقتصادي والاجتماعي الذي يبهر البشرية كل يوم: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (فصلت:٥٢-٥٣)، وقال سبحانه عن كثير من الحقائق العلمية المتجددة عبر العصور: ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (النحل:٨).

والحال هنا في نظرة الغرب المتعصب أنه يتجاهل كثيراً من الحقائق العلمية في كثير من الجوانب الربانية التي أخبر بها القرآن أو جاءت على لسان نبي الإسلام.

الحضارة الإسلامية والغرب:

تشير المصادر أنه قبل الإسلام كان العرب منغمسين في الجهل والوثنية والخرافة، وكانوا من أكثر الناس جهلاً وتخلفاً، ودخول معظم العرب في الإسلام كان سريعاً، كما أن دخول فارس والروم لم يستغرق سوى ربع قرن من الزمن وفيه أصبحت الجزيرة العربية كلها تدين بالإسلام، ثم انتشر الإسلام في معظم الأرض، ففي اتجاه الغرب وصل حدود فرنسا، كما وصل فيما بعد ذلك إلى معظم شرق

أوروبا، وفي الشرق وصل إلى داخل الصين، واعتنقه الكثير من الناس على اختلاف لغاتهم وثقافاتهم ومجتمعاتهم في أنحاء العالم. وأصبح المسلمون روَّاداً للبشرية في ثلاث قارات بوحدةٍ سياسية فريدة!

وقد أنجب الإسلام واحدة من أعظم حضارات التاريخ الإنساني إن لم تكن أعظمها، ولاسيما ما يميز هذه الحضارة عن غيرها بأنها رسالة ذات مبادئ واضحة كفلت الحقوق الإنسانية كافة، بما فيها حقوق الموتى والأجنة، بل وحقوق الحيوان والنبات، ومن هذه المبادئ ما قاله عليه الصَلاة والسلام في حجة الوداع مخاطباً عموم البشرية وليس المسلمين فقط. وكان مما قاله عليه الصلاة والسلام يوم النحر في خطبته: (يا أيُّها الناسُ أيُّ يوم هذا؟ قالوا: يومٌ حَرامٌ، قال: فأيُّ بلدٍ هذا؟ قالوا: بلدٌ حَرامٌ، قال: فأيُّ شهرٍ هذا؟ قالوا: شهرٌ حَرامٌ، قال: فإنَّ دماءَكم وأموالَكم وأعراضَكم عليكم حرامٌ، كحُرمةِ يومِكم هذا، في بلدِكم هذا، في شهرِكم هذا. فأعادَها مِرارًا، ثم رفَع رأسَه فقال: اللهمَّ هل بلَّغتُ؟ اللهمَّ هل بلَّغتُ؟ قال ابنُ عباس رضي الله عنهما: فوالذي نفسي بيدِه، إنها لوَصيَّتُه إلى أُمَّتِه: فلْيُبَلِّغِ الشاهدُ الغائبَ، لا تَرجِعوا بعدي كفارًا، يَضرِبُ بعضُكم رِقابَ بعضٍ)[1]. وفي الوقت ذاته فإن هذا الحديث النبوي وما يماثله يمكن اعتباره إعلاناً عالمياً صريحاً في الحفاظ على الحقوق الإنسانية ونبذ الإرهاب البغيض من أي جهة كان.

يقول المفكر الألماني مراد هوفمان الذي عاش النصرانية والإسلام، وعاش حياته في الغرب والشرق عن المقارنة بين الحضارة الإسلامية

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الحج، حديث رقم (١٧٣٩).

والغربية: «فعندما تقابل الفرسان الصليبيون مع العرب البرابرة السارقين، فوجئوا بحضارة تفوق حضارتهم، رجع كثير من الفرسان منزعجين مما رأوا وعاينوا في الأرض المقدسة: مستوى معيشة لا تعرفه أوروبا ذلك الوقت، معرفة القراءة والكتابة، علوم طبية مزدهرة، فروسية حقيقية وتسامح، جسَّدها صلاح الدين البطل المسلم.

كانت حضارة تماثل تلك التي ازدهرت في الأندلس تجعل الخصوم المسيحيين يخجلون من أنفسهم، كاشفة لهم أنه إذا كان هناك برابرة فأولئك هم»[١]، ومع ذلك فهناك من ينظر إلى الحضارة الإسلامية من زاوية الصراع.

يقول هوفمان معلقاً على ذلك: «عادت الحروب الدينية لخشبة المسرح العالمي، وليست البوسنة آخرها، ولكنها أحدث الحروب الصليبية، في الحقيقة لم ينته عصر الحروب الصليبية في أي زمان، اليوم ليس البابا من يدعو للحملة ضد الإسلام، ولكنه قد يكون مجلس الأمن بالأمم المتحدة، يدعو للتدخل لإنقاذ دولة سقطت (مسلمة بالطبع) أو لفرض حظر سلاح على دولة مسلمة ضحية للعدوان.

نعم إذا سَبَرتَ غور النفس الأوروبية، لو بخدش سطحي صغير، لوجدت تحت الطبقة اللامعة الرقيقة عداء للإسلام -عقدة فينا- التي يمكن استدعاؤها في أي وقت، وهذا ما حدث بالضبط في أوروبا خلال العشرين سنة الماضية»[٢].

---

(١) انظر: مراد هوفمان، الإسلام عام ٢٠٠٠، ص٤٩-٥٠.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص٥٢.

ومع هذه الحقائق التاريخية الناصعة عن حضارة الإسلام فلدى الغرب في عصرهم الحاضر مزايا وإيجابيات تستوجب الاستفادة منهم وهم متفوقون فيها، لكنها لا ترتقي لمنافسة الإسلام خاصة في جوانب عناصر البقاء للأسرة والمجتمع وقوة العلاقات الاجتماعية، حيث في الإسلام تتأكد قِيَم كرامة الإنسان وما يرتبط بذلك من الدين والأخلاق وغير ذلك، كما أن الإسلام متفوقٌ في المنافسة في النظرية السياسية أو الفكر السياسي الذي يكشف عن توفر عوامل عودة كيان الأمة الإسلامية وسيادتها وقيادتها للعالم بعلاقاته الدولية العادلة في أي وقت كما هو الواقع عبر التاريخ.

الأصولية الإسلامية والمسيحية:

إنّ ظاهرة العودة إلى المنابع والتمسك بالأصول واستدعاء الجذور ليست خاصة بالمسلمين فقط، بل هي ظاهرة عالمية، فكما يسعى بعض اليهود والنصارى والهندوس والبوذيون إلى تفعيل دور الدين والانتماء إليه في العصر الحديث، فإن المسلمين يسعون لذلك أيضاً.

فالإسلام في أصوله أكثر من غيره في تشريعات النهي عن الغلو في الدين، وتحريم التطرف فيه، وفي أي قاعدة عامة استثناء، وهذا الاستثناء يؤكد القاعدة العامة ولا يلغيها، وبناءً على ذلك فالإسلام جعل الخوارج الذين يكفّرون الناس بالمعصية شر الناس، كما نهى عن التبتل والرهبانية، حتى إنه نهى عن التطرف والغلو في كراهية مخالفيهم وأعدائهم رجاء هدايتهم ومودتهم فيما بعد إسلامهم، كما قال سبحانه: ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (الممتحنة:٧).

لكن التعصب الغربي يزداد تجاه أصول الدين الإسلامي، كما هو عند ماثيو ليفيت من معهد واشنطن الذي يجيب بتطرف عمّا أسماه الأصولية الإسلامية، قائلاً: «ليست القضية قضية المؤسسات الخيرية الإسلامية وحدها وإنما الأصولية الإسلامية هي الخطر»[1].

والغرب المتعصب يكيل بمكيالين حتى على مستوى المصطلحات. يقول مراد هوفمان: «ولن يطلق لقب (أصولي) على أمثال منظمة أوبوس داي الكاثوليكية، أو الأسقف الفرنسي الراحل مارسيل لوففر، أو الاسرائيليين[2] المتعصبين، أو طائفة مائير كاهان في نيويورك، أو الإرهابيين الكاثوليك أو البروتستانت في إيرلندا الشمالية، أو لاهوت التحرير الكاثوليكي العسكري في أمريكا الجنوبية، لا لن يطلق عليهم ذلك اللقب الازدرائي فهو محجوز للحط من قدر المسلمين فقط»[3].

وما دامت الأصولية النصرانية مجازةً ومسموحاً بها في الولايات المتحدة الأمريكية على كثيرٍ من الأصعدة وبأعلى المستويات الحكومية في أحيانٍ كثيرة، وتنمو بصورة واضحة والذين يُسَمَّونَ المسيحيين المولودين من جديد (Born Again Christians) قد بلغ عددهم

---

(١) انظر: ماثيو ليفيت، مقال بعنوان: دور المنظمات الخيرية والإنسانية في شبكة تمويل الإرهاب الدولي، معهد واشنطن لسياسات الشرق الأدنى، بتاريخ: ١ أغسطس ٢٠٠٢م، الرابط التالي:
http://www.islamdaily.org/ar/press/711.article.htm

(٢) يلاحظ أن كلمة إسرائيل والإسرائيليين وردت في النصوص المنقولة والمقتبسة في هذا الكتاب بما يزيد عن أربعين موضعاً وهي تسميةٌ تتعارض مع كثيرٍ من الحقائق التاريخية، فإسرائيل هو نبي من الأنبياء، والتسمية الحقيقية لليهود المغتصبين في فلسطين هي: (الكيان الصهيوني وما شابهها).

(٣) انظر: مراد هوفمان، الإسلام عام ٢٠٠٠، ص٦٢-٦٣.

في الولايات المتحدة وحدها على الأقل خمسين مليوناً حسب قول السيناتور الأمريكي السابق بول فندلي[1]، وما دامت دولة الكيان الصهيوني الدينية قامت على أرض فلسطين على الأصولية الدينية فإنّ الهجوم على المسلمين المتمسكين بأصول دينهم الإسلامي أمر غير مبرَّر ولا مقبول؛ لأنه يناقض المنطق ومبادئ الحق والعدل، فضلاً عن كون الأصولية الإسلامية كما تسمى أصولية منضبطة مقننة، على خلاف غيرها من الأصوليات، وذلك أن الأصولية الإسلامية -إن صح التعبير- لا تتضمن الطعن في أنبياء الله تعالى كلهم، بمن فيهم عيسى وموسى عليهما السلام، فالمسلمون يحبونهم ويحترمونهم، وهي لا تقوم على الإقصاء والتهميش للأنبياء السابقين ورسالاتهم، ولا تدعو إلى الصراع القائم على الخرافة.

يقول المؤلف الإعلامي جون كلود موريس في كتابه الشهير (لو كررت ذلك على مسمعي فلن أصدقه) ما أخبره به الرئيس الفرنسي شيراك: «يقول شيراك: تلقيت من جورج دبليو بوش مكالمة هاتفية غريبة في مطلع عام ٢٠٠٣م، فوجئت بالرئيس الأمريكي وهو يطلب مني الموافقة على ضم الجيش الفرنسي للقوات المتحالفة ضد العراق، مبرراً ذلك بتدمير آخر أوكار (يأجوج ومأجوج)! وأضاف شيراك في حديثه للكاتب أن الرئيس الأمريكي بوش أكد له أن يأجوج ومأجوج مختبئان في الشرق الأوسط، قرب مدينة بابل العراقية القديمة، وقال بوش بالحرف الواحد: إنها حملة إيمانية مباركة

(١) انظر: حوار مع عضو الكونجرس الأمريكي الأسبق بول فندلي، السياسات الأمريكية - الشرق أوسطية تصنع في (إسرائيل) لا في واشنطن، مجلة البيان، العدد ١٩١، بتاريخ رجب ١٤٢٤هـ (سبتمبر ٢٠٠٣م)، ص٣٠.

يجب القيام بها، وواجب إلهي مقدس أكدت عليه نبوءات التوراة والإنجيل!»[1]، لقد كان بوش الابن هنا يعكس الأصولية النصرانية الهوجاء التي تدفعها الأوهام وينتج عنها الصراعات وأنهار الدماء، وبهذا المزج السياسي الديني لدى بوش فإن هذا التوظيف مما يصنع الكراهية والصراع.

فبالرغم من النقاشات الحادة والمتعارضة حول دور الدين في السياسة الأمريكية في المراكز السياسية والبحثية فإن دور الدين في السياسة الأمريكية -على سبيل المثال- لا يمكن تجاهله، بل هو في نمو وتزايد حتى وُجد بعد اليمين المتدين ما يُسمى بـاليسار المتدين، وقراءةٌ يسيرة عن اليمين المتدين في كتاب فرانك لامبرت (الدين في السياسة الأمريكية) كافٍ لمعرفة حجم الأثر الديني على السياسة الأمريكية بالرغم من إعلان علمانيتها في دستورها، وفيه ورد: «لقد أثار صعود اليمين المتدين، من حيث كونه قوة سياسية، اهتماماً كبيراً لدى علماء السياسة والاجتماع، وكانت بالفعل الدراسات الكثيرة عن الدين والسياسة في الولايات المتحدة في الخمس والعشرين سنة الماضية تتركز في معظمها على مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية مع إيلاء اهتمام خاص بقضية تسييس الدين كما يجسدها اليمين المتدين... إن للدين في الثقافة السياسية الأمريكية مكانة مهمة، وكثيراً ما يعترف الساسة بتأثيره حين يستحضرون اسم الرب في خطاباتهم العامة، غير أن أي إشارة إلى دين معين، كأن يتحدث مرشح رئاسي باسم المسيح،

---

(١) انظر: جون كلود موريس، كتاب لو كررت ذلك على مسمعي فلن أصدقه، منشورات بلون الفرنسية، ٢٠٠٩ - ٢٠١٠م، ص ١٢٥. وانظر عن الكلام المنقول من الكتاب في موقع (المسلم)، الرابط التالي: http://www.almoslim.net/node/132820.

سيُنْظَر إليها على أنها تعصب طائفي»[1]، وبهذا يتضح أن الخطابات السياسية وإن كانت تخلو عموماً من الحديث عن الدين إلا أنه حاضر عند انتهاك سيادة الآخرين.

وعن اليسار المتدين الذي بدأ يظهر منافساً لليمين المتدين ودورهما السياسي، قال لامبرت: «لقد وصف ديفيد كلينغهوفر كبير الباحثين في معهد ديسكفري التابع للمحافظين، اليسار المتدين بأنهم مجموعة متسارعة النمو تتحدى منافسها اليمين المتدين الأقدم تأسيساً، وبينما يفضل بوضوح أفكار اليمين، غير أن كلينغهوفر يرى أن الجاذبية المتنامية لليسار المتدين تُعبِّر عن تحوُّل مهم في السياسة الأمريكية يبتعد بها عن التوجهات العلمانية لتأخذ منحى دينياً. ويعلق كلينغهوفر على اليمين المتدين واليسار المتدين قائلاً: «لقد تنبهت هاتان الحركتان اللتان تستشهدان دائماً بالكتاب المقدس على نحو سواء إلى أن هناك أمراً نابعاً من الذات الأمريكية حول استخدام الكتاب المقدس مرشداً في السياسة الواقعية، وهذه أخبار سارة، وضربة للعلمانية التقليدية»»[2].

وبعد هذا فهل الأصولية الغربية القائمة على كثير من الخرافات والتعصب مُعزِّز لصناعة الصراع والحروب؟ أترك الجواب للقارئ!

الجهاد الإسلامي والسلام الدولي:

وَرد قتل المخالف في الأديان المحرفة بما يسمى العهد القديم (Old

---

(١) انظر: فرانك لامبرت، الدين في السياسة الأمريكية، نقله إلى العربية عبد اللطيف موسى أبو البصل، الرياض: نمو للنشر، ١٤٣٦هـ، ص٦،٤.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص١٩٤.

Testament) عند اليهود، والكتاب المقدس عند النصارى الإنجيل، وأباحت هذه الكُتب سفك دمه، وأجازت قتل الشيوخ والنساء والأطفال ونهب الأموال[١]، لمجرد المخالفة في الدين، ودونها أي هدف للدعوة أو الإصلاح، ودونها أي تقنين أو عدالة، وقد طبقوا ذلك عملياً في (محاكم التفتيش) وكانت تصفية المسلمين في الأندلس وقتلهم من الحقائق التاريخية الناطقة بضلال هذا الدين النصراني وتحريفه، وهذا ما يفسر السلوك الهمجي البربري لجيوش الحملات الصليبية على المسلمين، وكذلك ما يفعله أحفادهم اليوم في فلسطين والعراق وأفغانستان، في مقابل ما سبق فهناك من الغربيين النصارى من يشنون حملاتهم المركزة المغرضة على تشريعات الجهاد في الإسلام وتصويره بالوحشية والبربرية[٢].

إن الجهاد شريعة منضبطة مقننة لم تشرع في بداية الإسلام، بل كان المسلمون يُؤمرون في البداية بالصبر والصفح والكف، وبعد فترة طويلة من التربية والإعداد للالتزام بتشريعات الإسلام في السلم والحرب، أي بعد أكثر من أربعة عشر عاماً، وقت أن أصبح للمسلمين دولة ذات كيان تجب حمايته، وقيم وضوابط للتعامل مع

---

(١) {هَكَذَا يَقُولُ رَبُّ الْجُنُودِ إِنِّي قَدِ افْتَقَدْتُ مَا عَمِلَ عَمَالِيقُ بِإِسْرَائِيلَ حِينَ وَقَفَ لَهُ فِي الطَّرِيقِ عِنْدَ صُعُودِهِ مِنْ مِصْرَ. فَالآنَ اذْهَبْ وَاضْرِبْ عَمَالِيقَ وَحَرِّمُوا كُلَّ مَا لَهُ وَلاَ تَعْفُ عَنْهُمْ بَلِ اقْتُلْ رَجُلاً وَامْرَأَةً، طِفْلاً وَرَضِيعاً، بَقَراً وَغَنَماً، جَمَلاً وَحِمَاراً (١)} صموئيل ١٥:٢-٣، {فَدَفَعَهُ الرَّبُّ إِلَهُنَا أَمَامَنَا فَضَرَبْنَاهُ وَبَنِيهِ وَجَمِيعَ قَوْمِهِ. وَأَخَذْنَا كُل مُدُنِهِ فِي ذَلِكَ الوَقْتِ وَحَرَّمْنَا مِنْ كُلِّ مَدِينَةٍ الرِّجَال (١) وَالنِّسَاءَ وَالأَطْفَال. لمْ نُبْقِ شَارِداً} تثنية ٢:٣٣-٣٤، {يَا بِنْتَ بَابِلَ الْمُخْرَبَةَ طُوبَى لِمَنْ يُجَازِيكِ جَزَاءَكِ الَّذِي جَازَيْتِنَا! طُوبَى لِمَنْ يُمْسِكُ أَطْفَالَكِ وَيَضْرِبُ بِهِمُ الصَّخْرَةَ!} مزمور١٣٧:٨-٩.

(٢) يساعد في ذلك بعض الأخطاء والانتهاكات باسم الجهاد، واستغلال كثير من الأحداث والأعمال الخاطئة بحق الإسلام والمسلمين.

المخالف جاءت تشريعات الجهاد بقوله سبحانه وتعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ (الحج:٣٩). وجُعِلَ له هدف راقٍ سامٍ محدد، ألا وهو التحرير للناس كاملاً، حيث حرية الاعتقاد والاقتصاد، وإشاعة السلام بإزالة أسباب العبودية للبشر والحجر، كما نطق بذلك رِبْعِي بن عامر ﷺ حينما قال لرستم: (لقد ابتعثنا الله لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن جَوْر الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة)[١].

والعجيب في الأمر أن الغرب الدموي في معظم تاريخه الحديث يمتلك أشد أنواع الأسلحة فتكاً ودماراً مما لم تعرف له البشرية مثيلاً في تاريخها بأكمله؛ وفي الوقت ذاته يريد أن يسوِّق للمسلمين السلام كأنه سلعة لا يعرفها الإسلام والمسلمون! في الوقت الذي جعل من الجهاد الإسلامي فزَّاعة يُخيف بها العالم، ويعيب على المسلمين هذه الشريعة والشعيرة، ويصف الإسلام بالدموي الذي انتشر بالسيف! أي بمعنى الإكراه والإجبار.

لقد اختُطف مصطلح الجهاد في الإسلام من سياقه ومضامينه الإسلامية من قِبل كثير من مفكري الغرب ومؤسساته المدنية والبحثية التي تدعي الحيادية والاستقلال، فضلاً عن حكوماته، ثم عُمد إلى تشويهه وتحريف مقاصده ومضامينه بخبث ومكر، وأصبحوا يروجون أنه سلوك عدواني من المسلمين على غيرهم من أتباع الديانات الأخرى، ويصورونه للناس على أنه إرهاب لِبَثِّ

---

(١) انظر: الحافظ ابن كثير، البداية والنهاية، غزوة القادسية، ج٧، ط٢، بيروت: مكتبة المعارف، ١٣٩٤هـ (١٩٧٤م)، ص٣٩.

الفزع بين المدنيين الأبرياء، دونما نظر إلى ما يشنه الغرب من حروب واعتداءات سافرة غير مبررة، وما يصاحبها من سلوكيات همجية بربرية تتنافى مع أبسط قيم السلام وحقوق الإنسان، تحت أسماء وشعارات مكشوفة، مثل الحروب الاستباقية أو الحروب الوقائية أو الحرب على الإرهاب!!

أما فيما يتعلق بالسلام فالأمر عند المسلمين مختلف تماماً عن غيرهم من بقية الأمم؛ فكلمة الإسلام تحتوي على كل أحرف السـلام، والسلام عند التقابل والمقابلة هو شعار الإسلام، وبتحية السلام عليكم يكون الأمان، وهو علامة المسلمين الفارقة بين شعوب الأرض قاطبة؛ كلمةً وشعاراً ومنهجاً وتطبيقاً، يردد المسلم هذه الكلمة الجميلة (السلام) عشرات المرات في اليوم الواحد، تحيتهم السلام، والمسلم يلقي هذه العبارة كلما قابل شخصاً يعرفه أو لا يعرفه لتعكس الشعور بالأمان عند الطرف الآخر، مسلماً أو غير مسلم، يرددها كلما هاتف شخصاً، يرددها كلما انتهى من صلاته ليستقبل الناس والحياة بالسلام، يلقيها حتى على الأموات، ويستهل بالسلام حينما يكتب رسالة أو خطاباً أو كتاباً، ويرددها دائماً؛ وذلك ليبقى السلام والأمان متجذراً في نفس المسلم محفوراً في اللاشعور لديه، مُعيشاً في الواقع، وفي شتى مناشط الحياة للأفراد والجماعات.

وعند تأمل تصحيح الله عز وجل للبشرية مفهومي القوة والنصـر في قصة أصحاب الأخدود، وفي صلح الحديبية ففيهما ما يكشف عن قيم السلام في الإسلام عندما سماه الله عز وجل فتحاً مبيناً: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾(الفتح:١)، بالرغم من عدم تمكن المسلمين من دخول مكة، وقوله سبحانه في مواضع متفرقة عن العدل والقسط

مع العدو، كما ورد في كتابه الكريم: ﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (الممتحنة: ٨-٩).

وقال تعالى في معرض خيارات الحرب والسلام: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾(الأنفال:٦١)، بل إن إحدى صور الجهاد ومآلاته -كمثال- ما حدث في الطريقة السلمية العجيبة في فتح مكة، وما سبق يكشف بوضوح أن الإسلام أول من أرشد البشرية لاستخدام (القوة الناعمة) القائمة على كسب العقول والأفكار بالقناعة بديلاً عن الحروب، وأن الجهاد وسيلة لتحقيق العدالة بين الناس والسلام فيما بين البشرية، كما أنه وسيلة لرد العدوان، وكفى دليلاً على هذه العدالة واقع انتشار الإسلام ومؤسساته في الغرب في أواخر القرن العشرين ومطلع القرن الواحد والعشرين، وذلك دون حروب أو غزو أو سلاح أو تهديد.

مقارنة بين حروب الحضارتين (نسبة مئوية):

من الأسئلة البدهية التي تطرح نفسها في التاريخ القديم والمعاصر السؤال التالي: هل الإسلام انتصر على السيف؟ أو أنه انتصر بالسيف؟

وللإجابة عن هذا يقول راغب السرجاني: «لو قمنا بإحصاء عدد الذين ماتوا في كل الحروب النبويَّة -سواء من شهداء المسلمين، أو من قتلى الأعداء- ثم قمنا بتحليلٍ لهذه الأعداد، وربطها بما يحدث في عالمنا المعاصر، لوجدنا عجباً! لقد بلغ عدد شهداء المسلمين في

كل معاركهم أيام رسول الله -وذلك على مدار عشر سنوات كاملة- (٢٦٢) شهيدًا تقريباً، وبلغ عدد قتلى أعدائه حوالي (١٠٢٢) قتيلاً، وبذلك بلغ العدد الإجمالي لقتلى الفريقين (١٢٨٤) قتيلاً فقط! وحتى لا يتعلَّل أحدٌ بأن أعداد الجيوش آنذاك كانت قليلة؛ ولذا جاء عدد القتلى على هذا النحو، فإنني قمتُ بإحصاء عدد الجنود المشتركين في المعارك، ثم قمتُ بحساب نسبة القتلى بالنسبة إلى عدد المقاتلين، فوجدتُ ما أذهلني! إن نسبة الشهداء من المسلمين إلى الجيوش المسلمة تبلغ ١٪ فقط، بينما تبلغ نسبة القتلى من أعداء المسلمين بالنسبة إلى أعداد جيوشهم ٢٪! وبذلك تكون النسبة المتوسطة لقتلى الفريقين هي ١،٥٪ فقط! إن هذه النسب الضئيلة في معارك كثيرة بلغت خمساً وعشرين أو سبعاً وعشرين غزوة، وثماني وثلاثين سريَّة، أي أكثر من ثلاث وستِّين معركة تقريباً يُعد من أصدق الأدلَّة على عدم دمويَّة الحروب في عهد رسول الله.

ولكي تتَّضح الصورة بشكل أكبر وأظهر، فقد قمتُ بإحصاء عدد القتلى في الحرب العالميَّة الثانية كمثال لحروب الحضارات الحديثة، فوجدتُ أن نسبة القتلى في هذه الحرب الحضاريَّة بلغت ٣٥١٪! فالأرقام لا تكذب؛ فقد شارك في الحرب العالمية الثانية (١٥,٦٠٠,٠٠٠) جندي (خمسة عشر مليونًا وستمائة ألف)، ومع ذلك فعدد القتلى بلغ (٥٤,٨٠٠,٠٠٠) قتيل (أربعة وخمسين مليونًا وثمانمائة ألف)! أي أكثر من ثلاثة أضعاف الجيوش المشاركة!»[1].

ويضاف إلى ذلك ما صدر من تقارير حديثة تكشف عن أزمة

---

(١) انظر: راغب السرجاني، مقال بعنوان: انتشار الإسلام بالسيف، الرابط التالي:
http://url.qwled.com/5en7.

المدنية المعاصرة أو عن الحضارة الغربية ومعطياتها المتعصبة، ومن ذلك ما صدر من جمعية أطباء من أجل المسؤولية الاجتماعية: «أصدرت جمعية أطباء من أجل المسؤولية الاجتماعية (بي إس آر) (P S R) دراسة مهمة، توصلت إلى أن عدد القتلى نتيجة عشر سنوات من (الحرب على الإرهاب)، منذ هجمات الحادي عشر من سبتمبر، وصلت على الأقل إلى ١,٣ مليون، وقد تصل إلى مليونين.

وقامت مجموعة الأطباء هذه الحائزة على جائزة نوبل للسلام، بنشر تقريرها المؤلف من ٩٧ صفحة، الذي يجمع عدد الضحايا المدنيين للتدخل الذي قادته واشنطن في العراق وأفغانستان وباكستان.[١]

وقد أشرف على التقرير مجموعة من الخبراء في الصحة العامة، بينهم الدكتور روبرت غولد، مدير التوعية المهنية والتعليم الصحي في جامعة كاليفورنيا، مركز سان فرانسيسكو الصحي، والبروفيسور تيم تكارو من قسم العلوم الصحية في جامعة فريزر سايمون»[٢].

لكن الكاتب والباحث في هذه الأزمة أورد تعليقاً على التقرير السابق بنفس مقاله بقوله: «وبحسب الأرقام التي تفحصناها هنا

---

(١) يلاحظ أنه -حسب كاتب المقال- تم إهمال هذا التقرير تمامًا في الإعلام الناطق باللغة الإنجليزية، بالرغم من كونه المجهود الأول الصادر عن منظمة صحية رائدة عالمياً لحساب أعداد الضحايا (للحرب على الإرهاب) التي تقودها واشنطن وبريطانيا، علماً أن الضحايا في تلك البلدان تضاعف بعد هذا التقرير أكثر من مرة مما يُعد وصمة عار على الإنسانية الغربية.

(٢) انظر: نافذ أحمد، الصحفي الاستقصائي، والعالم في الأمن الدولي، والمؤلف المشهور في الكتابة عمّا يسميه (أزمة المدنية)، وهو الحائز على جائزة (بروجيكت سينسورد) للصحافة الاستقصائية المتميزة لتقاريره في صحيفة (الغارديان)، المقال بتاريخ: ٩ / ٤ / ٢٠١٥م، وهو بعنوان: ضحايا منبوذون: الحروب الغربية قتلت ٤ ملايين مسلم منذ عام ١٩٩٠، الرابط التالي: http://goo.gl/tZKmUf

فإن مجموع الضحايا في العراق وأفغانستان منذ التسعينيات من القتل المباشر أو الحرمان المتأتي من الحرب قد يصل إلى أربعة ملايين في العراق، مليونان من ١٩٩١-٢٠٠٣م، ويضاف إليها مليونان آخران ضحايا ما يُسمى (الحرب على الإرهاب)، وقد يصل إلى ما بين ستة ملايين إلى ثمانية ملايين في أفغانستان، عندما نأخذ بعين الاعتبار التقديرات العليا للوفيات التي كان يمكن تجنبها»[١]، وحُقَّ لنا أن نتساءل هنا عن حجم القتلى بهذه الأعداد! مما كان على الغرب أن يشارك في إزهاق أرواحها!

وهل هذه الضحايا والإحصائيات كافية لمعرفة حقيقة المتنافسين في عالم قيم الجهاد عند المسلمين، وعالَم الحروب العدوانية المتنوعة عند غيرهم؟[٢].

يقول المؤرِّخ الفرنسي غوستاف لوبون في هذا المقام في كتابه (حضارة العرب) وهو يتحدَّث عن سرِّ انتشار الإسلام في عهد رسول الله ﷺ وفي عصور الفتوحات من بعده: «قد أثبت التاريخ أن الأديان لا تُفْرَض بالقوَّة، ولم ينتشر الإسلام -إذن- بالسيف، بل انتشر بالدعوة وحدها، وبالدعوة وحدها اعتنقته الشعوب التي قهرت به [انصهرت به] مؤخَّرًا كالترك والمغول، وبلغ القرآن من الانتشار في الهند -التي لم يكن العرب فيها غير عابري سبيل- ما زاد عدد المسلمين إلى خمسين

---

(١) انظر: المرجع السابق.

(٢) بلغ عدد قتلى الحضارة الغربية حسب بعض الإحصاءات عمّا يسمى بالحرب الباردة من عام ١٩٤٦م إلى ١٩٩١م حوالي عشرين إلى خمسة وعشرين مليون قتيل، انظر: فرهاد محمد أحمد، الحرب الباردة، الرابط التالي:
http://farhad-mohmmed.blogspot.com/2015/04/1946-1991-2711-1946-1953-1953-1975-1975.html

مليونَ نفس فيها... ولم يكن القرآن والإسلام أقلَّ انتشارًا في الصين التي لم يفتح العرب أيَّ جزء منها قطُّ»[1].

لقد شُـــرع الجهاد في الإسلام؛ لإحلال السلام، حينما يطغى البشر من الحكام والحكومات وغيرهم على إخوانهم البشر بالاستعباد والبغي أو الظلم والعدوان أو حجب الحق عنهم فيكون تحريرهم من قوى الشر والطغيان والظلم التي تحرمهم من الحرية ذروة الشعائر التعبدية في الإسلام وسنامها.

ولذلك فإن المنافسة الشريفة في مفهوم الجهاد ترتقي إلى أعلى درجاتها في تحرير البشرية من العبودية والظلم، ومجاهدة الذين يمنعون حرية انتشار العدالة والحرية والقيم العادلة، وبعد تحرير الإرادة الإنسانية من حكوماتها القاهرة يكون الأمر حينئذٍ كما قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة:٢٥٦)، وكما قال تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ (الكهف:٢٩).

وفي الوقت الذي يُشجع الإسلام أتباعه على جهاد القتال فإنه يؤكد على حماية ممتلكات أعدائه والدفاع عن حياتهم وأعراضهم كما قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ

---

(١) انظر: غوستاف لوبون، حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، القاهرة: مكتبة الأسرة، ٢٠٠٠م، ص١٢٨-١٢٩.

اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (البقرة:١٩٠). فسلوك المسلمين في هذه القضايا في ظل الإسلام منضبط بنظام إسلامي مُفَصَّل، فقد نهى عن الاعتداء، كما أنه يمنع الهجوم على المدنيين، ويأمر بتجنب الإضرار بالنبات والحيوان والبيئة أو تدمير أماكن العبادة أو أذية الأطفال والنساء والشيوخ وغير المجندين والمقاتلين، كما شرع ذلك نبي أمة الإسلام، وفي ذلك ورد: (كان نبيُّ الله ﷺ إذا بعَث جيشاً من المسلمينَ إلى المشركينَ قال: انطلِقوا باسم اللهِ -فذكَرَ الحديثَ وفيه: ولا تَقْتُلُوا وَلِيدًا طِفلًا ولا امرأةً ولا شيخًا كبيرًا، ولا تُغَوِّرُنَّ عيْنًا، ولا تَعْقُرُنَّ شجرَةً إلا شجرًا يمنعُكم قِتالًا أو يحجزَ بيْنكم وبيْنَ المشركينَ، ولا تُمَثِّلوا بآدميٍّ ولا بَهيمةٍ، ولا تَغدِروا، ولا تَغُلُّوا)[1]. إلى هنا كان لزاماً أن أورد هذه الإحصائيات في الأعداد والنسب لألفت نظر القارئ أن هناك محوراً جوهرياً في المقارنة.

وبهذا تتضح الفروقات الكبيرة في قيم المنافسة بين الأديان والحضارات على مستوى المقارنة في الجهاد والحروب والسلام.

المنافسة في العطاء الخيري (الزكاة والأوقاف):

وهنا محور آخر في المنافسة جدير بالاهتمام عند المقارنة، حيث يقوم الركن الثالث من أركان الإسلام (الزكاة) وما يتبعها من منظومة الصدقات والأوقاف وغيرها بعمل كبير لتقليل الفجوات بين الأغنياء والفقراء، ومعالجة سلبيات الحركة الاقتصادية في المجتمعات الإسلامية، ومقاومة تغول الاقتصاد وهدر كرامة الإنسان، وملء فراغات حركة الأموال الناتجة عن تكدس السيولة

---

(١) رواه البيهقي في السُّنَن الكبرى، حديث رقم (٩/ ٩١).

المالية أو سوء ادِّخارها أو سلبيات تشغيلها أو غير ذلك، ولئلا يكون الاحتكار بين الاقتصاديين الأغنياء فإن الله تعالى قال: ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾ (الحشر:٧)، حيث ركن الزكاة العظيم يقوم بهذه العملية الرائعة ليُعالج الفقر والغِنى وفق نسب معيارية دقيقة وواضحة، وفيها سعادةٌ للمُعطِي والمُتلقِي، وتبلوَر أداء هذا الركن الإسلامي العظيم عبر التاريخ ليظهر ضمن منظومة اقتصادية اجتماعية وقائية وعلاجية، والزكاة تُعد من المحركات الرئيسة لمنظومة ما يسمى في العصر الحاضر القطاع الخيري أو القطاع الثالث[١]. وما في ذلك من تنميةٍ مُستدامة وتحريكٍ للاقتصاد والمناشط التي تخدم حركة أموال الأمة والمجتمع والأفراد بصورة متوازنة وفريدة.

والزكاة بهذا عقيدة وتشريع سماوي تصحبه التقوى في إخراجه خلافاً لقوانين الضرائب المرتبط بتشريعات أرضية وقوانين قسرية. يقول جونثان بنثال: «وتعتبر الزكاة داعماً رئيساً للطرح الإسلامي ضد شرور كل من الرأسمالية والشيوعية، فالزكاة تُذكر الناس بأن الثروة -المال- كلها ملك لله»[٢].

وإضافةً إلى تشريعات الزكاة فإن تشريعات الوقف تُعد أقدم تجربة حضارية ناضجة مكَّنت المجتمع الأهلي من ممارسة مهام نهضوية وتنموية خاصةً حينما تكون من مهام القطاع الثالث، كما أن نظام النظارة والنظار في الشريعة الإسلامية كَفِل أن تكون الأوقاف مستقلة عن الحكومات بعيدة عن مشاكل البيروقراطية التي غالباً ما

---

(١) مصطلحٌ إداري حديث يُطلق على جميع المنظمات والمؤسسات والجمعيات والأعمال غير الحكومية وغير الربحية.

(٢) انظر: جوناثان بنثال وجيرم بيليون، كتاب الهلال الخيري، الباب الأول.

تتلازم مع الأجهزة الحكومية وتعيق حركتها وفعاليتها، إضافة إلى دعم أثرها الفاعل في قيام الحضارة الإسلامية، ثم في ترابط الأقاليم الإسلامية ونشر روح المحبة والتآخي والتآلف والوحدة بينها.

وقد مارست الحضارة الإسلامية آلية الوقف قبل أن يتعرف عليها الغرب ويقتبسها من المسلمين بقرون طويلة. ومفكرو الغرب ومؤرخوه يعرفون هذا جيداً، بل إنهم أخذوا مفاهيم الوقف واستوردوها من الحضارة الإسلامية وطبقوها بأوسع ما يمكن، فكان لهم أكبر منقذ من تغول الرأسمالية عندهم في عصورهم المتأخرة. يقول كارل بروكلمان عن الحضارة الإسلامية وأثرها في نشوء حضارة الغرب بعد العرب: «أما في حقول الثقافة الأخرى فقد أنتج السوريون والمصريون إنتاجاً خصباً جداً في عهد المماليك كان لنا (يعني الأوروبيين) فيه ثمرات يانعات، وبخاصة في حقل التاريخ»[1].

ويقول عن أبرز عوامل الحضارة وهي الأوقاف المستقلة وأثرها في التنمية: «هذا الإنتاج [العلمي] الواسع العريض في عصر المماليك كان يجد سنده الاقتصادي في نظام الأوقاف الذي أنشئ في عهد العباسيين، والذي انتهى في مصر وسورية إلى غاية من الغنى تكاد تكون خيالية، ذلك بأن كبار المثرين السوريين والمصريين، كانوا كزملائهم العراقيين من قبل، يقفون (يوقفون) ممتلكاتهم الضخمة على وجوه البر وخدمة العلم، صيانة لها من المصادرة»[2].

---

(١) انظر: كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، نقله للعربية نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، ط٧، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٧٧م، ص٣٧١.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص٣٧١.

ولأجل دور الأوقاف الإسلامية في حضارة الأمة لوحظ تاريخياً أن محاولات تحجيم الأوقاف أو تأميمها في المجتمعات الإسلامية في العصور المتأخرة (القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين) تحتل مرتبة متقدمة جداً في أولويات المحتل الغربي فترات الاحتلال وما بعده؛ لأنها ممتلكات للأمة ومصادر لقوتها عند ضعف الحكومات أو نهايتها، فالمحتل هو الذي صادر كثيراً من الأوقاف في البلاد الإسلامية المحتلة، وكُتُب التاريخ شاهدة بذلك، أو هو من أشار على من خلفه من حُكام وحكومات على ترسيمها والحد من إمكانياتها لتكون وزارات رسمية بيروقراطية مقيّدة ليس لها منتجات حضارية، أو مخرجات تنموية واقتصادية وخدمية، بل إن أعلى ما تفخر به بعض وزارات الأوقاف في العالم العربي هو إعلان حجم الأرقام النقدية للاستثمارات الوقفية التي لم يعد لها أثر خدمي أو تنموي، وهذا يُعدُّ من الإخفاق وليس من النجاح في شيء، بل إن هذا الواقع يتنافى مع مقاصد الشريعة أو تحقيق متطلبات الوقف والمجتمع والدولة. وحُقَّ للمسلمين أن يفخروا بما لديهم من تشريعات منافسة تُرسخ مبدأ العطاء والتكافل الاجتماعي، كما تعزز صور وأنواع التنمية المستدامة لتكون حافزاً لهم على الإصلاح في إدارة الأوقاف في ظل الممارسات الخاطئة بحقها.

المنافسة في العلاقات الأسرية وحقوق المرأة:

لا أريد الإطالة هنا عن هذا الموضوع الذي أصبح موضع نقاش كثير من وسائل الإعلام الغربية الدعائية المعاصرة، واكتفيتُ فيه ببعض الإشارات من كلمات بعض الغربيين المنصفين عن القيم

الإسلامية وكيف أنها صمام أمان للأسرة والمجتمع والدولة، حتى إن هؤلاء المنصفين وأنصار العدل من الغربيين يتمنون تلك القيم لضبط مجتمعاتهم، وفي الوقت ذاته فإن الاقتباسات بحد ذاتها تُضيف بعض المقارنة بين الحضارتين، ومن ذلك ما حدث في المؤتمر النسائي في ألمانيا في عام ١٩٩١م، حينما نظمت وزيرات المرأة والأسرة في الحكومة الألمانية الإقليمية مؤتمراً حاشداً، كان يمثل مظاهرة نسائية رسمية ضخمة استهدفت تأكيد دور المرأة في المجتمع الألماني، وطالبت النساء في المؤتمر بالحقوق التي تتمتع بها المرأة المسلمة منذ أكثر من ألف وأربعمائة عام، ولاسيما احتفاظ المرأة الألمانية باسم والدها بدلاً من إجبارها على حمل اسم زوجها[1].

ومن تلك الأقوال الغربية ما قاله روجيه جارودي: «إذا نحن قارنا قواعد القرآن بقواعد جميع المجتمعات السابقة، فإنها تسجل تقدماً لا مراء فيه، ولاسيما بالنسبة لأثينا وروما حيث كانت المرأة قاصرة بصورة ثابتة»[2]. ويضيف قائلاً: «في القرآن تستطيع المرأة التصرف بما تملك، وهو حق لم يُعترف لها به في معظم التشريعات الغربية، ولاسيما في فرنسا إلا في القرن التاسع عشر والعشرين. أما في الإرث فصحيح أن للأنثى نصف ما للذكر، إلا أنه بالمقابل تقع جميع الالتزامات ولاسيما أعباء مساعدة أعضاء الأسرة الآخرين على عاتق الذكر، المرأة معفاة من كل ذلك... والقرآن يعطي المرأة حق طلب الطلاق، وهو ما لم تحصل عليه المرأة في الغرب إلا بعد ثلاثة

---

(١) انظر: عماد الدين خليل عمر، المرأة والأسرة المسلمة - من منظور غربي، أربيل: دار التفسير، ١٤٢٩هـ (٢٠٠٨م)، ص٧.

(٢) انظر: روجيه جارودي، وعود الإسلام، ترجمة ذوقان قرقوط، ط٢، بيروت: دار الرقي، والقاهرة: مكتبة مدبولي، ١٩٨٥م، ص٧٨.

عشر قرناً»[1].

ومن ذلك ما قاله الباحث المستشرق الفرنسي غوستاف لوبون: «لم يقتصر فضل الإسلام على رفع شأن المرأة، بل نضيف إلى هذا أنه أول دين فعل ذلك»[2].

ويقول غوستاف لوبون عن مبادئ المواريث كما نص عليها القرآن: «بأنها بالغة العدل والإنصاف... ويظهر من مقابلتي بينها وبين الحقوق الفرنسية والإنجليزية أن الشريعة الإسلامية منحت الزوجات اللائي يُزعم أن المسلمين لا يعاشرونهن بالمعروف، حقوقاً في المواريث لا تجد مثلها في قوانيننا»[3]. ويصف حالة النساء المسلمات في الحاضر بأنها: «أفضل من حالة أخواتهن في أوروبا، وأن نقصان شأنهن حدث خلافاً للقرآن، لا بسبب القرآن على كل حال إن الإسلام الذي رفع المرأة كثيراً بعيد من خفضها، ولم نكن أول من دافع عن هذا الرأي، فقد سبقنا إليه كثيرون»[4]. ويتحدث ويقول عن حقوق المرأة: «وحقوق الزوجة التي نصَّ عليها القرآن ومفسروه أفضلُ كثيراً من حقوق الزوجة الأوروبية، فالزوجة المسلمة تتمتع بأموالها الخاصة فضلاً عن مهرها، وعن أنه لا يُطلب منها أن تشترك في الإنفاق على أمور المنزل، وهي إذا أصبحت طالقة أخذت نفقةً، وإذا تأيمت كذلك»[5].

---

(١) انظر: المرجع السابق، ص٧٨ -٧٩.

(٢) انظر: غوستاف لوبون، حضارة العرب، ص٤٠٥.

(٣) انظر: المرجع السابق، ص٣٨٩.

(٤) انظر: المرجع السابق، ص٤٠٤-٤٠٥.

(٥) انظر: المرجع السابق، ص٤١٠.

ومن ذلك ما قاله لاينتز المستشرق: «إن للمرأة المسلمة مركزاً شرعياً أفضل من مركز المرأة الإنجليزية بكثير»[1].

وكذلك ما قالته إيفلين كوبولد حول المقارنة في الحريات: «إن حرية الإسلام أوسع وأفضل من حريتها عند غيره من الأمم والجماعات»[2].

ويقول محمد كرد علي عن تعدد الزوجات عند الشرقيين: «إن تعدد الزوجات المشروع عند الشرقيين أحسن من تعدد الزوجات الريائي عند الأوروبيين [الصداقات والخيانات]، وما يتبعه من مواكب أولاد غير شرعيين»[3].

وعن المقارنة بين حرية المسلمة وغيرها تقول سالي مارش: «على فرض وجود القيود على المرأة المسلمة في ظل الإسلام، فإن هذه القيود ليست إلا ضمانات لمصلحة المرأة المسلمة نفسها، ولخير الأسرة، وللحفاظ عليها قوية متماسكة، وأخيراً فهي لخير المجتمع الإسلامي بشكل عام»[4]. وتقول أيضاً: «لقد لاحظت أن المشكلات العائلية التي يعاني منها الغرب لا وجود لها بين الأسرة المسلمة»[5].

---

(١) انظر: عماد الدين خليل عمر، المرأة والأسرة المسلمة - من منظور غربي، ص٣٨، نقلاً عن: المستشرق لا ينتز، دين الإسلام، ترجمة عبد الوهاب التنير، ط٢، دمشق: المكتبة السلفية، ١٣٤٢هـ ص١٥.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص٣٨، نقلاً عن: كتاب البحث عن الله، ص٨٤.

(٣) انظر: محمد كرد علي، الإسلام والحضارة العربية، ج١، ط٣، القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٨٦م، ص٨٣.

(٤) انظر: عماد الدين خليل عمر، المرأة والأسرة المسلمة - من منظور غربي، ص٥٧، نقلاً عن: رجال ونساء أسلموا، ج٨، ص ٤٦

(٥) انظر: المرجع السابق، ص٥٠-٥١، نقلاً عن: المرجع السابق، ج٨، ص ٤٦-٤٧.

وتقول ماكلوسكي عن الحرية أيضاً: «في ظل الإسلام استعادت المرأة حريتها واكتسبت مكانة مرموقة، فالإسلام يعتبر النساء شقائق مساويات للرجال، وكلاهما يكمل الآخر»[1].

وتقول أيضاً: «إن المرأة المسلمة معززة مكرمة في كافة نواحي الحياة، ولكنها اليوم مخدوعة -مع الأسف- ببريق الحضارة الغربية الزائف، ومع ذلك فسوف تكتشف يوماً ما كم هي مُضَللة في ذلك، بعد أن تعرف الحقيقة»[2].

وقالت واندر عن العلاقات الأسرية: «من خلال معايشتي للمسلمين اكتشفت العلاقة الرائعة بين أفراد الأسرة المسلمة، وتعرفت كيف يعامل الآباء المسلمون أبناءهم، وعرفت العلاقة الوثيقة التي تربط أفراد الأسرة المسلمة، كما أعجبت بالمكانة التي يتمتع بها كبار السِّنِّ بين المسلمين. وفي الوقت الذي أجد فيه كبار السِّنِّ في الغرب وفي بلادي أمريكا قمة الحضارة الغربية المادية المعاصرة يُلقى بهم في مؤسسات العجزة، ويُنبذون فلا يلتفت إليهم أحد، أجد الجد والجدة المسلمين في مركز الأسرة وبؤرتها من حيث الحفاوة والتكريم. لقد أحببت ذلك كثيراً»[3].

وفي صدد كرامة المرأة المسلمة وحقوقها كتبت الباحثة الأمريكية **ناتانا دي لونج**، وكان مما قالت: «لقد اعترف محمد بن عبد الوهاب على نحو واضح بالنساء لا على أنهن أفراد لهن حقوق وعليهن مسؤوليات فحسب، لكنه اعترف أيضاً بقدرتهن على تأدية أدوار

---

(١) انظر: المرجع السابق، ص٣٧، نقلاً عن: المرجع السابق، ج٩، ص٦٢.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص٣٧، نقلاً عن: المرجع السابق، ج٩، ص٦٣.

(٣) انظر: المرجع السابق، ص٦١، نقلاً عن: المرجع السابق، ج٧، ص١٠٦.

العوامل الإيجابية والنشطة في كل من المجالين الخاص والعام بصفة أفراد وزوجات وبنات وأمهات وأعضاء في المجتمع الإسلامي الواسع، وقد منحهن حق المشاركة، بل المباشرة في كل من الزواج والطلاق»[1].

كما قالت: «ومن خلال كل من تفاعلاته الحقيقية مع النساء وكتاباته اعترف محمد بن عبد الوهاب بصلاحية تفاعل الرجال مع النساء، وأن يَعُدَّ الرجالُ النساءَ شريكاتٍ مكملاتٍ وجديرات بالثقة، سواء في أمور العائلة أم في صفات العمل»[2]. وبعد هذه الآراء والأقوال يَرِدُ التساؤل عن حقيقة ما يُثار عن الإسلام وكرامة المرأة المسلمة!

وفي هذا المقام أعتقد جازماً أن هذه المقارنات من غربيين كافية ومعبرة عن مصداقية قيم المنافسة بين الإسلام من جهة والغرب من جهة أخرى، ولا مجال إلى أن تكون بعض الممارسات الخاطئة في العالم الإسلامي معياراً للمقارنة.

المنافسة في مثالية العلاقات الدولية:

هل هناك منافسة بين قِيَم الإسلام والغرب في مجال العلاقات الدولية ومن أي جهة؟ من الملاحظ أن العلاقات الدولية الغربية تحكمها المصالح والمنافع وحب الهيمنة والسيطرة وبالتالي فاستخدام

---

(١) يُلاحظ أن تعبير الباحثة بكلمة اعترف محمد بن عبد الوهاب ليس تعبيراً دقيقاً لأن ما كتبه محمد بن عبد الوهاب حكم إسلامي ليس بجديد. انظر: ناتانا دي لونج باس، دعوة الشيخ محمد بن الوهاب من الإحياء والإصلاح إلى الجهاد العالمي، ترجمة د. عبد الله بن إبراهيم العسكر، الرياض: دارة الملك عبد العزيز، ١٤٣٣هـ ص٦١٢.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص٦١٢.

القوة العسكرية القتالية غير غائب في تحقيق تلك المصالح، ولو على حساب تجاهل حقوق الأبرياء والضحايا من الأطفال والنساء، واستغلال موارد الضعفاء في تصدير البشر الأفارقة وبيعهم، ونهب ثروات القارة، ومثل ذلك ما حصل من قتلٍ للهنود الحمر في أمريكا.

كتبت الباحثة الألمانية زيغريد هونكه عن المقارنة بين فتح المسلمين للأندلس وحكمهم لها، وبين استيلاء النصارى الكاثوليك عليها واضطهادهم للمسلمين واليهود والمذاهب الأخرى في المسيحية، فقالت عنها: «ولا مراء أن تاريخ الغرب نفسه يُثبت بالبراهين العكسية الدامغة التي تدحض وتُفنِّد التشويهات التي أُلصِقت بالإسلام زوراً...

إن إسبانيا تحت حكم العرب [المسلمين] مثال يبين أنه بينما كانت أوروبا الكاثوليكية دون جبال البرانس تَقضي قضاء مبرماً على كلِّ دين آخر يجرؤ على الظهور إلى جانب دينها الكاثوليكي -بصفته الدين الأوحد للخلاص- وذلك باتباعها سياسة التفرقة الصارمة إزاء غير النصارى، نرى أن النصرانية لم تُستأصل ولم تَضِعْ تحت حكم العرب [المسلمين]... كذلك اليهودية... تمتَّعت في ظلال الحكم العربي [الإسلامي]... لأول مرة بعد الشتات بمطلق الحرية إلى أن استعادت النصرانية الحكم في إسبانيا وطردت اليهود [والمسلمين]»[1].

(١) انظر: زيغريد هونكه، الله ليس كذلك، ص٥٢-٥٣، ويلاحظ أن زيغريد هونكه قد يكون فاتها أن فتح الأندلس كان إسلامياً، ولم يكن عربياً فحسب، فتكرار كلمة العرب والعربي في هذا النص المنقول مما يستوجب التصحيح، وقد يكون من المُسلمات في بعض كتابات المستشرقين حصر الحضارة الإسلامية وثقافتها بالعرب، علماً أن كتابات هؤلاء وإن أخطؤوا بقصد أو بغير قصد في التعبير فإن ذلك لا يغير من الواقع شيء، حيث هذه الفترات الزمنية التي كتبوا عنها لم تكن إلا بعد رسالة محمد ﷺ الإسلامية، وبالتالي فهي حضارة الإسلام والمسلمين حتى لو عَبَّر المستشرقون بحضارة العرب.

وتوضح زيغريد طبيعة العلاقة وحقيقتها من خلال المقارنة بين الديانتين الإسلام والنصرانية فتقول: «إن الشيء الذي يتأبّى على فهم الكنيسة هو دخول شعوب الأقطار المفتوحة في الإسلام أفواجاً بمحض إرادتها، دون مساعي إرساليات التبشير، ودون الإكراه في الدين. أجل! لقد كانت السماحة العربية والروح العربي وأسلوب الحياة العربي مما استحوذ على نصارى إسبانيا، وليس كما يزعم المبطلون زوراً عظيماً. بأنهم أُرغموا على الإسلام خشية السيف... أما الإجهاز على السماحة والتسامح نهائياً في إسبانيا فقد تمَّ على أيدي الدويلات النصرانية التي اعتصمت في شمال إسبانيا، والتي أقصت العرب شيئاً فشيئاً إلى أن تمكّنت من صدِّهم وطردهم، متوجة انتصارها باستعادتها عام١٤٩٢م الدرَّتين العربيتين (غرناطة) و(الحمراء) إذ لم يكن انتصار النصرانية يعني سوى طرد اليهود والمسلمين واضطهاد من بقي منهم وإكراههم على التنصر واستئناف نشاط محاكم التفتيش التي قامت بتعقب كل من يتخذ سوى الكاثوليكية ديناً، والحرق العلني في احتفالات رسمية تحفُّها الطقوس والشعائر الكنسية لكلِّ من اعتنق الإسلام أو اليهودية.

وما أن دالت دولة العرب [المسلمين] في إسبانيا حتى اندثرت معهم أزهى وأخصب حضارة ملكتها أوروبا في العصور الوسطى، وغرقت في بحر من الرعب وأتت فيه أمواج التعصب الديني على كل شيء وابتلعته ابتلاعاً، ولم تلغ محاكم التفتيش إلا في عام١٨٣٤م»[1].

ويقول غوستاف لوبون عن منافسة الإسلام وحضارته ومثالية

(١) انظر: المرجع السابق، ص٤٤-٤٥.

علاقات المسلمين الدولية كتشريعات وتطبيقات: «والإسلام من أكثر الديانات ملاءمة لاكتشاف العلم، ومن أعظمها تهذيباً للنفوس وحملاً على العدل والإحسان والتسامح»[1].

وتبقى هذه الأقوال غيضاً من فيض ممن قال الحقيقة عن حضارة الإسلام وتفوقها، وكفى في التفوق في ميدان البقاء والقوة منافسة الإسلام للغرب في مجال العلاقات الأسرية والاجتماعية، ومثالية العلاقات الدولية في التشريعات الإسلامية والتطبيقات عبر التاريخ، حينما عاشت الإنسانية في ظل حكم الإسلام قروناً طويلة بأمنٍ وأمان وتسامح وسلام، بخلاف الواقع المعاصر في سيادة الغرب وفشله المبكر في مجالات حقوق المرأة والزواج والأسرة والإنسان، وكذلك فشله الكبير في مجال العلاقات الدولية، حيث صناعة الحروب والدمار لتحقيق مصالحه دون النظر إلى المبادئ والقيم المعلنة، والمقصود من ذكر هذه المقارنة ليس التبرير عن واقع المسلمين المتخلف في هذا العصر بقدر ما هي لفت الانتباه للموروث العلمي والثقافي لديهم.

الإسلام بين الواقع والمستقبل:

محمد الأحمري المهتم بأبحاثه عن العالم الإسلامي لخَّص بعض عناصر المنافسة وأسبابها في العصر الحاضر، وذكر أن من أبرز دوافعها لدى المتعصب الحسد ﴿حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ﴾ (البقرة:١٠٩)، وبالتالي فالتطرف الغربي في صناعة الصراع مع الإسلام والمسلمين نتيجة طبيعية، وفي هذا قال: «سارت الأمة الإسلامية في طريق الخير لها وللعالم، وتعززت هويتها وانتصرت ثقافتها، وزاد سكانها،

---

(١) انظر: غوستاف لوبون، حضارة العرب، ص٥٧٠.

وعادت طرق تجارتها ونمت مواردها، فَغَضَبُ الخصومِ وخوفُهم وهلعُهم، ليس بسبب العنف ولا الثروة فقط، ولا بسببِ أخطاء أمةٍ مقهورة تبحث عن مخرج فتخطئ أحياناً، بل لأنهم أيضاً يُمثِّلون مشروعًا وتحديًا روحيًا وثقافيًا وحضاريًا لا يستسلم ولا يفكر في الاستسلام للحتمية الاستعمارية الليبرالية، كما لم يستسلم للجبرية الشيوعية من قبل، وعنده ثقة وتماسك وذات تأبى الذوبان، وعنده أمل وتعويض وفهم آخر للحياة الإنسانية، وروحٌ متوثبة عالية الأمل، مُصْلِحَةٌ للعالم، وقد سار في طريق جعلت الحاسدين يوغلون في تطرفهم ضده»[1].

وكتب المفكر الألماني مراد هوفمان عن انتصار الإسلام حيث هذا الانتصار والانتشار مؤشر لانتصار أتباعه، فقال في كتابه الرائع (الإسلام كما يراه ألماني مسلم): «الإسلام أصبح الآن في خضم الأحداث، حسب وصف أورسولا شبولر-شتيغمان (Ursula Spuler - Stegemann)»[2].

ويقول أيضاً: «لا يعيش المسلمون في العالم الإسلامي فقط -أي في خمس وخمسين دولة عضواً في منظمة المؤتمر الإسلامي- بل أيضاً في الغرب وفي كل مكان»[3].

وفي لغة الإحصاء يورد هوفمان إحصائيات قديمة ولكن المنافسة

---

(١) انظر: محمد الأحمري، ملامح المستقبل، ط١، الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٦هـ (٢٠٠٥م)، ص١٧.

(٢) انظر: مراد هوفمان، الإسلام كما يراه ألماني مسلم، نقله للعربية كامل إسماعيل، ط١، الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٨هـ (٢٠٠٧م)، ص١٧.

(٣) انظر: المرجع السابق، ص١٧.

غير غائبة فيها فيقول: «ففي ألمانيا يعيش قرابة ثلاثة ملايين مسلم»[1].

ويقول: «وهناك أيضاً حوالي ٨٠ ألف ألماني يعتنقون الإسلام، والأهم من ذلك هو الحضور الإسلامي في فرنسا، فمن أصل مواطنيها المسلمون يصل عددهم إلى ستة ملايين»[2]، ويقول أيضاً: «مسلمو بريطانيا العظمى الذين يبلغ عددهم مليوني نسمة»[3].

يقول عن مسلمي أوروبا بدون مسلمي شرقها: «وإذا ما اعتمدنا على التقديرات فسوف يصل عدد المسلمين في أوروبا الوسطى والغربية عام ٢٠٢٠م إلى ما لا يقل عن ٤٠ مليون مسلم»[4].

وأيضاً: «يشكل المسلمون حالياً أكبر أقلية دينية عرفتها أوروبا حتى الآن»[5]. ثم ينتقل إلى حجم الوجود الإسلامي في الولايات المتحدة الامريكية فيقول: «وبشكل خاص يتطور الإسلام تطوراً ديناميكياً في أميركا الشمالية حيث تضاعف عدد الجوامع فيها منذ عام ١٩٩٠م ليصل إلى ١٢٥٠ جامعاً. ويزيد عدد المسلمين فيها حالياً عن عدد اليهود أو المسيحيين الأسقفيين، مع نسبة عالية في عدد الأكاديميين»[6].

وإذا كان ما سبق من إحصائيات قديمة لها اعتبارها في الدراسات والأبحاث فإن الإسلام حسب بعض الدراسات الحديثة يُعدُّ ثاني

---

(١) انظر: المرجع السابق، ص١٧.
(٢) انظر: المرجع السابق، ص١٧.
(٣) انظر: المرجع السابق، ص١٧.
(٤) انظر: المرجع السابق، ص١٨.
(٥) انظر: المرجع السابق، ص١٨.
(٦) انظر: المرجع السابق، ص١٨.

أكبر الأديان في العالم، وهو يُشكِّل ربع سكان العالم أو يزيد على ذلك، وقد يكون الدين الأول في أوروبا في سنوات قادمة حسب بعض المعطيات والمؤشرات، ومن الملاحظ أن هذه الملايين مندمجة مع الغرب ومتفاعلة مع حضارته مع الحفاظ على هويتهم الإسلامية، وهذا قد يعني التحول السلمي المستقبلي للقارة إلى الإسلام كديانةٍ أولى، والأرض لله يورثها من يشاء من عباده.

وحسب ما ورد في الغارديان البريطانية أن عدد سكان المسلمين في العالم سيتخطى النصارى من الكاثوليك وغيرهم عام ٢٠٧٠م، ووفق ما نشره مركز الأبحاث البريطاني (بو) من دراسات تفيد أن نسبة المسلمين في القارة الأوروبية ستتجاوز الـ١٠٪ بحلول عام ٢٠٥٠م، وستتخطى نسبة المسلمين للمسيحيين في العالم بحلول عام ٢٠٧٠م، وقالت الدراسة: إن الهجرة وكثرة الإنجاب بين العوائل المسلمة في القارة العجوز سيقفز بالأعداد من ٤٣ مليون نسمة من المسلمين في أوروبا إلى ٧١ مليون نسمة بحلول عام ٢٠٥٠م، ليشكِّل أكثر من ١٠٪ من عدد سكان القارة[١].

وإذا كان الأمر الأيديولوجي له قيمته في عالم المنافسة قد وصل إلى هذا المستوى من الكم والجاذبية والانتصار والانتشار للإسلام في العصر الحاضر، فإن منافسة الأديان المعاصرة الأخرى للإسلام في جوانب التشريعات والجانب الروحي لا ترقى إلى مستوى الإسلام؛ لأنها لا تستطيع أن تغالب الإسلام، كما كان يُكرر صالح الحصين لتميزه عليها بأمرين يجعلان الإسلام متفوقاً بصفة مستمرة وهما:

---

(١) انظر: صحيفة اليوم السابع، بتاريخ اليوم الجمعة ٣٠ أبريل ٢٠١٥م، الرابط التالي: http://goo.gl/LMwckM.

أ - موثوقية المصدر، فالإسلام هو الدين الوحيد الذي لم يجرِ على كتابه المقدس (القرآن) أي تغيير أو تعديل -كما سبق-، منذ أُوحيَ به إلى النبي ﷺ، وقد تكفَّل الله بحفظه، ففي القرآن ورد قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر:٩)، والمقصود بالذكر هنا القرآن الكريم.

ب - أنه الذي يعترف المنصفون من الشرق والغرب بأن مصدره منذ وجوده حتى الآن لم يتضمن أي نص أو تقرير يخالف أي حقيقة علمية تم اكتشافها[1].

وفي مَيْدان المنافسة بين الإسلام والغرب في نظام الحكم السياسي فإن الواقع السياسي للعالم العربي لا يُمثل الحكم الرشيد بمجمله، ولذلك فإن الممارسات الخاطئة لا تُحسب على التشريعات الإسلامية، ونظام الحكم في الإسلام جديرٌ بالثقة من أبنائه حينما يعلمون أن ليس هناك صيغةٌ مُوَّحدة أو مُحددة لهذا النظام بقدر ما أنه نظامٌ يقوم على تحقيق العدالة وحقوق الإنسان وكرامته، وعلى الاتحاد وعدم التفرق، وعلى التعاون والولاء للإسلام ولأمة الإسلام، والمهم أن هذا النظام بهذه القيم السابقة لا يتعارض مع أيِّ نظام إداري سياسي حديث في آلية اختيار الحاكم أو الرئيس، ففي مُجمل تشريعات الإسلام أن مُمثلي الأمة يكون باختيار الأمة، وأن الحاكم يكون نائباً عن الأمة، وهو بهذا أجيرٌ لدى أمة الإسلام وخادمٌ لهم، أو وكيلٌ لهم بأجر، ويُمكن أن يكون الحاكم مُحدد المدة، أو دائم المدة، ما دام قابلاً للعزل عند اخلاله

---

(١) انظر ما يُؤكد ذلك، ومنه: كتاب موريس بوكاي، القرآن الكريم، والتوراة والإنجيل والعلم، ط ١، القاهرة: مكتبة مدبولي.

بشروط العقد[1].

وبهذه الأقوال والنصوص المنقولة السابقة يُدرك القارئ حجم المنافسة في تشريعات الإسلام، بل وحجم المنافسة في جوانب التطبيقات للتشريع عبر كثيرٍ من فترات التاريخ -وإن لم تكن دائماً مثالية- لكنها كانت واقعيةً مشهودة ومشهوداً لها، والاستثناءات في عدم تطبيق التشريعات، أو الممارسات الخاطئة لا تُبرر الجحود لعناصر المنافسة القوية.

عناصر المنافسة ودوافع الصراع:

في هذا المبحث والمبحث السابق له مُوجزٌ عن الحضارتين ومدى ما بينهما من تنافس، وهو ما يُمكن اعتباره من أبرز أسباب المنافسة فيما يتعلق بالحضارات، لكنه في الوقت ذاته ما قد يكون من عوامل الصراع بين الدول والحكومات.

ومن المهم التذكير بأن الغرب في مستهل القرن الخامس عشر الهجري ونهاية القرن العشرين الميلادي ومع بداية القرن الميلادي الجديد امتلك عناصر جديدة في المنافسة، لكنه استخدمها في الصراع، في الوقت الذي امتلك المسلمون عناصر أخرى جديدة في المنافسة.

أبرز عناصر المنافسة في الإسلام:

بعد العرض السابق فإن من المناسب تلخيص عناصر المنافسة حتى يمكن فهمها بوضوح، وهذه من أبرزها:

---

(١) انظر: عن هذا التأصيل ورقةٌ منشورة للشيخ صالح الحصين، بعنوان: رأيٌ في طبيعة الديمقراطية والاختلاف الثقافي، الرابط التالي:

http://rowaq.org/?p=359

أ - قوة الدين الإسلامي المتنامية بعقيدته الأزلية وتشريعاته وقيمه.

ب - الاعتزاز بالتاريخ الإسلامي وفتوحاته، واتحاد أقاليمه تاريخياً وما في هذا من قوة دافعة.

ت - أصالة الحضارة الإسلامية بعلمائها وعلومها واقتباس الغرب منها، وإمكانية عودتها.

ث - انتشار الإسلام وانتصاره كعقيدة أواخر القرن العشرين وبداية القرن الجديد مما يؤكده الواقع ومراكز الدراسات والأبحاث، وانتصار الفكرة مما يُعزز انتصار أتباعها المستقبلي.

ج - وجود مقومات النهوض والبقاء والقوة عند المسلمين في العصر الحاضر، مع الثقة التي تتعزز لدى المسلمين بعالمية دينهم وتميز حضارتهم، حيث عقيدة الإسلام وعدالة تشريعاته، وحيث موارده الاقتصادية الضخمة وغير ذلك، وهذه الثقة تتعزز وفي صعودٍ مُستمر بالرغم من العوائق والتحديات والحروب والصراعات.

أبرز دوافع الصراع من قِبل الغرب:

أ - منافسة معظم دول الغرب لدول العالم الإسلامي حقيقةٌ قائمة في جوانب القوة الاقتصادية والسياسية والعسكرية، إضافة إلى قدراتها الصناعية في التقنية، ومجال البحوث العلمية وتنمية العلماء ورعايتهم، مما جعلها تتعامل بفوقية!

ب - تعصب السياسيين ورجال الدين وبعض المفكرين الغربيين وعدم تسامحهم مع الإسلام، وهي موروثات ثقافية أفرزت صوراً نمطية مشوهة عن الإسلام، وأنتجت الكراهية وشَن الحروب.

ت - تسخير التطور العلمي والتقني والاقتصادي في التدخل في الخصوصيات الثقافية للأمم.

ث - استخدام العمل الإنساني والإغاثي لنشر الديانة النصرانية وتغيير الهويات الثقافية بين المجتمعات الفقيرة والمحتاجة للمساعدات[1].

وقد نتج عن هذه المنافسة الإسلامية دوافع للصراع الغربي مع الإسلام وشعوبه، ومن أبرز ذلك:

أ - الحرب الأمريكية غير الواضحة على ما يُسمَّى بـ(الإرهاب) واحتلال بعض الدول الإسلامية وتدميرها تحت هذا المُسمى وتحت فَزَّاعات أخرى -مما سوف يرد-، وشاركت معظم دول الغرب في هذه الحروب العبثية التي من ضحاياها دولٌ وشعوب مثل: أفغانستان والعراق وسوريا وغيرها.

ب - الحروب الإعلامية التشويهية في معظم الميادين الثقافية والفكرية والقيم الاجتماعية، والحرب الأيديولوجية على كل بلدٍ إسلامي بما يتناسب معه.

ت - نُشوء ردود الفعل عند بعض المسلمين صحيحها وسقيمها وحركات المقاومة، وجماعات الجهاد بمجموعات معتدلة ومتطرفة، ونشوء ما يسمى القاعدة وداعش التي تتسمى بالدولة الإسلامية في العراق والشام، والتي من عوامل نشوئها الصناعة الغربية للأحداث، كما أن رَدَّ الفعل تجاه الدعم الأمريكي لممارسات الحكومة العراقية

---

(١) انظر بتصرف: كتاب سادة الفقر لغراهام هانكوك، أو أي كتاب آخر.

الشيعية الطائفية بحق السُّنَّة لم يكن غائباً لدى المسلمين عامة ولدى بعض الجماعات وأتباعها، وهو ما أصبح مِشجباً للتدخلات الأجنبية في شؤون دول العالم الإسلامي، بل تقرير مصيرها.

ث - فشل معظم مبادرات الحوار الحكومية نتيجة أن الحوار لا يُريد منه الغرب إنهاء أزمات الصراع بقدر ما يُريد إلحاق الهزيمة النفسية والفكرية بالمسلمين وكسب الوقت، وهو ما يتطلب إعادة النظر في تحرير مصطلح الحوار خاصةً من الطرف الإسلامي الذي يفتقدُ لكثيرٍ من الرؤى الحقيقية عن إدارة أزمة الصراع بالحوار الحقيقي، كما ينقصها المعرفة الحقيقية عن طبيعة الغرب ومناخ الحوار معه وأولوياته ووسائله وأدواته، وهل الحوار المطلوب مع الحكومات فيما بينها؟ أو فيما بين الشعوب؟ وغير ذلك مما يوجب الإسهام في وضع رؤية علمية مبنية على المعطيات التاريخية والمؤشرات السياسية المتصفة بالعدوانية وفق حقائق علمية مجردة للتعاطي الصحيح مع هذا الموضوع الكبير الذي يشغل الرأي العام والخاص.

وبهذا الوضوح بين الحضارتين فإن الإجابة عن التساؤلات الواردة أو المدونة هنا أو هناك لن تكتمل بهذين المبحثين، لأن كل مبحث يحمل قدراً كافياً من الإجابة عن بعض التساؤلات في المقدمة وغيرها، ليكون اكتمالها في مباحث هذا الكتاب، وبالتالي فهل ستكون استنتاجات المنافسة تشير إلى الحوار أو الصراع الغربي؟ أو المقاومة والجهاد الإسلامي؟ أم إلى كليهما؟ المُحصِّلة العلمية أو الموضوعية هي ما سوف يُحدد الإجابة عن تلك التساؤلات.

لكن ما سبق عن عناصر المنافسة يُؤكد حجم مساحتها الواسعة، كما أنها تكشف عن أهمية الحوار بين الطرفين، وهو ما يُعدُّ توطئة لما سيأتي من أقوال وتقارير في المباحث التالية.

المبحث الثالث

صناعة الصراع

«إن الإسلام سوف يُصبح قوة جيوبوليتيكية متطرفة، وإنه مع التزايُد السكاني والإمكانات المادية المتاحة سوف يؤلف المسلمون مخاطر كبيرة، وأنهم يوحدون صفوفهم للقيام بثورة ضد الغرب، وسوف يُضطر الغرب إلى أن يتَّحد مع موسكو ليواجه الخطر العدواني للعالم الإسلامي».

(ريتشارد نيكسون - الفرص السانحة)

كثيراً ما يَرِدُ في مناسبات عديدة هذا السؤال: هل ما بين الغرب والإسلام صراع ومواجهة.. أم تنافسٌ حضاري وحوار؟

وهل الإسلام بتاريخه وبحضارته ومؤسساته يدخل ضمن منظومة المنافسين الجدد[1] أم أنه يُصنف من الأعداء والخصوم للغرب؟ ولماذا؟ وهل هذا الواقع يُعزِّز الحوار أو المواجهة؟ ومتى تكون المقاومة أو الجهاد؟

الأسئلة أعلاه يطرحها كثيرٌ من العلماء والمفكرين والمثقفين، ولاسيما بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر٢٠٠١م الموافق (٢٢/ ٦/ ١٤٢٢هـ)، وقد وردت بعض جوانب الإجابات في بعض الصحف أو المجلات الغربية. كما أجابت عن تلك التساؤلات أو عن بعض جوانبها بعض الأقلام السياسية والفكرية المتعصبة والمعتدلة في الغرب، فقال المتعصبون منهم: الإسلام بتشريعاته وتاريخه ومؤسساته وحضارته مصارع قديم وجديد! ورأى المعتدلون منهم أن الإسلام بحضارته وتاريخه وقيمه ومؤسساته منافس حضاري قوي كما سبق في المبحثين، لكن الغرب المتعصب يُحوِّل هذه المنافسة إلى صراع.

والحديث عن منافسة الإسلام هنا ليس على مستوى قوة الكيانات السياسية لدى الدول الغربية في مجالات القوة العسكرية أو الاقتصادية أو التقنية والأبحاث والاكتشافات العلمية والأنظمة الإدارية -التي

(١) يُلاحظ أن الشيوعية ومنظومة دول الاتحاد السوفيتي سابقاً مصارعون قدامى للغرب والرأسمالية، أو هم منافسون قدامى لمنظومة الدول الرأسمالية، فلهذه الاعتبارات جاء تصنيف الإسلام ودول العالم الإسلامي بأنهم (منافسون جدد) بعد سقوط الشيوعية، انظر: محمد السلومي، (ضحايا بريئة للحرب العالمية على الإرهاب)، فصل (المنافسون الجدد).

تفتقدها معظم الحكومات والدول الإسلامية- ولكن الحديث عمَّن يمتلك الفكرة القابلة للانتصار المتمثلة بتشريعات وقيم قوية تمتلك مقومات البقاء وقوة المقاومة والصمود أمام الثقافات الأخرى، مع إمكانية استثمارها يوماً ما، فهل الغرب منافس لحضارة الإسلام! أم مصارع بحضارته المادية؟

في هذا المقام أشار الكاتب الأمريكي باتريك جيه بوكانن إلى قضية مهمة مفادها فقدان الهوية والثقافة في الغرب، وهذه أعراض ظاهرة للموت كما يراها هذا الباحث، حينما قال: «لقد بدأ الملايين يشعرون بأنهم غرباء في أرضهم، إنهم يَصدرون عن ثقافة عامة مشبعة بالجنس الفج وتنفخ في البوق لقيم اللذات، إنهم يرون الأعياد القديمة تختفي ويرون الأبطال القدامى يُحط من أقدارهم، إنهم يَرون فن الماضي المجيد ومشغولاته اليدوية تُزال من متاحفهم ويوضع بدلًا عنها ما يثير الكآبة، والقبيح، والمجرد، والمناوئ لأمريكا، إنهم يشاهدون الكتب التي أحبوها تختفي من المدارس التي درسوا فيها، كي تُستبدل بها مؤلفون وعناوين لم يسمعوا بها من قبل أبداً، والنظام الأخلاقي الذي نُشِّئوا ليعيشوا وفقه قد هُدم، والثقافة التي ترعرعوا معها تموت داخل البلد الذي نشؤوا فيه»[1].

ويختم بوكانن تلك الحقيقة عن الغرب، قائلاً: «والآن وقد ذهبت الإمبراطوريات الغربية كلها، فإن الإنسان الغربي وقد أُعفي من واجبه نحو تمدين البشرية وتنصيرها وهو يستغرق بالرفاهية في عصرنا المتصف بإفراطه بالمتع الشخصية، يبدو أنه قد فقد إرادته

---

(١) انظر: باتريك جيه. بوكانن، موت الغرب، نقله إلى العربية محمد محمود التوبة، الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٦ه (٢٠٠٥م)، ص٢٠.

ليعيش، وقبلت نفسه موته الوشيك، هل نحن في وقت شفق الغروب في الغرب؟ هل موت الغرب لا رجعة عنه؟»[1].

وبوكانن ليس وحده الذي يُنبه إلى خطر الضعف أو الزوال المستقبلي لقوة الغرب، فهناك غيره كثير من عقلاء الغرب ينادون بتصحيح الوضع بكتابات وكتب وأبحاث حملت عناوين صارخة عن احتضار الغرب وسقوط الغرب وانهيار الغرب ونهاية الغرب. ومعظم تلك الكتابات أو الكتب توضح بجلاء أن الغرب يدفع اليوم ثمن الحرية المطلقة خاصة الليبرالية الشخصية، حيث بهذه الحرية انتهت الأسرة، بل إن الحريات الشخصية أضعفت قيم الزواج والإنجاب ودمرت المسؤولية الاجتماعية في الحفاظ على البقاء والنماء والقوة المستقبلية.

فهل هذا الواقع للغرب هو سبب قلقه من المنافس الحضاري؟ حينما أصبح حاملاً لواء الصراع وإذكاء الحروب خوفاً من المنافس!

الصراع بين المبدأ والنتيجة:

ورد في إحدى مجلات كلية الحقوق جامعة جولدن جيت في سان فرانسيسكو بحث بعنوان (المبادئ العامة للقانون) للمحامي الإيطالي غيدو ألبا؛ تعريف المبدأ: «هو القانون أو القاعدة التي يجب أن تكون، أو عادة هي التي ينبغي اتباعها، أو يستحسن اتباعها، أو هو نتيجة حتمية لشيء ما، مثل القوانين التي لوحظت في الطبيعة أو

(١) انظر: المرجع السابق، ص٢٩، ويلاحظ أن بوكانن قد بالغ في بعض تعبيراته عن تخلي الغرب عن التنصير، بينما الغرب بالرغم من علمانيته وتخليه عن قيم الدين إلا أن التعصب للدين ثقافةٌ سيادية لحكوماته لا يمكن التخلي عنها، وهو لم يتخل عن التنصير خاصةً خارج القارة الأمريكية والأوربية، حيث المؤسسات التنصيرية تجوب الساحات الدولية.

الطريقة التي يتم بها بناء نظام معين»[1].

لقد دأب متعصبو الغرب في مواجهتهم للمسلمين على انتهاج الصراع وليس المنافسة -خاصة في عصر الحضارة الغربية المعاصرة-، الصراع الذي يفضي إلى وسائل القضاء على الآخر أو على مقومات نهضته، وانطلقت تصريحات سياسية من قادة ومفكرين ومنظرين غربيين تؤكد أن مرحلةً استراتيجيةً تاريخيةً جديدةً انطلقت بعد سقوط الشيوعية ١٩٩١م، وفُعِّلت بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر٢٠٠١م. وكلها قد تؤكد للقارئ أن المرحلة ليست مرحلةً تدفعها ردود الفعل للأحداث فحسب، بل قد تحكمها مبادئ واستراتيجيات مسبقة الصنع في مصانع التعصب!

ولعلَّ الاستشهاد ببعض تلك التصريحات كافٍ لتصور حجم الاستراتيجية الغربية التي تقوم على مبدأ الصراع مع الآخر، وخاصةً مع الإسلام، ويمكن عرض بعض هذه التصريحات عن هذا الشأن كما يلي:

- ما كتبه مُنظِّر السياسة الأمريكية المستقبلية -كما يوصف- الرئيس الأمريكي ريتشارد نيكسون في كتابه (الفرصة السانحة): «إن الإسلام والغرب متضادان، وإن الإسلام سوف يُصبح قوة جيوبوليتيكية متطرفة، وأنه مع التزايُد السكاني والإمكانات المادية

(١) انظر: غيدو ألبا (Alpa, Guido)، مقال بعنوان: «المبادئ العامة للقانون»:
(General Principles of Law)، Annual Survey of International & Comparative Law: Vol. 1: Iss. 1, Article 2 page 2 (1994). الرابط التالي:
http://digitalcommons.law.ggu.edu/cgi/viewcontent.cgi?article=1001&context=annlsurvey

المتاحة سوف يؤلف المسلمون مخاطر كبيرة، وأنهم يوحدون صفوفهم للقيام بثورة ضد الغرب، وسوف يُضطر الغرب إلى أن يتَّحد مع موسكو ليواجه الخطر العدواني للعالم الإسلامي»[1].

- وما قالته رئيسة وزراء بريطانيا السابقة مارجريت تاتشر عن المسلمين: «وكما كان الحال مع الشيوعية فلا بد من تبني استراتيجية طويلة المدى، ليتسنَّى لنا هزيمتهم»[2].

- وما قاله وزير خارجية بريطانيا الأسبق روبن كوك في محاضرته بمركز الإسماعيلي في لندن بتاريخ ٨ أكتوبر ١٩٩٨م: «إن بعض الناس يقولون: إن الغرب بحاجة إلى عدو، وما دامت الحرب الباردة قد انتهت؛ فإن الإسلام سيأخذ مكان الاتحاد السوفيتي القديم، وسيصبح هو العدو»[3].

- وقد سُئل رئيس المجلس الوزاري الأوروبي السابق جياني ديميكلس في شهر يوليو عام ١٩٩٠م عن دواعي استمرار حلف الناتو بعد زوال الخطر الشيوعي، فأجاب: «صحيح أن المواجهة مع الشيوعية لم تعد قائمة، إلا أن ثمة مواجهة أخرى يمكن أن تحل محلها بين العالم الغربي والعالم الإسلامي»[4].

- وقد أوضح ذلك بجلاء رجل الأعمال الأمريكي مضارب العملات

---

(١) انظر: ريتشارد نيكسون، الفرصة السانحة، ترجمة: أحمد صدقي مراد، طبعة القاهرة، ١٩٩٢م، ص٢٨، ١٣٨، ١٤١، ١٥٢، ١٥٣.

(٢) انظر: صحيفة الشرق الأوسط، بتاريخ ١٤/ ٢/ ٢٠٠٢م.

(٣) انظر: مجلة منبر الإسلام، العدد الصادر في شعبان ١٤١٩هـ (ديسمبر ١٩٩٨م)، ص٥٥-٥٨.

(٤) انظر: مجلة نيوزويك، بتاريخ يوليو ١٩٩٠م.

المشهور جورج سوروس، حيث قال: «إنه بعد سقوط المعسكر الاشتراكي، ونهاية خطر الشيوعية احتاج الغرب إلى عدو جديد، كي يوحد قواه، ويشحذ همته ويسيطر عليه، فوجده في الأصولية الإسلامية في الوطن العربي وفي العالم الإسلامي، بل وفي قلب الغرب والولايات المتحدة الأمريكية، فهي كلية شمولية تمارس العنف، وتتحدى القيم الغربية وتعادي الغرب، وتجند الجماهير، وتقلب النظم السياسية الصديقة للغرب والتابعة له...»[١].

- ويقول صموئيل هتنجتون[٢] ١٩٢٧- ٢٠٠٨م: «العلاقات بين الإسلام والمسيحية سواءً الأرثوذكسية أو الغربية كانت عاصفة غالباً، كلاهما كان الآخر بالنسبة للآخر، صراع القرن العشرين بين الديموقراطية الليبرالية والماركسية اللينينية ليس سوى ظاهرة سطحية وزائلة، إذا ما قُورن بعلاقة الصراع المستمر والعميق بين الإسلام والمسيحية»[٣].
- وما قاله فوكوياما[٤]: «من الضروري تصدي الغرب للإسلام بحزم خوفًا من انتشاره في الغرب، لما له من جاذبية ولما تظهره

(١) انظر: حسن حنفي، الغرب وأزمة البحث عن عدو، الكويت: مجلة العربي، العدد ٥١٨، بتاريخ يناير ٢٠٠٢م، ص١٣٥-١٣٦.

(٢) صموئيل هتنجتون مفكر يهودي باحث أكاديمي يعتبر من أشد المتعصبين ضد الإسلام، عمل أستاذاً للعلوم السياسية في جامعة هارفارد، وعضواً في مجلس الأمن القومي الأمريكي، ومستشاراً في عهد كارتر، توفي سنة ٢٠٠٨م عن أكثر من ثمانين عاماً وهو على رأس العمل!

(٣) انظر: صموئيل هتنجتون، صدام الحضارات وإعادة صنع النظام العالمي، ترجمة طلعت الشايب، ط٢، مكتبة الإبداع، ١٩٩٩م، ص٣٣٨.

(٤) هو أمريكي ياباني الأصل، كان تلميذاً لصموئيل هتنجتون صاحب كتاب: (صدام الحضارات)، لكنه اشتهر قبله بكتابه: (نهاية التاريخ) الذي كتبه بعد إزالة جدار برلين وسقوط الشيوعية.

شريعته من عدل سياسي واجتماعي، وهي قيم تشكل خطرًا على انتشار القيم الديمقراطية، وكذلك تشكل خطرًا على رأسمالية السوق، وكل القيم الحضارية الغربية»[1].

- كما أن إليوت كوهين عضو مجلس السياسة الدفاعية لبوش كتب في مقال نُشر في الوول ستريت جورنال في عمود التحرير: «إن عدو الولايات المتحدة ليس الإرهاب، وإنما الإسلام المحارِب. هذا العدو يعتنق إيديولوجية، ويكفي الإنسان ساعة لتفحص الشبكة العنكبوتية ليجد في الإسلام الأفكار نفسها التي كان وجدها أثناء الحرب العالمية الثانية والثالثة في قراءته كتاب كفاحي لهتلر أو كتابات لينين أو ستالين أو ماو»[2].
- وخاطب الرئيس الأمريكي جورج دبليو بوش ضباط الكلية الحربية عام ٢٠٠٦م قائلاً: «إن مهمتكم الكبرى ستكون محاربة هذا الإسلام الراديكالي حربًا طويلة، حربًا يسوّغها، كونها حربًا ضد إيديولوجية قهرية معادية للحرّية، وكونها ذات مطامع توسعية، وأهداف شموليّة»[3].

هل الصراع استراتيجيةٌ تاريخية؟

هناك تصريحات سياسية من قادة ومفكرين ومنظرين غربيين تضاف إلى ما سبق، وهي تؤكد أن هناك استراتيجية تاريخية لصناعة

---

(١) انظر: السيد أحمد فراج، حوار الحضارات في ظل الهيمنة الأمريكية، دار الوفاء للطباعة والنشر، ٢٠٠٤م، ص٩.

(٢) انظر: صالح الحصين، الحرية الدينية في السعودية، ط١، الرياض: دار غيناء للنشر، ١٤٣٠هـ (٢٠٠٩م)، ص٦٨، نقلاً عن: صحيفة وول ستريت جورنال.

(٣) انظر: جورج دبليو بوش، من خطابه السنوي في كلية الحرب، عام ٢٠٠٦م.

الصراع، فُعِّلت بعد انهيار جدار برلين وسقوط الشيوعية١٩٩١م، وسُرِّعت بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م، وهي كذلك مما يؤكد أن المرحلة ليست ردود فعل للأحداث:

قال ستيفن تشان، أستاذ العلاقات الدولية في كلية الدراسات الشرقية والأفريقية في جامعة لندن: «فالغرب بعد أن انتهى من الشيوعية وانتصر في الحرب الباردة أصبح بحاجة إلى عدو جديد هو: الأصولية الإسلامية. وقد نظَّر صموئيل هنتنجتون لصدام الحضارات قبل حصول ضربة (١١) سبتمبر بزمن طويل وكان مما قال: مقالة هنتنجتون عن صدام الحضارات صدرت عام ١٩٩٣م، وبعد ذلك بسنتين أو ثلاث سنوات صدر الكتاب الذي يعتبر توسيعاً للمقالة، ومعلوم أن هنتنجتون قسَّم العالم إلى ثماني حضارات هي: الحضارة الغربية أي الأوروبية - الأميركية، والحضارة السلافية، الأرثوذكسية أي روسيا وصربيا واليونان، والحضارة الإسلامية، والحضارة الصينية الكونفوشيوسية، والحضارة الإفريقية السوداء، وحضارة أميركا اللاتينية، والحضارة الهندوسية، والحضارة البوذية... إن الحرب سوف تنشب بين هذه الحضارات المختلفة، ولكنها ستكون أكثر ضراوة بين الحضارة الإسلامية من جهة والحضارة الغربية من جهة أخرى»[1].

ويؤكد عالم الاجتماع والسياسة الأمريكي إلفن توفلر في مقالاته وبعض كتبه على أن «الإسلام عدو جديد بعد سقوط الاتحاد السوفيتي»[2].

---

(١) انظر: ستيفن تشان، مقال بعنوان: صراع الحضارات أم حوار الثقافات، الرابط التالي:
http://www.startimes.com/f.aspx?t=7867988

(٢) انظر: عن أقوال توفلر، محمد السلومي، ضحايا بريئة للحرب العالمية على الإرهاب، ص٢٩-٣١.

وتكتمل الصورة الذهنية، ويتعزز التكامل بين التصريحات في الغرب مع واقع السياسات العسكرية للحكومات المتعاقبة في عِداء الإسلام، وكيف أن التصريحات والسياسات الميدانية وجهان لعملة واحدة يكتمل بهما التعصب والعداوة لمعظم ما هو إسلامي، وهذا ظاهر وواضح حينما نرى الكتاب الرسمي عن السيرة الذاتية للملكة الدانماركية مارجريت الثانية وهو الكتاب الذي صدر في أبريل من عام ٢٠٠٥م قد تَضمَّن تصريحاً سيئاً من الملكة عن الإسلام، حيث قالت: «إننا نواجه هذه السنوات تحدياً من الإسلام على المستوى العالمي والمستوى المحلي، ويجب أن نواجه هذا التحدي بجدية، لقد أغفلنا هذه المواجهة لمدة طويلة بسبب تسامحنا وكسلنا... يجب أن نُظهِر معارضتنا للإسلام ولا نخفيها، وأن نتحمل -في بعض الأحيان- خطر وصمنا بعدم التسامح، لأن هناك أشياء يجب أن لا نظهر تجاهها أي تسامح، حينما نكون متسامحين فيجب أن نعرف هل تسامحنا راجع إلى أن يحقق مصلحتنا العملية أم أنه راجع فقط إلى مجرد اقتناعنا بالتسامح»[١].

وفي هذا السياق أصبحت التوعية بالفاشية الإسلامية[٢]، كما

---

(١) انظر: موقع مركز الفكر المعاصر، الرابط التالي:
http://www.iso-tec-demos.com/al-fikr/container.php?fun=nview&id=56.
ولمزيدٍ عن التعصب الغربي، انظر: صالح بن عبد الرحمن الحصين، كتاب (التسامح والعدوانية بين الإسلام والغرب).

(٢) مصطلح الفاشية الإسلامية: كيان أيديولوجي من صنع المحافظين الجدد في واشنطن، شهد مصطلح الفاشية الإسلامية انتشاراً واسعاً سنة ٢٠٠٦م، وذلك بسبب تصريحات الرئيس الأمريكي آنذاك جورج دبليو بوش. انظر: جوزيف كرويتورو، مقال بعنوان: مصطلح (فاشية الإسلام) في الغرب.. خطر واقعي أم هوس تحريضي؟، ترجمة ياسر أبو معيلق، ٢٠١٣م، موقع قنطرة في الرابط التالي: http://goo.gl/TKOSz8

وصفها جورج دبليو بوش جزءاً من برامج التوعية لدى ٢٠٠ جامعة وكلية في الولايات المتحدة الأمريكية[1].

ومما يؤكد أن الصراع مكون نفسي وديني في ثقافة الغرب المتعصب لا يستطيعون الفكاك منه، هو أن استراتيجية كثير من حكوماتهم تعمل بالصراع، بل وتدعمها بهذا كثير من النخب بأطيافها المتعددة، وما حدث من تأييدٍ للحكومة الأمريكية في عدوانها على أفغانستان والعراق من مجموعة من كبار المفكرين والفلاسفة في عام ٢٠٠٢م يؤكد على قيم الصراع المتأصلة في الثقافة الغربية: «أعد معهد القيم بالولايات المتحدة الأمريكية بياناً في فبراير ٢٠٠٢م، وقَّع عليه ستون من كبار المفكرين والفلاسفة والشخصيات... ومنهم فرانسيس فوكاياما وصموئيل هنتنجتون بعنوان: (على أي أساس نقاتل؟) أيدوا فيه حرب أمريكا ضد المسلمين، ووصفوها بأنها الحرب العادلة...

وقد أصدر عدد من علماء ومفكري المملكة العربية السعودية يُقدرون بمئة وسبعة وخمسين عالماً ومفكراً بياناً مضاداً في شهر أبريل ٢٠٠٢م بعنوان: (على أي أساس نتعايش؟) رداً على بيان كبار مفكرين وشخصيات غربية عنوانه كما تقدم: (على أي أساس نقاتل؟) طرحوا فيه فكرة التعايش السلمي بدلاً من إعلان الحرب على أن الحضارات الأخرى لا تخلو من روح الصراع والصدام...»[2].

---

(١) انظر: جريدة القبس الكويتية، بتاريخ ٧/ ١٠/ ١٤٢٨هـ.

(٢) انظر: صحيفة الجزيرة، العدد ١٣٦٩٣، بتاريخ ١٠ ربيع الثاني ١٤٣١هـ الرابط التالي:
http://www.al-jazirah.com/2010/20100326/ar6.htm.

المبادئ والمصالح في العلاقات الدولية:

تختلف الدول فيما بينها في مفهوم المبادئ والقيم، ولكن قد يكون من مفاهيم المبادئ العامة للأمم والحضارات أنها هنا: الحقوق الفطرية للإنسان من حماية عقله ودينه وعرضه وماله ودمه، وإن كان التعبير عن هذه الحقوق في الثقافات الأخرى بتعابير مختلفة، وما يرتبط بذلك من قيم وحقوق إنسانية وعدالة اجتماعية على مستوى الأفراد والمجتمعات والدول عامة.

ولتجنب الصراع والحروب فالمصالح الدولية يجب أن تتفق مع المبادئ والقيم، وإذا لم تُخضَع المصالح للمبادئ والقيم المشتركة بين عموم البشرية فسيكون التصادم بين المصالح والمبادئ، والأخطر من هذا أن تكون المصالح أو المنافع الذاتية هي المبادئ والقيم والعكس كذلك، ولاسيما لدى الدول القوية.

والباحث في هذا الشأن يجد أن الواقع الدولي والعربي والإسلامي باختلافٍ بين الدول يعيش تناقضاً كبيراً بين المبادئ والقيم العامة مع مصالح الدول فيما بينها، بل يجد فجوات كبيرة وشاسعة بين التنظير والواقع، وبين الدين أو الثقافة كمبادئ والواقع كمصالح خاصة، بل بين النظريات والتطبيقات كما هو حال الأمم المتحدة وواقع العلاقات الدولية، والسبب في هذه المفارقات تقديس المصالح الذاتية أو المحلية على حساب المصالح الدولية والسلام الدولي وعلى حساب المبادئ العامة المشتركة بين الشعوب والدول.

إن فَهم مسألة العلاقات الدولية لدى الغرب المتعصب على ضوء واقع تقديم المصالح على المبادئ -إن لم تكن المبادئ هي المصالح-

تكشف عن ماهية القيم التي تحكم علاقات السلام والحرب بين الدول، وتتأكد هذه القضية النظرية من خلال قراءةٍ يسيرةٍ في كتاب يُدرَّس في بعض الجامعات الأمريكية بعنوان: (العلاقات الدولية) للمؤلف البرفسور جوزيف فرانكِل بترجمة غازي القصيبي كمنهج دراسي لدارسي العلاقات الدولية، وفيه ما يُؤصِّل طبيعة العلاقات الدولية وأن المصلحة الوطنية هي التي تحكمها، ولابد من تحقيقها بالقوة سِلماً أو حرباً، وبهذا فليس للقيم والمبادئ الأخلاقية دورٌ رئيس في العلاقات الدولية، كما قال فرانكِل: «المصلحة الوطنية هي المفتاح الأساسي في السياسة الخارجية»[1].

وعن هذا كتب المفكر النمساوي محمد أسد عن دور المصالح الغربية في تمزيق العالم واضطراباته، قائلاً: «اعتادت أوروبا أزماناً طويلة التعامل مع كل ما يحدث في الشرق الأوسط بفجاجة دون اكتراث، مع مراعاةٍ لمصالحها فقط، بينما أبدى الرأي العام الغربي خارج بريطانيا تعاطفاً تجاه الكفاح الإيرلندي للاستقلال عن بريطانيا، كما تعاطف الرأي العام الغربي (خارج ألمانيا وروسيا) مع أحلام بولندا في الاستقلال، إلا أن ذلك التعاطف الغربي لم يمتد ليشمل تطلعات المجتمعات الإسلامية. وحجة الغرب دائماً تنحصر في التمزق السياسي العربي، والتخلف الاقتصادي للشرق الأوسط... وكان دارسو الشرق الأوسط على استعداد دائم لبلع ذلك الطعم من الادعاءات، متجاهلين أن كل تدخل مباشر أو غير مباشر من خارج البلاد لا يؤدي إلا إلى إعاقة تطور أي مجتمع إسلامي ونموه بعكس

---

(١) انظر: جوزيف فرانكِل، العلاقات الدولية، ترجمة غازي عبد الرحمن القصيبي، ط٢، جدة: مطبوعات تهامة، ١٤٠٤هـ (١٩٨٤م)، ص٥٢.

ما يدَّعون»[1].

وتتأكد هذه الحقيقة عملياً عمّا يحكم العلاقة لدى الغرب، وأنها القوة من خلال سباق التسلح التدميري وغيره، وعن ذلك كأنموذج كتب صالح الحصين عن مثال واقعي لتلك القوة واستخدامها، فقال: «إن دولة واحدة تستعد بثمانية آلاف رأس نووي جاهزة للإطلاق تبلغ قوتها التدميرية مجتمعة مئة وستين ألف ضعف قوة التدمير لقنبلة نجاساكي، وَعِظَم الخطر أن نقرأ تقريراً لأحد وزراء الحرب في تلك الدولة يلخص سياسة بلاده بقوله: إن سياستنا النووية غير أخلاقية وغير قانونية وغير ضرورية من الناحية العسكرية، وخَطِرة على البشرية بصورة مرعبة.

ويُقر هذا الوزير أن قرار إطلاق القوة النووية المدمرة بيد رجل واحد، يمكن أن يتخذه خلال خمس عشرة دقيقة»[2].

ويقول الحصين في كتاب آخر عن افتعال الصراع من الغرب كأنموذج عن طبيعة العلاقة الدولية الغربية بغيرها من دول العالم: «على إثر تفكك الاتحاد السوفيتي وانتصار العالم الغربي، وعَى الناسُ جميعًا تصريح الأمين العام لحلف الأطلسي، بأنه بعد انهيار الشيوعية أصبح العدو الظاهر للغرب هو الإسلام، وكشفت تصريحات لمسؤولين في قسم الاستخبارات في حلف الأطلسي أنّ افتراض عداوة

---

(١) انظر: محمد أسد، الطريق إلى مكة، ص١٦٥، ١٦٤.

(٢) انظر: صالح الحصين، العلاقات الدولية بين منهج الإسلام ومنهج الحضارة المعاصرة، ص٧، نقلاً عن: روبرت ماكنمارا، واقتربت الساعة، مجلة فورن بولسي، مايو- يونيو ٢٠٠٥م، Robert Mcnamara "Apocalypse Soon" Magazine may - June 2005.

الإسلام كانت دائماً عُنصراً غير غائب في استراتيجية الحلف»[1].

ويقول الحصين في مقاله (تجربتي في الحوار مع الآخر) عن طبيعة صراع متعصبي الغرب مع الإسلام: «ليس لدينا لبس في أننا في حالة حرب أيديولوجية موجهة من قبل الغرب، حرب أيديولوجية معلنة مكشوفة ضد الإسلام، وضد المملكة [السعودية] بخاصة، بحكم صلتها المميزة بالإسلام»[2].

وهذه الاستنتاجات وما شابهها من أقوال غيض من فيض لشرائح متعددة ومتنوعة من مفكرين وسياسيين -كما سيأتي-، وهي تعكس مفاهيم التعصب والتصنيف والكراهية لدى الغرب المتعصب وما يمكن تسميته (مفاهيم الولاء والعداء) بسياسة غربية مشهودة بسلوكها العدواني.

الإعلام (سلاح المشاة):

يُعدُّ الإعلام من القوة التي تصنع الحروب بين الدول وتُجْهز على السلام الدولي، فالتقنية الإعلامية الفعالة قادرةٌ بقوتها على قلب الحقائق أو تزييف الوقائع بما تمتلكه الآلة الإعلامية من السبق في خطاب المتلقي، حيث القابلية الذهنية الإسفنجية للامتصاص لدى المتلقي واستعداده لتصديق المعلومات، وقد وصف ذلك صالح الحصين، وأورد مثالاً على تلك القوة الإعلامية بأنها تُمهد للقوة العسكرية والصراع إن لم تصنعها.

---

(١) انظر: محمد السلومي، تقديم صالح الحصين، في كتاب القطاع الخيري ودعاوى الارهاب، ص٦.

(٢) انظر: صالح الحصين، مقال بعنوان: تجربتي في الحوار مع الآخر، في مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني، الرابط التالي: http://rowaq.org/?p=212

فيقول: «في اليوم الأول لحادث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م شُحنت ذهنية المتلقي بالإيحاءات بأن مسلمين -ولا غيرهم- وراء تدبير وتنفيذ العملية المرعبة. وفي اليوم التالي غُطِّيت شاشات التلفاز في الولايات المتحدة الأمريكية بصور الأخوين بخاري الطيارين السعوديين مع التأكيد بأنهما قادا طائرتين من طائرات الهجوم على مركز التجارة العالمي، ومبنى البنتاجون، ثم تبع ذلك الأخبار عن توصل الأجهزة الأمنية للتعرف على هويات تسعة عشر شخصاً المشاركين في تنفيذ العملية، وملأت صورهم وأسماؤهم الصحف، وشاشات التلفاز، وحوائط المطارات المحلية والعالمية مع طلب المعلومات ممن يعرف أي شيء عن أيٍّ منهم، وأكد الإعلام توصل الأجهزة الأمنية لمعرفة جنسيات أحد عشر شخصاً من هؤلاء بأنهم سعوديون.

وقد انكشف خلال الأيام القليلة التالية أن أحد الأخوين بخاري توفي قبل سنة، وأن الآخر لا يزال حياً يُرزق، كما انكشف أن ثمانية من الأحد عشر سعودياً الذين عرفت الأجهزة الأمنية هوياتهم بأنهم ضمن الانتحاريين لا يزالون أحياء يتمتعون بحياتهم خارج الولايات المتحدة الأمريكية، أما الانتحاري التاسع الذي وجد جواز سفره سليماً فلا تزال كيفية وصول هذا الجواز إلى الإدارة الأمريكية لغزاً لم يحل.

وحتى بعد انكشاف هذه الحقائق بمدة طويلة ظلت صور الأحياء وأسماؤهم تزين حوائط المباني العامة والمطارات الدولية.

على أن الأمر الذي يحمل أكثر من دلالة أن الإعلام الأمريكي وغير الأمريكي - على خلاف العادة بالاهتمام باقتناص الخبر المثير،

وليس أكثر إثارة من ظهور المتحرين أحياء- لم يهتم بهذه المعلومات الحقيقية المثيرة، بل تم تجاهلها إلى حدٍ كبير ونتيجة تغييب هذه المعلومات المثيرة في الإعلام فإن قليلاً من الناس عرفوها.

ولكن هل كان نشر المعلومات الزائفة وحفاوة الإعلام بها نتيجة لخطأ غير مقصود وقع صدفة؟ وهل تتكرر الصدفة عشر مرات؟ وإن كان مقصوداً، فهل كان الهدف منه إحداث صدمة نفسية للمملكة العربية السعودية تخلق عندها الشعور بالذنب والاستعداد للتكفير عنه؟ أم أن الهدف استعادة الشعب الأمريكي ثقته بأجهزته الأمنية، بقدرتها على التعامل مع مثل هذا الحدث؟ أم أن الهدف إقناع الشعب بحكمة القرارات التي ستتخذها حكومته فيما عُرِفَ بالحرب ضد الإرهاب؟ مهما كانت الإجابة فهي توضح مدى اعتبار الإعلام عنصراً مهماً من عناصر القوة»[١].

ويؤكد هذه الحقيقة عن واقع الإعلام الغربي وازدواجية معاييره، ما نبه إليه المفكر الألماني مراد هوفمان بقوله: «يكيل الغرب بمكيالين، وهذا ظاهر للعيان، لنأخذ الإعلام الغربي كمثال، إذا هاجم إرهابي -من خارج العالم الإسلامي- هدفاً جاءت التقارير مقاتل أو محارب من الـ (IRA)، أو (ETA)، أو غير ذلك قام [بـعملية]، ولن نسمع مطلقاً (متعصب كاثوليكي) أو (متعصب اشتراكي)... عندما ننسب أفعال صدام حسين للإسلام، فلماذا لا ننسب جرائم ستالين في الاتحاد السوفيتي لأنه مسيحي أرثوذكسي، أو جرائم هتلر لأنه

---

(١) انظر: صالح الحصين، العلاقات الدولية بين منهج الإسلام ومنهج الحضارة المعاصرة، ص٢٣-٢٤.

مسيحي كاثوليكي!»[1].

أليست الأقوال السابقة تكشف عن قلب الحقائق في الإعلام؟ ذلك أو بعضه كافٍ لمعرفة حجم استراتيجية الصراع بجنود المشاة وما يرتبط بذلك من صناعة المؤامرات والكيد العالمي!

هل الواقع الدولي يُعزِّز المبادئ الغربية في الصراع؟

أصبح واقع السياسات العسكرية والحروب القائمة في ساحات دول العالم الإسلامي مما يؤكد أن أسباب الصراع والحروب مبادئ واستراتيجيات غربية، وهو ما يستوجب الدراسات العميقة لهذه السياسات الغربية المصطبغة بالعدوانية، مع أهمية المعالجة الواعية لما يمكن تسميته مناخ القابلية للمؤامرة لدى الطرف الإسلامي والوقوع في فخ الصراع.

يقول صالح الحصين عن صناعة الصراع في أرض الواقع والميدان كمثال: «أما في حرب القرن الحالي فلم يكن هناك تكافؤ بين قوى التحالف الدولي وأفغانستان، أو قوى التحالف الدولي والعراق، وما كان لأي من الدول المشاركة في التحالف الدولي في الحالين أن تفكر أن أفغانستان أو العراق يمثلان تهديداً لها، هل يمكن أن تهدد أفغانستان النرويج أو العراق [تهدد] أستراليا؟»[2].

وعن بعض هذا الواقع الدولي المُعاصر للتعصب الغربي كتبت الكاتبة الأمريكية سوزان سونتاغ: «إن وزراء الثقافة في المجموعة

(١) انظر: مراد هوفمان، الإسلام عام ٢٠٠٠م، ص ٥٥ - ٥٧.

(٢) انظر: صالح الحصين، العلاقات الدولية بين منهج الإسلام ومنهج الحضارة المعاصرة، ص٨.

الأوروبية يتسترون على أكبر جريمة قتل جماعي في تاريخ أوروبا تقع تحت سمع وبصر الجميع، إن أجهزة التلفزيون تنقل كل ما يحدث في سراييفو لحظة بلحظة، ومع ذلك لم يتحرك أحد لمنع هذه الجريمة التي تقع في قلب أوروبا»[1].

وفي عصر المتاجرة بحقوق الإنسان وحقوق الأقليات وحقوق المرأة تردُ مئات بل آلاف الدلائل والشهادات لتُثبت للعالم تجذّر الكراهية الغربية والإرهاب الأعمى ونزعة استبداد الأقوياء وهيمنتهم، وحسب القراءات التاريخية المتعددة أن هذا من انعكاسات الثقافة الغربية ونسيجها التكويني، ففي وقائع التاريخ وشواهده ما يكفي، فهو لا يكذب ولا يداهن!

وكتب المفكر الألماني مراد هوفمان عن هذا الموضوع حينما كشف عن سمة الصراع في العقلية الغربية، فقال: «أوَلم يتضح بالدليل القاطع والبرهان البين؛ أن القرن العشرين المنصرم، كان أكثر القرون دموية في تاريخ البشرية، بكل ما شهده من حروب عالمية مدمرة وانتشار الأسلحة القادرة على إبادة الملايين من البشر، ومعسكرات الإبادة وعمليات التطهير العرقي وغيرها من مآسي البشرية؟ وكل هذا يشهده العالم بعد مرور ٢٥٠ عامًا على بداية عصر التنوير ومشروع الحداثة! وتأتي هذه الأعمال الوحشية المهينة للبشرية من أوروبا المتحضرة مع الزهو والفخر بعقلانيتها وإنسانيتها»[2].

وأختم هذا المبحث بشهادة أندرو ماكفاي أحد الجنود الذين

---

(١) انظر: صحيفة الحياة، بتاريخ ١٤/ ١١/ ١٩٩٣م.

(٢) لقد شهد القرن العشرون سقوط أكثر من ثلاثين مليون قتيل من الشباب، انظر: مراد هوفمان، الإسلام في الألفية الثالثة ديانةٌ في صعود، ص١٢.

شاركوا في القوات الأميركية في حرب العراق الذي قال: «لقد كنا نقتل كل من يصادفنا في الطريق حتى النساء والأطفال. كنا نحرق جلودهم بقنابل النابالم ونطلق عليهم الصواريخ والغازات السامة. كل ذلك من أجل مضاعفة الأرباح الخيالية سواء في مجال البترول أو المقاولات أو السلاح»[١].

إن الخوف الغربي الآن يكاد ينحصر على الخوف من الإسلام وأتباعه المسلمين، وقد انعكست هذه الفوبيا من الإسلام بتغذية التعصب، وإثارة الكراهية، وتجاهل بعض حقوق المسلمين في الغرب وغيره، بل لإضعاف العالم الإسلامي وتهميش دوره العالمي.

ويتأكد هذا الخوف من الإسلام بزيادة وتيرة الإعلان عنه من دول ومؤسسات غربية، فقد كشف المدير التنفيذي لمجلس العلاقات الأميركية الإسلامية (كير) نهاد عوض: «عن وجود ٣٦ مؤسسة أميركية تقف خلف شبكة كبيرة تدير حملة (الإسلام فوبيا)، لافتاً إلى إنفاق نحو ١١٩ مليون دولار، خلال أربعة أعوام منذ عام ٢٠٠٨م، لمحاربة الإسلام والمسلمين في أميركا، الذين قُدّر عددهم بنحو سبعة ملايين مسلم، ولافتاً إلى أن هذه الشبكة المؤدلجة ضد الإسلام والمسلمين، حاولت تقديم ٨٠ قراراً ومشروعاً في مختلف الولايات الأميركية والمجالس النيابية لتحريم الممارسات الإسلامية... ومضيفاً أن الجمعيات اليهودية التي تراعي مصالح إسرائيل في أميركا تقف بقوة خلف شبكة (الإسلام فوبيا)، التي سعت إلى تدريب الموظفين

---

(١) انظر: ريم آل عاطف، مقال بعنوان: صدق توماس شيتوم! وكذب عبد الرحمن الراشد، الرابط التالي: http://www.alarab.qa/story/302506

الأميركيين في الإدارة الحكومية على كيفية التعامل مع المسلمين[1]».

وبغض النظر عن كون هذا القلق الغربي يعكس النفسية الغربية المتصفة بالعدائية، ولاسيما أن ما سبق من أقوال وتصريحات صدرت من معظم الطوائف والأطياف الغربية المتعصبة، إلا أنه مما يُعدُّ من مؤشرات عدم الثقة الفكرية الدينية، والمهم في هذا الواقع أنه يُعبِّر عن حالة متطورة من نمو التعصب الديني والسياسي الغربي الصليبي أمام الثقافة الإسلامية وأنه آخذ في الازدياد، مما يؤكد صناعة الصراع.

ومع ما سبق، ففي هذه الأقوال ما يستدعي الباحث على العمل بالمزيد من البحث العلمي الذي يقود إلى القراءة المتكاملة، وبالتالي الرؤية الواضحة في بقية مباحث هذا الكتاب.

الصناعات المباشرة وغير المباشرة للصراع:

تتمتع دول الغرب باستقرار سياسي كبير نظراً لما مرت به عبر تاريخها الطويل المملوء بحروب الدمار والدماء، ولاشك أنها استفادت من الوضع السابق في حروبها الداخلية الدموية في تصحيح مسيرتها السياسية والإنسانية.

وبالرغم من تحقيق كثيرٍ من حقوق الإنسان الغربي ونجاح العدالة إلى حدٍ كبير في القيم الَغربية المُعاصرة داخل المنظومة الغربية، إلا أن هذه العدالة وحقوق الإنسان تختفي إلى حدٍ كبير في التعاطي مع واقع العالم العربي والإسلامي، ولاسيما ما يحدث في فلسطين وغزة تحديداً، والعراق وسوريا وغيرها، وهي أحداث أسقطت إلى

---

(١) انظر: صحيفة الحياة، بتاريخ ١٠ أكتوبر ٢٠١٥م، الرابط التالي:
http://goo.gl/G7MolS.

حدٍ كبير قيم الشرعية الدولية، وشككت بأهداف الأمم المتحدة ومصداقية مواثيقها ومنظماتها، بل ومجلس الأمن، ولاسيما حينما لم يكن التدخل الإيجابي لصالح الإنسانية، بل إن العالم شهد التدخل السلبي في القرارات الدولية للحيلولة دون تحقيق العدالة وحقوق الإنسان المسلم.

وفي المقابل وبعد مرحلة الاحتلال الغربي للعالم العربي والإسلامي بعد إسقاط الخلافة العثمانية، فقد عمل الغرب المتعصب بمبدأ الوصاية على كثيرٍ من الحكومات الإسلامية التي خَلَفَتهُ، ومن مآلات ذلك غياب السيادة والاستقلال الحقيقي إضافةً إلى تغييب تطبيق الشريعة الإسلامية في دول العالم الإسلامي، وقبل ذلك عمل المحتل على زرع مشكلات عميقة داخل معظم دول العالم العربي والإسلامي التي كان يحتلها، مثل مشكلات تداخل الحدود فيما بين بعض الدول مما يُعدُّ قنابل موقوتة للصراع حتى بين الأشقاء من دول الخليج العربي كمثال، واستجلاب عناصر بشرية أجنبية اللغة والدين وتوطينها في دول العالم الإسلامي المُحتلة، كما حدث في توطين الصينيين والهنود في ماليزيا وإندونيسيا وغيرها، إضافةً إلى أن دعم الغرب لكثيرٍ من الدكتاتوريات في العالم العربي والإسلامي وَفَّر لها الكثير من الحَماية تحت مسمى العلاقات الدبلوماسية والدولية، وما سبق أصبح بعضه أو معظمه من بواعث الاحتقان وأسباب ثورات الشعوب على حكوماتها، وبالتالي الفوضى السياسية والأمنية التي لا زال العالم العربي والإسلامي يعيشها حتى مُستهل عام ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م، والواقع السياسي العربي مُرشحٌ لأكثر من ذلك في الصراع الداخلي وفيما بين دول المنطقة.

وعن هذا أَكَّد محمد أسد النمساوي مُشخصاً عن الغرب وأنه أصل الصراع والحروب في العالم الإسلامي تحديداً، قائلاً: «لم يمر قطّ في أذهانهم [دارسي الشرق الأوسط] أن أكثر العلل والآفات الاجتماعية والاقتصادية التي يعانيها الشرق الأوسط ليست إلا نتيجة مباشرة (للمصالح) الغربية، وعدا ذلك يهدف التدخل الغربي بشكل أو بآخر إلى توسيع نطاق بؤر الاضطرابات الداخلية وزيادتها لتصعيب سيطرة الشعوب المعنية على معتقداتها»[1].

ومن صناعة الصراع في العالم العربي والإسلامي توفير غطاء الحماية السياسية والعسكرية الغربية للكيان المحتل لفلسطين، واللعب المنظم بحقوق الأقليات في كثيرٍ من دول العالم الإسلامي كوسيلة حديثة للمناورات والابتزاز السياسي وصناعة الطائفية والصراع، كتب هشام ناظر عن صناعة الصراع من خلال ورقة الأقليات فقال: «وفي مناخ من الاضطرابات المتزايدة الناتجة عن عدم الرضا السياسي والاقتصادي فإن وجود أكثر من ثلاثة آلاف مجموعة إثنية حول العالم سوف يمهد بشكل انتقائي لمبررات دائمة للتدخل بحجة حماية حقوق الفرد»[2]، ويقول: «فهناك حَمَلَة حقوق الإنسان التي تستهدف تجاوز السيادة لحماية الحرية الفردية، وتوفير الاحترام لحقوق الفرد، وتحقيق الذات. والأكثر غرابة هي أن أكثر حَمَلَة راية حقوق الإنسان والفرد يعملون على سياسة تستهدف جعل السيادة سهلة الاختراق، بحجة

(١) انظر: محمد أسد، الطريق إلى مكة، ص١٦٥.

(٢) انظر: هشام ناظر، القوة من النوع الثالث، ترجمة خالد محمد باطرفي، ط١، جدة: دار العلم، ١٤٢٣هـ (٢٠٠٢م)، ص١٢٠.

أن العالم يحتاج إلى الغرب للقيام بدور سلطات القيم الكونية»[1]!

هذا الواقع بطرفيه الغربي والعربي صنع مناخاً جديداً خطيراً على الطرفين، حيث غياب العدالة الحقيقية لحقوق الإنسان المسلم، وغياب تطبيق الشريعة الإسلامية بعدالتها داخل المجتمعات الإسلامية، وحيث غيبة الجهاد الحقيقي بعدم تبنيه من الدول الإسلامية، بالرغم من أنه جهاد دفع ومقاومة فقط، بل وتشويهه من خلال الضغوط السياسية والحملات الإعلامية الدعائية، وأحياناً كثيرة إسقاط الثقة به باختراقات للمجموعات الجهادية التي أصبح بعضها يزخر بالمخلصين والمجرمين في آنٍ واحد.

والمقام هنا ليس دراسةً لهذه المجموعات الجهادية بتصويبها أو تخطئتها بقدر ما هو محاولةٌ في إيضاح حجم التوظيف لواقع صنعه المتعصبون من الغربيين أو صنعوا ظروفه ومناخه لاستثماره في الوقت المناسب! ومن ذلك على سبيل المثال -وليس الحصر- ما يُثار عن الدولة الإسلامية في العراق والشام المسماة (داعش) والأدوار المشبوهة أو المثيرة للجدل حولها! حيث يُشكِّل هذا التنظيم وبريقه مصيدةً لشباب أهل السُّنة لحرقهم، إضافةً إلى ما يترتب على ذلك من دعم مباشر أو غير مباشر لخطط الغرب وإيران في المنطقة، ومن المهم إدراك عواقب تضخيم الغرب لدور داعش وما يُماثلها في المنطقة مما يصرف النظر عن الخطر الصهيوني المغتصِب والإيراني المعتدي، وهما الخطر الحقيقي على الأمن والسلام في المنطقة.

---

(١) انظر: المرجع السابق، ص١٤٤.

«السؤال الذي يطرح نفسه بإصرار هو: كيف تمكنت داعش من أن تصبح بهذه القوة فجأةً؟ وبحيث أن أحد الجنرالات الأمريكيين قال: إن التحالف يحتاج ٤-٥ سنوات للقضاء عليها؟ بينما لم تستغرق هزيمة الجيش العراقي القوي التسليح والتدريب أكثر من أسبوعين!»[١].

والسؤال الذي يطرح نفسه مرةً أخرى، هل الولايات المتحدة الأمريكية صادقةٌ في القضاء على ما تُسميه الإرهاب؟ أم أنها تعمل بطرقٍ متعددة ومتنوعة غير مباشرة على تنميته وتغذيته لتحقيق أجندات سريةٍ وعلنية! وتكشف بعض استطلاعات الرأي مدى مصداقية الغرب عن القضاء على ما عُرِفَ بالإرهاب: «كشف استطلاع صادر عن (CNN/ORC) أن نحو ثلاثة أرباع الأمريكيين غير راضين عن الطريقة التي تمضي فيها الحرب على الإرهاب، في حين أظهرت الأرقام أن المزيد من الأمريكيين يعتقدون أن الإرهاب ينتصر وبصورة أكبر من أي وقت مضى منذ هجمات الـ١١ من سبتمبر ٢٠٠١م.

وفصَّل الاستطلاع أن أغلبية الجمهوريين وبنسبة ٥٥ ٪ قالوا: إنهم يعتقدون أن الإرهابيين يفوزون، في حين أن أغلبية الديمقراطيين وبنسبة ٥٢ ٪ يشعرون أن كلا الطرفين غير منتصر!

وأوضح استطلاع آخر للرأي أنجزته قناة (سي بي إس نيوز)

---

(١) انظر: إيناس عمر، مقال بعنوان: رواية بوابة العقرب - ودور إيران في مشروع الشرق الأوسط الجديد، إسلام ديلي، الرابط التالي:
http://www.islamdaily.org/ar/democracy/11990.article.htm

وصحيفة (نيويورك تايمز)، أن غالبية الأمريكيين (٧٩٪) يعتقدون أن التهديد الإرهابي قد تنامى بعد حادث إطلاق النار بمدينة سان برناردينو بكاليفورنيا بتاريخ ٣ ديسمبر ٢٠١٥م»[١].

ويضاف إلى ما سبق من حقائق عن صناعة الغرب المتعصب للصراع المباشر في العالم الإسلامي ما فضحت به عميدة مراسلي البيت الأبيض هيلين توماس (Helen Thomas) التي تولَّت رئاسة نادي الصحافة الأمريكي القومي، والتي كذلك عاصرت أهم رؤساء أمريكا وغطَّت أنشطتهم السياسية، وتُعدُّ تصريحاتها ذات أهمية، لأنها من الداخل الأمريكي للإدارة الأمريكية، وفي الوقت ذاته فهي التي أعلنت رفضها لعبارة جورج بوش الابن في غزوه للعراق بعبارته الشهيرة: «إنه يحارب في العراق من أجل الله والصليب!»، وقالت معلِّقة على هذه العبارة: «بل إنها حرب الشيطان وليست حرب الله»! ومن أقوالها الأخيرة قبل موتها: «إنني أرى أن بريطانيا سوف تستحضر روح وزيرها البريطاني (مارك سايكس)، وفرنسا سوف تستحضر روح وزيرها الفرنسي كذلك (فرانسوا بيكو)، وواشنطن تمهد خلال أفكارهما الأرض لتقسيم الدول العربية بين الدول الثلاث، ومن ثم تأتي روسيا لتحصل على ما تبقى من الثلاث، صدقوني إنهم يكذبون عليكم ويقولون: إنهم يحاربون الإرهاب نيابة عن العالم، وهم صُنَّاع هذا الإرهاب، والإعلام يُسوِّق أكاذيبهم، لأن

---

(١) انظر عن الخبر الأول موقع CNN على الرابط التالي:

http://arabic.cnn.com/world/2015/12/28/pol-american-terrorists-war

وعن الخبر الثاني على الرابط التالي:

http://www.htari24.com/categorie/hors-limites/article/7547-23-01-11-28-12-15 .

من يمتلكه هم يهود إسرائيل»[1].

وهذا المبحث بعناوينه ومحتوياته أوضح بجلاء من خلال الأقوال والتصريحات والممارسات السياسية والعسكرية أن الصراع لدى الغرب مكونٌ من مكونات الشخصية الغربية لأسباب دينية وتاريخية وسياسية، بل إن الغرب يصنع الفزاعات الواحدة تلو الأخرى ليُبرر تدخلاته في شؤون العالم الإسلامي لمصالحه، كما هو التعاطي مع ما يُسمى القاعدة ثم داعش ثم السلفية، وكذلك مصطلح الإسلام السياسي وهكذا، فكلما انكشفت واحدةٌ وانتهت صلاحيتها اُستبدلت بها نسخة أخرى مُعدَّلة من الفزاعات الغربية الجاهزة للتصدير.

فهل يعني ذلك أن العالم أصبح يعيش إرهاباً دولياً بغيضاً أكثر ضد ما يُسمَّى الإرهاب؟ لتبقى حالات الصراع والحروب قائمة ومستمرة!

---

(١) انظر: أقوال هيلين توماس، المقال الأصلي باللغة الإنجليزية، والعربية بعنوان: الغرب يعيش على غباء العالم الثالث والدول الفقيرة، بتاريخ ١٠ أغسطس ٢٠١٦، الرابط التالي: http://bit.ly/2bouTRP.

المبحث الرابع

الحقيقة الحاضرة!

«إن الإسلام موجود منذ ١٤٠٠ سنة، أي قبل ٩٠٠ عام من اكتشاف أمريكا! وهذا يعني أنه لم يُصَمَّمْ لمعاداة الولايات المتحدة»

«جَهْلُ الأمريكيين بالإسلام مفيدٌ جدًا لتركيبة حكومة الولايات المتحدة التي تعتمد على تأييد شعبي أعمى لتنفيذ سياساتها».

(جاري لوب - الإسلام التمهيدي)

استكمالاً للحديث عمّا يؤكد استراتيجية الصراع عند متعصبي الغرب من رجال السياسة والدين، وأنها صفة حاضرة بمشاهد سياسية واقعية. فكثيرٌ من صيحات ونداءات بعض عقلاء الغرب تنادي بعدم تجاهل الإسلام ودوره الحضاري في ميادين القيم والسلام في العصر الحاضر، وبأن المسلمين -رغم واقعهم المتخلف في كثير من الميادين- يُشكِّلون رقماً مهماً في المعادلات الدولية المعاصرة من حيث حجمهم ومواردهم الاقتصادية وفاعلية دينهم وثقافتهم في الساحات الدولية، وتتأكد هذه الأهمية بمنافسة الإسلام وأهله في ظل العولمة وما يصحبها من تطورات علمية وتقنية وإعلامية، والتي قلَّصت الحدود السياسية بين الشعوب المسلمة، وقاربت بين شعوب الأرض عامة حينما أصبحت العولمة بوابة جديدة للشراكات الحضارية، وفرصة قوية في زيادة ميادين عناصر المنافسة بين الإسلام والغرب، مما يؤدي إلى البقاء للصالح من القيم، فهذه التطورات أصبحت تخدم المنافس الإسلامي مثلما تخدم الصانع لها، وبالتالي زيادة عناصر المنافسة، مما قد يؤدي إلى زيادة حدة التوتر عند متعصبي الغرب ويذكي الصراع الغربي مع الإسلام، أو من ينتمي إليه.

ومما يُعزِّز ما سبق أن بعض التقارير أو الصيحات والنداءات الغربية العادلة أصبحت تكشف التميز ضد المسلمين والعداوة لدينهم. وتلك التصريحات من عقلائهم تُسهم في فضح السياسات العدوانية لمتعصبي الغرب.

تقارير وتصريحات عن الصراع الغربي:

التقارير والنداءات وصيحات العقلاء المنصفة من الغرب تكشف

المزيد من صناعة الكراهية والصراعات والحروب، ومن ذلك ما يلي:

تقرير جمعية هلسنكي لحقوق الإنسان الصادر في عام ٢٠٠٥م، الذي ناقش التميز العنصري والتعصب ضد المسلمين في بعض الدول الأوروبية، ومنها المملكة المتحدة وفرنسا وألمانيا وإيطاليا والدانمرك وبلجيكا من دول الاتحاد الأوروبي، وقد تضمن أمثلة معبرة للتعصب والتمييز العنصري ضد المسلمين فذكر: «أن المسلمين يواجهون في الدول التي شملها التقرير في أغلب الأحيان التمييز العنصري في مجالات مثل التوظيف والإسكان والدخول إلى المرافق العامة، وأن المركز الأوروبي لمراقبة التمييز العنصري وفوبيا الأجانب وجد الدليل الواضح على أن الأساس الديني حاضر في حالات التمييز العنصري ضد المسلمين في أوروبا»[1].

ومما يكشف سياسة العنصرية في الغرب وسلوك الحكومات المتعصبة بوضوح أكبر تعبير الأكاديمي الأمريكي، أستاذ التاريخ في جامعة تافت ومنسق برنامج الدراسات الآسيوية في الجامعة جاري لوب وهو مسيحي درس الإسلام بتعمق، حيث قال: «إن الإسلام موجود منذ ١٤٠٠ سنة، أي قبل ٩٠٠ عام من اكتشاف أمريكا! وهذا يعني أنه لم يُصَمَّمْ لمعاداة الولايات المتحدة»، «جَهْلُ الأمريكيين بالإسلام مفيدٌ جدًا لتركيبة حكومة الولايات المتحدة التي تعتمد على تأييد شعبي أعمى لتنفيذ سياساتها»[2].

---

(١) انظر: صالح الحصين، التسامح والعدوانية بين الإسلام والغرب، ط١، الرياض: مؤسسة الوقف، ١٤٢٩هـ ص١٥٨.

(٢) انظر: جاري لوب، مقال بعنوان: الإسلام التمهيدي، بتاريخ ٢٣ يوليو ٢٠٠٢م، الرابط التالي:
http://www.counterpunch.org/2002/07/23/an-islam-primer/

ويضاف إلى ما سبق من أقوال «موضوعية» ما كتبه إيكيهارد شولتس أستاذ الدراسات العربية -جامعة لايبتزج- في ألمانيا عن الصراع وأنه من طرف واحد، بل صراع لأجل قيم غير صالحة لعولمتها أو تطبيعها عند الأمم الأخرى، حيث قال: «إنه سرعان ما يتضح للقارئ الحصيف أن كتاب هنتنجتون وما يحتويه -إن صرفنا النظر عن عنوانه- لا يتعدى كونه دراسة تحليلية.لثمانية أجزاء مختلفة من العالم سياسيًا واقتصاديًا وعسكريًا، ولم يتطرق هنتنجتون فيه إلى جوهر الحضارة ولا حتى بالقدر الذي يوحي به عنوان الكتاب صراع الحضارات. فإذا كان الكاتب جادًا فعلاً في تحليل صراع الحضارات فإن عليه أولاً أن يبدأ بتحليل حضارته، أو تلك الثقافة التي ينتمي إليها ويدعو لقيمها، غير أننا لا نُنكر على هنتنجتون نجاحه في إصدار هذا الكتاب؛ حيث إن نجاحه لا يعود إلى مضمون الكتاب بل إلى الترويج لفكرة أسماها صراع الحضارات التي أصبحت حديث المقاهي، إن أطراف أي صراع حقيقي لا بد أن تكون متكافئة، ليس حضاريًا فحسب بل أيضاً اقتصاديًا وعسكريًا، وأن تكون الرغبة في التصارع متبادلة وتمثل إرادة الطرفين. وانطلاقاً من هذا ربما نتفق مع هنتنجتون في أن هناك فعلاً صراعاً حضارياً، غير أن هذا الصراع ينطلق من طرف واحد وهو الحضارة الغربية التي تسعى لفرض نفسها بصفتها الحضارة البديلة أو المختارة أو الأرقى التي ينبغي فرضها على الشعوب الأخرى، ومن هنا يحق للعالم الإسلامي أن يسأل تحديداً عن نوع أو نمط الحضارة التي يريد الغرب فرضها عليه، هل هي حضارة حقوق الإنسان والتجارة المتكافئة والتبادل الحضاري واحترام سيادة الدول؟ أم حضارة اجتياح السلع الاستهلاكية الغربية

للأسواق ودعم النظم المستبدة ما دامت موالية للغرب وتُحقق المخطط الاستراتيجي للدول الكبرى... حضارة صعود الجسد وجراحات التجميل وماكدونالدز والكوكا كولا؟»[١].

الكاتب البريطاني فريد هاليداي كتب كذلك عن صناعة الغرب المتعصب لزيادة الفجوة مع الإسلام والمسلمين فذكر: «أن الغرب سبق له أن هيمن على العالم الإسلامي بصورة مباشرة، ولا زال يهيمن بشكل غير مباشر، وأنه يتدخل في دول العالم الإسلامي لغير مصلحة الشعوب الإسلامية والعربية، وأن الغرب يعمل على تقسيم العالم الإسلامي وتجزئته والقضاء على أي بوادر وحدة له، كما ينظر العالم الإسلامي إلى الغرب على أنه غير مبالٍ بقضاياه في فلسطين والعراق والشيشان وكشمير والبوسنة وغيرها»[٢].

وهناك سبب آخر على غاية كبيرة من الأهمية كما يراه هاليداي، وهو: «ازدواجية المعايير الخاصة بتطبيق مبادئ حقوق الإنسان وخاصة ما يتعلق بالسلوك الإسرائيلي تجاه الشعب الفلسطيني. كما أن من الأسباب محاولة فرض القيم الغربية بحكم قوة السلاح والتقنية والاتصال والاقتصاد خاصة في مجالات وخصوصيات الثقافة العربية الإسلامية»[٣].

---

(١) انظر: إيكيهارد شولتس، مقال بعنوان: حوار الحضارات.. مصالحة أم مصالح؟ بتاريخ يوم السبت ٠٩ أغسطس ٢٠٠٣م، الرابط التالي:
http://www.onislam.net/arabic/madarik/culture-ideas/90799-2003-08-09%20 13-33-02.html

(٢) انظر: دراسة تحليلية عن كتاب الحرب الكونية الثالثة فريد هاليداي، صحيفة الحياة، بتاريخ ١٨/ ١٢/ ٢٠٠٤م.

(٣) انظر: المرجع السابق.

ويشير إلى سبب آخر يصنع العنف لدى بعض المسلمين كرد فعل على سياسات حكوماتهم -على حد تعبيره- وهذا السبب هو: «دعم الغرب للنظم الدكتاتورية في العالم الإسلامي الذي بدوره قد ولّد جماعات التطرف والعنف والإرهاب»[1].

وفي تعليق للأمير تشارلز ولي عهد بريطانيا نيابة عن العرش البريطاني في مركز أكسفورد للدراسات الإسلامية حول جهل الغرب أو تجاهله لحضارة الإسلام، قال فيه: «السيدات والسادة، إذا كان هناك الكثير من سوء الفهم في الغرب لطبيعة الإسلام، وهناك أيضاً الكثير من الجهل حول الدين؛ ثقافتنا وحضارتنا تدين للعالم الإسلامي. ومن هذا الفشل ينبع، كما أعتقد، من قيود التاريخ التي ورثناها... ولكن لأننا نميل إلى اعتبار الإسلام عدواً للغرب، وثقافته الغريبة والمجتمع والنظام من الإيمان، ونحن قد نميل إلى تجاهل أو محو أهميته بالنسبة لتاريخنا»[2].

وفي هذا السياق يقول عضو الكونجرس الأمريكي الأسبق السيناتور بول فندلي: «إن الأمريكيين بشكل عام وبمجرد إدراكهم لحقيقة الإسلام والمعتقدات الكثيرة والممارسات التي يشترك فيها الإسلام مع النصرانية واليهودية سوف يمدّون يد الصداقة والتعاون للمسلمين، كما يذكر أن الدولة الإسلامية المثالية التي وُصفت في القرآن تضمنت حقوق الحرية الدينية، وانعدام الإكراه في الدين،

---

(١) انظر: المرجع السابق.

(٢) انظر: خطاب الأمير تشارلز، الإسلام والغرب، بتاريخ ٢٧ أكتوبر ١٩٩٣م، في مركز أكسفورد للدراسات الإسلامية، الموقع الرسمي للملكية البريطانية، الرابط التالي:
http://www.princeofwales.gov.uk/media/speeches/speech-hrh-the-prince-of-wales-titled-islam-and-the-west-the-oxford-centre-islamic

وبث روح التسامح مع أولئك الذين ينتمون للديانات الأخرى، وحماية الحريات المدنية للجميع بما في ذلك الأقليات»[1].

وعن هذا كتب المفكر الألماني مراد هوفمان في كتابه (الإسلام في الألفية الثالثة) عن الصورة النمطية تجاه الإسلام، وعن أحقية الحقوق للمسلمين في الغرب مطالباً بتوقف التمييز، فقال عن الخصوصية الثقافية: «أثبت استبيان أجري في ألمانيا عام ١٩٩٥م قبل ١١ سبتمبر ٢٠٠١م أن ٤٨٪ ممن شملهم الاستبيان يرون في الإسلام خطراً يهدد الحضارة والثقافة الغربية، وهناك ٣٧٪ ينفون هذا، بينما هناك ١٥٪ لا رأي لهم. فمن يجب أن يخاف الآخر إذاً؟ لا يعطى المسلمون حالياً أدنى اهتمام لمسألة حقهم في الاعتراف بهم كجماعة دينية لها كافة الحقوق العامة، كما جاء في دستور فايمار. هذا هو حال الغرب مع مسلميه، ونحن على أعتاب الألفية الثالثة التي تُعد بأنها ستكون مشحونة، وسيقوم الإسلام بأداء دور فيها، فلماذا لا يترك له المجال ليقوم بتأدية دور إيجابي؟ فالإسلام دين مُحَارَب أكثر منه ديناً مُحَارِباً، وحضارة مُحَارَبة أكثر منه حضارة مُحَارِبة»[2].

ويقول هوفمان عن معاداة الغرب المتعصب للإسلام والمسلمين: «لا يتوقع أحد اليوم أن يختفي الإسلام، ولكن أن يمتد، بل وينفجر! ويضع جنرالات الناتو في حسبانهم أن أكثر المواجهات العسكرية

---

(١) انظر: حوار مع عضو الكونجرس الأمريكي الأسبق بول فنتلي، السياسات الأمريكية - الشرق أوسطية تصنع في (إسرائيل) لا في واشنطن، مجلة البيان، العدد ١٩١، بتاريخ رجب ١٤٢٤هـ (سبتمبر ٢٠٠٣م)، ص٣٠.

(٢) انظر: مراد هوفمان، الإسلام في الألفية الثالثة ديانة في صعود، ص٣٣٧، ١١٥. نقلاً عن: (Reinhard Hesse)، «صورة العدو: الإسلام»، جريدة الأسبوع (Die Woche)، بتاريخ ٢٣/ ٤/ ١٩٩٧م.

احتمالاً في المستقبل لن تكون بين الشرق والغرب، ولكن بين الشمال والجنوب، فالإسلام هو العدو المتنامي المرتقب!»[1].

كما يؤكد هوفمان أن العقلانية والإنسانية كمقدسات غربية لا يمكن أن تهدي الناس إلى حياة ذات قيمة كما يهديها الدين الإسلامي فيقول: «هل لم يستطع الناس أن يتحققوا أن الحكم المستنير للعقلانية والإنسانية، لم يمنع حربين عالميتين وحشيتين استخدمت فيهما قنابل الغاز والقنابل النووية، والقصف الاستراتيجي على المدنيين في مدن مثل درسدن، هل استراتيجية مبنية على الردع المتبادل مع التهديد بالإبادة النووية تُعد عقلانية؟ يمكنني أن أستمر، ولكن لن أفعل»[2].

ويقول هوفمان عن إدانة الإسلام لدى العقلية الغربية المتعصبة: «أصبحت إدانة الإسلام جزءاً لا يتجزأ من العقلية الأوروبية، وشكلت الأفكار الزائفة المتفجرة السابقة الروح الصليبية الحربية عديمة التسامح، التي وُلِدت منها أوروبا الحديثة، وليس ما يهمنا اليوم طبيعة الحروب الصليبية كأول إعلان عن الإمبريالية الأوروبية تدوس بقدمها كل مثاليات ومسلمات المسيحية، ومع هذا، كان الميراث الانفعالي أقل سوءاً على المستقبل مما تلاه»[3].

ومن هذه الأقوال الموضوعية ما كتبه الباحث الفرنسي شارل سان برو في كتابه (الإسلام - مستقبل السلفية بين الثورة والتغريب)[4]،

(١) انظر: مراده هوفمان، الإسلام عام ٢٠٠٠، ص١٨.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص٣٧-٣٨.

(٣) انظر: المرجع السابق، ص٤٩.

(٤) هو دكتور في العلوم السياسية، وفي إدارة أبحاث القانون، ومدير معهد الدراسات الجيوسياسية الفرنسي بباريس، وهو محامٍ متخصص بالعلوم السياسية، ومحلل سياسي، حيث تركز أبحاثه على الجغرافيا السياسية، وهو أستاذ في الدراسات الإسلامية والعربية=

وكشف في مقدمته الهجمات غير المبررة والتضليلية ضد الإسلام بمنهجه السلفي، فقال عن هدف كتابه: «ما انفك هذا الدين عصيَّ الفهم، لا يتعدى كونه مجرد صور سلبية غالباً عدائية، ويُنظر إليه بأنه متقوقع في سلفية جاهلية عاجزة عن التكيف مع العالم المعاصر، هذا الجهل المصطبغ بالعدائية الذي يتعرض له العالم الإسلامي ليس جديداً، إذْ أحيط الإسلام على مر العصور بنوع من الميتولوجيا. صرح أرنست رينان في محاضرته الافتتاحية في الكلية الفرنسية في شباط/ فبراير ١٨٦٢م، أن الشعوب الخاضعة لحكم الإسلام محكوم عليها بأن تقبع في التخلف»[١]، ويقول: «اليوم يتجدد تداول الأباطيل الملقاة في معترك الأفكار بأساليب مختلفة، ويتنافس من لهم مصلحة في نشرها على تضخيمها والتطبيل لها، وقد أدت الانزلاقات الخطيرة في المعاني إلى الخلط بطريقة لبقة بين الإسلام والأصولية والإرهاب»[٢].

كما يتناول برو بإنصاف الإسلام في العصر الحاضر، من خلال تجارب المجددين، ومنهم المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- ويكتب عنه وعن دعوته محللاً وواصفاً دعوته الإصلاحية التي

=في جامعة القانون باريس ديكارت، وجامعة القانون في ستراسبورغ، وفي جامعة كتلونيا في بارشلونا، قدَّم العديد من المحاضرات في مختلف المعاهد والجامعات، وهو أيضاً المستشار الدبلوماسي لكثير من السياسيين والمؤسسات الفرنسية. والكتاب مترجم من الفرنسية، وهو بلغتيه العربية والإنجليزية من منشورات مكتبة الملك عبد العزيز بالرياض، وتتأكد الحاجة إليه والقراءة فيه، ولاسيما في ظل الهجمات الدعائية العدائية على السلفية، والصور النمطية الخاطئة عن المنهج السلفي (منهج أهل السُّنَّة والجماعة).

(١) انظر : شارل سان برو، الإسلام - مستقبل السلفية بين الثورة والتغريب، ترجمة وجيه جميل البعيني، الرياض: مكتبة الملك عبد العزيز العامة، ١٤٣١هـ (٢٠١٠م)، ص١٥.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص١٧-١٨.

انتشرت بأنها تعرضت لكثير من الأكاذيب التي حاولت تصويره كزعيم مذهبي وليس مفكرًا سلفيًا مصلحًا ومجددًا، وأنه قاد صحوة لتجاوز حالة الجمود الفكري في فهم الإسلام الصحيح بوسطيته السمحة ومبادئه السامية، من أجل بناء دولة إسلامية حقيقية ترفض البدع والخرافات والمعتقدات التي تناقض الدين والعقل معاً، في حقبة كانت قد تراجعت فيها جذوة الإسلام والفهم الصحيح لتعاليم الدين، فيقول: «يمكن عدّ محمد بن عبد الوهاب رائداً لحركة الإصلاح في الإسلام، لأنه طرح مسبقاً تساؤلات طوَّرها لاحقاً أولئك الذين أطلقت عليهم تسمية إصلاحيين ، وأحياناً حداثيون، وبعيداً عن كونه مذهباً جديداً، تحدد فكر محمد بن عبد الوهاب بأنه حركة إصلاحية، تنتمي الوهابية إلى جملة الإصلاحات الإسلامية التي شهدها القرن الثالث عشر الميلادي، إن هذه الإصلاحات التي كانت، إذا صح القول بالنسبة إلى الإسلام تشبه عصر النهضة بالنسبة إلى أوروبا؛ العودة إلى الأصول، وكانت الفكرة السائدة في فكره أن الإسلام ليس جامداً، فقد كان فكر شيخ نجد يحبذ تجديداً إيجابياً فقط»[1].

وقال أيضاً: «انطلقت فعلياً حركة التجديد مع محمد بن عبد الوهاب، وشَكَّل هو نفسه أكثر من أفكاره مثالاً أيقظ من نيجيريا إلى الهند الصينية حركة الإصلاح، الذي كان أول أهدافه العودة إلى أصول الإسلام؛ كي يسترجع كامل حيويته؛ بغية الحفاظ على تماسك الأمة الإسلامية وازدهارها. وكان المقصود بذلك تجديد البناء الاجتماعي الأخلاقي للمجتمع الإسلامي المهدد بالتعصب الجامد

(١) انظر: المرجع السابق، ص٢٦٧-٢٦٨.

والفردانية والانحرافات، لم يكن شيخ نجد مفكراً متعصباً ومتصلباً، وفق ما صوره خصومه، بل كان رائد الإصلاح الحقيقي، لقد كان في أساس الإصلاح، ولم يتناقض مع أي محاولة إصلاحية»[1].

بل إن هذا المفكر الفرنسي يتجاوز الدراسة والتحليل إلى التوصية بما يجب أن يكون، مما يكشف في أقوال هذا المنصف عن حقيقة منافسة الإسلام للغرب وعن واقع صناعة الصراع لدى الغرب تجاه الإسلام والمسلمين، حيث يقول: «إنه من الضروري في أيامنا هذه أن تنتشر الحركة الإصلاحية التي تحمل في طياتها الدعوة إلى اعتماد الاجتهاد في العالم الإسلامي لمواجهة تحديات عالم الحداثة، فالرد على هذه التحديات ليس بالإرهاب الذي يذكرنا بتعصب الخوارج، ولا بالتغريب الذي يعني فقدان الهوية الإسلامية والتخلي عن القيم الخاصة بالإسلام، الرد هو الاجتهاد الذي يرتكز على إيجاد حلول تتكيف مع المشكلات، بل على احترام قيم وعقيدة الإسلام»[2].

وشارل برو في كتابه يبرهن بعدة مواضع ويؤكد بتكرار أن الإسلام في خدمة الإنسانية جميعاً، لأنه يدافع عن كرامة الإنسان وعن القيم الروحية التي تحتاجها البشرية.

وفي ميدان الإنصاف عن هذا الدين العظيم ودعاته المصلحين كتبت الباحثة البريطانية الأمريكية تانيا سو[3] في مجال الإنصاف

---

(١) انظر: المرجع السابق، ص٣٠٢-٣١١.

(٢) انظر: مقال عن شارل سان برو، في صحيفة المدينة، بتاريخ ٦/ ١/ ٢٠١٢م، الرابط التالي:
http://www.al-madina.com/node/349688

(٣) تانيا سو محللة سياسية متخصصة في الشؤون البريطانية والسعودية والأمريكية، كانت من بين الذين أسهموا في إعداد الشهادة المكتوبة التي قدمتها جمعية أصدقاء المؤسسات الخيرية (فوكا: www.foca.net) في جلسة الاستماع التي عقدتها اللجنة القضائية بمجلس=

للإسلام وحركاته الإصلاحية فقالت عن محمد بن عبد الوهاب كإحدى حركات الإصلاح الإسلامية: «محمد بن عبد الوهاب يعاني من مشكلة حقيقة في العلاقات العامة، وهذا الرجل الذي قضى جل عمره وهو يحاول تخليص المملكة [الجزيرة العربية] من الشرك وعبادة الأوثان والسحر والبغاء على أبواب مكة، كان يعاني من الطعن والتشكيك فيما يقوم به، حتى داخل المملكة العربية السعودية [جزيرة العرب]، بحجة أنه يمارس تأثيراً مضراً، الكثيرون من السعوديين الذين ارتبطوا بالغرب، يلومونه على الأحداث الجارية الآن»[1].

وقالت أيضاً: «لقد تعرض محمد بن عبد الوهاب للهجوم من العلماء الذين تشبثوا بمناصبهم ليعيشوا وليأخذوا نصيباً من المنح والإعانات التي كانت تقدم في مكة، غير أنه لم يرد عليهم، وكان الإسلام آنذاك قد تراجع إلى أدنى مستوى له في التاريخ: حيث كان الخوارج يعتقدون أن ارتكاب الشخص لأي خطيئة يبيح لهم أخذ ماله؛ بينما آمن أتباع القدرية بالإرادة الحرة المطلقة، وآمن أتباع الجبرية بالإلزام المطلق، في الوقت الذي كان فيه البدو يسجدون للشمس والقمر والنجوم، وانتشر الفساد والطمع، وكل ما كان يريده ابن عبد

=الشيوخ الأمريكي. ويلاحظ بأن دعوة محمد بن عبد الوهاب وجدت قبل ميلاد المملكة التي كررتها فيما كتبته، وهذا مما فات عليها معرفته، كما أنها قد ذكرت أن كثيراً ممن درس في الغرب يوجهون اللوم لفكر محمد بن عبد الوهاب بحكم بعض أحداث التكفير والتفجير، والصواب أنهم قلة لا تفقه الحقيقة التاريخية عن دعوة محمد بن عبد الوهاب الإصلاحية، وحجم معالجتها للتطرف في السابق واللاحق.

(١) انظر: تانيا سو، مقال بعنوان: بعض الوقت لمحمد بن عبد الوهاب؟ الرابط التالي:
http://www.islamdaily.org/ar/alwahabia/4931.article.htm

الوهاب هو التوحيد، أي الإيمان بإله واحد، وقد كان يفضل الاجتهاد أو التفكير المنطقي فيما يختص بالقضايا المعاصرة، وشدد على الحاجة إلى المعرفة والتعلم، وأكد على النقاش لا القوة. حيث كتب: لا نكفِّر أي مسلم لمجرد خطيئة يرتكبها. من الصعب إذاً أن نصف هذا الرجل بالتطرف والعناد. إنه الرجل الذي أراد أن يعيد الإسلام إلى جوهره الحقيقي. ليخلِّص الأرض من الشرك والبدع. واختار التقيد بالقرآن والسُّنَّة دون غيرهما، ولو كان الناس يعبدون المشعوذين، ويسجدون للحجارة، ويمارسون الشذوذ الجنسي علانية، ويبذلون المال للبغاء والخمر في ساحة الكعبة، فهم ببساطة لم يكونوا مسلمين، وإذا كان العلماء يبجلون الأولياء ويتعلقون بالفحول، لقد كان هنالك ثمة شيء خطأ في دولة الإسلام، لقد اختفى التوحيد بسرعة».[1]

الصراع والكراهية:

في ندوةٍ لمركز الدراسات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التركي (سيتا) في أنقرة، عُرض خلالها تقرير (الإسلاموفوبيا في أوروبا ٢٠١٥م) الذي أعدّه المركز بمشاركة ٣٧ باحثاً من ٢٥ دولة أوروبية، وناقش التحركات المعادية للإسلام التي ازدادت عقب هجمات باريس في فبراير وأكتوبر ٢٠١٥م.

وقال الأكاديمي في جامعة سالزبورغ فريد حافظ، وهو أحد المشاركين في كتابة التقرير: إنه ينبغي الاعتراف بالإسلاموفوبيا كجريمة، وإضافتها إلى كافة الإحصائيات الوطنية في الدول الأوروبية، مشيرا في هذا الشأن إلى أنهم لم يتمكنوا من الوصول إلى

(١) انظر: المرجع السابق.

معلومات موثوقة فيما يتعلق بهذه الظاهرة في عموم أوروبا.

وأوضح حافظ أن الإسلاموفوبيا أو العنصرية ضد المسلمين في أوروبا غير معترف بها بشكل كبير كجريمة، مُبيناً أن مواقف الحكومات الأوروبية تجاه المسلمين أصبحت أكثر عدائية بعد هجمات باريس(١).

فالنماذج من التقارير البحثية والأقوال المنصفة والموضوعية المدوَّنة في هذا الكتاب قليل من كثير، وهي تكشف مزيداً من التطرف الغربي تجاه الإسلام والمسلمين كما ورد في هذا المبحث وغيره. ومع أن مواجهة هذا التعصب الغربي أو معالجته يتطلب إصلاح حال المسلمين من الداخل أولاً، ومن ذلك العمل الجاد على ميلاد مؤسسات إسلامية دولية ومراكز حوارية متنوعة ومتعددة علمية وفكرية وإعلامية معنية بموضوعات الإسلام والغرب، وبالطبع فكون المؤسسات مستقلةً غير حكومية كقطاع ثالث من كلا الطرفين بقدر المستطاع -كما سيأتي- سوف يُعطيها قوةً وحيادية وفاعليةً، بل ويمكن أن تكون رابطةً بين الشعوب من الطرفين.

وإضافة لما سبق فإن افتعال الغرب المتعصب للصراع مع الإسلام وشعوبه ظهر جلياً من قِبل الساسة ورجال الدين النصارى المتعصبين بعد سقوط الاتحاد السوفيتي ١٩٩٠م، وذلك بأوضح من ذي قبل، وتأكد هذا النمو لصناعة الصراع والكراهية بعد أحداث الحادي عشر

---

(١) انظر: الجزيرة نت، بتاريخ ٢٢/ ٣/ ٢٠١٦م، الرابط التالي: http://bit.ly/2hwNyII،
وانظر: الوطن أون لاين، بتاريخ ٢٥/ ٣/ ٢٠١٦م، الرابط التالي:
http://alwatan.com.sa/Culture/News_Detail.aspx?ArticleID=257193&CategoryID=7.

من سبتمبر ٢٠٠١م وزادت حدته، وأخطر أدوات صناعة الصراع والكراهية لدى الغرب تصدير بعض مسبباته إلى كثير من حكومات ودول العالم الإسلامي -ولاسيما مع قابليتها لهذا التصدير وما فيه من تقاطع المصالح-، لتقوم هذه الحكومات في الحرب بالوكالة وبالرؤية الغربية -مع الأسف- وتقع بالتالي فيما يمكن تسميته بـ(فخ الصـراع) كمأزق سياسي أمني داخلي وأزمة ثقة بين الشعوب وحكوماتها، كما هو واقع حرب ما يُسمَّى (حرب الإرهاب) في كثير من الدول الإسلامية خاصة، وما ترتب على تلك الحرب بالوكالة من هدر للمكتسبات المعنوية والمادية وانتهاك خطير لحقوق الإنسان من خلال القتل أو السجن. وهي حرب يصعب أن تخرج منها أية دولة دخلت فيها، لأنها تحولت إلى أزمة أمنية داخلية معقدة وأزمة ثقة بين الحاكم والمحكوم. ويكفي في تعقيدها أنها صنعت شيئاً كثيراً مما يقوض الوحدة الوطنية لأية دولة؛ ففيها ما يزيد من الكراهية بين الشعوب وحكوماتها، وحُقَّ أن نسمِّي حرب الإرهاب وسوطه بفخ الصراع للدول الصغرى قبل الكبرى! ولا يعني هذا بأي حال من الأحوال أن تكف الحكومات عن التصدي للمكفرين ومعاقبة الذين يستبيحون الدماء البريئة.

فهل الحكومات الإسلامية التي تورطت مع شعوبها في الفعل الاستفزازي أو رد الفعل تُدرك أن بعض المكاسب السياسية الخارجية التي تُحققها من هذه الحرب الوهمية مقابل حصولها على تحالفات دولية لن تغتني بها مستقبلاً؟ كما أن هذه الحرب لا تساوي شيئاً أمام حجم الخسائر الداخلية الضخمة المعنوية والمادية، ولاسيما بعد تحولات القوة لصالح الشعوب من خلال الثورات العربية فيما بعد

عام ٢٠١١م، ولاسيما كذلك في ظل الاحتياج الضروري المستقبلي للجهاد وتشريعاته وأفراده وجماعاته الصادقة بعد التحالفات الإيرانية الغربية. فأزمة الثقة من الشعوب تجاه حكوماتها كافية وحدها دون سواها في أهمية إعادة النظر من قبل الحكومات بمشاريع وبرامج الغرب المصدَّرة -برؤيةٍ غربيةٍ أو برامج مُستوردة- للعالم الإسلامي.

إن العالم الإسلامي رقمٌ مهم بدوله وشعوبه، وقبل ذلك بحضارته وقيمه وأخلاقه ودينه وتشريعاته العادلة بحق الإنسانية بالرغم من أنه المغزوّ خلال القرنين الماضيين وليس الغازي، والإسلام اليوم قد أصبح رقماً رئيساً في المعادلة الدولية من خلال واقع تمدد مبادئه وقيمه وحتمية نهضته القادمة. وهذا الانتصار للإسلام والانتشار لمبادئه وقيمه مما يكشف عن ردود الأفعال الغربية المتعصبة تجاهه، ويتجلى ذلك في المحاولات القوية لإقصائه بأن لا يكون شريكاً أساسياً في قيادة العالم وأمنه واستقراره. والراصد يرى مجريات الأحداث في العمل الجاد على كثيرٍ من الأصعدة لتهميش المؤمنين بهذا الدين وتجاهل حقوقهم وقضاياهم، وهذا ما سيُعرِّض أي حوار للفشل وهو ما يؤجج الصراع والكراهية، وبالتالي يجعل السلام الدولي في خطر.

الفوضى الإيرانية وصناعة الصراع!

عندما خرج الاحتلال من معظم دول العالم العربي وضع قنابل موقوتة متعددة ومتنوعة لتكون مناخاً للفوضى والدمار لمستقبل دول المنطقة، ومن ذلك صناعة بدائل عنه من الحكومات الدكتاتورية والحكام المستبدين، فعاشت كثير من هذه الدول حوالي

خمسة عقود من الزمن بدعم غربي مباشر وغير مباشر، وفي وضع سياسي واقتصادي يسوده الفقر والاحتقان، وبالتالي عدم الثقة بين الحكومات وشعوبها، وقد أسفر هذا الواقع عن قيام الثورات العربية الموصوفة بالربيع العربي. وعمل الغرب المتعصب مع بعض صنائعه من بعض الحكومات العربية نفسها على إجهاض تلك الثورات وَصرف مسارها وذلك بالمال العربي والتآمر الإقليمي والدولي، وهو ما جرَّأ الأعداء والخصوم وكشف ظهر الأمن الخليجي أمام الأطماع العالمية! ليصنع الغرب من هذه الأفعال التآمرية وردود فعلها فوضى سياسية وأمنية عارمة تسود معظم أقطار العالم العربي ومرشحة لما هو أكثر.

ولتحقيق هذا الهدف وإرضاء نزعة الصراعات والحروب لديه وإقصاء المنافس له، وَجد عاملاً آخر من عوامل إذكاء الصراع والحروب، حيث أصبحت دولة (إيران الطائفية التوسعية) الآلة التنفيذية للصراع في المنطقة كدولةٍ منشقة عن الأمة الإسلامية إيديولوجياً وسياسياً، مما يعمل على المزيد من الفوضى والصراعات الطائفية العاجلة والآجلة لتحقيق استراتيجيته بالفوضى الخلاقة، أو البنَّاءة، -حسب تسمية وزيرة الخارجية الأمريكية (كوندليزا رايس) عام ٢٠٠٥م- في استهداف معظم دول العالم العربي -والخليج تحديداً- بالفوضى الإيرانية، إضافةً إلى اختطاف إرادة الشعوب وحرياتها السياسية.

ووجد الغرب المتعصب عموماً وواشنطن بالتحديد في دولة إيران بُغيتهم في تحقيق الصراع ولاسيما أن الاستراتيجية الإيرانية

العدوانية تتقاطع مع أهداف صانع الصراع الغربي، وممن كتب عن هذه الاستراتيجية الإيرانية والغربية الباحث النصراني نبيل خليفة في كتابه الشهير الصادر عام ٢٠١٤م عن (استهداف أهل السُّنَّة)، وفيه ذكر أن ثورة الخميني تُمثِّل منعطفاً شيعياً من خلال ولاية الفقيه، ومنعطفاً إسلامياً باعتبار نفسها الممثل للإسلام ضد الأنظمة العربية، ولأن إيران تمثل أقلية سكانية في المنطقة، فقد اعتمدت استراتيجية هجومية؛ لتأكيد مصداقيتها، وتتمثل استراتيجيتها بما يلي: استغلال الحج، استغلال القضية الفلسطينية، التلويح بالسلاح والتهديد بالبرنامج النووي والصاروخي، التهجم اللفظي على الغرب والكيان الصهيوني المحتل، اختراق الأنظمة السُّنِّية بواسطة الأقليات الشيعية، التشييع في أوساط أهل السُّنَّة، إبراز قوتها الجيوسياسية من خلال التحكم بمضيق هرمز.

وتسعى إيران طبقاً لذلك إلى إقامة القوس الشيعي بين الخليج والمتوسط، وهو مشروع يحظى بدعم الغرب والكيان الصهيوني المُتزعمين دعم الأقليات في المنطقة بطرق مباشرة وغير مباشرة، ويسمح باختراق الجسم السُّنِّي الكبير من خلال تحالف الأقليات التي تعيش داخله، وعددها (٥٩) أقلية، ولو فقهت الدول العربية هذا التحالف المحيط بها لشدت من أزر الحكومة التركية ذات التوجه الإسلامي، لأن تركيا لو حُكمت بنظام علماني أو قومي فسيتحالف مع هذه الأقليات ضدنا.

وإن وضع السلطات في المشرق بيد الشيعة أو تحت نفوذهم، هو أمر أساسي في الاستراتيجية الإيرانية المتضامنة مع الأقليات المحيطة،

وهي خطةٌ سيسعون إلى تعزيزها وليس إلى التخلي عنها، وتحظى برضا إسرائيلي ودعم غربي - روسي، وهؤلاء يلتقون في مصالحهم؛ وإن اختلفوا فيما بينهم[1]. فالتراخي الأمريكي مع الاعتداءات الإيرانية على جيرانها أكَّد للحكومات العربية أن واشنطن لا تمانع في هذه الفوضى الإيرانية ما دام أنها تسير وفق مصالحها!

وعن هذا الموضوع كُتِبت مقالاتٌ كثيرة عربيةٌ وغربية إِثْرَ تصريحات إيرانية عِدائية من شخصيات متعددة تكشف عن مستقبلٍ مُضَّرج بالدماء، من خلال صناعة الغرب وتعزيزه لهذا الصراع السياسي الطائفي الدموي، ولعل هذا الطرح يُسهمُ -دون تهويل أو تخدير- ببعث الأمل واليقين بالله والعمل على حماية الأمة الإسلامية وتقوية مناعتها وحصانتها النفسية والمعنوية والفكرية بالعقيدة الصحيحة، وما فيها من عقيدة قتالية جهادية، إضافةً إلى أهمية تنبيه الحكومات إلى ما يجب فعله في تعزيز الأذرعة الخارجية الإغاثية والدعوية والتعليمية، إضافةً إلى الجانب العسكري والسياسي المصاحب، فالأفكار والعقائد -بالرغم من فسادها- لا يمكن أن تهزمها السياسات المجردة من العقيدة والفكر، كما أن الحروب والمعارك مع الخصوم دون مؤسسات معنيِّةٍ إعلامية ودعويةٍ وإغاثيةٍ مُوجَّهةٍ بكسب العقول والقلوب والأفكار لا تحقق كامل الأهداف من الحماية والحصانة والدفاع.

كتبت الخليجية أون لاين عن التمدد الإيراني العقدي والسياسي في بعض العواصم العربية -وهذا غيض من فيض- وفيه عن الخطر

---

(١) انظر بتصرف: نبيل خليفة، استهداف أهل السُّنَّة، ط١، لبنان: مركز بيبلوس للدراسات والأبحاث، ٢٠١٤م، ص٢٥-٢٩.

الداهم والقادم في الصراع الشيعي مع الأمة الإسلامية: «اعتبر مستشار الرئيس الإيراني علي يونسي أن بلاده أصبحت إمبراطورية، وأن بغداد عاصمتها، وهاجم معارضي النفوذ الإيراني في المنطقة، معتبراً أن كل منطقة الشرق الأوسط إيرانية، وداعياً في الوقت نفسه إلى قيام اتحاد إيراني... إن جغرافية إيران والعراق غير قابلة للتجزئة، وثقافتنا غير قابلة للتفكيك، لذا إما أن نقاتل معاً أو نتحد... وسنقف بوجه التطرف الإسلامي، والتكفير، والإلحاد، والعثمانيين الجدد، والوهابيين، والغرب، والصهيونية»[١].

ونشرت صحيفة الشرق الأوسط عن الخطر الإيراني الحالي والقادم، وأنه أشد مما يُسمى بالدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش) -حسب وصف الصحيفة-: «لقد أصبحت الأمور: (فالج لا تعالج)، فالتغلغل الإيراني في هذه الدول العربية الآنفة الذكر [العراق وسوريا ولبنان واليمن] وعلى أساس طائفي، تَجَاوَزَ كل الحدود، ولذلك وَيقيناً أن وطننا العربي سيدخل حقبة إنْ ليس فارسية فإيرانية، ستطول بمقدار ما استطالت الحقبة الصفوية، إنْ بقينا نتصرف بكل هذا التراخي وبكل هذا الاسترخاء وبكل هذا التردد... إنه غير جائز أن يبقى هذا الطرزان قاسم سليماني يتنقل بين حلب ودمشق وجبهات القتال في سوريا وبين بغداد وتكريت وديالى وجبهات القتال في العراق. فهذا معناه أن إيران هي صاحبة الحرب وهي صاحبة القرار في هذين البلدين العربيين. وهي في حقيقة الأمر

---

(١) انظر: مستشار روحاني، مقال بعنوان: الشرق الأوسط منطقة إيرانية وبغداد عاصمتنا، موقع الخليج أون لاين، الرابط التالي:
http://alkhaleejonline.net/#!/articles/1425841205923338200/

كذلك. وهذا معناه أن العرب العراقيين سُنَّة وشيعة، وأن العرب السوريين سُنَّة وعلويين، سيبقون مُختطَفين من قبل جمهورية الولي الفقيه، وأن العرب كلهم سيبقون كالشاة التي تنتظر خنجر الجزار وسيبقون: (العين بصيرة واليد قصيرة)!... لا بد من التأكيد ومن دون أي تردد على أن داعش يشكل خطراً عابراً ومؤقتاً، أما إيران فإنها تُشكل خطراً استراتيجياً. إن إيران أخطر من هذا التنظيم الإرهابي بألف مرة، ولهذا فإنه لا يجوز التركيز على هذا التنظيم والانشغال به، وترك الحبل على الغارب للإيرانيين الذين تجاوزوا كل الحدود، والذين باتت تطلعاتهم وأهدافهم واضحة ومعروفة»[1].

وعن هذا الانشقاق الشيعي الرافضي والخطر الإيراني على الإسلام والمسلمين ودولهم فإن الواقع السياسي والعسكري بأبعاده يُؤكد خروجهم عن الأمة الإسلامية، بل إن ما عملته وتعمله بعثات الحج الإيرانية في مواسم الحج مما كشفت عنه بعض وسائل الإعلام من محاولات التشويش على سير أعمال الحج، كافٍ وحده في إثبات العداوة لأهل السُّنَّة من الأمة، بل وقتلهم بافتعال أحداث وحوادث معلومة كما هو معروف في مواضعه من التاريخ الدموي لهؤلاء المنشقين عن أمة الإسلام، وفي هذا قال الخبير بشأنهم ممن تحول من التشيُّع إلى الإسلام: «أرجو أن تجتمع كلمة دول منظمة التعاون الإسلامي على إخراج إيران من المنظمة، فلذلك تأثير سياسي كبير،

---

(١) الكاتب هو صالح القلاب.. الكاتب الأردني، وزير إعلام، ووزير ثقافة، ووزير دولة سابق، وعضو مجلس أمناء المجموعة السعودية للأبحاث والتسويق، والمقال بعنوان: بصراحة.. إيران أخطر من (داعش) بألف مرة! صحيفة الشرق الأوسط، بتاريخ ٥ مارس ٢٠١٥م، الرابط التالي:

http://cutt.us/Oc9D

وسيضع ذلك حداً لعربدتها وضجيجها وتدخلاتها»[1].

وبهذه الأحداث السياسية المعاصرة وانخراط كثير من القوى العالمية فيها يتأكد انشقاق معظم الشيعة العقدي المعروف تاريخياً وعلمياً عن أمة الإسلام، وفي ذلك كتب كثيرون عن أصول هذا الانشقاق وكشفوا عمّا دونته كُتب الشيعة عن أنفسهم، وكيف أنهم بكُتبهم الرافضية أخرجوا أنفسهم من الإسلام من خلال تكفيرهم لأمة محمد ﷺ وذلك في ثنايا كتابات علمائهم السابقين والمعاصرين، كما أن حروبهم القديمة ومواقفهم الحديثة على أمة الإسلام شاهدٌ على ذلك.

وإيران بهذا التحالف مع الغرب والشرق على الأمة أصبحت تؤكد مخالفتها لعقيدة الأمة الإسلامية، ولا سيما حينما أضحت الوكيل المفوَّض كدولةٍ وظيفيةٍ للغرب في قلب دول العالم الإسلامي تحت ما يُسمَّى الحرب على الإرهاب في المنطقة كما هو معلنٌ وَظاهر في الأخبار العالمية، وكما أشارت إلى ذلك كثير من الكُتب والتقارير عن حقيقة هذا التحالف الغربي الإيراني[2]، وهو تحالفٌ يهدف حسب معطياته ومؤشراته لتحقيق ما يُسمى بالفوضى الخلاَّقة -كما يُسميها الغرب- من خلال العبث الفكري والسياسي والعسكري في استقرار كثيرٍ من دول العالم العربي والإسلامي.

---

(١) انظر: تغريدة للشيخ حسين المؤيد في حسابه على تويتر، الرابط التالي:
https://twitter.com/hussenalmoyd/status/647059425341997056

(٢) انظر على سبيل المثال: كتاب (حلف المصالح المشتركة - التعاملات السرية بين إسرائيل وإيران والولايات المتحدة)، تأليف: تريتا بارزي، وانظر موضوع: الفوضى الإيرانية وصناعة الصراع! في المبحث الرابع من هذا الكتاب.

والأمر الأخطر في كشف واقع هذا الصراع أن ذلك يجري وسط صمتٍ عالمي مُرِيب عن حروب الإبادة والتصفية للمسلمين السُّنَّة باليد الإيرانيّة بصورة مباشرة وغير مباشرة، بل يصحب بعض هذا دعمٌ دولي غربي للحكومات الطائفية في كلٍ من العراق وسوريا بشكلٍ فاضح! وهو الأمر الذي كشف عن عالم الإنسانية على حقيقته! وانعكس سلباً على الثقة بالنظام الدولي وشرعيته ومنظماته!

الخيانة الأمريكية للتحالف الخليجي الأمريكي:

مارست واشنطن أدواراً غير أخلاقية حتى في العُرف السياسي القائم على المصالح مع دول الخليج العربي -كدول مصنفة بدول الموافقة- من خلال ضغوطاتها المبكرة، خاصة فيما يتعلق بتهميش السياسات الأيديولوجية لدول المنطقة ورسالتها الإسلامية العالمية بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م، مُحدِثةً بهذا كثيراً من الفراغ السياسي الخارجي لدول الخليج العربي ومفرِّغَة لها من قوَّتها الذاتية، وبالتالي تمدَّدت إيران في فراغها، والمقام هنا ليس عن هذا الجانب الممنهج سياسياً بقدر ما هو عن واقع التحالف أو التوافق الأمريكي الإيراني المسهم في زعزعة الاستقرار السياسي والأمني لما بقي من دول العالم العربي وعلى رأسها السعودية ودول الخليج.

ومن خلال الأحداث التاريخية اللاحقة تأكد أن مفاوضات النووي الإيراني مع الغرب التي استغرقت حوالي اثني عشر عاماً (٢٠٠٣-٢٠١٥م) لم تكن عن النووي فحسب بقدر ما كانت أكثر عن الاتفاق على حرب ما يُوصَف بـ(الإرهاب) في المنطقة وهو الإسلام هنا، وعلى مفاوضات اقتسام نفوذ المصالح في المنطقة،

ويؤكد ذلك ما جرى بعد المفاوضات، حيث إطلاق اليد الإيرانية بشكلٍ مكشوف لتعبث بالمنطقة سياسياً وأمنياً وعسكرياً وبتأييدٍ دولي ودعمٍ أممي[1].

كتبت صحيفة شؤون خليجية عن إطلاق الغرب وأمريكا بالتحديد لليد الإيرانية الإرهابية في العالَم السُّنِّي، وعن تعزيز الغطاء الأمريكي للعدوان الإيراني بإعطاء إيران الصفة الشرعية فيما تفعله من إرهاب في المنطقة، ومما كتبته الصحيفة: «كشفت الخطوة المفاجئة التي أفصح عنها التقرير السنوي الصادر عن جيمس كلابر، مدير الاستخبارات الأمريكية، برفع إيران وحزب الله اللبناني من قوائم الإرهاب أسراراً جديدة، يبدو أنها ستخرج للنور والعلانية قريبًا فيما يخص ملف المفاوضات النووية بين إيران ومجموعة دول (٥+١) وعلى رأسها الولايات المتحدة... ورجح مراقبون تقديم تنازلات وتبادل مصالح بين الطرفين الأمريكي والإيراني وهو ما ذكره الرئيس الأمريكي باراك أوباما علانية بطلبه تجميد إيران لبرنامجها النووي لعشر سنوات دون تدميره أو تفكيكه للقدرات النووية وبنيتها التحتية... إن المصالح المشتركة بين أمريكا وإيران بإضعاف السُّنَّة، وثورات الربيع العربي التي برزت فيها قوى سنِّية وَحَّدت الطرفين... ويُعدُّ رفع إيران وحزب الله من قوائم الإرهاب وما يكشفه من احتمال وجود صفقات غير معلنة تهديداً واضحاً لدول الخليج العربي، التي تعاني من التمدد الإيراني والجماعات المتشددة والميلشيات الشيعية المدعومة من إيران، خاصة بالعراق واليمن. ليس هذا فحسب، بل

---

(١) انظر: الجزيرة نت، الرابط التالي:http://bit.ly/2eWC8Kg ، وانظر: موقع آر تي الإخبارية (RT)، الرابط التالي: http://bit.ly/2e8xkjD.

ينذر بسباق للتسلح النووي في حالة عدم شمول الاتفاق على تدمير البرنامج الإيراني، والنص فقط على مجرد تجميد مؤقت، ويطرح تساؤلاً هل ترى الولايات المتحدة أن شراكتها مع إيران لها الأولوية على حساب شراكتها مع دول الخليج؟»[١].

وكتب الباحث السياسي طلعت رميح عن آثار صناعة الغرب للصراع الإيراني الطائفي في المنطقة من خلال تصريحات شخصيات إيرانية متنوعة بدون تُقية، وهي مما يُؤذن بصراع دموي غير مسبوق، ومنها ما صرح به نائب الرئيس الإيراني السابق محمد علي أبطحي، ومنها التصريح الصادر من علي شامخاني أمين مجلس الأمن القومي الإيراني، ومن ذلك التصريح الآخر من قِبَل مستشار الأمن القومي للرئيس الإيراني علي يونسي، وغيرها من التصريحات الصريحة والواضحة، وعَلق طلعت رميح على هذه التصريحات قائلاً: «وما يبدو في الأفق أن المنطقة لن تشهد أي نمط من الاستقرار في الفترة القادمة، وأن العرب من تركيا حتى اليمن -ويمكن القول السُّنَّة- باتوا محاصَرين بين القوة الإمبراطورية الفارسية الشيعية من الطرف الشرقي مدعومة من الولايات المتحدة، والقوة الإسرائيلية المدعومة من الولايات المتحدة -أيضاً- في الغرب»[٢].

ريتشارد كلارك المستشار الأمني للرئيس بوش الابن والذي

---

(١) انظر: سامية عبد الله، مقال بعنوان: أسرار رفع إيران وحزب الله من قوائم الإرهاب الأمريكية، صحيفة الشؤون الخليجية، الرابط التالي:

http://alkhaleejaffairs.org/c-15582

(٢) انظر: طلعت رميح، مقال بعنوان: إيران: حرب نفسية أم إعلان حرب! موقع بوابة الشرق، الرابط التالي:

http://www.al-sharq.com/news/details/317272#.VQmjtI6sW3w

استقال من منصبه احتجاجاً على غزو العراق وعدم اعتبار إيران والقاعدة تهديداً حقيقياً، كتب عن تجربته وتصوراته في كتابه (ضد كل الأعداء)، واحتل الكتاب موقعاً في قائمة الكتب الأكثر مبيعاً، وأضاف إلى كتابه هذا كتاباً روائياً بعنوان: بوابة العقرب، قائلاً: «بإمكانك أحياناً أن تقول الحقيقة عن طريق رواية الخيال»، وفي الكتابين كشفٌ لكثيرٍ من الحقيقة عن التحالف الإيراني الأمريكي ضد مصالح السُّنَّة، وقد تحقق الكثير من جوانب كتابه الروائي في تمكين إيران من أمن منطقة الخليج، بل ومن دورها في صناعة الشرق الأوسط الجديد القائم على الفوضى وتفتيت المفتت من العالم العربي والإسلامي، ومما يهم في هذا المقام إضافة ما قاله السير جون جينكينز سفير بريطانيا السابق في السعودية إلى عام ١٤٣٥هـ الموافق ٢٠١٤م عن الدور الأمريكي الإيراني في المنطقة: (هناك قناعة منتشرة بشكل واسع في الشرق الأوسط بأن اتفاقاً أمريكياً - إيرانياً ضد مصالح السُّنَّة)، وبيانات قمة كامب ديفيد الأخيرة لن تطمئن السعودية والدول الإسلامية الأخرى»[1].

ويمكن أن تكون عاصفة الحزم العسكرية التي قادتها السعودية منتصف عام ٢٠١٥م على المتمردين في اليمن من الحوثيين وغيرهم نقطة تحول -إلى حدٍ مُعين- في زعزعة الطاولة الأمريكية الإيرانية أو تأخير المشروع الصليبي الصفوي في المنطقة حينما تكون العاصفة جزءاً من مشروعٍ متكامل.

---

(١) انظر: إيناس عمر، مقال بعنوان: رواية بوابة العقرب - ودور إيران في مشروع الشرق الأوسط الجديد، إسلام ديلي، الرابط التالي:
http://www.islamdaily.org/ar/democracy/11990.article.htm

فيرى مراقبون ومتابعون أن عاصفة الحزم تحتاج إلى ما هو أشمل من الجانب العسكري، حيث أهمية تعزيز المشروع الأيديولوجي السياسي، وهو ما يقتضي ميلاد مشروع أيديولوجي سُنِّي أوسع من السعودية ودول الخليج لمقابلة هذا المشروع الأيديولوجي الإيراني -كما سيأتي في نهاية الكتاب-.

وقد جاء الاتفاق النووي النهائي في ١٤ يوليو٢٠١٥م الذي يُعدُّ اتفاقاً تاريخياً في تحولات القوة في المنطقة العربية والإسلامية ومنطقة الخليج تحديداً، حيث التحولات الكُبرى في قواعد اللعبة السياسية والعسكرية في المنطقة، ليؤكد هذا الاتفاق أكثر بأن العبث في المنطقة من أهداف الاستراتيجيات الغربية، وهو ما صرح به كثيرٌ من قادة الغرب من صناع السياسة وما أصبح يراه العدو والصديق، حيث إطلاق اليد الإيرانية في المنطقة لتمزيقها تحت مُسمَّى (حرب الإرهاب)! واستغلالها لهذا الشعار البراق، ومما يؤكد هذا ما نُشر في موقع فرانس ٢٤ -كمثال- المتضمن لتصريحات متعددة، فالرئيس الروسي فلاديمير بوتين في بيان نشر على الموقع الإلكتروني للكرملين، قال: «العالم بوسعه الآن أن يتنفس الصعداء... فالاتفاق النووي الإيراني سيساهم في محاربة الإرهاب في الشرق الأوسط... ووعد أوباما بمواصلة جهوده غير المسبوقة في تعزيز أمن إسرائيل، جهود تذهب أبعد مما فعلته أي إدارة في السابق... وتابع وزير الخارجية البريطاني سوف نواصل العمل بشكل وثيق مع شركائنا في الائتلاف الدولي لتشجيع إيران على لعب دور شَفاف وبنَّاء إقليمياً، خصوصاً في مجال مكافحة التطرف الإسلامي»[1].

---

(١) انظر: عن الأقوال السابقة لساسة الغرب مقال رويترز، موقع فرانس ٢٤، بتاريخ: ١٤/ ٠٧/ ٢٠١٥م، الرابط التالي: http://goo.gl/csJ2rZ

وتتأكد جوانب الخيانة الأمريكية -إن صح التعبير- لدول الخليج بقلب ظهر المِجن لها والإستبدال بالتحالف الأمريكي الخليجي الحليف الأقوى والأقدر على صناعة الفوضى والصراعات والحروب لصالح الولايات المتحدة الأمريكية خاصة والغرب المتعصب عامة، ولاسيما بعد صدور قانون العدالة ضد ما أسمته واشنطن رعاة الإرهاب (جاستا) بتاريخ ٢٨ سبتمبر ٢٠١٦م، والذي تَعدُّه بعض وسائل الإعلام العالمية إعلان حربٍ سياسيةٍ ومالية على السعودية خاصة، أو على أقل تقدير ابتزاز سياسي ومالي طويل المدى لعقود طويلة من الزمن[١]، وهذا الواقع من التعصب والخيانة مما يؤكد في الوقت ذاته لدول المنطقة أن القوة الحقيقية هي قوة الشعوب المهدرة، ولاسيما بعد أن انكشف عهد التحالفات وولَّى زمن الصداقات مع الغرب المتعصب، وإن اختلفت الوسائل بين الحزب الجمهوري وبين الديمقراطي، أو بين أوباما من جهة وترمب من جهة أخرى، فأهداف المصالح واحدة وإن تنوعت الأساليب بينهما.

وهو واقعٌ يتأكد بصفةٍ مستمرة بحق دول الخليج، حيث فقدان البوصلة السياسية والتخبط المُستمر في ظل سياسة الإملاء السياسي الخارجي وعدم استشراف الصورة الكلية للمشهد السياسي المتكامل عبر عقودٍ مضت حينما عاشت فيها دول الخليج خِدعة الصداقات والتحالفات، وما ترتب على ذلك من تخديرٍ للأنظمة السياسية ولبعض الشعوب على حدٍّ سواء عن العمل باستراتيجيات القوة الذاتية.

---

(١) استفاد الأمريكان من الشيعة في مزاعم مظلومية مقتل الحُسين ﷺ، واقتدت أمريكا كذلك باليهود في تضخيم مظلوميتهم حول الهولوكوست، حيث أصبح إحياء ذكرى الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م في أمريكا مظلوميةً سنوية وسِمةً من سِمات النظام الأمريكي.

والمهم في ظل هذا المناخ السياسي أن أمريكا وبعض دول الغرب المتعصب بدعمهم المعلن والخفي يصنعون الصراعات سواءً عبر قانون الرفض (الفيتو) من خلال المنظمات الدولية والأممية التي يُسيطر عليها الأقوياء منهم! أو اللعب بورقة الأقليات والأيديولوجيات خصوصاً على مستوى دول الخليج وتركيا، وهو الواقع المشاهد من خلال سياساتهم الداعمة سياسياً وعسكرياً!

ولعل في هذا المبحث الجواب عن بعض التساؤلات الواردة في مستهل المقدمة مما يُعدُّ من المعطيات عن الحوار والصراع. لكن بالرغم مما ورد في هذا المبحث من إجابات إلا أن المباحث المتبقية تتضمن تكملة للإجابة عن بعض التساؤلات، وبالرغم من صناعة وسائل الصراع من المتعصبين إلا أن هناك مساحات واسعة ووسائل متعددة باقية للمنافسة، وبالتالي أهمية الحوار وفق ما ورد في المبحث السادس.

المبحث الخامس

جوانب من صناعة الإرهاب

«دعونا لا نخدع أنفسنا، والتحامل الغربي ضد الإسلام والحط من شأنه وصلا لدرجة يمكن أن تُحوِّل الخوف وعقدة التفوق إلى عنف عدائي للإسلام».

(مراد هوفمان - الإسلام عام ٢٠٠٠)

المبحث الثالث والرابع يكشفان عن صناعة الصراع من خلال التصريحات الرسمية الغربية المتعصبة من جهة والموضوعية من جهةٍ أخرى، وقد تضمنتا حقائق عن الصراع وصُنَّاعه، وأنه ناتج عن استراتيجيات، وهذا المبحث الخامس مكمِّل لهما؛ لأنه يكشف عن جوانب أخرى من الصناعة للإرهاب مع الإسلام والمسلمين في العصر الحاضر خاصةً ما يتعلق بالمؤامرات.

وفي هذا المبحث يبقى هذا السؤال مطروحاً: ماذا يريد الغرب؟ هل يريد صراعاً حسب ما ورد في الأقوال الصريحة في المباحث السابقة؟ وهل جوانب الصراع تتأكد على أرض الواقع من خلال الوقفات الواردة في هذا المبحث؟

المتأمل في السياسات والاستراتيجيات الغربية يدرك بما لا يدع مجالاً للشك أن هناك مصانع متقنة للصراعات بافتعال الحروب، وصناعة الإرهاب الماحق باستفزاز العالم الإسلامي، وهذا ما تؤكده الحقائق، وما سيتضح من خلال الوقفات التالية:

الوقفة الأولى: الحرب على ما يسمى الإرهاب:

التحدي الكبير الذي يواجه العالم والعالم الإسلامي خاصة هو عدم تعريف هذا المصطلح بتحديدٍ علمي واضح[1] ليكون التعاطي الصحيح معه من قبل الغرب وكذلك العالم الإسلامي، حيث يُلاحظ أن كل دولة أو تحالف دولي أصبح يرفع هذا الشعار ضد خصومه من الداخل

(١) وصلت تعريفات الإرهاب إلى أكثر من مئة وعشرة (١١٠) تعريفات، بحيث قيل: إنَّ وصفَ ظاهرةِ الإرهاب أسهل من تعريفها. انظر: علي النملة، إشكالية المصطلح في الفكر العربي - الاضطراب في النقل المعاصر للمفهومات، ط١، بيروت: بيسان للنشر، ١٤٣١هـ (٢٠١٠م)، ص٥٨.

والخارج، وبالتالي يُلاحظ أنَّ ما وُصِف بمكافحة الإرهاب بأنظمته التي صنعتها حكومة بوش الابن بدعم وتشريعات المحافظين الجدد تحت مزاعم متعددة أوجد بيئةً عدائيةً جديدة عالمية تصنع الكراهية وتتخلّق فيها الصراعات، وتزيد من حدة التعصب، ويتولد فيها الإرهاب المضاد، فأصبحت تلك الأنظمة وما تلاها من عدوان ميداني تُمثل تهديداً حقيقياً للاستقرار والأمن لدى الشعوب والمجتمعات في الدول الصغرى والكبرى على حد سواء، وأصبح هذا التهديد العالمي أكثر خطورة من الإرهاب نفسه وفق ما عبَّر عنه عضو الكونجرس الأمريكي الأسبق بول فندلي حينما قال: «إن أنظمة مكافحة الإرهاب أصبحت تُمثِّل تهديداً لمصالح مجتمعنا أكثر من الإرهاب نفسه... وإن جميع الأمريكيين وبالذات المسلمون منهم أصبحوا ضحية لهذه القضية»[١].

إن المشروع العالمي الموسوم بـحرب الإرهاب القائم على افتعال الصراعات والحروب في العالم قد انكشف عواره وتبين زيفه وكذبه. ففضلاً عن بغيه وعدوانه؛ فإن عواملَ فشله تكمن في الأسس الزائفة والواهية التي قام عليها. لذا أصبح صُنَّاعُه يبحثون عن وسائل جديدة تُعزِّزُه وتبرره. وقد وجدوا ما يعززه في تفاعل بعض الحكومات العربية والإسلامية. وقد ورد في مقدمة كتاب (ضحايا بريئة للحرب العالمية على الإرهاب)[٢] بعض الرؤية المبكرة عن فشل

---

(١) انظر: حوار مع عضو الكونجرس الأمريكي الأسبق بول فندلي، السياسات الأمريكية - الشرق أوسطية تصنع في (إسرائيل) لا في واشنطن، مجلة البيان، العدد ١٩١، بتاريخ رجب ١٤٢٤هـ (سبتمبر ٢٠٠٣م)، ص٣٠.

(٢) للمزيد من المعلومات، انظر: محمد السلومي، ضحايا بريئة للحرب العالمية على الإرهاب، ط١، الرياض: مجلة البيان، ١٤٢٨هـ والكتاب مُترجمٌ إلى عشر لغات عالمية، حيث تتضح أهميته بأنه يكشف صورةً من صور الحروب الصليبية المعاصرة.

مبررات ولادة هذا المشروع -ثم كوارثه فيما بعد ذلك- وفيها: «لقد أصبح الكثيرون في العالم السياسي في عالمنا الجديد يقدسون ذواتهم وأعمالهم السيئة أمام مرآة تعكس لهم صورة مزيفة، خاصة حينما ينعمون بدفء المديح عن إنجازاتهم العظيمة في سَنِّ قوانين ونُظم مكافحة تمويل الإرهاب، ويحصلون على التأييد رغباً ورهباً من الأصدقاء والأعداء على حد سواء؛ لأنهم أوشكوا -حسب نظرهم- على الانتصار على عدو وهمي لم يتحدد تعريفه حتى الآن: الإرهاب، وكل ذلك يتم على حساب الضحايا البريئة، وعلى حساب تحديات أخرى حقيقية يعيشها العالم. إن هذا الواقع المرير والمزيف قد شكَّل أكبر تحدٍّ للبشرية التي تنشد العدل والحرية ومعرفة الحقيقة»[1].

ولكي تتضح بعض الحقيقة عن أهداف مشروع الحرب البغيضة والشريرة العمياء الماحقة بسوطها -حسب تعبيرات نعوم تشومسكي- المسماة بـ(حرب الإرهاب) فإيراد نموذج واحد من التصريحات الرسمية يسهم في كشف الهدف الحقيقي لهذه الحرب العالمية الوهمية الكاذبة. ومن ذلك تصريح نائب وزير الدفاع الأمريكي بول وولفويتز عن الحرب العراقية الأخيرة بعد الحرب الأفغانية بأنّ الهدف منها: «الاستحواذ على قلوب وعقول الناس»[2].

وتعليقاً على ما سبق فإن الأمل السابق لدى العقلاء بإفشال هذا المشروع الأمريكي القائم على افتعال الصراع، قد تحقق كثيراً منه لدى الشعوب لتناقضه مع الواقع الفعلي، والأمل بعد هذا الفشل أن يعود الطرفان الإرهاب الدولي والإرهاب المضاد إلى مناخ العدالة والسلام

---

(١) انظر: المرجع السابق، ص٧.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص٢٧٢.

وبيئة التنافس الحضاري بين الدول والشعوب؛ لتطوى صفحات الصراع والحروب المبنية على صناعة العدو الوهمي الكاذب والمفتعل، وفي أجواء السلام ومناخ الحرية الحقيقي فإن التنافس والمنافسة هو البديل. والأمل بعد ذلك أن تنتصر المبادئ والقيم الحقيقية، فمناخ حرية المنافسة هو ما ينتج عنه انتصار العدالة والأمن والسلام.

الوقفة الثانية: حصار المؤسسات الخيرية الإسلامية:

اتسم العصر الحاضر بتقييد الغرب للحكومات الإسلامية بالقيود السياسية وضغوطاتها، وأصبحت أعمال التواصل الإنساني والإغاثي لكثير من الدول الإسلامية في قفص الاتهام في نظر الغرب بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م، ومن ذلك الإجهاز على قيم العطاء والبذل بين المانح والممنوح من الشعوب الإسلامية، حيث مؤسسات العطاء الخيري تُشكل عنصراً رئيساً من عناصر نهضة الأمة الإسلامية، كما أنها رابط قوي فيما بين الدول الإسلامية، وفيما بين الشعوب وحكوماتها، وقد أصبحت الزكاة والصدقات والتبرعات في ظل هذا الحصار في قفص الشك والاتهام، وليس غريباً على الغرب المتعصب هذا السلوك تجاه مصادر النهضة والقوة للمسلمين وعلى عوامل الترابط بين الشعوب المسلمة مع بعضها، فقد فعل قبل هذا الحصار ما يُماثله، حيث عمل على إضعاف الأوقاف الإسلامية زمن احتلاله لدول العالم الإسلامي سابقاً، وما بعد الاحتلال بوكلائه، إلا أن الأوقاف -بتشريعاتها وتاريخها- بقيت مصدر الأمل والعمل داخل المجتمعات الإسلامية، بل إن الأوقافَ رابط تاريخي بين أقاليم المسلمين، حيث تُقدِّم الأوقاف الدعم المادي والمعنوي إضافة إلى

الدعم اللوجستي الإنساني للمناطق التي يتعرض فيها المسلمون وغيرهم للاضطهاد والتقتيل والكوارث والحروب.

والمؤسسات الخيرية كأدوات تنفيذية للعمل الخيري والإنساني تتمتع في الأصل بحرية الحركة، حيث لا تقيدها الهواجس الأمنية! ولا تخضع في الأصل للعلاقات السياسية بين الدول.

لذلك شنت الحكومات الغربية بقيادة واشنطن حرباً كونية هائلة على العمل الخيري الإسلامي بمزاعم مكافحة الإرهاب، وموارد تمويله، ويمكن تسميتها بالحرب العالمية الرابعة بعد الحرب الباردة الموصوفة بالثالثة، فقد أوجدت هذه الحرب قوانين غير عادلة مثل قانون الإرهاب وقانون الأدلة السرية، والقانون العجيب الغريب الجريمة بالمخالطة!

ومما يوضح أن من المقاصد الرئيسة بـمكافحة تمويل الإرهاب هو حصار العمل الخيري الإسلامي تحديداً وتحجيمه وإعاقة تمويله بصور معينة من الحروب الإيديولوجية والقانونية والإعلامية التي برزت بشكل واضح بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر من خلال دعاوى تمويل الإرهاب على حد زعمهم! فوفق ما جاء في تصريح كارين فون هيبل عن تأثير الجمعيات الخيرية الأصولية حسب تسميتها لها: «يأتي الدعم المالي لتشجيع الإرهاب من عدة مصادر بينها المسلمون في خارج العالم الإسلامي الشتات، وفقاً للمفهوم اليهودي عن اليهود خارج إسرائيل»[1].

---

(١) انظر: كارين فون هيبل، تحت موضوع بعنوان: جذور الإرهاب الديني، موقع كلية لندن للدراسات السياسية، في شهر سبتمبر ٢٠٠٢م.

وتنجلي الحقائق أكثر عندما يَطَّلعُ أي شخص على تصريحات كثير من المسؤولين في حكومة الولايات المتحدة الأمريكية، وكتابات بعض الكُتاب، وما تفيض به وسائل الإعلام، وما صدر من نظم وقوانين في الهجرة والجوازات، بل وفي الحقوق والحريات. والراصد لما سبق يدرك بوضوح أن من الأهداف الحقيقية ليس الحرب على تمويل الإرهاب كما يُعْلَن، ولا حرب التشدد الإسلامي والسلفية والوهابية أو الأصولية الإسلامية وغيرها من الفزّاعات المتجددة كما يُردد الإعلام العالمي، وإنما الهدف الحقيقي هو وقف مد الإسلام وانتشاره، ومقاومة انتصاره باعتباره منافساً يمتلك كثيراً من مقومات المنافسة.

ولعل خير مثال يُقَدَّم في هذا المجال ما صرَّح به مؤلفا كتاب (الهلال الخيري) بينثال وبيليون حيث أكدا على أن عنصر المنافسة غير غائب عن دوافع الحملات الغربية على المؤسسات الإسلامية، فقالا: «على المستوى المحلي داخل الدول الإسلامية، وفي أوساط المجتمعات الإسلامية في الدول غير الإسلامية فإن برنامج الرفاه الاجتماعي التي تقدمها الروابط الإسلامية التطوعية نالت اهتمام الغرب»[1]، وأبرز المؤلفان جانب الندية والمنافسة حينما قالا: «ونقطة جديرة بالاهتمام حول النظم الإسلامية بصفة خاصة أنها ليست فقط لها الانتشار الواسع في وسط الناس، ولكنها طوّرت برامج دولية مدعومة بشكل من العالمية، وهذا يشكِّل بديلاً يضاهي الغرب اليهودي والمسيحي»[2].

---

(١) انظر: جوناثان بنثال وجيرم بيليون، كتاب الهلال الخيري، (المقدمة).

(٢) انظر المرجع السابق، (المقدمة)، ص٧٦-٧٧.

وحينما نعلم -حسب كتاب (القطاع الخيري ودعاوى الإرهاب)- أن المؤسسات الإسلامية أصبحت منافسة لمثيلاتها الغربية في ميادين القيم والمبادئ والتفوق في البرامج والمهنية الاحترافية، وحيث نجاح التراحم والتعاون، وغوث الملهوف، ومساعدة المكروب، ودعم التنمية بين الفقراء والمحتاجين، بل ومزاحمتها لمنظمات الغرب في المصداقية والأعمال الاحترافية، وهو ما يؤكد الأسباب الرئيسة لاتهامها، ويضاف إلى ذلك أن هذه المؤسسات الإسلامية أسهمت في تحجيم أهداف وأجندات المؤسسات الغربية، خاصة المتخصصة في أدوار التنصير، وذلك في كثير من الساحات الدولية رغم تحقيق نجاحات كبيرة للمؤسسات الغربية، لكنها لا ترتقي لمستوى تحقيق أهدافها. وكان النجاح في هذا السباق للمؤسسات الإسلامية ظاهراً وواضحاً في الميادين الدولية، رغم ضعف الإمكانات كما هو الواقع، وكما أكد ذلك الباحث البريطاني المتخصص في المنظمات جوناثان بينثال (Jonathan Benthall) والباحثة الأكاديمية الهولندية الدكتورة ميكي كاج (Mayke Kaag) والباحثة البريطانية تانيا كارينا هسو (Tanya Carina Hsu) وغيرهم ممن أكدوا أنها تتسم بالمصداقية والنزاهة والحرفية والمهنية مما جعلها في موضع المنافسة[1].

وبالمقابل عن حجم مُحصِّلة المؤسسات الغربية فقد ورد في النشرة الدولية للبحوث الإرسالية النصرانية عن التنصير وأنشطته في العالم حسب إحصائيات قديمة للمقارنة، ففي عام ١٩٩١م أظهرت الإحصائيات وجود جيوش يقودها معهد زويمر وغيره! ففي بعضها

(١) انظر: عن أقوال هؤلاء وغيرهم، محمد السلومي، ضحايا بريئة للحرب العالمية على الإرهاب، ص٥٤-٥٥.

ورد: هناك (١٢٠٨٠٠) مؤسسة تعمل -على امتداد العالم- لتنصير المسلمين! وهناك (٩٩٢٠٠) معهد لتأهيل المُنَصِّرين وتدريبهم! أمّا المنصِّرون المحترفون العاملون على رأس العمل التنصيري فإن تعدادهم يبلغ (٤٢٠٨٢٥٠) منصِّراً!

وفي مؤسسات التنصير هذه ٨٢ مليون كمبيوتر! وعدد المجلات التنصيرية التي تصدرها هذه المؤسسات يبلغ (٢٤٩٠٠) مجلة! أما عدد الكتب التي أصدرتها هذه المؤسسات في عام واحد فهو (٨٨٦١٠) كتاب! وهناك (٢٣٤٠) محطة للإذاعة والتلفاز تعمل في حقل التنصير! أما نسخ الكتب المقدسة التي وزعتها المؤسسات التنصيرية في عام واحد فإنها بلغت (٥٣,٠٠٠,٠٠٠) نسخة، وفي حقل التعليم -رياض الأطفال وغيرها- هناك (١٠٦٧٧) مدرسة، يدرس بها طلاب يصل عددهم إلى ٩ ملايين طالب[١].

وفي دراسة حديثة نُشرت في النشرة الدولية للبحوث التبشيرية عن حالة الديانة المسيحية عالمياً ما بين عامي ١٩٠٠-٢٠٥٠م، تُظهِرُ الإحصائيات وتُبيِّن أعمال التنصير وأنشطته في منتصف عام ٢٠١٥ ميلادية بأن عدد وكالات البعثات الأجنبية الإرسالية بلغت (٥,١٠٠) وكالة، وبلغ عدد المبشرين المنصرين المواطنين والأجانب (١٢,٠٠٠,٠٠٠) مواطن، و(٤٠٠,٠٠٠) أجنبي.

كما أن عدد المجلات الدورية التبشيرية الصادرة بلغت (٦٦،٠٠٠) مجلة، وعدد الكتب المسيحية التي طُبعت في منتصف

---

(١) انظر: مجلة النبأ، العدد ٦٠، بتاريخ جمادى الأولى ١٤٢٢هـ الإحصائيات منشورة على الإنترنت، الرابط التالي:

http://islammemo.cc/2003/06/19/501.html?lang=ar-sa.

عام ٢٠١٥م بلغ عددها (٨,٢٠٠,٠٠٠) كتاب، وأما عدد نسخ الكتب المقدسة المطبوعة سنوياً التي وزعتها الوكالة المعنية بالتنصير فقد بلغت حوالي (٥,٠٦٠) مليون نسخة، ونسخ الأناجيل المطبوعة سنوياً الموزعة عددها (٨٢,٦٠٠,٠٠٠)، وبلغ عدد مستخدمي الراديو والتلفزيون والإنترنت في المحطات التبشيرية (٢,١٥٠) مليون[١].

وعن التمدد التنصيري في الفراغ الإسلامي أوردت مجلة البيان اللندنية حول النمو الكبير والمتزايد للمؤسسات التنصيرية المعنية بتغيير الدين والثقافة والتنصير للمسلمين في الدول الإسلامية كأنموذج، ناقلةً من إحصائيات معهد (جوردن - كنويل اللاهوتي) لدراسة الأديان بجنوب هاملتون؛ أن عدد الجماعات التنصيرية العاملة في الدول الإسلامية ما بين عامي (١٩٨٢ و ٢٠٠١م) قد وصل للضِعف تقريباً، فبعدما كان عددها نحو ١٥ ألف منظمة، وصلت إلى أكثر من ٢٧ ألف منظمة[٢]!

وفي المقابل فإن تلك الإحصائيات -بالرغم من ضخامتها- فإنها تتضاءل في تحقيق أهدافها الكُبرى. فنتائج جهودها لا ترتقي إلى تحقيق الأهداف -رغم نجاحات مشهودة في البرامج التنصيرية والإغاثية- أمام منتجات ومخرجات المؤسسات الإسلامية، بالرغم من أن المؤسسات الإسلامية لا ترقى إلى مستوى الإمكانات المادية

(١) انظر: النشرة الدولية للبحوث التبشيرية، مجلد ٣٩، رقم (١)، الإحصائيات منشورة على الإنترنت، الرابط التالي:

http://www.gordonconwell.edu/resources/documents/2IBMR2015.pdf

(٢) انظر: مجلة البيان اللندنية، العدد ٢٨٠، بتاريخ شهر ذي الحجة ١٤٣١هـ الموافق (ديسمبر ٢٠١٠م)، ص٥٠-٥٤.

الهائلة لدى المؤسسات الغربية، ومع هذه الأنشطة الكبيرة والمتزايدة فهل أطلق المسلمون على هذه الأعمال والميزانيات والمعونات مصطلح (مسيحية فوبيا).

وبالمقارنة في الإنفاق فإنّ المؤسسات الإسلامية الخليجية في نهاية التسعينيات من القرن الماضي تدفع حوالي نصف مليار دولار سنوياً فقط في تنمية وطوارئ البلاد الفقيرة، بينما تدفع دول الشمال لدول الجنوب من خلال منظماتها ٦٠ مليار دولار سنوياً خلال التسعينيات من القرن الماضي، ولكن ١٥٪ من تلك المعونات الغربية هي التي قد تصل للمستفيدين، كما أكد ذلك بعض الباحثين الغربيين مثل غراهام هانكوك، وهذا هو الفرق بين النوعين![1].

يقول هيثم مناع: «لقد أدى انتشار منظمات ما يسمى بدول الجنوب -ولاسيما أن مصادرها المالية ذاتية لا تخضع فيها للمساومات أو التسييس وتعمل باستقلالية كبيرة- إلى تعزيز فكرة مجتمع مدني على الصعيد العالمي. وأصبحت المعادلة تقوم على ضرورة التفكير والعمل بشكل عالمي لا بشكل غربي؛ لأن نشطاء الجنوب يمتلكون مؤسساتهم المستقلة، ويرفضون أي علاقة إرغام أو هيمنة، ويطمحون لتعاون متكافئ قائم على الاحترام المتبادل والتكامل الضروري، إيماناً من القائمين على تلك المؤسسات بأن ساحات العمل والاحتياج تتطلب المزيد من المؤسسات المستقلة... الجمعيات الإنسانية والخيرية الإسلامية قد تجاوزت مهمتها الآنية لسد رمق عائلة أو تعليم يتيم

---

(١) انظر: كيف تصرف التبرعات والمعونات والفساد الإداري والمالي المصاحب لهذه المنظمات؟ غراهام هانكوك، سادة الفقر، ترجمة ناصر السيد ومستهار السقيد، ط١، بيروت: دار الحداثة، ١٩٩٤م، ص٨.

أو تخفيف مآسي الحروب، لتصبح إحدى الضمانات المركزية لبعض جوانب التنمية من خلال الدفاع عن الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في العالم»(١).

وفي مقابل الحصار على المؤسسات الخيرية الإسلامية وإقصائها فإن المؤسسات الإيرانية الشيعية تتمتع بكامل الدعم والحرية في الساحات الدولية مما يكشف عن أهداف الحرب على المؤسسات الإسلامية.

وما سبق من حقائق وإحصائيات وأقوال تؤكد عنصر المنافسة الإسلامية، كما تكشف عن الاستفزاز المنظم والمُبرمج ضد الشعوب المسلمة في ممارسة حقوقها الإنسانية والإغاثية والدعوية.

الوقفة الثالثة: نموذج من صناعة الإرهاب:

ومما يكشف عن صناعة الإرهاب الدولي الماحق حسب وصف نعوم تشومسكي: «الهجوم الماحق على العراق، الغزو الأمريكي - البريطاني الذي كان غير مبرر بصورة مطلقة، هو جريمة كبرى من جرائم القرن العشرين وقد أسفر الغزو عن فناء مئات الآلاف في بلد كان مجتمعه المدني قد دُمِّر سلفاً بالعقوبات الأمريكية والبريطانية التي وصفها الدبلوماسيان الدوليان البارزان اللذان أشرفا على إدارتها، واستقالا احتجاجاً على هذا السبب بأنها (مذبحة جماعية) بكل ما في الكلمة من معنى، لقد خلَّف الغزو أيضاً ملايين اللاجئين ودمَّر

---

(١) انظر: هيثم مناع، في كتابه صرخة قبل الاغتيال، المكتب الدولي للمنظمات الإنسانية والخيرية، ط١، ٢٠٠٤م، وانظر: مداخلة هيثم مناع، (الجمعيات الإنسانية والخيرية في العالم العربي: الضرورة والإمكانيات)، الرابط التالي:
http://www.cordoue.ch/human-security/item/183-مداخلة-هيثم-مناع

البلاد بالكامل، وأجج نيران أحقاد طائفية تعمل الآن على تمزيق العراق والمنطقة برمتها»[1].

ويُضاف إلى هذا ما دونه كاتبٌ غربي جون بِلجر (John Pilger) عن الصانع الغربي للإرهاب، وميدان الصناعة عدالة أمريكا -المزعومة- وأرض العراق، والضحية عامل إغاثة لأطفال العراق، والحرب على نموذج بسيط من عمل خيري داخل أمريكا لصالح أطفال العراق، بعد حرب الخليج الأولى وحصار شعبه وأطفاله.

يقول: «في عام ١٩٩٩م، سافرت إلى العراق مع دينيس هاليداي (Denis Halliday) الذي استقال من منصبه كمساعد للأمين العام للأمم المتحدة، معترضاً على تشديد العقوبات التأديبية التي فرضتها الأمم المتحدة على العراق. والمعاناة الرهيبة التي سببتها تلك العقوبات التي فرضتها وأشرفت على تنفيذها الولايات المتحدة وبريطانيا والتي أسفرت -حسب منظمة اليونيسيف- عن موت نصف مليون طفل عراقي دون سِنِّ الخامسة.

وبعد مضي عشر سنوات التقيت في نيويورك بمسؤول بريطاني كبير، كان مسؤولا عن تطبيق تلك العقوبات، وهو كارني روس (Carne Ross)، وقد كان يُعرف بمستر عراق، فقرأت عليه إفادة أدلى بها أمام لجنة مختارة من البرلمان البريطاني في عام ٢٠٠٧م، كما يلي حجم الأدلة المتوفرة يشير بوضوح إلى أن العقوبات تسببت في معاناة إنسانية هائلة بين المواطنين العراقيين العاديين وخصوصاً بين

---

(١) انظر: نعوم تشومسكي، من يحكم العالم؟ حول دور أمريكا وحلفائها في منع الديمقراطية الحقيقية في العالم العربي، ترجمة فواز زعرور، لبنان: دار الكتاب العربي، ٢٠١٦م، ص٣١٧.

الأطفال، ونحن وحكومتا الولايات المتحدة والمملكة المتحدة كُنَّا المهندسين والمجرمين الأساسيين في تلك العقوبات، وكُنَّا على علم ووعي تام بهذه الأدلة في ذلك الوقت، ولكننا في الغالب تجاهلناها أو ألقينا باللائمة فيها على حكومة صدام حسين. [ونحن] قمنا فعلياً بحرمان الشعب برمته من أي وسيلة للحياة.

فقلت: هذا اعتراف فظيع، فأجابني، نعم أتفق معك، وأنا أشعر بالعار الشديد حيال هذا الأمر، وقبل ذهابي إلى نيويورك، ذهبت إلى وزارة الخارجية وكنت أتوقع أن أجد توضيحاً موجزاً عن كميات السلاح الهائلة التي لا زلنا نعتقد أن العراق كان يمتلكها، فنظر المسؤول في وجهي وقال بكل خجل: حسناً، في الواقع لا نعتقد أنه كان هناك أي شيء من ذلك في العراق!

كان ذلك في عام ١٩٩٧م، قبل أكثر من خمس سنوات من غزو جورج بوش وتوني بلير للعراق لأسباب كانوا على علم بأنها مفبركة وغير صحيحة. فالدماء التي قاموا بسفكها، حسب الدراسات التي أجريت مؤخراً، أكثر من تلك التي سفكت في الإبادة الجماعية في رواندا»[١].

وتحت عنوان تكاليف العنف كتب نعوم تشومسكي بلغة الإحصائيات والنقل من خبراء، وكيف أن الإرهاب الدولي هو المسؤول عن إرهاب الجماعات والأفراد من المسلمين ممن يُسميهم الجهاديين: «لقد أسهم غزو العراق بشكل أساسي في هذه العملية

---

(١) انظر: جون بلجر، مقال بعنوان: محاكمة سياسية لرجل يهتم بالمحتاجين ونهاية العدالة في أمريكا، بتاريخ ٢٦ ذي الحجة ١٤٣٣هـ، موقع الإسلام اليوم، الرابط التالي:
http://www.islamdaily.org/ar/charity-organisations/11502.article.htm

بحسب ما كانت وكالات الاستخبارات قد توقعت، يُقدر خبيرا الإرهاب بيتر بيرجن وبول كركشانك بأن حرب العراق (قد ولدت زيادة مذهلة مقدارها سبعة أضعاف في المعدل السنوي لهجمات الجهاديين التي وصلت حرفياً إلى مئات الهجمات الإرهابية الإضافية وخسارة آلاف الأرواح في صفوف المدنيين، حتى لو استثنينا الإرهاب في العراق وأفغانستان، فإن الهجمات الفتاكة في بقية أنحاء العالم قد ازدادت بأكثر من الثلث)»[1].

وتتجاوز هذه الصناعة للإرهاب إلى العمل التطوعي الإسلامي وما يصحبها من الدعاية الإعلامية من خلال القصة التالية كما وردت في مصادرها الغربية: «في يوم ٢٦ فبراير ٢٠٠٣م، أي قبل شهر واحد من الغزو [على العراق]، قامت العناصر الفيدرالية باعتقال الدكتور رافل ظافر، أخصائي السرطان الشهير في سيراكيوز (Syracuse) بنيويورك. وقاموا باستجوابه عن المؤسسة الخيرية التي أسسها، واسمها: «ساعدوا المحتاجين» (Help the Needy) وكان د. ظافر واحداً من الكثيرين من الأمريكيين - مسلمين وغير مسلمين - الذين ظلوا يجمعون الأموال على مدى ثلاثة عشر عاماً من أجل توفير الغذاء والدواء لضحايا تلك العقوبات من العراقيين المرضى الذين كانوا يعانون ويلات الجوع والمسغبة. فسأل المسؤولين الأمريكيين عما إذا كانت هذه المعونات الإنسانية قانونية، وقد كان على ثقة من أنها كذلك- حتى قبض عليه العملاء الفيدراليون ذات صباح باكر في سيارته وهو متوجه إلى عمله بقسم الجراحة بالمستشفى. لقد تم تحطيم الباب الأمامي ووجه المسدس إلى رأس زوجته، وهو اليوم

(١) انظر: نعوم تشومسكي، من يحكم العالم؟ ص٣١٩.

يقضي حكماً بالسجن لمدة اثنين وعشرين عاماً.

في اليوم الذي اعتقل فيه أعلن المدعي العام آنذاك في إدارة بوش، جون أشكروفت (John Ashcroft)، أنه قُبض على مولي الإرهاب. لقد كان ذلك الإرهابي! رجلاً نذر نفسه للاهتمام بالآخرين، ولاسيما مرضى السرطان في مجتمعه الذي يعيش فيه في نيويورك، أكثر من مليوني دولار جمعها بفضل مصداقيته، وبالرغم من أن عدة أشخاص تطوعوا لتقديم منازلهم لكفالته أثناء محاكمته، فقد رفضت السلطات ستة طلبات للإفراج عنه بالكفالة.

لقد تمت محاكمة الرجل بموجب قانون السلطات الطارئ. وقد كانت جريمة ظافر هي إرسال الغذاء والدواء لذلك البلد المنكوب الذي وُلد فيه، لقد عرضوا عليه تخفيف الحكم لو اعترف بأنه مذنب، ولكنه رفض لأن ذلك ضد مبادئه، والمساومة على الاعتراف هي من جوانب الظلم والإجحاف التي تعتري النظام القضائي الأمريكي، ومنح المدعين صلاحيات القاضي، وهيئة المحلفين والجلاد. وبسبب رفضه لذلك العرض تمت معاقبته بتهم إضافية، من بينها الاحتيال على نظام الرعاية الصحية. وهي (جريمة) تستند إلى عدم قيامه بتعبئة استمارات المطالبات بطريقة صحيحة، وعُوقب بجريمة غسيل الأموال والمراوغة الضريبية، والمبالغة في الأمور الفنية فيما يتعلق بالصفة الخيرية لمؤسسة: ساعدوا المحتاجين.

جورج باتاكي (George Pataki) الذي كان حاكماً لولاية نيويورك آنذاك، سمى هذا غسيل الأموال لمساعدة المنظمات الإرهابية على ارتكاب أعمال فظيعة، ووصف الدكتور ظافر ومؤيدي مؤسسة:

ساعدوا المحتاجين، بأنهم إرهابيون يعيشون بيننا في نيويورك، ويقومون بدعم ومساعدة وتحريض أولئك الذين يريدون تدمير نظام حياتنا وقتل أصدقائنا وجيراننا، كانت الرسالة قوية جداً بالنسبة لأعضاء هيئة المحلفين. كانت تلك هي أمريكا في الحالة الهستيرية التي تعرضت لها على أثر أحداث الحادي عشر من سبتمبر.

والمحاكمة التي جرت بين عامي ٢٠٠٤ و٢٠٠٥م كانت خيالية مثل روايات كافكا. فقد بدأت بنجاح الادعاء في طلبه من القاضي حظر ذكر كلمة إرهاب أثناء المرافعات. وتقول كاثرين هيوز (Katherine Hughes)، وهي مراقبة في المحكمة: لقد تحول هذا الحكم إلى جدار عصي أمام الدفاع، فقد كان بمقدور المُدَّعين أن يشيروا إلى اتهامات أكثر خطورة، ولكن الدفاع لم يكن ليسمح له باتخاذ نفس المسار للاستجواب وتفنيد تلك الاتهامات، وبالتالي لم تجر المحاكمة بالطريقة التي كان ينبغي أن تجري بها.

لقد كانت محاكمة سياسية ذات أبعاد ستالينية، وجزءاً من المشهد الجانبي المعادي للمسلمين الحرب على الإرهاب. وقد قيل لهيئة المحلفين: إن الدكتور ظافر مسلم سلفي، وكأنه الشيطان بعينه. لقد ذكر اسم أسامة بن لادن دون أن يكون له أي صلة بالأمر، وأن مؤسسة: ساعدوا المحتاجين، كانت تُروِّج علانية عن أهدافها الإنسانية، وأنه كانت هناك فواتير وسندات لشراء مساعدات غذائية طارئة. وفي فبراير الماضي ونفس القاضي السابق كرر إعادة إصدار الحكم مرة أخرى على د. ظافر بالسجن اثنين وعشرين عاماً»[1].

---

(١) انظر: جون بلجر، مقال بعنوان: محاكمة سياسية لرجل يهتم بالمحتاجين ونهاية العدالة في أمريكا، بتاريخ ٢٦ ذي الحجة ١٤٣٣هـ موقع الإسلام اليوم، الرابط التالي:

وبعد هذه القصة الواقعية فلكل إنسان حق التساؤل عن هذا الصراع المفتعل بالأسئلة التالية: هل المتعضبون من الغربيين أدركوا أن مستقبل المؤسسات الإسلامية الناشئة -حسب الرصد والواقع والتاريخ- سوف يصبح وسيلة من وسائل نهضة الأمة وترابطها وإعادة حضور الحضارة الإسلامية في الساحات الدولية! وسيُسهم كذلك في حل مشكلات الفقر والأمراض والتخلف لدى المجتمعات الفقيرة! وهل الإجهاض المبكر لها مهم عندهم إلى هذه الدرجة، قبل نموها وتحولها من مؤسسات وجمعيات محلية ودولية ذات إمكانيات محدودة -كما هو واقعها الحالي- إلى قطاع إداري ثالث يتمتع بكامل حقوقه المالية والإدارية، وإلى شريك تنموي في عمليات التنمية مع القطاع الحكومي والقطاع الخاص، من خلال مؤسسات وجمعيات علمية وثقافية وتعليمية وصحية تنموية؟ ثم هل تحولها إلى قطاع ثالث يتعارض مع كثير من الاستراتيجيات الغربية ويسبب المنافسة الحضارية؟ وهل نتيجة هذه المنافسة الحضارية المحدودة عند متعصبي الغرب أنه لا بد من العمل على افتعال الصراع وصناعة الإرهاب لإيقاف جهود هذه الوسائل الحضارية؟ الإجابة عن هذه التساؤلات قد تتوفر بعضها في هذا المبحث حيث يتضمن قدراً كافياً من الأقوال الغربية عن عناصر المنافسة التي تصنع الصراع لدى المتعصبين.

الوقفة الرابعة: فلسطين والقدس الحرام:

كانت فلسطين إلى أواخر سنوات الإمبراطوريّة العثمانيّة وحتى الحرب العالمية الأولى في معظمها مناطق ريفية، مقسّمة إلى عدّة وحدات حكومية صغيرة، إلى أن أصدرت الحكومة البريطانية وعد

---

http://www.islamdaily.org/ar/charity-organisations/11502.article.htm

بلفور الذي أعلن دعماً للهدف الصهيوني الرامي إلى إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين بتاريخ نوفمبر ١٩١٧م، وهو مجرد وطن ليهود مشردين! وبعد شهر قام الجيش البريطاني بغزو القدس منهياً بذلك العهد العثماني في فلسطين. وفي سنة ١٩٢٠م عيّنت عصبة الأمم بريطانيا دولة انتداب على فلسطين! ومنذ ذلك الحين واليهود يُمعِنون قتلاً وسجناً وتشريداً وتهويداً للسكان والأراضي، ومسخاً للهوية الفلسطينية، واقتلاعاً لجذور الحضارة العربية الإسلامية فيها، وتجريد الفلسطينيين من هويتهم وحقوقهم السياسية والشخصية والفكرية والثقافية والحضارية(١)، ويقومون بممارسات تتناقض مع أبسط الحقوق الإنسانية بحماية كاملة من الغرب، وعلى رأسه أمريكا التي وَرِثت الدور البريطاني في المنطقة، حتى وصل الاستخفاف لدى اليهود إلى حد مطالبة دول العالم الإسلامي بالاعتراف بـيهودية دولتهم المزعومة! والتنصل من القرارات الدولية المُدينة والمُلزمة للكيان الصهيوني المغتصب.

فالأمر إذن ليس مجرد إيجاد وطن لليهود، وليس حرباً سياسية واقتصادية فقط، بل أصبحت حرباً حضارية كبرى يشنها الغرب ضد الإسلام وحضارته وأمته، وجعلوا من الـيهود رأس حربةٍ دائمةٍ في المنطقة.

لقد كان المزارع الأمريكي والهندي الأحمر يقف ضد الرأسمالية المصادرة لأرضه حتى بالشراء! فكيف بشعب كامل تُصادر أرضه ووطنه وهويته ومستقبله! فشعوب العالم العربي والإسلامي من حقها

(١) بتصرف من موقع فلسطين. ويلاحظ أن الغرب يتعاطى بازدواجية (Double Standard) فمعظم القرارات الصادرة ضد الصهاينة تُلغى أو لا تُنفذ أو يُتخذ بحقها قانون الأقوياء (الفيتو) من قبل هيئة الأمم المتحدة، ومجلس الأمن، كما هو الحال عند كثيرٍ من المنظمات والهيئات الإنسانية والحقوقية المُسيَّسة من الأقوياء.

الدفاع عن نفسها وحضارتها حيث كنزها الثمين، بل وأراضيها.

والمسلمون وقياداتهم الشرعية بوجه خاص يمضون قُدُماً نحو تنمية مجتمعاتهم وإصلاحها. ويرفضون الاحتلال والانجرار إلى الصراع. كما يرغبون في نشر وتأصيل مبادئ الحرية والعدالة والسلام والأخلاق الفاضلة، في تنافس شريف من خلال التعاون وتبادل المنافع بين الأمة المسلمة والأمم الأخرى. وبمثل هذا فقط يمكن للعالم أن يبني معاً مستقبلاً على قدر من الفهم والاحترام المتبادل وتكوين شراكة حقيقية في توجيه العالم نحو السلام والعدل والحرية الحقيقية[1]. لكن زراعة كيان غريب وسط أمة الإسلام يتنافى مع ما سبق، وإن من حق المسلمين استرداد أرضهم المغتصبة بالجهاد والمقاومة ولاسيما بعد فشل الحلول السلمية ومفاوضات ما يزيد عن نصف قرن من الزمان. وهو حق مشروع يفوق بمراحل حق الولايات المتحدة الأمريكية في الحروب الاستباقية وحروب الفوضى الخلاقة، وحرب ما يُسمَّى بـ(الإرهاب)، وغيرها من الحروب المفتعلة التي شرعتها حكومة الولايات المتحدة الأمريكية لنفسها ولغيرها، ومارستها مع بعض حلفائها في الاعتداء على من تراهم خُصوماً للغرب المتعصب.

وتبقى القضية الفلسطينية وتحرير القدس من المغتصب اليهودي الصهيوني -في حالة استمرار الصلف اليهودي والدعم السياسي والعسكري والمادي من معظم دول الغرب- مصدراً يُغذِّي الصراع والحروب والجهاد والمقاومة وهي حقيقة ماثلة لدى الطرفين. وعموم

(١) لمزيد من المعلومات عن القضية الفلسطينية يمكن الرجوع إلى الموقع التالي:
www.arabji.com/palestine/govt.htm

المسلمين في أصقاع الأرض لا يمكن لهم تجاهل الواجب عليهم؛ مما يجعل التعاطي مع الحوار والمقاومة قائماً على معرفةٍ بالتاريخ والواقع، ومستنداً على الحقوق والشرعية بأن فلسطين ليست لليهود المغتصبين.

ومن المؤكد لدى عموم المسلمين أن قضية فلسطين من عوامل توحيد الأمة الإسلامية يوماً ما، وهي موعودةٌ بالنصر من نبيها محمد ﷺ بقوله: (لا تقومُ الساعةُ حتى يُقَاتِلَ المسلمون اليهودَ، فيقتلُهم المسلمون، حتى يختبئَ اليهوديُّ من وراءِ الحَجَرِ و الشجرِ، فيقولُ الحجرُ أو الشجرُ: يا مسلمُ! يا عبدَ اللهِ! هذا يهوديٌّ خلفي، فتعالَ فاقْتُلْهُ، إلا الغَرْقَدَ، فإنه من شجرِ اليهودِ)[1].

الوقفة الخامسة: وثائق الـ «ويكيليكس»:

لبعض عُقلاء الغرب ومنصفيهم رأيٌ آخر ومواقف عملية من صناعة الحروب على العالم الإسلامي، بل هم ضد هذا الصراع المصنوع من قبل متعصبي قومهم، ويرى كثير منهم وجوب إيقافه والتصدي له، بل وكشف الانتهاك المنظم لحقوق الإنسان والدول، فوثائق ويكيليكس (Wikileaks) التي تسربت عدة مرات أواخر عام ٢٠١٠م -ولا زالت تتسرب- من المواقع السرية والخاصة لوزارة الدفاع الأمريكية والخارجية الأمريكية تُـعـدُّ إحدى أهم تفسيرات كشف صناعة ما سُمِّي بالإرهاب، وبالتالي ثورة الأحرار، أو ثورة التقنية على الظلم والطغيان الأمريكي اللامحدود[2]. وهي تكشف

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن، حديث رقم (٢٩٢٢).

(٢) انظر: محمد السلومي، مقال بعنوان: الحرب العالمية على الإرهاب - السعودية والويكليس نماذج إضافية، رسالة مركز القطاع الثالث للاستشارات والدراسات الاجتماعية (قطاع)، الرابط التالي: http://bit.ly/2h1cHug.

بجلاء أن سياسة القطب الواحد المتعصب الذي يقود العالم بأجمعه إلى الصراع وميادين القتال حَثَّت عُقلاء العالم على المقاومة المعرفية والإعلامية، ومن ذلك كَشْفُ بعض الملفات السرية عن الخُطط المعادية للآخرين.

يقول كمال حنا في صحيفة الحياة: إنّ جوليان أسانج الذي نشر الوثائق أراد وضع الحكومات تحت مرقاب الصدق والنزاهة، معتبراً أن المجتمعات الديمقراطية تحتاج إلى إعلام قوي لإثبات كذب حكوماتها خصوصاً في تبريرها لحروبها، والطلب من مواطنيها أن يضعوا حياتهم وضرائبهم في خدمة هذه الأكاذيب. وهؤلاء العقلاء من الغرب، ومنهم مجموعة ويكِيليكس الذين أرادوا مع غيرهم من الغيورين على السلام الحقيقي وعلى الحريات الحقيقية أن يسهموا بإيقاف الطغيان ووضع حدٍّ لجر دول العالم رغباً ورهباً للصراع والخصومات، كما أرادت هذه المجموعة مع غيرها من المتعاونين من موظفي الحكومة الأمريكية الذين هم بهذا التعاون يريدون تحجيم النفوذ العالمي لبلادهم، وما فيه من صناعة للصراع والإرهاب من خلال الضغط بكشف المعلومات وتسريبها. وجميع ذلك بقصد كشف مشروع صناعة الخصوم الجدد بعد سقوط الاتحاد السوفيتي الخصوم القدامى، ذلك المشروع الذي صنعه المتعصبون الغربيون من صانعي الموت والحروب القائمة على صناعة مناخ الفعل وبيئة رد الفعل[1].

وقد كان جوليان أسانج صريحاً وواضحاً في كشفه لأهدافه

---

(١) انظر: صحيفة الحياة، العدد ١٧٤٤٨، بتاريخ ٧ محرم ١٤٣٢هـ الموافق (١١ يناير ٢٠١١م).

وأهداف منظمته الخيرية غير الربحية في (الحلقة التلفزيونية الأولى) من مقابلته مع قناة الجزيرة بتاريخ: ٢٠/ ١١/ ١٤٣١هـ، الموافق: ٢٨/ ١٠/ ٢٠١٠م، حينما قال: «في الحقيقة أجد هذا العمل مرضياً جداً لي ويشعرني بالقناعة بأن أواجه الحكومات الفاسدة التي تسيء معاملة الناس والأفراد، سواء كان ذلك عن الحكومة أم الجيش الأميركي أم الحكومات في إفريقيا. وقد حظينا بنجاح يبعث على الرضا لدينا. وننظر إلى هذا الأمر بالتالي بأنه واجب علينا أن نخوض في غمار هذا العمل؛ وذلك بغية الدفاع عن التاريخ والضحايا الأبرياء. ولكن هذا العمل مرض جداً للغاية، ومصدر الرضا يأتي من خلال مواجهة هذه التصرفات والسلوكيات الفاسدة. وهذا هو مصدر طاقتنا وقوتنا»[1].

وقال ما معناه في مقابلته مع قناة الجزيرة (الحلقة التلفزيونية الثانية) بتاريخ: ١٧/ ١/ ١٤٣٢هـ، الموافق: ٢٣/ ١٢/ ٢٠١٠م: يجب على الإدارة الأمريكية أن تعود لرشدها وتراجع المبادئ والقيم التي تأسست عليها، وقد وضع نصب عينيه بمجموعته ضريبة هذا الاحتساب السياسي -إن صح التعبير- والذي قد يكون تصفيته جسدياً بالقانون أو بغير القانون حسب طروحات بعض الرسميين في قناة فوكس نيوز الأمريكية، وقد ذكر أن لديه مجموعة من وثائق الردع التي لم تُنشر حتى الآن ما يوجب توقف الطغيان الأمريكي على العالم[2].

---

(١) انظر: كامل الحلقة التلفزيونية الأولى على قناة الجزيرة، برنامج بلا حدود، الرابط التالي: http://goo.gl/eqYaTZ

(٢) انظر: كامل الحلقة التلفزيونية الثانية على قناة الجزيرة، برنامج بلا حدود، الرابط التالي: http://goo.gl/xGew6X

وعبَّر أسانج في هذه الحلقة التلفزيونية الثانية أن السجن والتهديد سوف يؤديان إلى كشف ومعرفة الحقيقة أكثر، حينما قال: «في الحقيقة كان الوضع السجن مساعداً لي ولقضيتي، بدأ الناس يرون هذه الانتهاكات ضد منظمتنا أنها كانت حقيقية. والكل استيقظ وبدأ يهتم وينظر ليرى هل حرية الكلام التي يُدَّعى أنها موجودة في الغرب وخاصة من قبل الولايات المتحدة وشخصيات مثل هيلاري كلينتون، هل هذا كله صحيح أم أنه كذبة وشيء من النفاق، وضرب من النفاق لذلك قلت من خلال وجودي في السجن: هذا سيفتح أنظار الناس ليطلعوا على هذا الوضع، وهذا الوضع المستمر له آثار إيجابية لنا»[١].

كما قال أسانج في نفس المقابلة عن حاجة شعوب العالم، وبالذات العالم العربي إلى معرفة حقيقة حكوماتهم: «نحن نحتاج إلى كل صحفيي العالم وكل منظمات حقوق الإنسان ليقرؤوا هذه البرقيات ويفهموا فحواها، ويجدوا الروابط بينها وبين الواقع السياسي في بلدانهم، حتى إن مؤسسة مثل دير شبيغل إذا ما أرادت أن تكتب شيئاً عن لبنان فإنها لا تعرف من هو المسؤول ومن هم اللاعبون، ومن هم الأشخاص المهمون، ومن هم الأشخاص الأمنيون، لذلك لا يستطيعون فهم هذا الوضع، هذا يتطلب بعض الصحف العربية والصحفيين العرب ليتمعنوا في البحث في هذه الأمور»[٢].

ومن الحقائق أو من المُسلَّمات أنه بالرغم مما سبق عن صناعة سوط الإرهاب الأعمى من متعصبي الغرب من رجال السياسة والدين، فإن

(١) انظر: المرجع السابق.

(٢) انظر: المرجع السابق.

أنصار العدل والسلام في الغرب ليسوا بقليل، كما قال تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ (آل عمران:١١١)[١]. وبحكم المساحات الواسعة من الحريات التي منحتها دساتيرهم فإن إيصال الحقيقة لهم من المجدي والمفيد بخلاف غيرهم من الشعوب الإسلامية المغلوبة على أمرها. ومن المفيد أن تستوعب هذا الأمر حكومات الدول الإسلامية ممن سقطوا في وحل ما يُسمَّى حرب الإرهاب الغامض وفخ الصراع بين الحكومات وشعوبها، وأصبحوا مناخاً خصباً للحروب المختلفة والكاذبة التي تعمل على إسكات الأصوات الحرة في دول العالم الثالث، وتحاول إسكاتها في دول العالم الأول[٢] بقوانين الإرهاب الغاشمة، والأدلة السرية، والجريمة بالمخالطة! ولكن هذه الحروب المتطرفة والقذرة (Dirty War) كما يسمونها هي التي أيقظت الأحرار وحرّكت الضمائر البشرية الصادقة من جميع الأجناس والأديان والأمم.

وفي مقام الحديث عن وثائق ويكيليكس فإن تدبر سُنَن الله في التاريخ يوجب على أي راصد أن يدرك أن الإرادة الإلهية قضت بأن تكون بعض مصادر القوة مثل التقنية وشبكة المعلومات -كسلاح من أسلحة الحرية- هي ذاتها أصبحت مصدر ضَعف، بل إنها سلاحٌ بيد المنافسين والخصوم على حدٍّ سواء، وأن العالم الطاغي المُتحدّي ليس

---

(١) هذه الآية وردت في مؤمني أهل الكتاب زمن الرسول ﷺ، وفي ذلك قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي: «ذكر هنا من صفات هذه الطائفة المؤمنة من أهل الكتاب أنها قائمة، أي: مستقيمة على الحق وأنها تتلو آيات الله آناء الليل وتصلي وتؤمن بالله وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر»، انظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ج١، بيروت: عالم الكتب، ص٢٨٦.

(٢) تقسيم العالم إلى أول وثانٍ وثالث حسب تعبيرات الغرب عن نفسه وعن غيره.

بمعزل عن السُّنَنِ الإلهية، وهكذا أسهمت هذه التقنية وبعض أحرار العالم بكشف مهندسي الإرهاب ومصدِّري التعصب والكراهية والصراع، ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (يوسف:٢١)[١].

والوقفات السابقة نماذج واقعية فقط تكشف بوضوح عن أبرز ما يمكن اعتباره صناعة متعصبي الغرب للصراع والكراهية مع الإسلام وشعوبه ودوله، ولكن من المهم معرفة أن الشعوب الغربية في مجملها لا ترفض قيم الإسلام لو عرفته حق المعرفة، كما قال بول فندلي السيناتور في الكونجرس الأمريكي وغيره من عقلاء الغرب. بل إن الشعوب الغربية سوف تعارض حكوماتها بقدر معرفتها بحقيقة الإسلام وعدالته، وطبيعة الصراع المفتعل[٢]. وهذا ما تخدمه مؤسسات الحوار المستقلة عن الحكومات -كما سيأتي- في المبحث السادس.

المؤامرة بين التهوين والتهويل:

هناك مؤامرة[٣]، بل هناك مؤامرات حسب حقائق التاريخ والواقع، وقد يكون من الغباء تجاهل الحقائق التاريخية بإنكار وجود المؤامرة من

---

(١) لمزيد عن موضوع الويكليكس يمكن مراجعة الرسالة الصادرة من مركز القطاع الثالث للاستشارات والدراسات الاجتماعية (قطاع)، بعنوان: الحرب العالمية على الإرهاب - السعودية والويكليس نماذج إضافية، ففيها وقفات عن موضوع الويكليكس، وأن التسريبات تكشف شيئاً من حقيقة بعض الأحداث والأخبار، الرابط التالي:
http://bit.ly/2hicHug.

(٢) انظر: كلام فندلي في المبحث الرابع من هذا الكتاب، تحت عنوان: (تقارير وتصريحات عن الصراع الغربي).

(٣) عن موضوع المؤامرة يمكن للقارئ مراجعة البحث العلمي الشامل في كتاب: هاجس المؤامرة في الفكر العربي بين التهوين والتهويل. للدكتور علي بن إبراهيم النملة.

عدو في الدين، أو حاسد في الدنيا، أو صاحب مصلحة تحكم صاحبها المصالح -وليس المبادئ-. تلك المصالح التي من مقتضيات تحقيقها له إلحاق الضرر بالطرف الآخر. ولذلك فإن من لوازم تقديم المصالح المجردة على قيم العدالة وحقوق الإنسان الاعتداء على الآخرين بأي نوع من العدوان لتحقيق تلك المصالح، وبالتالي فإن هذا الواقع الذي لا تحكمه القيم والثوابت في العلاقات الدولية يتطلب من المستهدفِ بالمؤامرة العمل الجاد بإيجاد الخطط والبرامج وإنشاء المراكز الاستراتيجية والاستشارية للوقوف تجاه التآمر.

إن استراتيجية الآخر في تحقيق مصالحه على حساب الآخرين قد تكون من بواعث المؤامرة وإن لم تُسَمَّ بهذا الاسم. والمؤامرة التي بدوافع المصالح لا تعني استهداف الإسلام والعرب والمسلمين فحسب، بل إنها معهم ومع غيرهم من شعوب الأرض، وإن كانت مع المسلمين أقوى بأكثر من غيرهم، ومن المهم معرفة أن نفي المؤامرة من أصلها انهزامية ومغالطة، بل هي جزء من المؤامرة، ويكفي هذا النفي دليلاً على وجودها، ولاسيما أن أول من طرح التشكيك بوجودها داخل المجتمعات الإسلامية هي الأحزاب العلمانية والليبرالية السرية منها والعلنية وأصحاب التوجهات الفكرية المنحرفة المرتبطة بالدول الأجنبية وسفاراتها المتآمرة، وهم بهذا وضعوا أنفسهم أدواتٍ للمؤامرات، بل إنهم من وسائل تحقيق أهدافها لأنهم جزء لا يتجزأ منها[1]. والأخطر من المؤامرة وجود المناخ المناسب لها، والقابلية لها من خلال ضعف المجتمعات الإسلامية واستجابة حكوماتها.

---

(١) انظر: مشاري الذايدي، مقال بعنوان: المزيد من نظريات المؤامرة، صحيفة الشرق الأوسط، العدد ٩٤٢٢، بتاريخ ١٤ سبتمبر ٢٠٠٤م، الرابط التالي: http://goo.gl/XRuJPD

فعدائية الغرب وصراعه مع الإسلام مما لا يُشك فيه عند كثير من المسلمين، وبالتالي فإن المؤامرة تتلازم مع العدوانية والصراع، وكلما كانت المؤامرة قوية كان مَدعاةً لانكشافها. يقول مراد هوفمان: «دعونا لا نخدع أنفسنا، والتحامل الغربي ضد الإسلام والحط من شأنه وصلا لدرجة يمكن أن تحوِّل الخوف وعقدة التفوق إلى عنف عدائي للإسلام»[1].

ويؤكد طبيعة هذه العدائية الغربية وأنها من طرفٍ واحد الكاتب الصحفي البريطاني إيمانويل ستوكس، قائلاً: «الكراهية غير العقلانية وليس الإسلام عدو الغرب»[2]، ويتساءل ستوكس: هل هذه الهستيريا مبررة؟ وهل المسلمون هم التهديد الأحمر والعدو الذي يحتقر الغرب ويتآمر لتدميره؟ ليجيب بالنفي قائلاً: إن الغرب، وليس العالم الإسلامي هو من يملك ما يكفي من الأسلحة النووية لتدمير الإنسانية أكثر من مرة، وإن الغرب وليس العالم الإسلامي هو من حرض على إجراءات أدت إلى قتل مئات الآلاف من المدنيين في العراق بدءاً من العقوبات التي فُرضت عليه في تسعينيات القرن الماضي حتى الحرب[3].

الخوف من الإسلام عند متعصبي الغرب واقع تاريخي يشهد له غزواته العسكرية والفكرية على العالم الإسلامي خلال القرنين الماضيين، -وهما قرنا الحضارة المادية والحداثة الغربية!- وما تلاهما

---

(١) انظر: مراد هوفمان، الإسلام عام ٢٠٠٠، ص٦٣.

(٢) انظر: الجزيرة نت، بتاريخ ٢/ ٧/ ١٤٣٣هـ، الموافق (٢٣/ ٥/ ٢٠١٢م)، الرابط التالي: http://bit.ly/28O1Dvg، نقلاً عن: صحيفة ذي إندبندنت البريطانية.

(٣) انظر: المرجع السابق.

من أحداث جسيمة في كل من فلسطين والعراق وأفغانستان على سبيل المثال كافٍ للحكم. وهذا الغزو إذا لم يكن مؤامرة أو نتيجة للمؤامرة فماذا يعني؟ بل إن هذا الواقع تدعمه الأقوال الكثيرة الصادرة من متعصبي السياسة والدين في الغرب -كما سبق توضيحه في المبحث الثالث والرابع- وكما يقول أحد القسّيسين الغربيين عن الإسلام وأهله: «إن الخطر الحقيقي الذي يهددنا مباشراً وعنيفاً هو الخطر الإسلامي، فالمسلمون عالم مستقل كُلّ الاستقلال عن عالمنا الغربي، فهم يملكون تراثهم الروحي الخاص، ويتمتعون بحضارة تاريخية ذات أصالة، فهم جديرون أن يقيموا قواعد عالم جديد دون الحاجة إلى إذابة شخصيتهم الحضارية والروحية في الحضارة الغربية»[1].

مئة مشروع؟! أم مئة مؤامرة؟!

كتاب صدر في الغرب ومن الغرب نفسه بعنوان: كتاب مئة مشروع لتقسيم تركيا، وهذا يعني أنه ليس من تأليف مسلم أو محسوب على الإسلام، وهو معنيٌّ بتقسيم الخلافة العثمانية، والكتاب: «هو كتابٌ للوزير الروماني ت.ج. دجوفارا[2]، وقد كتبه بالفرنسية. وظهرت

---

(١) انظر: محاضرة علي النملة، ندوة الوفاء الثقافية، بتاريخ يوم الأربعاء ١ ربيع الآخر ١٤٣١هـ الرابط التالي: http://cutt.us/uUzG.

(٢) هو وزير دولة رومانية في بلجيكا ولوكسمبورغ ومنصب قائم بالأعمال في مدينة بلغراد، ومسؤول دبلوماسي في صوفيا، ومبعوث فوق العادة إلى العاصمة الآستانة. وكتاب مئة مشروع هذا يوجد نسخة منه في المكتبة البريطانية التابعة للمتحف البريطاني في لندن تحت رقم (٩١٣٦.K.١٠)، انظر عن هذا الكتاب: كتاب تعليق على التعصب الأوروبي أم التعصب الإسلامي (مئة مشروع لتقسيم الدولة العثمانية ١٢٨١م - ١٩١٣م)، محمد العبده، ص٢٣.

الطبعة الأولى منه في باريس عام ١٩١٤م، وقدَّم للكتاب لويس رينو الأستاذ في كلية الحقوق وكلية العلوم السياسية، ويبلغ حجم الكتاب ٦٥٠ صفحة من القطع المتوسط. وأثناء تعليقات الأمير شكيب أرسلان على كتاب (حاضر العالم الإسلامي) لمؤلفه لوثروب ستودارد تكلم الأمير شكيب عن التعصب الأوروبي والرد على تهمة التعصب الإسلامي، ونقل عن كتاب التسامح الإسلامي وكتاب تاريخ البابوات، وذكر أقوال بعض الأوروبيين في العرب والمسلمين وتسامحهم، ثم عرّج على واقع النصارى في البلاد الإسلامية، وكيف أنهم عاشوا دون أن ينالهم أي أذى. وكنموذج على تعصب النصارى الأوروبيين ذكر شكيب أرسلان كتاب مئة مشروع لتقسيم تركيا وعَرَضَه عرضاً وافياً، والكتاب دراسة وثائقية لحقبة طويلة من الصراع بين الإسلام وأوروبا»[1].

علق محمد العبده في كتابه المعني بهذا الموضوع، فقال: «إن هذا الكتاب[2] ليس كتاباً تاريخياً بقدر ما هو كتاب سياسي، يخبرك عن مكنون العقل الغربي وكيف يُفكر ويُدبِّر، وكيف يُتابع مشاريعه الكَرَّة بعد الكَرَّة حتى يصل إلى أهدافه، فإن أوروبا ما فتئت تُخطط لتقسيم العالم الإسلامي، أو قل: لتفتيته... والخطط تقدم بها سياسيون وقساوسة ومفكرون وأطباء يقترحون كيفية تقسيم بلاد الإسلام، فالكل متفق على إضعاف الدولة العثمانية وتفكيكها... ومن الغرائب

---

(١) انظر: محمد العبده، كتاب تعليق على التعصب الأوروبي أم التعصب الإسلامي؟، ص٢٣.

(٢) ذكر المعلق محمد العبده على الكتاب، وقال: ويسميها المؤلف تركيا والأصح الدولة العثمانية [الخلافة العثمانية]، وقد كانت دولة واسعة الأرجاء، ضمت شعوباً مختلفة، شاركت في الدولة وإن كان الأتراك العثمانيون هم الحكام والقوة الرئيسة، والمقصود بالتقسيم ليس للدولة العثمانية، بل العالم الإسلامي، انظر: المرجع السابق، ص٢٤.

في هذه المشاريع أن بعض مُقترحيها من المفكرين أو الفلاسفة الذين قد يُظن لأول وهلة أنهم من الداعمين لحرية الشعوب ونصرة العدل»[1].

والخلاصة فيما سبق عمّا قاله مؤلف الكتاب دجوفارا: «مدة ستة قرون متتابعة كانت الشعوب المسيحية تهاجم الدولة العثمانية، وكان الوزراء ورجال السياسة وأصحاب الأقلام يهيئون برامج تقسيم هذه السلطنة كما تقدم وصف كل برنامج بعينه مما يناهز مئة»[2].

وأخيراً ماذا يعني في العصر الحاضر بعض الأحداث التاريخية القاتلة لوحدة العالم الإسلامي؟ ومن ذلك على سبيل المثال (مؤتمر اليهود - بال بسويسرا!)، (وعد بلفور لتسليم فلسطين لليهود!)، (اتفاقية سايكس بيكو لتقسيم خريطة العالم الإسلامي وتوزيعه)، (الإجهاز على وحدة الأمة الإسلامية من خلال إنهاء الخلافة العثمانية!)، (أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م!)، أو وسائل استثمارها (غزو العراق!)، (تدمير أفغانستان!)، وغير ذلك كثير.

وللقارئ بعد ذلك أن يحكم عن حجم المؤامرات وطبيعتها، من خلال القراءة عن هذه المشاريع والحروب والمؤتمرات الغربية السرية منها والعلنية التي تُعطي معطيات تاريخية واضحة في تحديد طبيعة مسار الحوارات مع الغرب وطريق المقاومة ضدهم بصورها المتعددة.

هل وثيقة كامبل تُعدُّ (أمَّ المؤامرات)؟

ما لَحِقَ بالعالم الإسلامي من تمزيق وتفرقٍ وحدود مصطنعة، جُلُّ ذلك لا يعدو أن يكون مؤامرات فرعية أو إجراءات تنفيذية،

---

(١) انظر: المرجع السابق، ص٢٤-٢٥.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص١٩٢.

لأنها قد تكون نِتاج مؤامرة سرية كُبرى غير منشورة وثائقها في السابق. وقد يَصدُق بحقها أن يُقال عنها: أمُّ المؤامرات -إن صح التعبير-. فالمعلومات عنها تسربت على نطاق ضيق في اللاحق من تاريخ صناعتها، وقد صُنعت هذه المؤامرة في عام ١٩٠٥-١٩٠٧م، وعرفت باسم (وثيقة كامبل السرية) وفيها تفاصيل مثيرة جداً لتفتيت الوطن العربي، وإضعافه. وهو هدف رئيس لهذه الوثيقة. وقد تَحقَّق ذلك بالفعل. والمؤتمر هنا ضم أبرز الدول الأوروبية الاستعمارية في ذلك الوقت، وهي بريطانيا وفرنسا وهولندا وبلجيكا وإسبانيا وإيطاليا والبرتغال. وفيه شارك فلاسفة ومشاهير المؤرخين وعلماء الاستشراق والاجتماع والجغرافيا والاقتصاد، إضافة إلى خبراء في شؤون النفط والزراعة والاستعمار، وسياسيون ومفكرون وباحثون.

وقد انعقد هذا المؤتمر في لندن سراً. وهو يهدف إلى إعداد استراتيجية أوربية؛ لضمان سيادة الحضارة الغربية على العالم، وإيجاد آلية تحافظ على تفوق ومكاسب الغرب الاستعماري إلى أطول أمد ممكن! وهو ما سمي بمؤتمر (كامبل بانرمان) الذي دعا إليه حزب المحافظين البريطاني سراً في عام١٩٠٥ م، واستمرت مناقشات المؤتمر حتى عام١٩٠٧ م. وفي نهاية المؤتمر خرجوا بوثيقة سرية سموها (وثيقة كامبل) نسبة إلى رئيس الوزراء البريطاني آنذاك هنري كامبل بانرمان[١]. وتوصلوا إلى نتيجة مفادها: «إن البحر الأبيض المتوسط

---

(١) انظر: عن تفاصيل وثيقة كامبل السرية، مركز الكاشف للمتابعة والدراسات الاستراتيجية، بتاريخ أيلول ٢٠١١م، الرابط التالي:

http://alkashif.org/html/10/02/4/19.pdf

هو الشريان الحيوي للاستعمار، إلا أنه الجسر الذي يصل الشرق بالغرب والممر الطبيعي إلى القارتين الآسيوية والأفريقية وملتقى طرق العالم، وأيضا هو مهد الأديان والحضارات، والإشكالية في هذا الشريان هو أنه كما ذُكر في الوثيقة: ويعيش على شواطئه الجنوبية والشرقية بوجهٍ خاص شعب واحد تتوفر له وحدة التاريخ والدين واللسان!»[١].

ومما ورد في الكلمة الافتتاحية التي ألقاها كامبل قوله: «هل لديكم أسباب أو وسائل يمكن أن تحول دون سقوط الاستعمار الأوروبي وانهياره أو تُؤخر مصيره؟ وقد بلغ الآن الذروة، وأصبحت أوروبا قارة قديمة استنفدت مواردها، وشاخت مصالحها، بينما لا يزال العالم الآخر في صرح شبابه يتطلع إلى المزيد من العلم والتنظيم والرفاهية، هذه هي مهمتكم أيها السادة، وعلى نجاحها يتوقف رخاؤنا وسيطرتنا»[٢].

ومن أبرز ما جاء في توصيات هذا المؤتمر مما يكشف مزيداً عن حقيقته، وفيها ما يلي:

«١- إبقاء شعوب هذه المنطقة العالم العربي مفككة جاهلة متأخرة. وعلى هذا الأساس قاموا بتقسيم دول العالم بالنسبة إليهم إلى ثلاث فئات:

الفئة الأولى: دول الحضارة الغربية المسيحية وهي دول أوروبا وأمريكا الشمالية وأُستراليا.

---

(١) انظر: المرجع السابق.

(٢) انظر: المرجع السابق.

الفئة الثانية: دول لا تقع ضمن الحضارة الغربية المسيحية، ولكن لا يوجد تصادم حضاري معها ولا تشكل تهديدًا عليها كدول أمريكا الجنوبية واليابان وكوريا وغيرها.

الفئة الثالثة: دول لا تقع ضمن الحضارة الغربية المسيحية، ويوجد تصادم حضاري معها وتشكل تهديداً لتفوقها، وهي بالتحديد الدول العربية والإسلامية عموماً، والواجب تجاه تلك الدول هو حرمانها من الدعم ومن اكتساب العلوم والمعارف التقنية، وعدم دعمها في هذا المجال ومحاربة أي اتجاه من هذه الدول لامتلاك العلوم والتقنية.

٢- محاربة أي توجه وحدوي فيها.

ولتحقيق ذلك دعا المؤتمر إلى إقامة دولة في فلسطين، تكون بمثابة حاجز بشري قوي وغريب ومعادٍ، يفصل الجزء الأفريقي من هذه المنطقة عن القسم الآسيوي، والذي يحول دون تحقيق وحدة هذه الشعوب، ألا وهي دولة إسرائيل، واعتبار قناة السويس قوة صديقة للتدخل الأجنبي وأداة معادية لسكان المنطقة. ومن ذلك فصل عرب آسيا عن عرب أفريقيا، ليس فقط فصلاً مادياً عبر الدولة الإسرائيلية، وإنها اقتصاديًا وسياسياً وثقافياً، مما أبقى العرب في حالة من الضعف، واستمرار تجزئة الوطن العربي وإفشال جميع التوجهات الوحدوية، إما بإسقاطها أو تفريغها من محتواها، ولا يعني هذا الأمر بالضرورة تدخلاً إسرائيلياً، وإنها هو مصلحة لوجود إسرائيل من جهة وللتعاون بينها وبين القوى الخارجية الطامعة بالعرب من جهة ثانية».[1]

بل إن من توصيات مؤتمر المؤامرات المنشورة: «إقامة حاجز

---

(١) انظر: المرجع السابق.

بشري قوي غريب على الجسر البري الذي يربط أوروبا بالعالم القديم، ويربطهما معاً بالبحر الأبيض المتوسط، بحيث يشكل في هذه المنطقة وعلى مقربة من قناة السويس قوة عدوة لشعب المنطقة وصديقةً للدول الأوروبية ومصالحها، هو التنفيذ العملي العاجل للوسائل والسبل المقترحة»[1].

والمساحة المستهدفة الواردة في الوثيقة الصادرة من المؤتمر هي التي سماها: «المساحة الثالثة، وهي البقعة الخضراء، أو الحضارة الخضراء. فهذه المساحة من الأرض تحتوي على منظومة قيمية منافسة للمنظومة الغربية، صارعتها في مناطق كثيرة وأخرجتها من مناطق كثيرة. ومن واجب الحضارة الغربية المسيحية أخذ احتياجاتها وإجراءاتها لمنع أي تقدم محتمل لهذه المنظومة الحضارية، أو إحدى دولها لأنها مُهددة للنظام القيمي الغربي»[2].

وتقترح هذه الوثيقة ثلاثة إجراءات رئيسة لتطبيقها: «**أولاً:** حرمان دولة المساحة الخضراء من المعرفة والتقنية أو ضبط حدود المعرفة، **ثانياً:** إيجاد أو تعزيز مشاكل حدودية متعلقة بهذه الدول، **ثالثاً:** تكوين أو دعم الأقليات، بحيث لا يستقيم النسيج الاجتماعي لهذه الدول ويظل مرهوناً بالمحيط الخارجي... وعلينا محاربة اتحاد هذه الشعوب وارتباطها بأي نوع من أنواع الارتباط الفكري أو الروحي أو التاريخي، وإيجاد الوسائل العملية القوية لفصل بعضها عن بعض»[3].

---

(١) انظر: المرجع السابق.

(٢) انظر: المرجع السابق.

(٣) انظر: المرجع السابق.

وتعليقاً على النصوص السابقة الواردة في وثيقة كامبل التاريخية فيلاحظ أن العمل بها قد تم، فكانت اتفاقية (سايكس بيكو) المعنية بالتقسيم الجغرافي للعالم العربي، وهي مما يُعدُّ من التطبيقات العملية للوثيقة والمؤتمر.

وكان من التطبيقات وعد بلفور ٢/ ١١/ ١٩١٧م؛ لتأسيس قاعدة الحاجز البشري القوي الغريب على أرض فلسطين، دولة يهودية عدوةً للعرب، وصديقة وشريكة للغرب ومصالحه، وغير ذلك كثير تحت مسميات وهيئات استحدثت لهذا الغرض وما شابهه، كالشرعية الدولية والقانون الدولي والسلام الدولي.

وحقاً إنه مؤتمر استراتيجي مثمر للغرب، كان من كوارثه هذا الواقع المخزي للعالم العربي سياسياً واقتصادياً ومعرفياً. فالتقرير حسب تطبيقاته يُعد استراتيجياً بما تعنيه الكلمة.

المؤامرة بين الرفض والقبول:

مع كثيرٍ مما سبق من تفاصيل عن مشروعات تقسيم الدولة العثمانية، وعن مؤتمر كامبل ووثيقته وقراراته، يَرد التساؤل عن: ما هي حقيقة المؤامرة إذا كان ما سبق يُعد خارج نطاق المؤامرات؟ وقد يحكم القارئ أن ما سبق ليس مؤامرةً فحسب، بل أماً وأباً للمؤامرات الغربية.

وعن مكر الغرب وكيده كتب صالح الحصين بمقاله المعنون (الحرب الأيديولوجية) ومما قال: «من نماذج التكتيكات التي استخدمها الغرب ضد الشيوعية في الحرب الباردة نشاط منظمة

جلاديو (GLADIO)[1] التي أنشأتها المخابرات الأمريكية والإنجليزية، حيث كانت تقوم بتفجيرات في فرنسا وبلجيكا وإيطاليا وتنسبها لليساريين؛ بقصد سحب تعاطف الناس مع الأحزاب اليسارية حتى لا تصل إلى الحكم. ومن أفظع هذه النشاطات تفجير غرفة انتظار الدرجة الثانية في محطة قطار روما في عام ١٩٨٠م، حيث قتل ٨٥ شخصًا وجرح كثيرون، ونسب التفجير في ذلك الوقت إلى المنظمة اليسارية الألوية الحمراء. وكانت النتيجة عدم وصول الحزب اليساري للحكم، ولكن بعد انتهاء الحرب الباردة صدر تقرير برلمان روما يكشف أن العملية تمت بيد المخابرات الأمريكية، بالتعاون مع عناصر من المخابرات الإيطالية»[2].

وكما قال الحصين كذلك: «وقبل شهر تقريباً من حادث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ صدر كتاب (جيمس بامفورد) (James Bamford) المعنون: (*Body of Secrets: Anatomy of the Ultra-Secret National Security Agency*). وقد كشف الكتاب، بناء على الوثائق خططاً كان قد قدمها الجيش الأمريكي بعد فشل عملية خليج الخنازير إلى وزير الحرب الأمريكي روبرت مكنمارا، إذ كان الجيش الأمريكي في ذلك الوقت متلهفاً على إيجاد مبرر يقنع الرأي العام المحلي والدولي بغزو كوبا، كان من ضمن هذه الخطط قصف سفينة حربية أمريكية في

---

(١) انظر: تفصيل ذلك في كتاب العالم والمؤرخ السويسري (Daniele Ganser)، في كتابه (*Nato's Secret Armies: Operation Gladio and Terrorism in Western Europe*).

وانظر: الموسوعة الرقمية Wikipedia ، تحت عنوان: (Operation Gladio).

(٢) انظر: صالح الحصين، مقال بعنوان: الحرب الأيديولوجية، الرابط التالي: http://cutt.us/tktQ، نقلاً عن: (*Nato's Secret Armies: Operation Gladio and Terrorism in Western Europe*)، للمؤرخ (Daniele Ganser).

جوانتانامو، أو قصف مدينة أمريكية على الساحل الشرقي للولايات المتحدة، أو ضرب مركبة رائد الفضاء الأمريكي (غلين) عند عودته، أو إسقاط طائرة مدنية أمريكية، تطير فوق كوبا، ويعلن فيها بعد بأنها تحمل طلابا في رحلة مدرسية، بحيث تنسب هذه الأعمال إلى الحكومة الكوبية، وتبرر عملية عسكرية ضدها، ولكن أياً من هذه الخطط لم تنفذ لسبب غير معروف»[١].

وكتب الحصين مستطرداً بنماذج عن المؤامرات الغربية، الأمر الذي دعا لنقل بعض هذه النماذج من مصادرها الأصلية، وكان مما قال: عملت المخابرات الأمريكية حين أغرت الشاب الصومالي محمد عثمان محمد ١٩ عامًا عام ٢٠٠٨م بمحاولة التفجير في مكان عام، فوفرت له السكن وأعطته المال والمتفجرات، لكي تُظهر أن شاباً مسلماً حاول القيام بعملية إرهابية[٢].

ومثل عمل المخابرات الأمريكية في عام ٢٠١١م حيث هيأت الظروف لشاب باكستاني رضوان فردوس (Rezwan Ferdaus) وأعطته التمويل المالي، وهيأت له متفجرات وطائرة هواة ذات تحكم عن بعد وتسهيلات زائفة، بقصد إظهار أن مسلماً حاول القيام بعملية إرهابية[٣].

---

(١) انظر: صالح الحصين، مقال بعنوان: في ذكرى أفظع جريمة إرهابية، الرابط التالي:
http://rowaq.org/?p=177.

(٢) انظر: صحيفة سياتل تايمز (The Seattle Times)، الرابط التالي:
http://www.seattletimes.com/nation-world/feds-somali-born-teen-plotted-car-bombing-in-ore/

(٣) انظر: صحيفة لوس أنجلوس تايمز (Los Angeles Times)، الرابط التالي:
http://articles.latimes.com/2011/sep/29/nation/la-na-capitol-plot-20110929

وكتب الحصين عن المؤامرة ناقلاً من مصادر غربية، فقال: «في قصص متعددة بعضها افتضح، وبعضها بقي في طي الكتمان - وكما في كل العمليات الإرهابية التي تقوم بها الحكومات وتسميها الموسوعة البريطانية (Encyclopedia Britannica) بالإرهاب الرسمي (Establishment Terrorism)، فإن الغرب في حربه الباردة ضد الشيوعية، أو بعد ذلك ضد الإسلام، كان لا يأبه أن يكون من بين ضحاياه في عملياته الإرهابية أبرياء لم يكونوا أهدافاً بالذات، بل كان لا يأبه أن يكون مثل هؤلاء الضحايا من مواطنيه.

نموذج لهذه العمليات الإرهابية الحكومية التي انكشفت في آخر عام ٢٠٠١م إرسال ظروف إلى رجال الكونجرس وكبار الصحفيين بداخلها بكتوريوم وباء «الجمرة الخبيثة» (Anthrax) ورسائل تحمل هذه الكلمات: الموت لأمريكا، الموت لإسرائيل، الله أكبر، ولم يعرف السياسيون وخاصة رجال الإدارة والمحللون الصحفيون والكُتَّاب الكَلَل، وهم يُحذرون الشعب الأمريكي من الإرهابيين المسلمين، وأنهم حازوا السلاح البيولوجي وبدؤوا استخدامه.

ودخل الرعب كل بيت في أمريكا وشحت التطعيمات ضد الوباء، لمدة أكثر من شهر، حتى كشفت الدكتورة باربرا روزمبرج (Dr. Barbara Hatch Rosenberg) خبيرة السلاح البيولوجي أن البكتوريوم داخل الظروف مصدره معامل الجيش الأمريكي، فخمدت الضجة. وبالطبع لم تكن روزمبرج هي أول من اكتشف هذا. كانت الإدارة الأمريكية -بلا شك- على معرفة بذلك من أول يوم.

ومن بين ثلاثمئة مليون مواطن أمريكي، لم يسأل واحد منهم: لماذا خدعتنا حكومتنا الديمقراطية، وسمحت بالرعب وتداعياته أن تدخل كل بيت، وبتزييف حقيقة الواقعة، وهي تعرفها من أول يوم، إن لم تكن المتورطة فيها!؟

ولم توجه التهمة رسمياً إلى العَالِم في معامل الجيش الأمريكي بروس إدواردز إفينز (Bruce Edwards Ivins) إلا في أغسطس عام ٢٠٠٨م، وبعد أن مات المتهم بأسبوع، وبالطبع الميت لا يستطيع أن يفشي سراً، ولا يكذب الخبر الزائف عنه»[١].

وفي هذا السياق حيث الإعلام الجديد وما صحبه من ثورةٍ معلوماتية وحقوقية في الغرب والشرق، وحيث نهاية احتكار المعرفة تتكشف كثير من المؤامرات الدولية، ومن ذلك أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م، حيث توالت المعلومات والاعترافات ممن استيقظ عندهم الضمير الإنساني من موظفي وكالة المخابرات الأمريكية (CIA) سابقاً، ومن ذلك ما حدث من الاعترافات الشهيرة من ضابطة اتصال الاستخبارات الأمريكية مع العراق سيوزن لنداور (Susan Lindauer) وهي كاتبة وناشطة أميركية مناهضة ضد الحرب، والتي صرَّحت في لقاءات معها بخمس حلقات تلفزيونية متتابعة على قناة روسيا اليوم (RT) في شهري أبريل ومايو من عام ٢٠١٣م، فقالت: «بأن أحداث برج التجارة والطائرة لوكربي والمدمرة كول وأسلحة الدمار الشامل في العراق من صنع الموساد

---

(١) انظر: صالح الحصين، مقال بعنوان: الحرب الأيديولوجية، الرابط التالي: /http://cutt.us tktQ، نقلاً عن: صحيفة نيويورك تايمز (The New York Times)، الرابط التالي:
http://www.nytimes.com/2010/02/20/us/20anthrax.html?pagewanted=all

الإسرائيلي!!»[١].

وكفى عن عُمق المؤامرة في العقلية الغربية بدعم الاستبداد والدكتاتورية ما عبَّر عنه ديفيد هيرست (David Hirst) مدير تحرير ميدل إيست آي، وكبير الكُتاب في الجارديان البريطانية، وذلك بمناسبة الانقلاب التركي الفاشل في ١٥ يوليو ٢٠١٦م، بقوله: «لقد كان رد الفعل التركي تعبيراً عن ديمقراطية ناضجة، بينما كان رد الفعل الغربي تعبيراً عن ديمقراطية فاسدة، شوهها وأصابها في مقتل الدعم العسكري والسياسي الذي تقدمه الدول الغربية للاستبداد والدكتاتورية»[٢]!!!

وإضافة إلى ما سبق فهناك عشرات الكتب والكتابات الغربية التي تكشف عن حقيقة المؤامرة من خلال الكُتَّاب المنصفين وكُتَّاب الموضوعية العلمية. كما أن وثائق ويكيليكس وما تضمنته من رسائل كشفت -ولا زالت تكشف- عن حجم كبير من المؤامرات والكيد والمكر -كما سبق-، بل إنها مما فَضحَ صناعة استراتيجيات الصراع والحروب، وواقع الغدر والظلم والبغي في الساحات الدولية يؤكد

---

(١) انظر: عن جميع هذه الحلقات وما فيها من اعترافات خطيرة، الرابط التالي:
https://www.youtube.com/watch?v=okIvtY6seSs&list=PLCBCFPeioiPXBTd6oYTDJWjcMHXRy9fmV&index=1

(٢) انظر: ديفيد هيرست، المقال الأصلي باللغة الإنجليزية بعنوان: كيف هزم جهاز الآيفون الدبابات في تركيا، ميدل إيست آي، بتاريخ ١٦ يوليو ٢٠١٦، الرابط التالي:
http://www.middleeasteye.net/columns/how-iphone-defeated-tanks-turkey-1556177810

وانظر عن ترجمته في موقع عربي ٢١، بتاريخ ١٧ يوليو ٢٠١٦م، الرابط التالي:
http://bit.ly/2aNg1Gl

ذلك[1].

لكن المنهج العلمي يفرض التوازن في الرؤية والتعاطي مع الحقائق التاريخية عن حجم المؤامرة والتعاطي الطبيعي معها بدون عدساتٍ مُحدَّبة أو مُقعَّرة، وعن هذا يطرح علي النملة في مقدمة كتابه المعني بالمؤامرة أهمية التوازن بين النفي والإثبات والتحديب والتقعير، فيقول: «تأتي هذه الوقفات على هيئة مناقشات لطرفين متناقضين في موقفهما من مفهوم المؤامرة، أحدهما يثبتها إلى درجة التهويل من تأثيرها على الأمم، فهي عندهم حقيقة واقعة، والآخر ينفيها نفياً مطلقاً، ويسعى إلى تسويغ ما يظهر من أحداث تتناسب مع هذا المفهوم على أنه بفعل الناس أنفسهم ومن داخلهم. فهي عندهم وهمٌ مصطنع يوحي بحالة مرضية مزمنة تصل إلى الهوس. كما تسعى هذه الوقفات إلى البحث عن المنهج الوسط بين موقفين متطرفين، فيُثبت هذا المنهج وجود المفهوم، لكنه لا يرمي عليه كلَّ التدابير، ولا يُغفل القدرات الذاتية في الإسهام في وجود المشكلات، والإسهام كذلك في التغلب عليها بفطنة وكياسة وتثبُّت»[2]، كما قال في موضع آخر: «إن رفض بعض الناس للمؤامرة هو مؤامرة، وجعل كُل شيء مؤامرة هو مؤامرة أيضاً»[3].

---

(١) انظر: محمد السلومي، مقال بعنوان: الحرب العالمية على الإرهاب - السعودية والويكليس نماذج إضافية، الرابط التالي: http://bit.ly/2h1cHug، ومقال بعنوان: هل يمكن أن تثور الشعوب الغربية؟ الرابط التالي: http://bit.ly/2hzi1G1.

(٢) انظر: علي النملة، هاجس المؤامرة في الفكر العربي بين التهوين والتهويل، ط١، الرياض: مطبعة سفير، ١٤٣٠هـ(٢٠٠٩م)، ص١٠.

(٣) انظر: محاضرة الدكتور علي النملة، ندوة الوفاء الثقافية، بتاريخ يوم الأربعاء ١ ربيع الآخر ١٤٣١هـ، الرابط التالي:.http://cutt.us/uUzG

ولعل ما يهم القارئ في مباحث هذا الكتاب عن المؤامرة أن القابلية لها لدى الشعوب والحكومات في العالم العربي والإسلامي لا تقل أهمية عن خطرها.

والحقيقة الماثلة أن محاولات إنكار وجود المؤامرة أو التقليل من شأنها من قِبَل أعداء أمة الإسلام وخصومها، يتناقض مع الواقع ومع إيمان الأمة الإسلامية بما ورد في دينها عن المكر والكيد، لأن هذا الإيمان مما يمنح شُحنات المقاومة للمؤامرات، فمحاولات النفي لا تعدو أن تكون للحيلولة دون تعبئة الأمة بما يحاك لها وعليها، وذلك من سُنَنِ التدافع بين الحق والباطل، وهو مما يُحيي روح الفرد والجماعة والدولة والأمة إلى ما يجب فعله تجاه الخصوم.

فهل يعني ذلك أن محاولات نفي المؤامرة أو السخرية منها صادرةٌ من الأعداء وعملائهم من مؤسسي المنتديات الفكرية والإعلامية المنحرفة؟ لعل هذه العلاقة بين هؤلاء وأولئك مما يكشف أكثر عن حقيقة المؤامرة أو المؤامرات!

القرآن الكريم والقول الفصل عند المسلم.

هل من عقيدة المسلم التصديق بالمؤامرات؟ ينبه القرآن الكريم المسلمين بصريح الآيات أن المكر والمؤامرات والخيانة والصراع والحسد مما يوجد في هذه الدنيا، ولذلك فقد تكرر ورود المكر بصريح القول في القرآن حوالى (٣١) مرة[١]، ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ

(١) انظر: عن الآيات التي ورد فيها لفظ كلمة (المكر) في القرآن الكريم، الرابط التالي:
http://www.almaany.com/quran-b/%D9%85%D9%83%D8%B1/

اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ (الأنفال:٣٠)، وقوله تعالى: ﴿وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ (الرعد:٤٢)، كما ورد الكيد في القرآن مكرراً حوالي (٣٣) مرة[1]. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾ (الطارق: ١٥-١٧)، وقوله: ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ﴾ (الفيل:٢).

وإلحاق الأذى من المؤامرة كما قال تعالى: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (آل عمران:١٨٦).

والخائنة والخيانة من صور المؤامرة كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (المائدة:١٣).

والخديعة والخداع مما يدخل في المؤامرة كذلك، كما قال تعالى: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ (البقرة:٩).

ولكن مع ذلك فالقرآن الكريم كما في الآيات السابقة جعل للمسلمين منهجاً للتعامل مع المكر والخداع والكيد، حيث حثَّ المسلم على الصبر والتقوى والعفو والتوكل على الله في دفع مكرهم وكيدهم إذا لم يتجاوز إلى الصراع والحرب، وهذا يعني أن الطرف

---

(١) انظر: عن الآيات التي ورد فيها لفظ كلمة (الكيد) في القرآن الكريم، الرابط التالي:
http://www.almaany.com/quran-b/%D9%83%D9%8A%D8%AF/

الآخر من حقه التعاطي الأمثل في عمل الخطط والاستراتيجيات والبرامج التي تكشف هذا الكيد والمكر وتحبطه، وتُفشل مؤامرات المتعصبين.

وبما سبق تتأكد حقيقة المؤامرة الغربية التي تهدف في غالبها إلى الصراع والحرب بدل العدالة والسلام، فعواقبها يراها ويعيشها كل ذي لبٍ في كل عصر ومصر.

ولعل ما سبق في هذا المبحث عن صناعة الصراع والمؤامرات أضاف إجابات أكثر عن بعض التساؤلات الواردة في مقدمة الكتاب، ولذلك فمع هذه الحقائق والأقوال والأفعال الغربية المتصفة بالعدوانية فإن الحوار مطلوب، لكنه ليس حوار الاستسلام المنهزم، لأنه ليس هو الحل، ويمكن أن تكتمل الإجابة عن تلك التساؤلات فيما بقي من الكتاب وما فيه من رؤية مستقبلية واستنتاجات إضافية.

المبحث السادس

الحوار بين المنافسة والصراع

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾

(النحل:١٢٥)

في هذا المبحث تتأكد مجموعة من الحقائق عن أهمية الحوار أو وجوبه بين الشعوب الإسلامية من جهة والغربية من جهةٍ أخرى؛ بالرغم من أن الشعوب العربية -كما هو معلوم- محرومةٌ من هذا الحق إلى حدٍ كبير، وفي الوقت ذاته فالشعوب الغربية مُضَلَّلة عن حقيقة الإسلام إلى حدٍ أكبر، ولأن مؤامرات التعصب من السياسيين ورجال الدين من الغربيين لا يمكن إنكارها، فإن المناداة بالحوار والعمل به مما يفوت بعض مُسَبِّبات الصراع ومعاركه.

ومن المهم أن إثبات المؤامرة كما ورد في المبحث السابق لا يلغي أهمية الحوار خاصة بين الشعوب، بل إن حقيقة المؤامرة قد تُؤكِّد على وجوب الحوار وضرورته؛ لأن المستهدَف بالحوار ليس المتآمر المتعصب فحسب، ولكن الضحايا من الطرفين. فالشعوب هم المستهدفون من خلال الحوار بتعريفهم عن الغائب عنهم حول هذا الموضوع، وهذا ما يستوجب تعزيز الحوار بين الأطراف بشتى صوره وأنواعه؛ للوصول إلى الحق في قضايا المنافسة والصراع. ومن ذلك حقيقة الإسلام وحضارته وقيمه. وواقع قضايا المسلمين وحقوقهم المنتهكة. وما لدى الغرب والمسلمين على حد سواء من جوانب سلبية وإيجابية، ولعل هذا من أبرز معطيات القراءة التاريخية.

الحوار بين الخيار والواجب:

كثيراً ما يثير خصوم الإسلام بأن الحوار ليس من قيم منهج أهل السُّنَّة والجماعة. وتحديداً ليس من ثوابت المنهجِ الصحيح كما يزعمون، والعكس هو الصحيح فتاريخ الأنبياء حافلٌ بذلك بل قائمٌ

عليه، ومن ذلك حوار موسى ﷺ مع فرعون، بل إن الأخير هو من لجأ إلى القوة والعُنف والإرهاب، وحوار محمد ﷺ مع قومه من كفار قريش وغيرهم حقيقة ورد ذِكرها في القرآن والسُّنَّة، كتب محمد وقيع الله عن الحوار في الإسلام وعند علمائه، وعن: من هو المُتهم بعكسه؟ فقال: «وَرث شيخ الإسلام الإمام محمد بن عبد الوهاب، من خلال اطلاعاته الوفيرة الغزيرة على كتابات الأئمة السلفيين عموماً، والحنابلة خصوصاً، رصيداً تطبيقياً وافياً من تجارب الحوار العميق، وعلى رأس ذلك تجارب الإمام أحمد بن حنبل -رحمه الله-، في حواراته مع فرق الابتداع من الجهمية والمعتزلة. وهي حوارات سُجِّلت تفصيلياً في كتب الحنابلة. كما سُجِّلت في كتب التاريخ العام مثل: تاريخ الطبري والذهبي وابن كثير وطبقات الحنابلة. وهي سجلات تنضَح بالعلم، وترشَح بالحكمة، وتُبَيِّن عن أبرع أساليب الحوار والاقتدار على سَوْق البراهين والأدلة على صحة مذاهب سلف الأمة الصالح»[1].

ويستطرد وقيع الله في ذكر أمثلة مشهورة من التاريخ عن الحوار، ومن ذلك ذكره عن ابن تيمية في عصره، حيث تواترت النماذج في كُتب التاريخ والتراجم، فقال: «وتتالت حوارات الثقافة النافذة لشيخ الإسلام الإمام تقي الدين بن تيمية، الذي ساجل جميع المذاهب الفكرية الكبرى في عصره. ولم يترك رأياً مخالفاً في العقيدة، أو في الفقه، من دون أن يخضعه للبحث الفاحص والنقد الجذري. لقد حاور ابن تيمية أقطاب الفلسفة اليونانية، بعد أن اطلع على كتاباتها الأصلية، إذ

---

(١) انظر: محمد وقيع الله، مقال بعنوان: الشيخ محمد بن عبد الوهاب محاوراً، مجلة البيان، بتاريخ ٠٧/ ١١/ ٢٠١٢م، الرابط التالي: http://www.albayan.co.uk/text.aspx?id=2361

كان يجيد اللغة اللاتينية. وقد تجلت تلك الحوارات في كتابه الضخم (درء تعارض العقل والنقل). وكما ذكر أحد النقاد المتمكنين تعليقاً على سجالات الإمام ابن تيمية مع أطروحات الفلاسفة في ذلك الكتاب أن من: (العجيب أنه في نقده هؤلاء الفلاسفة كان يعتمد على الفلسفة أكثر من اعتمادهم عليها)، وذلك تعليق مصيب؛ لأن تأملات ابن تيمية في مختلف المقدمات الفلسفية -وقد كان يرد عليها جميعا- ملَّكه معرفةً أوسع بالفلسفة، ومكَّنه من معرفة أي تيار فلسفي بأصوله المعرفية التي كان يتسلح بها في حواره مع التيارات الأخرى»[1].

وفيما سبق دلالة واضحة على أن الحوار من منهج الإسلام ورسالة الأنبياء، وأنه ثقافةٌ إسلامية ، بل إنه من أصول وقواعد المنهج الصحيح مع المخالف أياً كان مسلماً أو غير مسلم، مما يتطلب أن يكون الحوار بميادينه المتنوعة في أي زمانٍ ومكان.

ولذلك فإن من الأهمية بمكان التذكير بأن الحوار مع الشعوب الأخرى خاصة الغربية قد يكون من الواجبات الشرعية الدينية؛ لما فيه من إيصال الحق والصواب عن الإسلام وتاريخه وحضارته وقيمه وشعائره. إضافةً إلى كون الحوار يكشف زيف الحملات الإعلامية الدعائية الغربية التي تكرِّس صوراً ذهنية سلبية عن الإسلام والمسلمين. كما أن الحوار يصحح الصورة النمطية لدى تلك الشعوب. يقول صالح الحصين عن صناعة تلك الصورة النمطية: «نُذكِّرهم بأن استطلاعاً أمريكياً أُجري عام ١٩٨٠م في أمريكا أظهر

(١) انظر: المرجع السابق.

أن حوالي نصف الشعب الامريكي يرون المسلمَ: متعطشاً للدم، ومخادعاً، ومضطهداً للمرأة، وعدواً للسامية وللمسيحية»[١].

ويؤكد الحصين هذه الصورة النمطية لدى عموم الغرب عن الإسلام، قائلاً: «هذه الصورة النمطية لم تأت من فراغ، وإنما بسبب الإلحاح الإعلامي على تكريس هذه الصورة، سواء ظهر ذلك في في نشرات الأخبار، أم في أفلام هوليوود، أو في كتب لكتاب مشهورين، أم مقالات لصحفيين كبار، أو سياسيين أمريكيين، أم في كتب مدرسية أمريكية»[٢].

وفي كتاب ريتشارد نيكسون الرئيس الأمريكي السابق: (اغتنم اللحظة: تحدي أمريكا في عالم تسوده قوة عظمى واحدة) (*Seize the Moment: America's Challenge a One-Superpower World*) ما يُؤكد ما سبق عن الصورة النمطية عن الإسلام والمسلمين: «معظم الأمريكيين ينظرون نظرة موحدة إلى المسلمين على أنهم غير متحضرين، وسخين، برابرة، غير عقلانيين، لا يسترعون انتباهنا إلا لأن الحظ حالف بعض قادتهم وأصبحوا حكاماً على مناطق تحتوي على ثلثي الاحتياطي العالمي المعروف من النفط»[٣].

---

(١) انظر: صالح الحصين، مقال بعنوان: تجربتي في الحوار مع الآخر، مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني، الرابط التالي: http://rowaq.org/?p=212، نقلاً عما ذكرته الدكتورة كاثرين بولوك (Katherine Bullock) في كتابها (*Rethinking Muslim Women and Veil*).

(٢) انظر: المرجع السابق.

(٣) انظر: ريتشارد نيكسون، في كتابه: اغتنم اللحظة - تحدي أمريكا في عالم تسوده قوة عظمى واحدة (*Seize the Moment: America's Challenge in a One-Superpower World*)، ص ١٩٤.

وبما سبق يتأكد الحوار أكثر مع الشعوب الغربية، ولكن من المهم التنبيه إلى أن هذا الحوار الإسلامي يكون حوار الواثق بدينه وعقيدته وقيمه وثقافته، يقول صالح الحصين عن أرضية الحوار المطلوب إيجادها: «فمن البداية ننطلق من ثقة مُبَرَّرة بالنفس، ومن وعي بالحقائق على أرض الواقع، ومن قدرةٍ على الاستخدام الأمثل لهذه الحقائق.

من البداية نرمي القفاز، ونتحدى بشجاعة وحكمة، ونرفع أمام عيني الخصم مرآة صافية يرى فيها وجهه الحقيقي وليس الزائف، بعد أن نزيل الغشاوة عن عينيه، فيرانا في صورتنا الحقيقية وليست الزائفة، وكل ذلك ضمن الأدب العالي للحوار. آخذين في الاعتبار لغة الخصم ونهج تفكيره، وعدم الحيدة شعرة عن استعمال المقاييس الموضوعية الدقيقة»[1].

ومشروعية حوار المسلمين مع الآخرين من كفار أو مبتدعة أو مخالفين لا تحتاج كبير عناء لإثباتها، فمؤلفات المسلمين تشهد بذلك. فهي ذاتها أحياناً حوار، والمباهلة حوار، ومجالس العلم والعلماء بنقاشاتها وسِجَالاتها العلمية حوار.

يقول شارل برو عن الحوار في الإسلام ومعه: «(إن الإسلام رسالة نحن بحاجة إليها، نحن الغربيين، الذين طالما ضُلِّلنا عن معرفة الله)! وتتيح لنا هذه الثابتة المعبرة لراهب كاثوليكي، هو ميشال لولون، التأكيد بأن الإسلام الذي عَرَف كيف يحافظ على الموقع

(١) انظر: صالح الحصين، مقال بعنوان: تجربتي في الحوار مع الآخر، مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني، الرابط التالي:

http://rowaq.org/?p=212

المركزي للقيم الأخلاقية بوصفه سمة جوهرية في المجتمع الإنساني، استطاع الإسهام في تجديد هذه القيم في عالم تهدده العولمة المادية، هذا هو أساس حوار الحضارات الذي تدعو إليه العقول المستنيرة في الديانتين المسيحية والإسلام»[1]. «لا يمكن تحجيم الحوار الديني والثقافي بين المسيحيين والمسلمين إلى مجرد خيار عابر، إنه في الواقع ضرورة (حياتية) يرتبط بها جزء كبير من مستقبلنا. ففي عالم يتميز بالنسبوية، ويرفض في معظم الأحيان استعلاء عالمية العقل، نحتاج حتماً إلى حوار حقيقي بين الأديان وبين الثقافات، يمكنه أن يساعدنا على أن نتجاوز معاً شتى أنواع التوترات»[2].

كما أن من المهم أن نعتبر أن الحوار الأساسي الفعَّال هو حوار ما بين الشعوب من خلال منظماتها المستقلة عن الحكومات وعن الأحزاب السياسية، فالشعوب بمؤسساتها غير الحكومية هي المعنية بالدرجة الأولى نظراً لعدم وجود القيود السياسية فيما بينها. فحوار الحكومات فيما بينها خاصٌّ بشؤونها السياسية وعلاقاتها الحكومية بالرغم من أن هذه الحوارات بين الحكومات الغربية والإسلامية لم تُقلِّل الصراعات والحروب كما هو الحال في مُستهل هذا القرن الحادي والعشرين، إضافةً إلى أن ما سبق من تقارير وتصريحات تكشف عن عقم الحوارات السياسية بين الحكومات. فقفز الحكومات على حق الحوارات الحضارية والثقافية فيما بين الأمم والشعوب مرفوض جملةً وتفصيلاً من عُقلاء الطرفين، فالحوار بين الأمم والشعوب هو الرهان الحقيقي على الوسط العاقل أو الوسط المُغيَّب عن الحقيقة

(١) انظر: شارل برو، الإسلام - مستقبل السلفية بين الثورة والتغريب، ص ٤٨٢ - ٤٨٣.
(٢) انظر: المرجع السابق، ص ٤٨٣، من خطاب البابا بنديكتوس السادس عشر أمام سفراء البلدان الإسلامية.

لدى الطرفين، والنتيجة الحتمية لذلك أن البقاء والانتصار في الحوار للأصلح من الأقوال والأعمال والقيم والثقافات.

مستقبل التنافس وأهمية الحوار:

بالرغم مما سبق في المبحث الثالث والرابع والخامس حول تأكيد هندسة الإرهاب الدولي، فإن مُجمل الاستنتاج عن هذا الموضوع أن التنافس بين حضارة الإسلام تشريعاً وتاريخاً وبين الحضارة الغربية المادية حقيقة تاريخية، فكلتا الحضارتين لديهما ما يُنافس به، لكن تعزيز المنافسة وقِيَمها بدلاً من الصراع والحروب مما تقتضيه قِيَم السلام والعدالة ومصالح الطرفين. وفي الوقت ذاته فإن الصراع يبقى سُنَّة من سُنَنِ الله الكونية في التدافع، ولا يمكن إلغاء ذلك، وإنما يمكن التخفيفَ منه حيناً، وتأجيله حيناً آخر، ولعل المباحث السابقة سواءً أكانت عن المنافسة أم الصراع أسهمت في تبلور كثيرٍ من معطيات الحوار موضع النقاش هنا.

وفي هذا المقام فمن المهم التنبيه مرة أخرى إلى أن الإسلام ديناً ومنهجَ حياة يختلف كثيرًا عن واقع المسلمين وأخطائهم وتجاوزاتهم لتشريعات هذا الدين وتطبيقات أحكامه، حيث سبّب هذا الواقع صورة ذهنية خاطئة عن الإسلام عند خصومه، كما أنه أورث تخلفًا حضاريًا للمسلمين.

ويؤكد هذا المعنى محمد أسد، قائلاً: «إلا أن ما وجدتُه من مفاهيم وما توصلتُ إلى فهمه من مبادئ الإسلام وقيمه أقنعني أن ما يردده الغرب ليس إلا مفهومًا مشوهًا للإسلام... اتضح لي أن تخلُّف المسلمين لم يكن ناتجًا عن الإسلام، ولكن لإخفاقهم في أن

يحيوا كما أمرهم الإسلام، وفي التمسك بتعاليمه. لقد كان الإسلام هو ما حَمَلَ المسلمين الأوائل إلى ذراً فكرية وثقافية سامية، عندما وجَّه كل طاقاتهم إلى تدبر أمور العقل والوعي المستنير وسيلة وحيدة لفهم طبيعة الخلق وقدرة الخالق والوعي بمشيئته من خلقهم. لم يطلب منهم اعتناق عقيدة جامدة أو صعبة الإدراك والفهم؛ ففي الحقيقة لم تكن توجد في رسالة النبي ﷺ أي عقيدة جامدة غير مفهومة»[1].

ولأن الحديث هنا عن حضارات يحق لها أن تتنافس في سبيل إسعاد البشرية وهدايتها للقيم والمبادئ التي تؤمن بها، والنجاح والبقاء للأصلح منها، فإن استبطان مفهوم الصراع الذي نظَّر له هنتنجتون وآخرون والذي تمارسه السياسة الأمريكية -تحديداً- بصَلَفٍ لتفويت فرص منافسة الإسلام لن يهدد في النهاية إلا من يمارسه. وفي التاريخ الكثير من العبر. وفي التاريخ الحديث مارس الاتحاد السوفيتي دوره في الصراع مُظْهِراً معظم صنوف القهر والاضطهاد للآخر... ورغم تَمَلُّكِهِ لمعظم مقومات البقاء المادية... إلا أنه انهار بين عشية وضحاها... يقول هنتنجتون نقلاً عن الفيلسوف الياباني تاسكيشي أوموهارا: «وانهيار الاتحاد السوفيتي الدراماتيكي، هو النذير الوحيد فقط لانهيار الليبرالية الغربية، الليبرالية ستكون التالية في السقوط»[2].

---

(١) انظر: محمد أسد، الطريق إلى مكة، ص ٢٦٩ - ٢٧٠، ويلحظ أن هذه المفاهيم والحقائق والبحث عن الحقيقة -التي توصل إليها- قاده إلى أن يدخُل في الإسلام.

(٢) انظر: صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي، نقله إلى العربية الدكتور مالك عبيد أبو شهيوة والدكتور محمود محمد خلف، ط١، مصراتة: الدار الجماهيرية للنشر، ص٥١٠، نقلاً عن: الفيلسوف في مقاله: (الياباني القديم: يوضح لحقبة ما بعد الحضارة طريقها).

وبرغم ممارسة الغرب لمفاهيم صراع الحضارات وحتميته لدى هنتنجتون إلا أنه في الأسطر الأخيرة من كتابه (صدام الحضارات) يؤكد على أن: «صدام الحضارات هو التهديد الخطير للسلام في العالم، وأنّ نظامًا دوليًا مؤسسًا على الحضارات هو الضمان الأكيد ضد حرب العالم»[1]، وهنتنجتون بهذا القول يُقر بأنه لا يزال التقارب الحضاري ممكناً لأجل السلام العالمي.

ولكن السؤال المنطقي المطروح دائمًا: ما هي فرص حكومة الولايات المتحدة -المؤثرة كثيراً في القرار الغربي- في تحقيق تراجع المد الإسلامي؟ أو على الأقل وقف سيره كما تريد؟ لقد اعترف الرئيس الأمريكي ريتشارد نيكسون في كتابه (ما وراء السلام) (*Behind Peace*)، بأن العلمانية في الغرب والعلمانية في العالم الإسلامي كلها لا تستطيع أن تغالب الإسلام[2].

إلا أنه مما يُؤخذ في الاعتبار أن الإسلام بمؤسساته ومعتنقيه منافسٌ قوي من خلال عقيدة التوحيد أولاً، وتشريعات الإسلام ثانياً، وقيمه ومبادئه ثالثاً التي تم تطبيقها فيما بين كثير من المسلمين وفيما بينهم وبين غيرهم. ومراكز الدراسات والأبحاث الغربية المعنية تُدرك جيداً أن انتصار الفكرة سوف يتبعها انتصار معتنقيها حسب التاريخ. ومفكرو الغرب من متعصبين ومنصفين يُدركون فُرص تقدم الإسلام على غيره في المنافسة من خلال البحث والدراسة والتحليل التاريخي، ومن خلال الاستقراء لبواعث الحضارة الإسلامية تحديداً.

---

(١) انظر: المرجع السابق، ص ٥٣٣.

(٢) انظر بتصرف: ريتشارد نيكسون، ما وراء السلام، ترجمة مالك عباس، ط ١، عَمّان: الأهلية للنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ (١٩٩٥م)، ص١٤٦-١٦٣.

لعل في هذه الإشارات المختصرة السابقة ما يساعد على الكشف عن: من هو المنافِس؟ ومن المصارع بفجاجة وصلف وكبرياء؟ ومن الخائف معدوم الثقة بنفسه في أهم جوانب المنافسة؟ خاصة في مجالات القيم والتسامح والعلاقات الأسرية والاجتماعية، وكذلك في مجالات العلاقات الدولية والحرب والسلام. ولعل ما سبق يساعد في فهم الدوافع والأهداف لتلك الحملة الدولية الأمريكية الغربية على الإسلام حيناً ونَبِيِّه حيناً آخر، وعلى مؤسساته تحت مسميات تُفوِّت فرص الحوار والتسامح.

وأختم هذا الموضوع بالقول: إن مستقبل المنافسة سيكون أقوى من ذي قبل، خاصة مع توفر وسائل استخدامٍ تسويق القيم وتصدير المبادئ، مما يزيد من مساحات المنافسة على حدٍّ سواء.

ففي الجانب الإسلامي عملت تقنية الاتصال والتواصل الحديثة على توفير خيارات هائلة للعمل الفردي تحديداً -فضلاً عن العمل المؤسسي أو الجماعي- وأصبح الفردُ اليوم بذاته وكالةَ أنباءٍ وتلفازاً وإذاعةً وصحافةً ومحرراً وناشراً وصانعاً للخبر ومتلقياً له في الوقت ذاته، من خلال حاسوبه الشخصي، أو جهاز هاتفه المتصل بالشبكة العنكبوتية؛ لأنه قادر على أن ينجز في مجالات التعريف بالإسلام والدعوة إليه أو الذبّ عنه ما تعجز عن عمله مؤسسات جماعية كبيرة في الماضي. فلم يعد العمل الجماعي والمؤسسي وحده هو الفاعل والمؤثر، فقد وفرت التقنية وما فيها من البرامج الحوارية والمدونات فرصاً فردية وجماعية عظيمة لممارسةٍ أكثر عن الدعوة والحوار، يقوم أنصارها بنشر قيم الفضيلة ومبادئ العدالة، ومكارم الأخلاق كما هي في دينهم الإسلامي، بل ونشر مفردات حضارتهم الإنسانية.

وأصحاب القرار ومتعصبو الغرب يعرفون ذلك جيداً عن الإسلام وأهله. وقد أدركوا قديماً وحديثاً أن المؤسسات الإسلامية بشتى أنواعها بوابة كبيرة وواسعة لعودة نشر القيم الإسلامية والحضارة الأخلاقية والتعاون فيما بين الشعوب. كما أنهم يدركون جيداً أن تلك المؤسسات والمنظمات رابط من أقوى الروابط بين الشعوب المسلمة ودولها، كما أنها بإمكانياتها المتواضعة تعتبر عدواً لدوداً في وجه استراتيجيات التغريب والتنصير، فكيف حينما تصبح تلك المؤسسات قطاعاً ثالثاً من قطاعات التنمية الشاملة لأية دولة إسلامية!؟

ولذلك ففي الغالب أنهم يجنحون بدَأَب إلى تحويل هذه المنافسة الحضارية إلى صراع خوفاً من تقدم المنافس.

كيفية التحاور مع الغرب:

المبادرة بمحاورة الغرب أصل شرعي لإيصال الخير للبشرية جمعاء، فضلاً عن كونه مقترحاً أو مطلباً من الطرفين في الغالب. وهو من أهم الوسائل المتاحة في العمل في المشتركات الإنسانية، مثل العمل الإنساني والإغاثي، والعمل على إحلال السلام، وحقوق الإنسان وكرامته وحريته، وحرمة دمه وماله وعرضه، وسلامة البيئة. كما أن الحوار يكون أحياناً لدفع عدوانٍ محتمل، أو رفع سوء فهم، أو للكشف عن الظلم والعدوان من أي طرف.

وفي العناوين الفرعية أدناه ما قد يُعدُّ ضوابط أو محددات للحوار وشروطه من الطرفين.

شخَّص مراد هوفمان أن الحوار القائم بين المسلمين والغرب هو حوار غير مثمر، وأكَّد لاحقاً بأن الحوار الفعَّال لا يكون باتجاهٍ واحدٍ

من طرف واحد[1].

ولذلك فإن الحوار الجاد بين أي طرفين متنازعين يقتضي وجود أمور مهمة قبل بدء الحوار، ومنها اعتراف كل طرف بدين الآخر وثقافته، واعتراف الأطراف بعيوبها الذاتية الواضحة، وتحديد نقاط الخلاف المتحاور حولها، ليكون حواراً صريحاً بتعقل وتجرد.

كما أن للحوار مع غير المسلمين أنواعاً وأشكالاً متعددة، منها ملتقياتٌ حوارية بين الأفراد من الطرفين، وبين المجموعات منهما. كما تكون أحياناً بمؤتمرات وملتقيات، وأخرى مناظرات علمية إعلامية بين الشعوب المسلمة وغير المسلمة، وأحياناً أخرى يمكن أن تكون الحوارات من خلال الإصدارات العلمية. ومن أنجح صور الحوار ما يكون على مستوى المنظمات غير الحكومية من أنصار العدالة من الطرفين. وأحياناً أخرى من المناوئين لها وبمنهج علمي، مما يسمى بالمباهلة. ويكون الحوار وفق مشروعات وبرامج محددة، مما يقتضي تحديد المطلوب من أي جهةٍ معنيةٍ من الجهات التالية:

المطلوب من العالم الإسلامي:

- أن لا ينظر المسلمون لأي عمل لا يتفق مع دينهم وثقافتهم مما يقوم به الغرب بصفة عامة تجاه الأمة العربية والإسلامية على أنه ناتج عن حقد صليبي لاستئصال الإسلام والمسلمين، فللمصالح السياسية والاقتصادية أحياناً دورها في تشكيل الصراع. والتنوع الثقافي قدر رباني لا خيار فيه كالتنوع الجغرافي.

---

(١) انظر: مراد هوفمان، الإسلام عام ٢٠٠٠، ص٣٧.

- أن يعترف من يعنيه الحوار من المسلمين أن كثيراً من المشكلات التي تعيشها الأمة الإسلامية هي في الغالب ليست من صنع الغرب فقط، فواقع المسلمين له نصيب منها.

- أن يكون الاعتراف بوجود ما يُعِيق الحوار -أحياناً- في الخطاب الدعوي الإسلامي الذي قد يُبرِّر ظهور التطرف الفكري والإرهاب أحياناً.

- أن تباشر الشعوب الإسلامية حقوقها في ممارسة الحوار دون وصاية حكومية غربية أو إسلامية، لأن ذلك مدعاة للقبول.

- أن يعترف المسلمون بالأديان السماوية كأديان أصلية، لكن اعتراها التغيير والتبديل عبر التاريخ ليكون الحوار حول هذا.

- أن تتعاطى الشعوب الإسلامية السُّنِّية التي تُمثل غالبية المسلمين مع التحالفات المعادية بمشروع استراتيجي مقاوم ومتكافئ.

المطلوب من الغرب:

- أن لا ينظر الغرب إلى الدين الإسلامي بمنظار تجاربه التاريخية مع الكنيسة أو موروثاته الثقافية، وأن يعترف بالدين الإسلامي رسالة سماوية، كما يعترف بالنبي محمد ﷺ نبياً ورسولاً وأنه جاء بتشريعات ربانية لم يخترعها.

- أن يعترف الغرب أن في بعض مواقفه تجاه الأمة الإسلامية عدائية ناتجة عن تراثه الصليبي وخطابه الديني، كما يعترف الغرب أن له جزءاً ليس باليسير من المسؤولية في مشكلات العالم العربي والعالم الإسلامي. ولذلك فالحوار مع المؤسسات الاستشراقية الغربية، أو المجالس والمؤسسات الدينية النصرانية مما يُحقق الهدف.

- أن يعترف الغرب أن دور الأمة العربية والإسلامية ليس محصوراً فقط في تصدير المواد الخام من الطاقة وغيرها أو الكفاءات البشرية، وأن للمسلمين حضارة تاريخية أكثر من مجرد نقل التراث اليوناني، بل لهم فضل على البشرية بصفة عامة والغرب بصفة خاصة، كما أن الإسلام يمتلك حلولاً للمشكلات المشتركة بين البشر.

- أن يتوقف الغرب عن ممارسة الإرهاب الدولي المنظَّم الذي يولِّد جماعات التطرف كرد فعل، كما عليه أن يتخلى عن الفوقية تجاه الأديان والثقافات الأخرى.

القضايا موضع الخلاف بين الطرفين:

من أهم الأمور معرفة القضايا موضع الخلاف بين الطرفين وتحديدها؛ لفتح النقاش والحوار حولها:

- تعريف الإرهاب بالنقاش والحوار حول جذور صناعته، وأن هناك إرهاب حكومات ودول في الغرب، وجماعات إرهابية غربية أيضاً، وهناك جماعات بين المسلمين لديها إرهاب وتطرف. وعلى أطراف النزاع الاعتراف بهذا وذاك

لتتم معالجته والتصدي له من عقلاء الطرفين، بعيداً عن دور المتعصبين من السياسيين ورجال الدين ممن يفرضون المصطلحات ويريدون عولمتها، وإن كان يرى بعض المتعصبين من الطرفين صعوبة ذلك إلا أن هذا ليس من المستحيل.

- التعريف بمخاطر فرض عولمة العلمانية والرأسمالية والليبرالية الفردية والاقتصادية على الأمم باختطاف ثقافاتها وتهميشها.

- توضيح مفاهيم الجهاد وأنه حق مشروع للأمة المسلمة كما هو الحق في النووي.

- توضيح مفهوم حقوق الإنسان، وبالأخص حقوق المرأة وحقوق غير المسلمين من الأقليات في المجتمعات العربية والإسلامية؛ لمعرفة: من المنتهك الحقيقي لحقوق الإنسان والمرأة والأسرة؟

- كشف الخلفيات التاريخية عن قيام دولة الكيان الصهيوني ودعم الغرب لها ضد أصحابها من الفلسطينيين، والوقوف مع الحقيقة التاريخية عن حق المسلمين عامةً في القدس ومستقبلها.

- كيفية التعايش بين الإسلام والغرب والحوار الصحيح بينهما، واحترام خصوصيات الشعوب الثقافية والاجتماعية في عصر العولمة والهيمنة الأمريكية السياسية والاقتصادية والثقافية.

ولعل ما في هذا المبحث من حقائق تُسهم في تعزيز الرؤية الصحيحة عن العلاقة مع الآخر حواراً أو مقاومة وجهاداً. أو على أقل تقدير تفتح النقاش والدراسات العلمية البحثية الجادة حول موضوع يتطلب كثيراً من الجهد العلمي والبحثي من ذوي الاختصاص.

الحوار لفهم الآخر:

المتأمل في تصريحات كثير من الساسة وبعض المفكرين ورجال الدين من متعصبي الغرب وصانعي الكراهية العالمية يُدرك أن هذا الصراع مفتعل وبإرادة مسبقة دينية أو سياسية، ويُراد له أن يكون أبدياً مع الإسلام ودوله ومؤسساته وشعوبه، فهو صادر بتشريعات مرتبطة بالعلاقات الدولية القائمة على المصالح وليس المبادئ كما تكرر تأكيده، وفي الوقت ذاته فالصراع مُقننٌ بالممارسات من قِبل الحكومات الغربية بساستها ورجال دينها المتعصبين.

وحسب الحوارات القائمة بين الغرب والعالم الإسلامي، فإن أي حوار حضاري ثقافي أو ديني تكون فيه الحكومات عنصراً رئيساً قد يُعد من إضاعة الأوقات والجهود، ولاسيما أن حملات التشويه الإعلامية الغربية تتنافى أصلاً مع أبجديات الحوار؛ فكيف يطلبه الغرب؟! وهو ما يكشف عن ضعف مصداقية الغرب المتعصب في رفع شعارات الحوار، إضافةً إلى عدم وجود نتائج إيجابية منظورة لواقع حوار الحكومات، فالحكومات خاصةً الغربية لها أجندتها السياسية ومصالحها، وهذه الحوارات بين حكومات الغرب وحكومات العالم الإسلامي قد تكون لها بعض النتائج المحدودة جداً

في تحقيق بعض مصالح دول العالم الإسلامي، بخلاف المكتسبات الكبيرة لصالح دول الغرب القوية بمنظمات قطاعها الثالث المتعددة والمتنوعة، ومع هذا فإن العمل على توظيف حوار الحكومات وتوجيهه لصالح الشعوب من الطرفين هو المطلوب، وبالتالي فإن ذلك مما يُحتِّم أن تكون الأولية لحوار الشعوب، ولاسيّما أن كثيراً من الشعوب من الطرفين يتطلعون للتعايش والسلام بمنأى عن الحكومات ومصالحها، بل وصراعاتها السياسية والعسكرية.

وتؤكد أقوال الأمير تشارلز عن الإسلام وحضارته أهمية الحوارات بين المسلمين والغرب، وما فيها من تصحيح الصورة الذهنية لدى الغرب عن الإسلام والمسلمين، فالحوارات بوابة مُثلى لتصحيح هذه الذهنية السلبية، وفيها يكشف تشارلز عن بعض ما يصنع الصراع الغربي مع الإسلام، ومنه تكريسه للصور النمطيةِ الخاطئةِ عن الإسلام، والحكم عليه من خلال بعض ممارسات الأفراد أو الجماعات أو الدول أحياناً، فيقول: «لقد عانى حكمنا على الإسلام من التحريف الجسيم نتيجة الاعتبار بأن التطرف هو القاعدة، إن هذا خطأ جسيم، فهو مثل الحكم على نوعية الحياة في بريطانيا من خلال وجود جرائم القتل والاغتصاب والاعتداء على الأطفال وإدمان المخدرات، صحيح أن التطرف موجود ولابد من معالجته، ولكنه عندما يُستخدم أساساً للحكم على مجتمع فإنه يؤدي إلى التحريف والإجحاف»[1].

---

(١) انظر: خطاب الأمير تشارلز، الإسلام والغرب، بتاريخ ٢٧ أكتوبر ١٩٩٣م، في مركز أكسفورد للدراسات الإسلامية، الموقع الرسمي للملكية البريطانية، الرابط التالي:
http://www.princeofwales.gov.uk/media/speeches/speech-hrh-the-prince-of-wales-titled-islam-and-the-west-the-oxford-centre-islamic

وكثيراً ما كانت الصُّوَر الذهنية السلبية لدى الغرب المتعصب تتخذ من مواجهة الإسلام والمسلمين وقوداً لبقاء هيمنتها وسيادتها، حيث الفزَّاعات المتنوعة التي يمكن توظيفها مما يُسمَّى الإرهاب، والوهابية، والمنهج السلفي وخطره في تصدير فكر الجهاد والمقاومة، والإسلام السياسي هو الآخر فزَّاعة للتنفير من الإسلام وصناعة التصادم مع أهله! بل إن هذه الذهنية السلبية المتأصلة لا تُنجح الحوارات، ولا تُقيم لها وزناً في التعاطي معها.

وفي المقابل أثبتت بعض الدراسات التي تناولت استطلاعات الرأي الغربية وجود علاقة طردية بين المعرفة بالإسلام والعلاقة الشخصية الحسنة بالمسلمين في تكوين الصورة الذهنية الإيجابية عن الإسلام، وهو ما يؤكد في الوقت ذاته أهمية الحوار بين الشعوب، ومن ذلك ما أورده الدكتور سامر أبو رمان بما ينطبق على الأميركيين والبريطانيين والكنديين في كتابه المعني بصورة الإسلام والمسلمين حسب استطلاعات الرأي، ومن ذلك قوله: «وحول رأي الكنديين، فقد قامت (Environics Research Group) باستطلاع رأي أكثر من ألفي كندي في نهاية عام ٢٠٠٦، حيث ذكر (٦٦٪) من أولئك الذين أجابوا كثيراً أن لديهم تواصلاً مع المسلمين، نجد أن لديهم انطباعاً إيجابياً -عموماً- عن دين الإسلام. أما الذين أجابوا: بعدم وجود تواصل مع المسلمين، فكانت نسبة الانطباع الإيجابي لديهم فقط (٢٨٪). وبعبارة أخرى: كلّما زادَ التواصلُ مع الكنديين، انعكس ذلك إيجاباً على نظرتهم للإسلام. وهذا ينسجم مع رأي الأمريكيين حسب استطلاعات (ABC News/Washington Post)، حيث تبين أن العلاقة بين المعرفة بالمسلمين والعاطفة الإيجابية تجاههم

علاقة طردية. وفي الإجمال نجد أن الأشخاص الذين يشعرون بأنهم يفهمون الإسلام، أو لديهم صديق مسلم؛ أكثر قابلية للنظر إلى الدِّين بإيجابية بـ ٢٢ نقطة، وأكثر قابلية لأن يروه ديناً مسالماً، مقارنة بأولئك الذين ليس عندهم فهم أساسي أو صديق مسلم»[١].

وهذا ما يؤكد أهمية العلاقة والحوار والتواصل الحضاري والثقافي فيما بين الشعوب الغربية والإسلامية، حيث العلاقة المتلازمة واضحةٌ بين المعرفة الحقيقية بالإسلام وبين النظرة الإيجابية عن الإسلام والمسلمين.

مشروعات وبرامج مقترحة في الحوار:

يمكن التأكيد على أن المشاريع والبرامج الحوارية لا يمكن حصرها في موضوع فرعي في هذا الكتاب؛ نظراً لكثرتها، ويمكن أن يكون العمل الجاد خاصةً غير الحكومي في إيجاد مراكز متخصصة في الدراسات والبحوث المتعلقة بصناعة الوسائل والبرامج في العلاقة

---

(١) انظر: سامر رضوان أبو رمان، كيف ينظرون إلينا؟ .... الإسلام والمسلمون في استطلاعات الرَّأي العالمية، ص٩١-٩٢. نقلاً عن:

Environics Research Group, FOCUS CANADA telephone survey, conducted with a representative sample of adult Canadians between September 18 and October 12, 2006. A total of 2,021 interviews were completed. A sample of this size will produce a sampling error of plus or minus 2.2 percentage points, 19 times out of 20. The margin of error is greater for results pertaining to regional or socio-demographic subgroups of the total sample.

ونقلاً عن:

ABC News/Washington Post poll was conducted by telephone March 26-29, 2009, among a random national sample of 1,000 adults including both landline and cell-phone-only respondents. Results for the full sample have a 3-point error margin Gary Langer.

مع الغرب، وابتكار الحوارات المتعددة والمتنوعة من الأعمال بين الطرفين، لتكون هذه المراكز أشبه بمراكز التفكير (Think Tanks)، للعمل على إيجاد المشروعات والبرامج المعنية بهذه العلاقة. وتختلف هذه البرامج والمشاريع من بلدٍ لآخر، ومن زمنٍ إلى زمنٍ آخر. كما أن الحوار المعني في هذ الكتاب له صور متعددة ووسائل متنوعة حسب أهدافه، ومن المهم التنبيه على أن الحوار المعني لا يهدف إلى الدعوة إلى الإسلام فحسب أو إدخال الناس فيه، بل الحوار معنيٌّ بهذا وبغيره، حيث من ضمانات السلام الدولي التواصل الثقافي والمعرفي بين شعوب الشمال والجنوب، وبين الأمم والحضارات.

علماً أن الموقع الإداري الصحيح للمراكز البحثية هي أن تكون ضمن منظومة مؤسسات القطاع الثالث المستقلة عن الحكومات والأحزاب السياسية لضمان حريتها العلمية، بل وبعيداً عن تأثير الشركات الربحية ومؤسسات القطاع التجاري، والإشارة في هذا الكتاب إلى أنواع معينة من الموضوعات قد تفتح آفاقاً كبيرة في تحديد البرامج والمشاريع المقترحة، أو الكتابة عنها بدراسات وأبحاث مستقلة، ومن تلك الموضوعات المقترحة ما يلي:

أولاً: القرآن الكريم وجوانب الإعجاز فيه:

القرآن الكريم معجزة الله في أرضه، عبر ما يزيد عن أربعة عشر قرناً من الزمان، لم يزد حرفاً واحداً أو ينقص خلافاً لبقية الكتب المقدسة. ومن الإعجاز في ذلك أن الله ذكر ذلك في محكم التنزيل فقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر:٩)، وجوانب الإعجاز العلمي -غير المتكلف- فيه كثيرة. ومن المهم في

الحوارات عن القرآن اختيار مواضيع وقضايا يغلب عليها جانب الإقناع العقلي والمنطقي. فالغربيون بطبيعتهم الفكرية والثقافية لا يؤمنون بالغيبيات بقدر إيمانهم بالماديات والمحسوسات وفي ذلك كُتبٌ كثيرة منشورة عن جوانب الإعجاز في القرآن. ويمكن اختيار موضوعات للحوار حولها مع غير المسلمين.

ثانياً: السُّنَّة النبوية وما فيها من القيم النبيلة للمجتمعات:

كثيراً ما كان الحوار مع غير المسلم فعّالاً حينما يكون عن قيم الإسلام وأدبياته في العلاقات الأسرية، من بر الوالدين وحسنِ المعاشرة بين الزوجين وقيم الحياة السعيدة. والحوار مما يدفع إلى التفاعل بين الطرفين عن العلاقات الاجتماعية، وعن تشريعات السُّنَّة النبوية حول حقوق الإنسان وكرامته حياً وميتاً وصغيراً وكبيراً وذكراً وأنثى، وكذلك الحوارات عن حقوق المرأة وتكريمها في الإسلام، والحوار عن تشريعات قيم السلام والحرب، وقيم العطاء الخيري والإنساني وتشريعات الزكاة وما فيها من تحقيق العدالة، وأهداف الأوقاف وما فيها من التنمية المستدامة، وغير ذلك من الجوانب الكثيرة التي تستهوي العقلية الغربية وترى فيها قاسماً مشتركاً مع الإسلام.

ثالثاً: محمدٌ النبي والرسول ﷺ ورسالته العالمية:

هذا الموضوع يُعدُّ من أساسيات الحوار مع غير المسلمين وخصوصاً النصارى الذين ينكرون نبوة محمد ﷺ. ويمكن أن تكون هناك موضوعات كثيرة للحوار حول محمدٍ وعيسى وموسى والنبيين من قبله. كما أن الحوارات عن شخصية الرسول ﷺ ومعجزاته ونبوته

ورسالته مَوضوعات تفتح آفاقاً في الحوار. والموضوعات في هذا كثيرة تحكمها طبيعة الحوار وهدفه، وللرسول ﷺ حواراتٌ كثيرة منها على سبيل المثال حواره مع اليهود والنصارى، ومع المشركين والوفود، ومع زوجاته وأصحابه، ومع الملوك، وغير ذلك.

رابعاً: الحضارة الإسلامية بعيون عربية وغربية:

تَزخر كُتب التاريخ الإسلامي بكتاباتٍ وافرة عن حضارة المسلمين في عصورهم الزاهية، لكن الكتابات الحديثة الأمينة التي تزخر بها المكتبات العربية والأجنبية عن هذه الحضارة وفضلها على حضارة الغرب، قد تكون هي الأنسب في الحوارات حولها؛ للوصول إلى أهم المشتركات في الحضارتين الإسلامية والغربية، والحوار حول هذه المشتركات مما يقرب وجهات النظر، ومن تلك الكُتب على سبيل المثال وليس الحصر والتزكية: كتاب شمس الله تسطع على الغرب، للمؤلفة زيغريد هونكه، وكتاب تاريخ الشعوب الإسلامية لمؤلفه كارل بروكلمان، وكتاب قصة الحضارة للمؤلف ول وايريل ديورانت، وكتاب دور الحضارة العربية الإسلامية في النهضة الأوروبية كنموذج لحوار الحضارات للمؤلف عبد المنعم الجميعي، وكتاب حضارة العرب لغوستاف لوبون الذي قال كثيراً عن الإسلام وتشريعاته وتسامحه وحضارته، ومما قال: «فالحق أن الأمم لم تعرف فاتحين متسامحين مثل العرب ولا دينًا مثل دينهم، وما جَهله المؤرخون من حِلْم العرب الفاتحين وتسامحهم كان من الأسباب السريعة في اتساع فتوحهم، وفي سهولة اعتناق كثير من الأمم لدينهم ونُظُمهم، ولغتهم التي رسخت، وقاومت جميع الغارات، وبقيت قائمةً حتى

بعد تواري سلطان العرب عن مسرح العالم»[1].

خامساً: السماحة في الإسلام مقابل العدوانية:

كُتُبٌ كثيرة كَتَبَت عن التعصب والسماحة أو ما يسميها البعض التسامح بين المسلمين والغرب، والحوار في هذا مطلبٌ وضرورة عند الطرفين. ومن الكتب المعنية بهذا الموضوع ما كتبه شكيب أرسلان عن التعصب الأوروبي والرد على تهمة التعصب الإسلامي أثناء تعليقاته على كتاب حاضر العالم الإسلامي لمؤلفه لوثروب ستودارد.

ومن ذلك ما كتبه صالح الحصين في كتابه التسامح والعدوانية بين الإسلام والغرب عن التسامح وجذوره وثماره، وعن الثقافة الغربية والتسامح - الولايات المتحدة الأمريكية نموذجاً! وغيرها كُتبٌ كثيرة إسلاميةٌ وغربية.

سادساً: الحوار في التجارب ممن عاش الحضارتين:

(أ) تجربة محمد أسد:

محمد أسد الذي اعتنق الإسلام، له تجربة ثرية في معايشة الحضارة الغربية، ثم معايشته للمسلمين واعتناقه للإسلام، وتُعد حياته في المرحلتين مادة خصبة للحوار والنقاش في جوانب كثيرة، ومنها رحلاته في دول الشرق الإسلامي للبحث عن الحقيقة ومعاني الحياة السعيدة، ومن ذلك فضوله المعرفي الذي قاده من خلال حوارات فردية تمت معه في بقاع كثيرة من العالم الإسلامي إلى الإسلام. كما أن كُتبه هي الأخرى بموضوعاتها المتعددة والمتنوعة مَوضِع حوارٍ

(١) انظر: غوستاف لوبون، حضارة العرب، ص٦٠٥.

ونقاش، ولاسيما أنها كُتبت بلغات متعددة وِفق العقلية الغربية ومنطقها العقلاني. ومن كُتبه الثرية في موضوعات الحوار التالي: الطريق إلى مكة، والطريق إلى الإسلام، والإسلام على مفترق الطرق، ومنهاج الإسلام في الحكم، وكتاب ترجمة وتعليقات على صحيح البخاري، ورسالة القرآن.

(ب) تجربة مراد هوفمان:

هوفمان مفكر ألماني ممن قاده الفضول المعرفي للوصول إلى الحقيقة المضيئة، فأسلم وتسمى بمراد هوفمان. وقد كان سفيراً لبلاده في كلٍّ من المغرب والجزائر. ومن خلال الفن المعماري للمساجد والبناء الإسلامي في دول متعددة منها المغرب والجزائر وتركيا، ومن خلال الحوارات التي كان يبحث فيها هذا المفكر الألماني عن حقيقة الحياة، اكتشف الإسلام وحضارته وتاريخه قائلاً: لا يعقل أن تكون هذه الأمة الإسلامية برابرة وحشيين، كما تعودنا سماعه من صورٍ نمطيةٍ خاطئة عن الإسلام. وإذا كانت الحوارات حول شخصيته وتحولاته الفكرية والثقافية مثمرة فإن المؤلفات والكتب التي كتبها عن الإسلام والغرب كذلك، ومن هذه الكتب: كتاب الإسلام في الألفية الثالثة، وكتاب الإسلام كبديل، وكتاب الإسلام كما يراه ألماني مسلم، وكتاب الإسلام عام ٢٠٠٠م، وكتاب نظام الحكم الإسلامي في العصر الحديث، وكتاب الرحلة إلى الإسلام - يوميات دبلوماسي ألماني ١٩٥١ - ٢٠٠٠م -، وكتاب في تطور الشريعة الإسلامية، وكتاب رحلة إلى مكة. وكانت موضوعات هذه الكُتب موضع جدلٍ كبيرٍ ونقاشٍ مُحتدم في الغرب، فهي بالتالي تُعد ثروة كبرى للحوار في موضوعاتها.

سابعاً: الحوار حول مُصطلح الإرهاب وبواعثه وأسبابه:

من المهم الحوار والنقاش حول مصطلح الإرهاب أو الحرب عليه لأنه مُضلِّل للرأي العام، وذلك بتحريره العلمي، من خلال الحوارات الحرة المفتوحة، وعن بواعثه وأسبابه، ثم عن المقارنة بين الإرهاب الدولي القائم على استراتيجيات غربية وما يضاده من المقاومة المشروعة والجهاد. وفي ذلك صدرت كُتب كثيرة في كثيرٍ من دول العالم، ومنها على سبيل المثال كتاب: (ضحايا بريئة للحرب العالمية على الإرهاب) بعشر لغاتٍ عالمية، وفيه عن بعض أسباب الإرهاب الدولي، حيث المنافسون الجدد وتحولات القوة، وعن الحملات الأمريكية والدولية بعد الحادي عشر من سبتمبر، كما أن كتاب الشرق والغرب -منطلقات العلاقات ومحدداتها- للدكتور علي النملة ناقش مُصطلح الإرهاب وغيره من المنطلقات والمحددات للعلاقات. والمؤلف لهذا الكتاب يؤكد على عدم الاتفاق الدولي على تعريفه رغم أفكار التعريفات المختلفة الكثيرة، وهذا قد يدل على رغبة الغرب في عدم تحرير المصطلح؛ نظراً لاستخداماته المتعددة والمتنوعة في تنفيذ الأجندات السياسية العلنية منها والسرية تحت مزاعم الإرهاب، وليس أدل على ذلك من تصنيف إيران ومنظماتها الإرهابية في قائمة الإرهاب فترةً من الزمن، بل إن هذا التصنيف حينما كانت إيران مُسالِمةً -إلى حدٍّ مُعين- مع العالم الإسلامي السُّنِّي، وبعد أن مارست إيران ومنظماتها وميليشياتها الحرب والتصفيات الدموية لأهل السُّنَّة في العراق وسوريا ثم اليمن تم إسقاط إيران

ومنظماتها من قائمة الإرهاب![1]. مما يكشف نفاق السياسة العالمية للأقوياء حول هذا المصطلح -كأنموذج-.

فإيران وميليشياتها صُنِّفت إرهابية في فترة الحرب الباردة بينها وبين العالم السُّنِّي، لكنها في فترة التحالف الأمريكي الإيراني وبداية صناعة الفوضى في العالم العربي من قِبل الغرب المتعصب وإيران صَدَرت عنها القرارات الرسمية الغربية والأمريكية تحديداً وذلك برفعها وأحزابها من قائمة الإرهاب، كما وَرَد في هذا الكتاب بمبحثه الرابع بعنوان: (الفوضى الإيرانية وصناعة الصراع!).

ومن حقائق الواقع التاريخي أن ممارسة إرهاب الخصوم والأعداء يُعدُّ حقاً مشروعاً للدول، ويتضح ذلك جلياً في قول الزعيم السوفيتي لينين: «نحن مبدئياً لم ننكر الإرهابَ يوماً، وليس في وسعنا أن ننكره، فهو عمل من الأعمال العسكرية يُمكنه أن يكون صالحاً وضرورياً في لحظة مُعينة من القتال»[2]، وكذا ماكس فيبر في تعريفه للدولة أنها: «مصدر الحق في استخدام العُنف»[3] وهو ما يستوجب الحوارات حوله.

وفي السياق نفسه قال صموئيل هنتنجتون عن الغرب بعمومه -كما سبق في هذا الكتاب بعنوان (مستقبل التنافس وأهمية الحوار)-:

---

(١) انظر: على سبيل المثال ما صدر من الإدارة الأمريكية في أوج اجتياح الحوثيين لليمن مُستهل عام ٢٠١٥م، صحيفة شؤون خليجية، الرابط التالي:
http://alkhaleejaffairs.org/c-15582.

(٢) انظر: موقع ساسة بوست، بتاريخ ١٠ يناير ٢٠١٦م، الرابط التالي:
http://www.sasapost.com/who-laughs-last-state-or-terrorism/
ومما لاشك فيه أن المسلمين حينما يستشعرون العزة في دينهم والسيادة في دُنياهم سيكونون أكثر جرأةً من لينين ووصفه الإرهاب بالصالح والضروري للدول.

(٣) انظر: المرجع السابق.

«لقد تغلب الغرب على العالم ليس من خلال تفوقه في الأفكار أو القيم أو الديانة، ولكن بسبب تفوقه في تطبيق العنف المنظّم [الإرهاب]. الغربيون غالبّاً ما ينسون هذه الحقيقة. أمّا غير الغربيين فلا ينسون»[1].

وفي المقابل فمن المؤكد عملياً بأن كل دولة أصبح لها تعريف أو مفهوم للإرهاب لتصفية خصومها أو المعارضين لها أو توصيفهم بذلك، ولذلك فمصطلح الإرهاب أصبح سلاحاً يستخدمه أو يستثمره القوي أمام شعبه أو الشعوب والدول الأخرى.

ثامناً: الجهاد ومفاهيمه:

كثيراً ما كان الجهاد موضع جدل وحوار ونقاش بين الغرب والمسلمين؛ نتيجة سوء فهم مقصود أو غير مقصود، وكأن الحروب الأوروبية والأمريكية علىّ العالم الإسلامي تقوم بتوزيع الورود على مُدن وقُرى أفغانستان والعراق مثلاً. ففي كتاب: (خطاب إلى الغرب) -رؤية من السعودية- وَرَد التعليق التالي: «إن الظلم ظلمٌ مهما كان مصدره، سواء صدر من مسلم أم غير مسلم، وسواء صدر من ضعيف أم قوي، وسواء صدر من فرد أم جماعة أم دولة، وعندئذ لا بد من إدانة الظلم وإدانة أهله، ولابد من وقفة شجاعة أمام الظالم لمنعه من ظلمه متى أمكن ذلك. أما العدل فهو عدل، وإن صدر من ضعيف أو قريب أو بعيد. والموقف الصحيح تجاهه هو التأييد والنصرة لأهله وإن كانوا ضعفاء أو أقليات مستضعفة...

---

(١) انظر: صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، ط١، ص١٢٠.

إن أي إنسان أو مجموعة بشرية مقهورة ومسلوبة الحق قد تضطر إلى القتال ومدافعة الخصم. ويُحتمل أن تقوم بأي عمل حتى وإن كان يخالف المبادئ والأعراف والأخلاق، وأن تستعمل من الوسائل والأساليب ما تراه مجدياً؛ لأن الطرق السلمية قد أغلقت أمامها فاندفعت بشكل غير عقلاني»[1].

ولهذه الاعتبارات وما يماثلها فإن موضوع الجهاد والحروب الغربية من أولويات الحوار بين الإسلام والغرب؛ لمعرفة الصواب من الخطأ عن الظالم والمظلوم، وعن العدالة والحقوق في هذه الحروب من عدمها.

تاسعاً: كتاب الإسلام: مستقبل السلفية بين الثورة والتغريب:

كثيراً ما كان استهداف الإسلام من خلال استهداف منهجه الصحيح في الفهم والاستدلال، وكثيراً ما يُسمى بـ(المنهج السلفي). وهذا المنهج معنيٌّ بدرجة كبيرة في أهمية الحوار مع غير المسلمين؛ نظراً لأن هذا المنهج مُستهدف بالتشويه، وهو الإسلام ذاته. وهو المنهج الوسط حسب المفكر الفرنسي شارل سان برو في كتابه: الإسلام - مستقبل السلفية بين الثورة والتغريب. لكن بعض الممارسات الخاطئة بحق هذا المنهج من أتباعه أسهمت في تشويهه واستعداء الخصوم عليه. فهذا المنهج -حسب المؤلف- هو مصدر قلق الغرب، حيث يمتلك مشروع النهضة سيادة الإسلام وأهله من خلال ما كتبه عن الجانب التاريخي للسلفية القويمة حتى القرن الثامن عشر الميلادي، مروراً بالمجدد محمد بن عبد الوهاب وأصول الإصلاح في دعوته، وانتهاءً بالسلفية وتحديات العالم المعاصر.

---

(١) انظر: كتاب (خطاب إلى الغرب رؤية من السعودية)، إعداد مجموعة من العلماء والمثقفين السعوديين، ط١، الرياض: دار غيناء للنشر، ١٤٢٤هـ (٢٠٠٣م)، ص٢٨٥-٢٨٦.

وفي الكتاب تحريرٌ لكثير من الإشكالات المثارة على الإسلام بهذا المنهج تحديداً، خاصةً حولَ إمكانيته في نهضة الأمة الإسلامية، من خلال العرض عن تاريخ السلفية، وتحطيم مزاعم خصوم المنهج بأنه ليس رائداً في الإصلاح والتجديد والتطوير. وفي الكتاب ما يكشف اللثام عن بعض الاتهامات الموجهة إليه حول الجمود والتقليدية. كما يؤكد على أن المنهج السلفي مقاوم قوي لمشاريع التغريب، وذلك من خلال التحليل الموضوعي للوقائع والمقارنة بين الأحداث، بعيداً عن الهوى أو الأفكار المسبقة، فالكتاب بمؤلفه ثريٌّ في موضوعات الحوار عن موضوع السلفية. ومما وَرد في كتابه: «إن الإسلام رسالة نحن بحاجة إليها نحن الغربيين، الذين طالما ضُلِّلنا عن معرفة الله»[1].

عاشراً: كتاب دعوة الشيخ محمد عبد الوهاب من الإحياء والإصلاح إلى الجهاد العالمي:

من الحملات الدعائية الغربية الكبرى على الإسلام ورموز التجديد والإصلاح استهداف الشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعوته الإصلاحية التجديدية (١١١٥-١٢٠٦هـ) (١٧٠٣-١٧٩٢م)، لكن هذه الحملات الدعائية صنعت فضولاً معرفياً عند كثير من الباحثين الغربيين، ومن أولئك الباحثة الأمريكية ناتانا دي لونج، التي عملت حوالي سبع سنوات من البحث المتواصل في رسالتها العلمية الدكتوراه من جامعة جورج تاون الأمريكية للوصول إلى الحقيقة عن دعوة محمد بن عبد الوهاب.

---

(١) انظر: شارل سان برو، الإسلام - مستقبل السلفية بين الثورة والتغريب، ص٤٨٢.

وكانت استنتاجات الباحثة -في مجملها- تستحق النقاش والحوار، ولاسيما عمّا يُسمى (الوهابية) ومنهج محمد بن عبد الوهاب في الاستدلال، وعن الرؤية العالمية لديه، والمقاربة النصية لمحمد بن عبد الوهاب بصفته ممارساً ومنظراً شرعياً، وعن التربية والدعوة والجهاد، والمرأة وحقوقها، واتفاق مؤلفات الشيخ وفتاواه مع ما ينص عليه الدين الإسلامي، وأن هذه المؤلفات جعلت الدعوة الإصلاحية القرآن الكريم والحديث النبوي منهاجاً لها لا تحيد عنه. وفي الكتاب ما يُفنِّد التهم الموجهة لدعوة الشيخ من خصومه بأنها متعصبة. فلم يكن العنف والقتل من وسائل تحقيق أهداف دعوته، كما توصلت إليه الباحثة، بل تؤكد كتب الشيخ المجدد استخدام المنهاج الرباني المبني على الدعوة بالتي هي أحسن!

والباحثة بهذا توصلت إلى نتائج تستحق الحوار المتنوع والمناظرات المتعددة والنقاش العلمي حولها، بل وترجمة هذا الكتاب إلى لغات متعددة مما يفتح آفاقاً في الحوارات حول هذا المجدد ودعوته الإصلاحية التي هي مثار جَدلٍ بين كثيرٍ من الخصوم، وفي الكُتب المُماثلة من غربيين منصفين عن هذا الموضوع ما يستوجب أن يكون من البرامج المقترحة للحوارات.

وليس الكتاب هنا بصدد المحاماة أو العرض عن دعوته ومنهجه بقدر ما هو حثٌّ للقراء على المناقشة بعيداً عن المواقف المسبقة أو الانطباعات العدائية الناتجة من الإعلام الدعائي عن دعوته وحركته الإصلاحية.

الحادي عشر: كُتب حوارية مؤسسة غيناء المعنية بالحوار مع الغرب أنموذجاً:

تخصصت بعض المؤسسات العلمية والبحثية في العالم ببحث بعض القضايا العلمية المعنية بالحوار، وتأليف مؤلفات في ذلك، ومن تلك المؤسسات المشكورة في أهدافها مؤسسة غيناء بالرياض التي أصدرت مجموعة من الكتب المعنية بالحوار مع الغرب في بعض المفاهيم الإسلامية وعن بعض المفاهيم الخاطئة عن الإسلام وتشريعاته أو تطبيقاته في المملكة العربية السعودية. وأصدرت بذلك مجموعةً من الكتب باللغة العربية والإنجليزية خاصة، وبعض هذه الكتب من إعداد مجموعة من المؤلفين السعوديين وغيرهم، ومن هذه الكُتب، كتاب: الحوار بين أتباع الأديان: رؤى عالمية، وكتاب: النظام العدلي في السعودية، وكتاب: الحكومة والشعب في السعودية.. ما لا يعرفه الآخر، وكتاب: السعوديون والإرهاب.. رؤىً عالمية، وكتاب: علاقات الكبار: النبي محمد يقدم أخاه المسيح للبشرية - زين العابدين الركابي، وكتاب: المملكة العربية السعودية بعيون زوجة دبلوماسي - إيلفيرا آراسلي، والحوارات في الكُتب ذات العلاقة لا يمكن حصرها[1].

(١) وكتب أخرى لا تقل أهمية عن الكُتب السابقة، ومنها: كتاب: مئة سؤال عن السعودية، وكتاب: المرأة في السعودية.. رؤىً عالمية، وكتاب: الإصلاح المجتمعي.. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في السعودية، وكتاب: خطاب إلى الغرب رؤية من السعودية، وكتاب: السعودية السلفية في الكتابات الغربية - محمد بن سعود البشر، وكتاب: الحرية الدينية في السعودية - الشيخ صالح بن عبد الرحمن الحصين، وكتاب: النظام السياسي للسعودية - عبد الله بن إبراهيم الطريقي، وغيرها من الكتب المنشورة في موقع دار النشر المتخصصة بكثيرٍ من الكُتب الحوارية: http://www.ghainaa.net/.

ومع نهاية هذا المبحث تتضح معطيات كلٍّ من الحوار والصراع على حدٍّ سواء مما يُؤكد على أهمية التعاطي الصحيح مع الحوار، حيث الحوار المتكافئ بين الطرفين الذي يتطلب الحضور القوي للهوية، وتَتَعزز فيه المنافسة بين القيم، لكنه في نفس الوقت الحوار الذي لا يتعارض مع الإعداد للمقاومة والقوة والعمل بكافة الآليات والوسائل المشروعة في سبيل المثال، كما سيتضح لاحقاً في نهاية الكتاب.

وتفسر لنا القراءة التاريخية طبيعة علاقة الغرب المتعصب مع المسلمين، وأن هذه العلاقة تجنح في أحيانٍ كثيرة إلى الصراع أكثر منها إلى السلام! ولذلك تأتي أهمية أو وجوب الحوار فيها بين الشعوب لأنها المعنية به، مع القناعة بأن الصراع العسكري المدعوم غربياً في كثيرٍ من الدول الإسلامية، هو استراتيجياتٌ غربيةٌ وإقليمية، حيث سياسات الغرب التي تنبئ عن سعيها باتجاه تسريع الصراع قبل نضج النهضة الإسلامية وتهيئ الظروف الملائمة لسيادة دول الإسلام وسيادتها، ويلاحظ تَشَكل تحالفات متعددة موجهةٍ ضد المُكوِّن السُّنِّي، بل وإجهاض أي نوعٍ من أنواع المقاومة، ومن ذلك مفاهيم الجهاد الشرعي وتطبيقاته بتضخيم واستغلال حركات جهادية غير منضبطة لتشويه الجهاد وشيْطنته للحيلولة دون مقاومة العدوان الدولي والإقليمي، ويصحب ذلك محاولة حصارٍ للجاليات المسلمة في الغرب بنظم وإجراءات وفوبيا لمنع تمددها وانتشارها، والأهم من ذلك عندهم تحييدها ولاسيما في مرحلة الصراع المقبل داخل العالم الإسلامي وخارجه.

وبهذه المعطيات تتضح كثير من المعالم عن أهمية الكتابة في (رؤية مستقبلية استشرافية)، ولعل المبحث السابع (التالي) الخاص بهذه الرؤية فيه تشخيصٌ يُسهم مع غيره من الدراسات العلمية المتخصصة من أصحاب الاختصاص والخبرة في الإعداد والتخطيط مما يُعزِّزُ العمل على ميلاد مشاريع استراتيجية تخدم المرحلة بمتغيراتها العالمية الخطرة.

المبحث السابع

الرؤية المستقبلية ومؤشراتها

«إن استقراء مستقبل وضع منطقتنا من خلال المعطيات الحالية التي تظهر انكشافنا الاستراتيجي أمنياً وسكانياً وثقافياً واقتصادياً وتنموياً، يكشف عن تأخّرنا في صوغ استراتيجية سياسية وأمنية واقتصادية وثقافية مستقبلية».

(الأمير تركي الفيصل - التطورات الاستراتيجية رؤية استشرافية)

الرؤية المستقبلية للصراع

الأهمية:

فيما مضى من مباحث هذا الكتاب كانت موضوعاته معنية بالتشخيص -إلى حدٍ معين- لماهية العلاقة التاريخية بين الإسلام والغرب وطبيعتها، وذلك لأن التعاطي الصحيح للحاضر وفهمه لا يمكن دون معرفة الماضي، ولكن تبقى هذه (القراءة التاريخية) نظرية -إلى حدٍ كبير- حينما لا تتلازم معها أو مع نتائجها (رؤيةٌ استشرافية) عن المستقبل ولوازمه، وعلى رأس اللوازم مطلب (مشروع الأمة الاستراتيجي). وهذه الأهمية هي ما أوجب الكتابة عن هذه الرؤية المستقبلية المبنية على معطيات[1] القراءة التاريخية وما فيها من جوانب المنافسة والصراع.

وتتأكد الحاجة إلى الرؤية المستقبلية لأنها رؤيةٌ معنيةٌ هنا بالصراع المسلح دون غيره، وحيث الغرب أصل في الصراع أو الصانع لمناخه وبيئته كما تبين مسبقاً، وهو قائمٌ لم يتوقف، كما أن هذه الصراعات والحروب قائمةٌ -في الغالب- فعلياً من خلال الوكلاء في ساحاتٍ دولية كثيرة ومرشحةٍ إلى ما هو أكثر، فالخطورة المحتملة أن تكون هذه الحروب محارق جماعية لدول المنطقة واشتباكٍ مباشر وعالمي.

---

(١) (المعطيات) هنا: هي الأحداث التاريخية والتقارير والتصريحات التي أصبحت ظاهرةً ومؤثرةً في الساحات العالمية حتى أصبحت حقائق معلومة، خلافاً للمؤشرات هنا، حيث (المؤشرات) هنا: هي الأحداث العسكرية المعاصرة والتصريحات السياسية الحديثة التي تساعد على فهم الحقيقة والواقع وتؤكد المعطيات السابقة، وهي بهذا تُسهم في صياغة النتيجة، بالرغم من كونها متغيرة متجددة، لكنها لا تتعارض مع استراتيجيات الصراع الغربي وثوابته، وهذه المؤشرات مما يدعم المعطيات في الحصول على صياغة متوازنة للرؤية الاستشرافية للصراع مستقبلاً.

كما تتأكد الأهمية مرةً أخرى لهذه الرؤية لأنها تُسهم في استشراف المستقبل لمنطقةٍ أصبحت بعد يقظتها تُعدُّ من أكثر المناطق خطراً على إنهاء السيادة الاستعمارية وهيمنتها، وما فيها من مطامع اقتصادية في مواردها، وبالتالي فإنها الأكثر سخونةً في العالم، ولاسيما مع أهمية أمن الدولة اليهودية في فلسطين لدى الغرب، وهذا ما يستوجب المزيد من الدراسات المستقبلية، بل وتأسيس المراكز المعنية بالاستراتيجيات واستشراف المستقبل، أسوة بالدول المتقدمة التي تعتمد عليها في سياساتها ودعم قراراتها.

وتتأكد الأهمية للرؤية المستقبلية مرةً (رابعة) بحق دول المنطقة وشعوبها في ظل تسارع التطورات العالمية، وما فيها من تحديات إقليمية وعالمية وتهديداتٍ بمزيدٍ من الصراع والحروب ذات التأثير الكبير على الأمن والاستقرار السياسي للمنطقة بصفةٍ خاصة، ولاسيما في مرحلةٍ تتطلب ما هو أكثر بكثير من إطفاء الحرائق والتعاطي مع الطوارئ.

كما تتأكد أهمية وجود الرؤية الاستشرافية مرةً (خامسة) من خلال ما يتم تداوله في مراكز الأبحاث العالمية ووكالات الأنباء الدولية بصورةٍ لافتةٍ للنظر بأن ما يُسمى الشرق الأوسط يتشكل من جديد، وأن الأوضاع والخرائط الجغرافية السياسية التي كانت سائدة فيما سبق ستتغير إلى حدٍ كبير، وكثير من ذلك لوأد إرادة شعوب العالم العربي، والإجهاض على تحولات القوة من الحكومات إلى الشعوب، والأخطر من ذلك أن هذا الواقع تزامن مع تهاون دول الخليج عن نُصرة أهل السُّنَّة في العراق (خط دفاعها الأول) منذ سقوط حاكم

العراق صدام حُسين ودخول القوات الأمريكية للعراق والتمدد الإيراني فيه على حساب انحسار غيره.

وبالتالي فقد أصبح على دول وشعوب منطقة الخليج وتركيا خاصةً والدول الإسلامية عامة أن تدفع الثمن غالياً جراء هذا التخاذل أو التخلي، والذي ربما يكون قسرياً لكنه مما يكشف عن حقيقة الخطوط الحمراء التي تفرضها السياسة الأمريكية المُتسمة بالعدوانية في المنطقة، حيث مشروع التغيير الديموغرافي والسياسي القائم في المنطقة بصورةٍ يوميةٍ متسارعة.

هذا؛ ويؤكد الباحث نبيل خليفة من وجهة نظر مسيحية على أهمية الرؤى المستقبلية من خلال تشخيصه لحجم التحديات الكبيرة من الصراعات والحروب القادمة على المنطقة، وتحديداً على المسلمين من أهل السُّنَّة، وذلك في كتابه الصادر بعنوان (استهداف أهل السُّنَّة)، وفيه يقول: «إن استراتيجية الغرب وإسرائيل اليوم في الشرق الأوسط مبنية على نظام إقليمي تفكيكي جديد، يستجيب لمصالح الغرب وإسرائيل في المنطقة، وفيه مجال واسع لضرب وتفكيك العالم الإسلامي بإدخاله في الفتنة الشيعية السُّنِّية»[1].

بل إن الباحث خليفة بحيادية يؤكد على أهمية سلامة نصارى العرب المرتبطة بسلامة المسلمين السُّنَّة في المنطقة -حسب قوله-، وضرورة إدراك ما يجري حولهم وتجاههم بقوله: «نحن المسيحيين كنائس حدودية، ولكننا لسنا، ولا ينبغي أن نكون حرس حدود لا لإسرائيل ولا للغرب، ومن واجبنا العمل لمنع كل فتنة بين المسلمين،

(١) انظر: نبيل خليفة، استهداف أهل السُّنَّة، ص٩.

لأن سلام المسلمين هو سلامٌ لنا أيضاً»[1].

وفي كلمة عن الأخطار المحدقة على منطقة الخليج في مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية تحدث الأمير تركي الفيصل الذي تولى منصب رئيس الاستخبارات السعودية (١٩٧٧-٢٠١١م) عن أهمية الرؤية الاستشرافية للمنطقة بصفةٍ خاصة، وعن خطر الترهل وغياب الرؤى والاستراتيجيات المتكاملة التي تتطلبها المرحلة، قائلاً: «إن استقراء مستقبل وضع منطقتنا من خلال المعطيات الحالية التي تُظهر انكشافنا الاستراتيجي أمنياً وسكانياً وثقافياً واقتصادياً وتنموياً، يكشف عن تأخّرنا في صوغ استراتيجية سياسية وأمنية واقتصادية وثقافية مستقبلية، تأخذ في الاعتبار أن كل إنجازاتنا المحققة في عملية بناء الدولة وفي ميادين التنمية تتطلب النظر إلى المستقبل، وما تحمله الأيام من تحديات داخلية وإقليمية ودولية، وألا نركن إلى أن الظروف التي سمحت لنا بفترة طويلة من الاستقرار والنمو وتحقيق كثير من الإنجازات ستدوم إلى الأبد»[2].

كما أكد الفيصل على أهمية الرؤى المستقبلية وقيمتها، ولاسيما في ظل المخاطر بقوله: «لقد علَّمنا التاريخ أن تَغيُّر الأحوال من سنن الحياة، وأن من ينجو من تداعيات كثيرة من التغيرات السلبية هم من قد استشرفوها وحصّنوا أنفسهم منها، وعلموا بما تمليه متطلبات التقدم. لهذا لا ينبغي لانكشافنا الاستراتيجي أن يدوم طويلاً، وعلينا جميعاً كدول منفردة، وكمنظومة خليجية أن نلتفت إلى هذه الحقيقة،

---

(١) انظر: المرجع السابق، ص٩.

(٢) انظر: التطورات الاستراتيجية العالمية - رؤية استشرافية، مجموعة من الباحثين، ط١، أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ٢٠١١م، ص٢٢-٢٣.

وأن نبذل جهوداً مضاعفة إن أردنا ولوج المستقبل بثقة واطمئنان»[1].

كما أن نبيل خليفة ذهب بعيداً ليؤكد مخاطر غيبة الاستراتيجية الخاصة بأهل السُّنَّة تحديداً قائلاً: «بالمقابل، فإن المسلمين السُّنَّة ككتلة دولية كبرى (Bloc) وكجماعات إقليمية، وكدول ليس لديهم حتى الآن استراتيجية دفاعية مناسبة... بل يرون -ربما ولكن بأسف- أنهم ليسوا بحاجة لأن يفكروا في صياغة استراتيجية تقيهم المخاطر التي يتعرضون لها في المرحلة الراهنة بفعل التحدي العالمي لهم»[2].

وعن حقيقة الرؤية وطبيعتها ونطاقها الجغرافي فإن من المهم التأكيد بأنها رؤيةٌ ليست معنية بالجوانب الاقتصادية أو الاجتماعية بصورةٍ مباشرة، بل هي رؤيةٌ معنيةٌ بصراعات العالم الغربي بأدواته مع دول العالم العربي بصفةٍ عامة والخليجي بشكلٍ خاص، وهي هنا تدور حول تشخيص الصراع الحالي والمتوقع -إلى حدٍ معين- وفق القراءة التاريخية بمعطياتها الواردة في المباحث الستة الأولى من هذا الكتاب، بل هي المكوِّن الرئيس لهذه الرؤية الاستشرافية المستقبلية، أو هي الأساس العلمي لها، ويأمل الباحث أن تجتمع المهنية والشفافية في توصيف ما يتعلق بهذا الجانب التاريخي ومعطياته، كما يأمل كذلك أن ينعكس استحضار هذه القراءة التاريخية على المصداقية العلمية عمَّا بعدها من الاستشراف المستقبلي، وبالتالي العمل بما تقتضيه هذه الرؤية المستقبلية ولوازمها.

وفي هذه الرؤية شيءٌ من تشخيص الواقع، وتحليل عن المستقبل

(١) انظر: المرجع السابق، ص٢٣.

(٢) انظر: نبيل خليفة، استهداف أهل السُّنَّة، ص١٥-١٦.

من خلال ما تم التعبير عنه بالمؤشرات، فاسترجاع الماضي بقراءته مع استحضار الحاضر باستشراف مستقبله من الأسس المهمة في الدراسات المستقبلية، بالرغم من أن الأحداث السياسية لا يمكن أن تكون حقائق أو مُسلَّمات، ولكنها مؤشراتٌ -في الغالب- تقود إلى الحقيقة قدر المستطاع، وعلم الغيب لله وحده، وقد يجد القارئ بعض التكرار في بعض الموضوعات حيناً لارتباط هذا المكرر بأكثر من موضوع، أو لتأكيده أحياناً أخرى.

وعن ثقافة قراءة المستقبل في الثقافة الإسلامية فالمسلمون بصفةٍ خاصة مطالبون باستشراف المستقبل، حيث لا يخرج عن كونه عبادة لربهم يتم من خلاله الإعداد النفسي للفرد والمجتمع والدولة للاستعداد بلوازم هذا المستقبل وواجباته، فمقتضيات إيمان المسلم أن للمستقبل قيمة كبرى في حياته وبعد مماته؛ وذلك لإيمانه بالقضاء والقدر، واستشراف الجنة والعمل لها، ورجائه النجاة من النار يوم القيامة، كما أن أحاديث الفتن وعلامات الساعة الصغرى والكبرى وملاحم آخر الزمان، وأحاديث المهدي وعيسى والدجال تزخر بها كُتب السُّنَّة وشروحاتها، وهي من حوادث المستقبل وأحداثه، وتتطلب العلم والعمل كذلك.

الصراع بين المعطيات والمؤشرات:

وفق المعطيات العلمية التاريخية الواردة في المبحثين (الأول والثاني) عن طبيعة العلاقة الغربية تكشفت الإرادة الغربية المتعصبة وأقصد هنا «الغرب المتعصب» مع الإسلام وحقيقة أن المنافسة الإسلامية تَرتَّب عليها صراع وعدوانية غربية.

وتشرح المباحث (الثالث والرابع والخامس) وما ورد فيها من تأكيدات وتصريحات واضحة الحقيقة الوجودية لذلك الصراع إلى حدٍّ كبير، ولاسيما أن تلك الأقوال والمواقف التي تعكس عدم تسامح المتعصبين الغربيين صادرة من الساسة ورجال الدين، بل إن ممارساتهم -وهم أصحاب قرار- صنعت ولا زالت تصنع مناخ الاحتقان في العالم العربي والإسلامي، ولاسيما من خلال الأعمال السياسية والعسكرية والإعلامية مما يُعدُّ تصديقاً للأقوال والتصريحات، فالغرب بهذه الأقوال والأفعال يؤكد بنفسه أنه هو أساس الصراع إلى حدٍّ كبير، وهو في أحيان معينة لا يصنع المؤامرة أو الصراع بسياسةٍ مباشرة بقدر ما يصنع بيئته من الاحتقان.

ووفق معطيات هذه المباحث سابقة الذكر، إضافةً إلى ما ورد من نتائج البحث في المبحث الأخير، يتأكد أساس الصراع، بل إن تصعيده في العالم العربي والإسلامي بصورةٍ مباشرةٍ وغير مباشرة أمر مشاهد ومحسوس لأي مراقب أو متابع.

ويُضاف إلى هذه المعطيات التاريخية الواضحة الواردة في مجمل هذا الكتاب عن حقيقة الصراع والحروب (مؤشراتٌ) عن بعض المستجدات الدولية والتدخلات السياسية والعسكرية الأجنبية المباشرة بحق دول العالم العربي والإسلامي وإرادته السيادية، والأمثلة على هذا كثيرة، ومن جديدها ما حدث تجاه مصر من تدخلات غربية في شرعيته السياسية، ومثل ما حدث في سوريا حيث التحكم الغربي بمنع الحصول على السلاح النوعي في ساحات الثورة السورية، وحيث الدعم الغربي غير المباشر لإيران لتكون ذراعاً

خطيراً في صناعة الصراع وتأجيجه، وغير ذلك كثير -كما سيأتي في المؤشرات-.

وبتوصيف مختصر عن واقع الصراع ومستقبله في دول العالم العربي والخليجي، أشارت بعض البحوث والدراسات السياسية الخليجية إلى مخاطر مستقبلية لكثير من دول العالم العربي والخليج خاصةً، وهي تعكس مجمل مؤشرات الصراع، ومن ذلك ما ورد في إحدى هذه الدراسات: «وتبدو دول مجلس التعاون الخليجي في خضم التطورات الدولية والإقليمية الراهنة أشبه بـ(حديقة وسط حريقة)، فهذه التطورات طالت الجوار المباشر والقريب لأمن الخليج، حيث يهيمن انقسام سياسي ومجتمعي عميق وأزمة اقتصادية عاصفة (الحالة المصرية)، وبلد مهدد بالانقسام بسبب نشوء كيانات مضادة للدولة المركزية (الحالة اليمنية)، حيث الحوثيون في الشمال والحراكيون في الجنوب وبينهما ما يُسمى (القاعدة)، ودولة ذات وزن يكتنفها غموض كبير حول اليوم التالي لسقوط نظامها الراهن (الحالة السورية)، وبلد مرتهن بإيران ويعاني التشرذم الطائفي وتتنازعه الروح الانفصالية (الحالة العراقية)، ثم هناك دول تئن من الغليان المجتمعي والسخط الشعبي (حالات: الأردن ولبنان)، وبين هذا كله لم تكن الحديقة (الخليج) بمأمن كلي عما يدور في محيطها، بل مسها شرر من حرائق الجيران (الحالة الكويتية)، وتلوث هوائها بدخان النيران (الحالة البحرينية)، ناهيك عن وجود تغيرات مع تفاوت نسبيٍ في درجته بين دولةٍ وأخرى)»[1].

---

(١) انظر: الخليج في سياق استراتيجي متغير، مجموعة من الباحثين، تحرير: محمد بدري عيد وجمال عبد الله، ط١، الدوحة: مركز الجزيرة للدراسات، ١٤٣٥هـ (٢٠١٤م)، ص٢٩٩-٣٠٠.

ومما يُضاف إلى دوافع الصراع في المنطقة حجم الركود الاقتصادي الغربي الكبير والتوقعات بقدوم هزاتٍ ماليةٍ كبيرةٍ يَعدُّها خبراء الاقتصاد أكبر من سابقاتها، وهو ما يتطلب حسب الاستراتيجيات الغربية المتعصبة تعزيزَ الاقتصاد بما يُسمى اقتصاد الحروب، كما هو معمولٌ به عند أي أزمةٍ ماليةٍ تمر بالعالم، ويزداد العمل بهذه السياسات في ظل ضعف قيم السلام والعدالة والمحاسبة أو انعدامها دولياً بحق المظلومين.

وهذا الواقع بمعطياته السابقة ومؤشراته اللاحقة هو ما يُشكِّل (رؤيةً مستقبليةً استشرافيةً عامةً) حول الصراع المسلح الجديد ومستقبله من قبل الغرب مع الإسلام وشعوبه أحياناً، وبأدوات داخلية أحياناً كثيرة، ويبقى أنه لا يمكن الجزم بمآلات هذه المؤشرات لأنها سياساتٌ متغيرةٌ متجددة إلى حد كبير، ولذلك فإن هذه الرؤية الاستشرافية تبقى رؤيةً (غير تفصيلية) وغير معنية بالأحداث الصغيرة.

أبرز مؤشرات الصراع:

إذا كانت (معطيات الصراع) التاريخية واضحةٌ للقارئ في مباحث هذا الكتاب الستة، فإن العمل على دراسة الواقع السياسي لمنطقة ما يُسمى الشرق الأوسط وما فيه من صراع محموم متصاعد يتطلب كتابة أبرز (مؤشرات الصراع). والقاسم المشترك بين هذه المؤشرات أنها تُشكل عوامل داخلية حيث الضعف السياسي والقابلية للمؤامرات، وعوامل خارجية حيث مؤامرات التفتيت والتقسيم وإذكاء الصراعات، وقد تعمدتُ عدم تخصيص مؤشرٍ

محدد عن الولايات المتحدة الأمريكية، لأن لها الدور الأكبر والرئيس في معظم هذه المؤشرات في إدارة صراع المنطقة وحروبها، وهذه المعطيات والمؤشرات هي ما تُشكل بمجملها (الرؤية المستقبلية) في هذا الكتاب، ومن أبرز مؤشرات الرؤية المستقبلية ما يلي:

المؤشر الأول/ دعم الاستبداد السياسي:

كتب عبد الرحمن الكواكبي باحثاً في المسألة الاجتماعية وعن السبب الرئيس في انحطاط الشرق عموماً وعند المسلمين خصوصاً، وأن الاستبداد أصلٌ لأمراض الأمة الفرعية، كما هو سبب لضعفها وهوانها وتسلط أعدائها عليها، ومما قال: «تَمَحَّص عندي أنَّ أصل هذا الداء هو الاستبداد السياسي ودواؤه دفعه بالشورى الدستورية... ومن الأمور المقررة طبيعةً وتاريخياً أنه ما من حكومة عادلة تأمن المسؤولية والمؤاخذة بسبب غفلة الأمة أو التمكُّن من إغفالها إلا وتُسَارِع إلى التلبس بصفة الاستبداد، وبعد أن تتمكن فيه لا تتركه وفي خدمتها إحدى الوسيلتين العظيمتين: جهالة الأمة، والجنود المنظَّمة [الجيوش]، وهما أكبر مصائب الأمم وأهم معائب الإنسانية»[١].

فحماية الغرب لحكومات الاستبداد السياسي والنظم الدكتاتورية التي حكمت معظم دول العالم العربي والإسلامي أكثر من نصف قرن هو ما سمح بتدخلاتهم المباشرة في شؤون العالم الإسلامي ودوله، بل إن شعوب العالم العربي بمجملها أصبحت تدفع ثمن قَبول هذا الاستبداد، القبول الذي اتسم بتهميشٍ كبيرٍ للشعوب

---

(١) انظر: عبد الرحمن الكواكبي، طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، تقديم ودراسة: أسعد السحمراني، ط٣، بيروت: دار النفائس، ١٤٢٧هـ (٢٠٠٦م)، ص٣٩، ٣٠.

بشبابها وعلمائها ومفكريها وشراكتها في المسؤولية السياسية، مع إقصاءٍ لدور مواردها الاقتصادية الضخمة، وبالتالي أصبحت هذه الدول تعيش كثيراً من صور الاحتقان السياسي والاقتصادي، حيث صنعت هذه الحماية الغربية مع الانتهاك المُنظم للحقوق والسيادة بحق الشعوب العربية والإسلامية هذا الضغط الكبير لدى الشعوب خاصة، وسواءٌ كان الغرب هو من صنع ثورات ما يسمى بثورات الربيع العربي بصفةٍ مباشرةٍ حسب رأي بعض المحللين السياسيين، أو كان بصفةٍ غير مباشرة بدعمه للاستبداد السياسي العربي وردع محاولات الإصلاح الحقيقية فإن النتيجة واحدة في ضياع الأوطان وتمكين الفساد.

فالثورات العربية التي بدأت أواخر عام ٢٠١٠م كانت نِتاجاً طبيعياً للاستبداد المدعوم غربياً، ويؤكد هذا -كأنموذج- ما قاله ستيفن وولت عن الحالة المصرية خاصة[1]، ويُعزِّز هذا الرأي كذلك ما جاء بعد الثورات من تدخلات مباشرة في شؤون العالم العربي لإجهاض أهداف الثورات وإفشالها من خلال دعم الانقلابات أو الثورات المضادة لها ومن خلال عملائه، وهو ما جعل الواقع العربي يتشبَّع بمجمله بفقدان مصداقية حكوماته، وبالتالي يصبح صراعاً داخلياً عنيفاً بين الحكومات وشعوبها.

ويُضاف إلى ذلك النفاق السياسي الدولي بتعاطي الغرب مع حالات الصراع العربي من خلال تدخلاته غير المشروعة، وفي كل

---

(١) انظر: عن ستيفن وولت وأقواله في برنامج (من واشنطن) قناة الجزيرة، حلقة بعنوان: الثورات العربية ومستقبل القوة الأميركية، الرابط التالي:

http://goo.gl/lxga2R.

الأحوال فإن هذا الواقع العبثي يؤكده ما صرَّحت به كوندليزا رايس وزيرة الخارجية الأمريكية عام ٢٠٠٥م عمًّا سمَّته الفوضى الخلَّاقة (البنَّاءة)، وهي حقاً فوضى للعالم الإسلامي وخلَّاقة للغرب!

والحالة المصرية تُعدُّ من الحالات الدراسية في صناعة مناخ الاحتقان الشعبي، حيث استخدمت الحكومة المنقلبة على شرعية الديمقراطية والاختيار الشعبي المُرَاقَب دولياً في مصر كثيراً من أنواع الاستفزاز لإحداث الصراع الأهلي في مصر! وذلك بَدءًا من سجن الرئيس الشرعي المنتخب، مروراً بمذابح رابعة والنهضة وفتح المعتقلات والسجون والتعذيب، مع تغييبٍ للحريات الإعلامية والسياسية، وتدهور اقتصادي ومعيشي غير مسبوق في أرض الكنانة، وهذا الواقع مما قد يفرض فوضى سياسية وعسكرية وأمنية تنعكس سلباً على أمن المجتمع المصري ودولته، وبالتالي هو مؤشر لصراعات داخلية كبيرة متوقعة قد يتم فيها تقسيم دولة مصر بدويلةٍ ذات طابعٍ نصراني في الإسكندرية وما حولها، وسيناء بتدويلها بقواتٍ دوليةٍ، مع صناعة فوضى سياسية وعسكرية في بقية مصر عاجلاً أو آجلاً، وتبقى أنها احتمالاتٌ وأُمنياتٌ معادية لتحقيق استراتيجيات غربية وصهيونية يدعمها واقع الاستبداد السياسي.

ويضاف إلى ذلك ما يجري في العراق، حيث أصبح التقسيم واضحاً وظاهراً ومدعوماً من الغرب بطرقٍ سافرة، وكذلك الشأن في ليبيا وسوريا واليمن وغيرها، والخلاصة أن دعم الغرب للاستبداد السياسي ولإفشال إرادة الشعوب وحريتها أصبح واضحاً لأي متابع أو مراقب.

بل إن هذا الاستبداد السياسي في دول المنطقة أصبح وسيلةً سهلة للدول الكُبرى مثل أمريكا في ظل التحالف لتقوم دول الاستبداد بدور الحروب بالوكالة ومهمة الحفاظ على السلام في المنطقة! وهو ما عُرف لاحقاً باسم (عقيدة نيكسون)، وفي ذلك انتهاكٌ لسيادة الدول واستهلاكٌ لثرواتها واقتصادها، وتدميرٌ لمشروع نهضة شعوبها وشراكتهم السياسية.

يقول نبيل خليفة عن الحق السيادي للأمة الإسلامية وافتخارهم بدينهم، وعن مخاطر هذا الاستبداد والدعم الغربي له ومخاطر ذلك على المنطقة: «إن بروز الحركات الإسلامويّة (Islamisme) لا يهدف إلى تطبيق الشريعة فقط، بل إلى مواجهة الغرب وإلغاء الحدود داخل العالم الإسلامي التي رسمها الاستعمار الغربي، وقسّم المسلمين إلى عشرات الدول وهم أمة واحدة، إنهم كما يقول عنهم إيف لا كوست مؤمنون فخورون بعظمة ديانتهم، وهم يرون أن وحدة أمتهم ستجعل منها واحة التقدم ومركزاً جيوبولتيكياً سوف يؤثر على البشرية كلها (جيوبوليتيك، ص ٣١٢). من هنا تَجْهدُ فئات كثيرة لخلق التناقضات بين العالمين المسيحي والإسلامي وخاصة على يد الأنظمة الديكتاتورية الأقلّويّة في العالم العربي خاصةً والإسلامي عامة. ولذا تتبنى هذه الفئات استراتيجية تشويه العالم الإسلامي السُّنّي، أو ما أسميناه في دراساتنا (أبلَسة السُّنَّة) (Diabolisation du Sunnisme) لكي تُبرر هذه الأنظمة الديكتاتورية بقاءها في السلطة، ولكي تمنع الغرب من التعاون مع السُّنَّة، ولكي تشد من أزر الأنظمة والجماعات الشيعية في المنطقة»[1].

(١) انظر: نبيل خليفة، استهداف أهل السُّنَّة، ص١٣-١٤.

وتزداد التوقعات عن حالات الصراع والحروب في كثير من دول المنطقة ودول الخليج العربي في ظل غياب شراكة المسؤولية بين الشعوب والحكومات، وضعف الإصلاح السياسي المنشود والموعود القائم على الشراكة.

بل وتزداد المخاطر من عواقب الاستبداد والظلم أن تكون بعض المواقف الاحتسابية والإصلاحية والناصحة لبعض الحكومات في عِداد (الفتنة) عند فئام من الناس وما في ذلك من تشريعٍ ودعمٍ للاستبداد ومآلاته في صناعة فتنٍ أكبر وأكثر، كما قال ابنُ تيمية: «إن الظالمَ يَظلمُ، فيُبتَلَى الناس بفتنة تُصيبُ من لم يَظلِم، فيعجز عن ردِّها حينئذ؛ بخلاف ما لو مُنع الظالم ابتداءً، فإنه كان يزول سبب الفتنة»[1].

ورحم الله الكواكبي الذي وصف مرض الاستبداد بأبلغ وصفٍ عن عواقبه ومآلاته الخطيرة على بقاء الدول! ومما قال عنه: «الاستبداد أعظم بلاء، يتعجل الله به الانتقام من عباده الخاملين ولا يرفعه عنهم حتى يتوبوا توبة الأَنَفَة، نَعَم، الاستبداد أعظم بلاءٍ لأنه وباء دائم بالفتن، وجدب مستمر بتعطيل الأعمال»[2].

الغرب خاصةً الأوروبي منه يعرف مدى ما يصنعه الاستبداد من قلاقل وفتن، فهو لم يتجاوز صراعاته الأوروبية الداخلية وحروبه الدموية إلا بعدما أنهى صور استبداد حكوماته وأباطرتهم كالنازية

---

(١) انظر: شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، منهاج السُّنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، المحقق: محمد رشاد سالم، ج٤، طـ١، القاهرة: مؤسسة قرطبة، ١٤٠٦هـ(١٩٨٦م)، ص١٧٤.

(٢) انظر: عبد الرحمن الكواكبي، طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، ص٤٤.

والفاشية، حيث دفعوا الثمن غالياً بموت الملايين من البشر في وَحل حربين عالميتين مشهورتين!

المؤشر الثاني/ دعم الكيان الصهيوني:

الكيان اليهودي الصهيوني جسمٌ غريب في جسد العالم الإسلامي، دَعَمَه الغرب وباركه؛ ليكون سداً أمام العالم الإسلامي والعربي يُشغله عن نهضته الإسلامية وسيادته ووحدته، كما يستنفد مُقدراته، وهو بالتالي مما يُعيق اتصال الإسلام بالقارة الأوروبية، وكما أن الغرب جعل من الكيان حاجزاً ومصدّاً فإنه قد يكون أراد باليهود أن تكون فلسطين محرقةً وإبادةً لهم، وهذا الكيان مُعزِّزٌ كبير لمؤشرات الصراع القائم والقادم، بل إن له الأولوية في المؤشرات.

فالكيان الصهيوني المحتل لفلسطين حسب مؤشراتٍ متعددة وأعمالٍ عدوانية متجددة ومتنوعة على غزة والقدس ازداد جرأة في عدوانه في النصف الثاني من عام ٢٠١٥م، وأصبحت حكومة نتن ياهو يُصعِّد من عملياته العسكرية، ويُوسِّع من دائرة الاستيطان، ويحمي عسكرياً خرافات المتطرفين الدينية وهيكلهم المزعوم، من خلال دعم المتطرفين الصهاينة باقتحام الأقصى، إضافةً إلى استمرار الحصار الظالم على الشعب الفلسطيني في غزة خاصةً، وهذا الواقع المرير مما ولَّد (انتفاضة السكاكين) و(انتفاضة الدهس) وما قد يأتي بعدها من وسائل جديدة في المقاومة خاصةً في الضفة الغربية، وهو ما أرعب دولة الكيان الصهيوني، وهذا الواقع يُعطي مؤشراً جديداً -إلى حدٍ كبير- لحرب صهيونيةٍ عربيةٍ إسلاميةٍ جديدة تحمل مضامين مذابح جديدة وقتلٍ أكثر للفلسطينيين وتهجيرٍ لكثيرٍ منهم إلى الأردن

والعراق وتوطينهم[1]، حسب ما ذكره مُنظِّر السياسة الأمريكية ريتشارد نيكسون في وقتٍ مبكر كرؤيةٍ مستقبلية بدأت ملامحها تتحقق، وذلك في كتابه (انتهزوا الفرصة) وفيها يُصر نيكسون على أمرين، الأول: تحقيق الحكم الذاتي للفلسطينيين بشرط أن يرتبط بالأردن، وينصح بالتفاوض مع منظمة التحرير!

والثاني: تعويض الفلسطينيين المهاجرين لأنهم لن يعودوا إلى منازلهم، وتعويض المستوطنين اليهود لأنهم سيتركون مستوطناتهم المحتلة! ولكن من يدفع التعويضات؟! يقول نيكسون: «علينا أن نقنع السعوديين، ودول الخليج، وكذلك اليابان، لتوفير المال الذي سيسهِّلُ من لسعة هذه التنازلات»!

ويقول نيكسون: «القدس مشكلة المشكلات، أما السيطرة على شرق القدس -وهي قضية عصيبة لكلا الجانبين- فإنها لن تُسوَّى بسهولة» فما الحل؟ «إن على إسرائيل (فتكنة)، مثل الفاتيكان، الأماكن الإسلامية والمسيحية، لكن تقسيم المدينة على أساس خطوط ما قبل ٦٧ قد أصبح غير قابل للتفاوض»[2].

---

(١) يُلاحظ أن هذا التوطين من بنود قرارات المؤتمر الصهيوني (بال الثاني)، حيث البند العاشر: العمل نحو توطين اللاجئين العرب الذين تركوا فلسطين عام ١٩٤٨م في البلدان التي رحلوا إليها. انظر: سفر بن عبد الرحمن الحوالي، القدس بين الوعد الحق والوعد المفترى، ط١، القاهرة: مكتبة السُّنَّة، ١٤١٤هـ، ص٦٧.

(٢) انظر عن أقوال نيكسون: صلاح الدين النكدلي، قراءة في كتاب نيكسون: انتهزوا الفرصة، بون: الدار الإسلامية للإعلام، ص٥٢-٥٣. ويلاحظ أن الأردن قد تلقت معونات بالمليارات من الدولارات لهذا المشروع، حيث تم بناء عشرات الآلاف من الوحدات السكنية لهذا الغرض بتمويلٍ خليجي حسب المعلن في حينه في وسائل الإعلام المتعددة.

ويتأكد الدعم الغربي والأمريكي تحديداً للكيان الصهيوني ودوره العدواني في الحاضر والمستقبل في إذكاء الصراعات والحروب وتفتيت دول المنطقة من خلال الدعم الاستراتيجي الغربي، ومن ذلك ما أوردته البي بي سي (BBC) في تاريخ ١٤ سبتمبر ٢٠١٦م عن المساعدات العسكرية الأمريكية لإسرائيل، وفيها: «وافقت الولايات المتحدة على تقديم حزمة مساعدات عسكرية غير مسبوقة لإسرائيل خلال السنوات العشر المقبلة تقدر بـ(٣٨) مليار دولار، بحسب مسؤولين أمريكيين، وتعد الأكبر لمثل هذا النوع من الصفقات في التاريخ الأمريكي، وكانت إسرائيل تتلقى بموجب اتفاقية سابقة (١, ٣) مليار دولار سنوياً»[١].

ولذلك فإن الواقع العربي المتهالك سياسياً بمستقبله ومخاطر حروبه الداخلية -حسب ما سبق- سوف يُقوي العدوان الصهيوني الذي سيستغل هذا الواقع ويستثمره بشن حروبٍ جديدةٍ ومتكررة خاصةً على قطاع غزة الفلسطينية، كما سوف يدعم هذا الواقع استمرارية المكائد الصهيونية في المنطقة، إضافةً إلى أن الكيان الصهيوني في فلسطين في ظل توافقات المصالح بينه وبين إيران وَجَدَ نفسه أمام معادلة أخرى في القوة تكفيه أو تتكفل له في شن حروبٍ دمويةٍ في المنطقة تعمل على تمزيقها لصالح بقاء الكيان الصهيوني وهيمنته، حيث اللعبة السياسية الجديدة في المنطقة بالتفوق الإيراني في القوة جعلت المشروع الصهيوني في مأمنٍ من الحروب عليه أو الجهاد ضده ولو لأمدٍ من الوقت!

---

(١) انظر: موقع بي بي سي (BBC)، بتاريخ ١٤ سبتمبر ٢٠١٦م، الرابط التالي:
http://www.bbc.com/arabic/middleeast/2016/09/160913_us_aid_israel

وفي المقابل يبقى أن القضية الفلسطينية قضيةٌ إسلامية كبيرة، وأنها عامل قوةٍ ووحدةٍ للمسلمين -كما هي عقيدتهم- وتحريرها هو ما سوف يكون في العاجل أو الآجل حسب دينهم وتاريخهم، بالرغم من أن واقع الأمر خلاف ذلك، لكن المسلمون يؤمنون بمقتضى دينهم بما ورد في كتاب ربهم وسُنة نبيهم أن الصراع والانتصار للمسلمين قادمٌ بينهم وبين المغتصبين من الغزاة المحتلين، بل إن الفوضى السياسية والأمنية في المنطقة التي يعمل عليها الأعداء الدوليون والإقليميون بجهودٍ مشتركة فيما بينهم قد تأتي على خلاف ظنونهم وتكون هي البوابة الكُبرى للجهاد الأكبر تجاه المغتصِبين وأعوانهم.

المؤشر الثالث/ دور الأساطير والعنصرية النصرانية واليهودية:

مما يعزِّزُ هذا الصراع الإيمان ببعض الخرافات العقدية لدى النصارى واليهود وشيعة إيران[1]، فالنصارى يعتقدون بأن نزول عيسى بن مريم ﷺ لا بد أن يسبقه صراع شديد وقتال وحروب، وكذلك الأمر بالنسبة لليهود في موضوع الحروب، ومثل هؤلاء الشيعة الاثنا عشرية واعتقادهم بأهمية القتل والحروب والخراب ثم خروج المهدي، وهي قواسم مشتركة مُحرِّكةٌ في العصر الحاضر بين هذا الثلاثي، حيث تلتقي عواقب التعصب مع العقائد الخرافية عند هؤلاء جميعاً لتصنع الصراع، وبِبُعدٍ دينيٍ في أحيانٍ كثيرة[2].

---

(١) انظر على سبيل المثال: سفر الحوالي، يوم الغضب- هل بدأ بانتفاضة رجب؟! (قراءة تفسيرية لنبوءات التوراة عن نهاية دولة إسرائيل)، ص١٢. نقلاً عن هول ليندسي بقوله: «واستناداً إلى النبوءات فإن العالم كله سوف يتمركز على الشرق الأوسط، وخاصة إسرائيل في الأيام الأخيرة».

(٢) يلاحظ أن أمة الإسلام لديها هي الأخرى اعتقاد بنزول عيسى بن مريم ﷺ ومجيء المهدي في آخر الزمان ولكن لتحقيق العدل والسلام، لكن هذا الأمر موكول إلى الله، وليس للبشر دورٌ في ذلك.

وعند قراءةٍ يسيرة لبعض كتابات الغربيين وتصريحات بعض السياسيين مما ورد في هذا الكتاب وغيره فإن البُعد الديني في هذا الصراع بين الغرب والإسلام حاضر بقوة، ليس من خلال العداء فحسب، بل من خلال معتقدات متعددة ومتنوعة تلتقي في الاعتقاد الجازم بأن الصراع هو السمة الأساسية لآخر الزمان، وقد كتب سفر الحوالي عن هذا كثيراً مستشهداً بعدد من النقولات الدينية عن التوراة والإنجيل واستدلالات بعض السياسيين والمفكرين من الكتابيين.

ومما ذكر في هذا الشأن في كتابه (القدس بين الوعد الحق والوعد المفترى): «يعتقد النصارى أن المسيح سيرجع بعد ألف سنة ثم يحكم العالم ألف سنة، وعلى هذه العقيدة اجتمعت آمالهم واتجهت أنظارهم سنة ١٠٠٠ ميلادية، ولكن المسيح لم يظهر فهدأت المسألة وتلاشت في الواقع لكنها بقيت في الأحلام، ولما شارف هذا القرن على البزوغ، أي قرب سنة ١٩٠٠م بدأت الدعوات تظهر من جديد واعتقدوا أن المسيح إن لم يظهر في أول القرن العشرين فسيظهر في آخره أي عام ٢٠٠٠م، وبما أن ظهوره سيكون في موطنه الأصلي فلا بد للإعداد والتهيئة لمقدمه بتجميع بني إسرائيل في أرض فلسطين التي ستكون عليها المعركة الكبرى الفاصلة (معركة هرمجدون) أو (سهل مجيدون) وهو سهل صغير في فلسطين يقولون: إن المعركة ستنشب فيه بجيوش يصل تعدادها إلى ٤٠٠ مليون جندي كما قال بعضهم.

وتقول غريس هالسيل في خاتمة كتابها: اقتناعًا منهم بأن هرمجدون نووية لا مفر منها بموجب خطة إلهية، فإن العديد من الإنجيليين المؤمنين بالتدبيرية ألزموا أنفسهم سلوك طريق مع إسرائيل يؤدي بصورة مباشرة - باعترافهم أنفسهم - إلى محرقة أشد وحشية

وأوسع انتشاراً من أي مجزرة يمكن أن يتصورها عقل أدولف هتلر الإجرامي...

هذه العقيدة الألفية تؤمن بها فئات مختلفة في أمريكا غير الأصوليين الإنجيليين ابتداء من رؤساء الجمهورية وانتهاء بكثير من العامة. وقد ظهرت كتب عن هذه النبوءات، ولاقت رواجاً هائلاً أهمها كتابان: الأول كتاب (دراما نهاية الزمن) ومؤلفه أوترال لوبرتس، والثاني كتاب (نهاية الكرة الأرضية العظيمة) ومؤلفه لندسي.

وكلاهما يُصور بشكل درامي مثير نهاية العالم القريبة وانهيار حضاراته ودمار جيوشه بقيام معركة هرمجدون، حتى إن أحدهم يقول: لا داعي للتفكير في ديون أمريكا الخارجية أو ارتفاع الضرائب أو مستقبل الأجيال القادمة، فالمسألة بضع سنوات ويتغير كل شيء في العالم.

وقد ارتفع مستوى الإيمان بهذه العقيدة وكثر الحديث عنها أثناء أزمة الخليج ، واعتقد بعضهم أن حرب الخليج هي هرمجدون وتأوَّلُوا كثيرًا من وقائعها على ما جاء في رؤيا يوحنا وأمثاله»[١].

وبغض النظر عن حدوث هذه النبوءات من عدمها إلا أنها تبقى محركاً للغرب والكيان الصهيوني بصفةٍ خاصة في إذكاء الصراع والحروب.

كما أن ارتفاع نزعة التعصب والكراهية والعنصرية في كثير من دول الغرب الأوروبية سواءً الدينية أو العرقية تَرَتَّب عليه ميلادُ أحزابٍ سياسية تُوصف بأحزاب اليمين المتطرف في بعض دول أوروبا تهدف

---

(١) انظر: سفر بن عبد الرحمن الحوالي، القدس بين الوعد الحق والوعد المفترى، ص٣٢-٣٤.

إلى الحفاظ على الهويات القومية والدينية الأصلية لأممهم وشعوبهم، وتُطالب الوقوف بقوة ضد الوجود الإسلامي في أوروبا، كما ترفض استقبال المهاجرين من المسلمين وغيرهم، ومن ذلك: حزب الحرية في النمسا، وحزب الجبهة الوطنية في فرنسا، وحزب تحالف الديمقراطيين الشُّبان في المجر، وحزب البديل من أجل ألمانيا في ألمانيا، وحزب المحافظين في بريطانيا، وغير ذلك من الأحزاب التي تزدادُ عنصريتها وتنمو بشكلٍ كبير داخل منظومة الدول الأوروبية وأحزابها، وعلى سبيل المثال يرى مُدير مركز الدراسات البريطانية في جامعة هامبولد بألمانيا جيرهار دنهان أن خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي ناتجٌ عن حملات تتعلق بالتخويف من الهجرة والإسلام، وصعود التيار القومي البريطاني كأسبابٍ رئيسة[1]، وما سبق يُعزِّزُ الصراع العالمي.

ومما يؤكد نمو هذا التعصب والعنصرية تجاه الإسلام ما كشفت عنه دراسة نُشرت في نوفمبر من عام ٢٠١٥م بواسطة (416 Labs) وهي شركة استشارية مقرها تورنتو بكندا، عن أن صحيفة نيويورك تايمز تُصوّر الإسلام والمسلمين على أنهم أكثر سلبية من الكحول، والسرطان، والكوكايين[2].

---

(١) انظر: تقارير خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي، الجزيرة نت، بتاريخ ٢٦/٦/٢٠١٦م، الرابط التالي: http://bit.ly/28Vx1G9، وانظر عن اليمن المتدين واليسار المتدين في أمريكا: المبحث الثاني من الكتاب، تحت عنوان: (الأصولية الإسلامية والمسيحية).

(٢) انظر: موقع إسلام ديلي، بتاريخ ٢٤ محرم ١٤٣٨هـ، الرابط التالي: http://www.islamdaily.org/ar/scholars/12139.article.htm، نقلاً عن: الموقع الأصلي للاستطلاع (Mondoweiss)، الرابط التالي:

http://mondoweiss.net/2016/03/study-nyt-portrays-islam-more-negatively-than-alcohol-cancer-and-cocaine/

ويتأكد نمو العنصرية والتعصب وعدم التسامح في الولايات المتحدة الأمريكية مع واقع التفاعل الأمريكي الكبير للمرشح الجمهوري دونالد ترمب ٢٠١٦م، حيث انكشفت شعارات التسامح الغربي! من خلال واقع خطابات الكراهية والتعصب والإقصاء للآخر تجاه الأقليات والمسلمين خاصة من مواطني أمريكا ذاتها! فكيف بغيرها! وهذه العنصريات والقوميات التي أصبحت تجتاح أوروبا وأمريكا مما تدعم الرؤية عن نمو نزعة الصراع المستقبلي تجاه الإسلام والمسلمين داخل الغرب ذاته وخارجه.

المؤشر الرابع/ مخاطر الخطط الاستراتيجية الإيرانية:

الملف الإيراني السياسي بمستجداته كَشَفَ كثيراً من الحقيقة عن إيران وخطرها على المنطقة بأوضح من السابق، وتأكد أكثر من ذي قبل بأنها دولةٌ ذات أطماعٍ توسعية تستخدم الأيديولوجيا العقدية في تمرير مشاريعها العدوانيةِ السياسية، حيث تبدأ في الدول المُستَهدَفة بإنشاء حركات وجماعات دينية شيعية، لا تلبث أن تنتقل إلى تكوين أحزاب سياسية، ثم تتطور هذه الجماعات والأحزاب بتأسيس الميليشيات العسكرية إن لم تكن سابقة لما قبلها أو مصاحبة له، وواقع لبنان والعراق واليمن شاهد على ذلك، وتتصاعد الخطورة الإيرانية بوجود دعم دبلوماسي كبير في الداخل الأمريكي من اللوبي الإيراني والشيعي، والذي يُعدُّ من ثمراته إبرام الاتفاق الغربي مع إيران على حرب ما يُسمى الإرهاب! وعن برنامجها في التخصيب النووي! إن لم يكن تم بالفعل التخصيب وانتهى وأصبحت إيران دولةً نووية لتدخل بهذا مع دول محور الشر الحقيقي، أو نادي الأشرار النووي الذي يُهدد سلام المنطقة والسلام العالمي.

ويؤكد كثيراً مما سبق المستشرق الإسرائيلي رؤوفين باركو في مقال له بصحيفة (إسرائيل اليوم) وفيها توصيفٌ عن واقع إيران العدواني، وكيف كان العراق سداً منيعاً أمام الأطماع الإيرانية على السعودية ودول الخليج، ومما قال في هذا الشأن: «منذ القضاء على الرئيس العراقي الراحل صدام حسين تزايدت الأنشطة الإيرانية في كل أنحاء الشرق الأوسط، حيث تُشعل إيران الحرائق في العراق وسوريا ولبنان، وتدير أعمالاً إرهابية في اليمن، وصولاً للعمل في ليبيا ومصر، وتقوم بتمويل منظمات مسلحة، لكن الدول العربية لم تقم في المقابل بأي جهود من شأنها كبح جماح النشاط الإيراني في المنطقة»[1].

والتعاون الأمريكي الإيراني الإسرائيلي الذي نشرت عنه صحيفة المحرر العربي بعددها ٦٤٨ بتاريخ ٤/ ٧/ ٢٠٠٨م يُعدُّ وثيقةً سريةً معنيةً بالمنطقة تكشف عن استراتيجيات إبادة العرب السُّنة، بالرغم من تحفظ الباحث العلمي حول من هو الفاعل؟ ومن المُستَخدَم لهذا الفعل في هذه الأحداث؟ وفيها ورد: «يحرم مقاتلة قوى الاستكبار العالمي التي حررت البلاد والعباد، وإنما هي أداة بيد المرجعية ولها واجبات قادمة أرسلها لنا الله لإقامة دولة المذهب العالمية، ومن يقاتل بالسلاح قوات التحالف فإنه خارج عن ملتنا نحن أهل البيت، ولا يوجد بيننا وبينهم أي عداء وإنما هم مستكبرون في الأرض وهم كالثور في يد الفلاح يحرث به الأرض، ونحن بإذن الله نوجههم لمحاربة النواصب من الأعراب ومن مذهب السُّنة حتى يعود الحق إلى أهله ويُباد السُّنة في العالم وقد وُعدنا بذلك»[2].

---

(١) انظر: الجزيرة نت، بتاريخ ٢٦/ ٦/ ٢٠١٦م، الرابط التالي: http://bit.ly/2dLqvXW.

(٢) انظر عن الوثيقة: رضا جواد الوائلي، شبكة الثورة السورية، بتاريخ يوم الثلاثاء ٨ يوليو ٢٠١٤م، الرابط التالي: http://www.syria2011.net/t83594-topic

وإيران بهذا قد أصبحت في الوقت ذاته دولةً وظيفيةً للغرب، ولاسيما في موضوع الصراع مع أمة الإسلام ودوله بالأصالة والوكالة، حيث تتقاطع المصالح بينهما وتتعاون فيه المخابرات الغربية مع الإيرانية، والعراق أنموذجٌ للتعاون الغربي الإيراني حسب مذكرات ديك تشيني وكولن باول مما لا يحتاج إلى أدلةٍ أو استدلال في أقوالهما وأفعالهما[1].

وبعيداً عن التهويل والتهوين في الشأن الإيراني فإن مواجهة واقع هذا الخطر القائم والقادم من متطلبات أيِّ رؤيةٍ استراتيجيةٍ خليجيةٍ أو عربيةٍ تُكتَب عن إجهاض هذا الصراع الغربي الإيراني كأخطر صراع معاصر يُضعف مشروعات مقاومة المحتل الصهيوني في فلسطين.

الأهداف والخطة الخمسينية:

في (عقدة التشيُّع) و(عقدة الأقلية) تتحقق طموحات الملالي بثورتهم الفارسية القومية، التي تستخدم الأيديولوجيا الشيعية والمظلومية في تحقيقٍ أهدافها، فحسب أقوال أمين حزب الله الشيعي السابق صبحي الطفيلي الذي أكد أن هدف إيران فارسيٌّ عُنصري قومي، ومن ذلك قوله: «لكي ندرس حسابات إيران علينا أن ندرس الاستراتيجية الإيرانية، فهل صحيح أن استراتيجيتهم توحيد الأمة وقضية فلسطين؟ بنظري لهم استراتيجية أخرى... لا يجوز أن نقوم بعملية من أجل هدف سياسي في مكان آخر، إيران لا تهتم بالشيعة، الشيعة هم وقود يدفعون الثمن، بعد سقوط الاتحاد

---

(١) انظر: عن بعض هذه الجوانب الملف الخاص بعنوان: (أكاذيب الاحتلال)، مجلة البيان، العدد ٣٤٩، بتاريخ ٦ يونيو ٢٠١٦م، الرابط التالي: http://ow.ly/Rmao3025XL6

السوفييتي وتفككه كانت إيران تدعم أرمينيا في وجه أذربيجان حيث معظم سكانها من الشيعة، وسألتُ حينها وزير خارجية إيران عن الموضوع فحدثني عن شؤون ومصالح سياسية، ولذلك فإن آخر همِّ إيران الأمر الشيعي... وبالتالي فإن إيران من خلال تحريك الشارع الشيعي في الخليج أضرَّت بالشيعة، الفائدة أن هناك وضعاً متأزماً في طهران، وهناك شعب خافت السلطة أن يثور فتحاول بكل الجهود أن تسكته»[1].

وسواءً عبَّر الطفيلي عن هذا الاختلاف بين الشيعة وإيران أو لم يُعبِّر عن ذلك، فإن من الحقيقة أن معظم شيعة اليوم مُنشقون عن وحدة الأمة المسلمة، بحكم واقعهم مع الإسلام وأهله، وهُم كذلك حينما وَضَع كثيرٌ منهم أنفسهم أداةً من الأدوات الإيرانية في المنطقة، والتقى التشيُّع مع الحقد الفارسي الصفوي الموروث تاريخياً ضد أهل السُّنَّة من المسلمين، والأقليات الشيعية بهذا التلاقي في العالم يخسرون وطنيتهم في بلدانهم، ويفقدون أمنهم وسلامهم خارج إيران.

وإيران في حالاتٍ كثيرة نجحت في استثمار التشيُّع أو استغلاله كهويةٍ وطنية للدولة، بغض النظر عن المصداقية في ذلك من عدمها، ولاسيما حينما نصَّت على التشيع الاثني عشري في دستورها، وعملت على صناعة استراتيجيتها ومشروعها العالمي من خلاله.

استطاعت (مجلة البيان اللندنية) منذ زمنٍ مبكر أن تحصل على خطة المشروع الإيراني للاجتياح الشيعي بأكثر من السابق داخل

---

(١) انظر: صحيفة الرياض، العدد ١٥٩٣٢، بتاريخ ١٤/ ٣/ ١٤٣٣هـ الموافق (٦ فبراير ٢٠١٢م)، الرابط التالي: http://www.alriyadh.com/707420

الولايات السُّنِّية في إيران، وغزو خارجها من جيرانها وغيرهم، وبادرت المجلة إلى ترجمة هذا المشروع ونشره والتحذير من خطورة التساهل في التعاطي المتأخر معه، والمشروع هو خطة خمسينية (خمسون عاماً للتنفيذ) على خمس مراحل، وهي خطة سرية تسربت إلى رابطة أهل السُّنَّة بإيران، مكتب لندن، وفي الخطة ما يهدف إلى نشر الفكر الشيعي الفارسي في العالم الإسلامي ودول الخليج بصورةٍ خاصة، فالأيديولوجيا والثقافة هي مقدمات السيطرة والسيادة عند أي أمة تمتلك مشروعاً مثل إيران.

وقد نشرت المجلة المذكورة تفاصيل دقيقة عن هذه الخطة وهي بعنوان (الخطة السرية للآيات في ضوء الواقع الجديد)، والجدير ذكره ومن المهم معرفته بأن هذه الخطة وما يُماثلها لا ترتبط بالحكومة الإيرانية المتغيرة سواءً كانت حكومةً بالتيار الإصلاحي أم المحافظ، بقدر ارتباطها بالمجلس الأعلى للثورة الإسلامية باستراتيجيته القائمة على ثوابت الثورة، ومما وَرد فيها: «إذا لم نكن قادرين على تصدير ثورتنا إلى البلاد الإسلامية المجاورة فلا شك أن ثقافة تلك البلاد الممزوجة بثقافة الغرب سوف تهاجمنا وتنتصر علينا، وقد قامت الآن بفضل الله وتضحية أمة الإمام الباسلة دولة الاثني عشرية في إيران بعد قرون عديدة، ولذلك فنحن وبناءً على إرشادات الزعماء الشيعة المبجلين نحمل واجباً خطيراً وثقيلاً وهو تصدير الثورة؛ وعلينا أن نعترف أن حكومتنا فضلاً عن مهمتها في حفظ استقلال البلاد وحقوق الشعب، فهي حكومة مذهبية ويجب أن نجعل تصدير الثورة على رأس الأولويات».

«ولاعتلاء أي سطح فإنه لا بد من صعود الدرجة الأولى إليه، وجيراننا من أهـل السُّنَّة والوهابية هم: تركيا والعراق وأفغانستان وباكستان وعدد من الإمارات في الحاشية الجنوبية ومدخل الخليج الفارسي! التي تبدو دولاً متحدة في الظاهر إلا أنها في الحقيقة مختلفة. ولهذه المنطقة بالذات أهمية كبرى سواء في الماضي أو الحاضر كما أنها تعتبر حلقوم الكرة الأرضية من حيث النفط، ولا توجد في العالم نقطة أكثر حساسية منها، ويملك حكام هذه المناطق بسبب بيع النفط أفضل إمكانيات الحياة».

«ومعظم المواطنين في هذه البلاد [الدول العربية] يقضون حياتهم في الانغماس في الملذات الدنيوية والفسق والفجور! وقد قام كثير منهم بشراء الشقق وأسهم المصانع وإيداع رؤوس الأموال في أوروبا وأمريكا وخاصة في اليابان وإنجلترا والسويد وسويسرا خوفاً من الخراب المستقبلي لبلادهم، إن سيطرتنا على هذه الدول تعني السيطرة على نصف العالم»[1].

ومما ورد في نصِّ هذه الخطة المسرَّبة التعبئة بالمظلومية كما هي الهولوكوست عند اليهود، وأحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م عند الولايات المتحدة الأمريكية: «فنحن ورثة ملايين الشهداء الذين قُتِلوا بيد الشياطين المتأسلمين (السُّنَّة) وجرت دماؤهم منذ وفاة الرسول في مجرى التاريخ إلى يومنا هذا، ولم تجف هذه الدماء ليعتقد كل من يسمى مسلماً بـ(عليّ وأهل بيت رسول الله) ويعترف بأخطاء أجداده،

---

(١) انظر عن المصدر الأساسي لكل ما ورد أعلاه عن الخطة مجلة البيان اللندنية، بتاريخ ٢٥/ ٦/ ٢٠١٣م، الرابط التالي:
http://www.albayan.co.uk/article2.aspx?ID=2881

ويعترف بالتشيّع كوارثٍ أصيل للإسلام»[1]، وفي هذه الخطة ورد ما يدل على البعد الاستراتيجي لها في استهدافها السياسيين ورجال المال والأعمال والأوطان، وفي ختامها: «وعلى فرض أن هذه الخطة لم تثمر في المرحلة العشرية الأخيرة فإنه يمكننا أن نقيم ثورة شعبية ونسلب السلطة من الحكام، وإذا كان في الظاهر أن عناصرنا الشيعية هم أهل تلك البلاد ومواطنوها وساكنوها، لكننا نكون قد قمنا بأداء الواجب أمام الله والدين وأمام مذهبنا، وليس من أهدافنا إيصال شخص معين إلى سدة الحكم فإن الهدف هو فقط تصدير الثورة؛ وعندئذ نستطيع رفع لواء هذا الدين الإلهي، وأن نُظهر قيامنا في جميع الدول، وستتقدم إلى عالم الكفر بقوة أكبر، ونزين العالم بنور الإسلام والتشيع حتى ظهور المهدي الموعود»[2].

كما تأتي الأخلاق المصطنعة على درجة من الأهمية في إنجاح الخطة، وفيها ورد: «أسلوب تنفيذ الخطة المعدة: ولإجراء هذه الخطة الخمسينية يجب علينا بادئ ذي بدء أن نحسن علاقاتنا مع دول الجوار، ويجب أن يكون هناك احترام متبادل وعلاقة وثيقة وصداقة بيننا وبينهم حتى إننا سوف نَحسن علاقاتنا مع العراق بعد الحرب وسقوط صدام حسين؛ ذلك أن إسقاط ألف صديق أهون من إسقاط عدو واحد»[3].

بل إن إظهار الصداقة من المراحل المهمة التي ركزت عليها هذه الخطة، حيث أهمية صناعة الأخلاق في التعامل مع جميع الفئات!! ومن

---

(١) انظر: المرجع السابق.

(٢) انظر: المرجع السابق.

(٣) انظر: المرجع السابق.

ذلك ما ورد فيها: «العلاقة والصداقة مع أصحاب رؤوس الأموال في السوق والموظفين الإداريين خاصة الرؤوس الكبار والمشاهير والأفراد الذين يتمتعون بنفوذ وافر في الدوائر الحكومية»[1].

المخاطر والتحديات:

وفق هذه الخطة السابق ذكرها، وحسب الواقع الإيراني فإن إيران بالرغم من التكاليف الاقتصادية لتحقيق مشروعها التوسعي إلا أنها عملياً تتجاوز ذلك، وهي وإن كانت تعاني من هزائم عسكرية وتحديات اقتصادية فإن لديها بعض الانتصارات الخطيرة خاصةً في السيطرة على العراق إلى حدٍ كبير، واستمرار حربها في سوريا واليمن بالرغم من التحديات، كما أن لها انتصارات أخرى استراتيجية في الساحات العالمية بمؤسساتٍ تعليمية ودعويةٍ وإغاثيةٍ عملاقة بغرض التشييع والتجنيد عالمياً، ومن المحتمل كثيراً أن تعتمد في تنفيذ الجانب الثوري على (حشود المرتزقة الأجانب)، فتجنيد هؤلاء مما تزخر بأخباره كُتُب التاريخ! وتتأكد المخاطر ممن تَشيَّع من سكان القارة الأفريقية، حيث يُمكن لاحقاً تكوين ميليشيات عسكرية، فالسطو على الحكومات الشرعية من أساسيات المشروع الإيراني، ولذلك فمن غير المستبعد دعمٍ هؤلاء الشيعة الأفارقة بتسليحهم كموجات بشرية وميليشيات منظّمة تجتاح دول الجزيرة العربية، التي ليست حدودها بأقوى من حدود أمريكا مع المكسيك مثلاً، أو من حدود دول أوروبا أمام الهجرات البشرية القسرية التي أصبحت ظاهرة عالمية.

---

(١) انظر: المرجع السابق.

ومخاطر خطط إيران الاستراتيجية بالتزامن مع ممارساتها العملية تزداد، لأنها تستمد قوتها أكثر باستغلال الأيديولوجية السياسية، ولاسيما في ظل تراجع دول المنطقة والخليج خاصة عن أيديولوجياتها، ويرافق ذلك أيضاً غياب الدور العربي المشترك، حيث ضعف التوافق أو الانسجام السياسي المتكامل بين دول المنطقة حول إيران وغيرها من الملفات، وكذلك فيما بين دول الخليج تحديداً، وهذا الواقع مما يزيد من الطمع الإيراني في الهيمنة والنفوذ في المنطقة، ولاسيما مع نسيان أو تناسي دول العالم العربي لدولة عربستان (الأحواز) منذ الاحتلال الإيراني لها عام ١٩٢٥م، وعدم استرداد جزر الإمارات الثلاث التي استولت عليها إيران عام١٩٧١م، وبالتالي فإن هذه الاعتبارات مما تعزِّز الأطماع وحالات الصراع والحروب.

وتزداد مخاطر إيران حينما يُعلم أنها اجتاحت العراق وسوريا واليمن في زمن العقوبات الاقتصادية الدولية عليها، وهي اليوم تتحرر تدريجياً من هذه العقوبات لتَحْصل بموجبه على كثيرٍ من أرصدتها المالية المجمدة في أمريكا وغيرها، وهو ما سوف يُقدِّمُ دعماً إضافياً لإيران ووكلائها في الحروب القائمة والقادمة، وهي حروبٌ تتم بصمتٍ غربيٍ أحياناً ودعمٍ سياسيٍ أحياناً أخرى، وهو ما سَيُهدد بَقيَّة الدول المجاوِرة لإيران.

وإضافةً إلى هذا، فالنجاح الإيراني الأيديولوجي والعسكري تتضاعف قوته من خلال القدرة في تجييش الحشود الشعبية التطوعية والميليشيات العسكرية مدعومةً بالعقيدة القتالية يُقابله لدى دول المنطقة امتلاكٌ كبير لمقومات التطوع والعقيدة القتالية الجهادية، لكن

دون مشروع استراتيجي قِوامه التربية التطوعية والتدريبات الشعبية لتكون هذه القوة كسلاحٍ مُقابل سلاح، ومشروع مقابل مشروع.

وفي المقابل فالتحديات كثيرةٌ على إيران، حيث الرهان الإيراني الرسمي على عموم الشعب الإيراني وشيعة المنطقة من العرب قد يخسر إلى حدٍ معين، ولاسيما مشاكل إيران الداخلية الاقتصادية وتحديات التنوع العرقي والديني مثل قضية الأهواز والأكراد، والتحديات السياسية مثل معارضة مجاهدي خلق، وهو مما يُعدُّ من التحديات التي يُمكن أن تواجه المشروع الإيراني وتُمثل نقاط ضعفٍ فيه، ومن ذلك حينما يُدرك شيعة العرب أو عُقلائهم أنهم يُقادُون لمعركةٍ من أخطر المعارك في حياتهم؛ ليكونوا وقوداً لها مع العالم الإسلامي، فالاستجابة لهذه المعارك والصراعات الكبيرة بالوكالة عن الغرب ستكون مختلفةً عن لغة المظلومية التي يستخدمها ملالي إيران ومتعصبوها السياسيون، بل ستنكشف الحقيقة لمن غابت عنهم داخل إيران وخارجها من شيعة المنطقة ممن يُعدُّون من مُعتدليهم، وهذا قد يُعدُّ من التحديات المستقبلية أمام السياسات الإيرانية التوسعية إذا تم استبعاد (أن الشيعة عبيد وأرقاء لولاية الفقيه، ولا يفكرون إلا من خلال ملاليهم وآياتهم)!

ومما يُمكن أن يُعدَّ من جوانب الضعف للمشروع الإيراني دستور الدولة الطائفي، بالرغم من قوته الأيديولوجية للشيعة الاثني عشرية إلا أنه يُخرج جميع الأطياف السُّنية الإيرانية من الولاء والوطنية الإيرانية مما يُفقدها كثيراً من القوة إن اُستثمر ذلك من خصوم إيران، كما أن التنافس بين بعض المرجعيات الدينية يُمثل نقطة ضعفٍ

أخرى، إضافةً إلى حجم أهل السُّنة في إيران من المناوئين للسياسة الإيرانية وأيديولوجيتها ومشروعها التوسعي، ولاسيما حينما يتم توظيفهم ونُصرتهم -وليست المناورة بهم-، ويُضاف إلى جوانب الضعف الإيراني كذلك استثمار ما يمكن استثماره في الانقسام القوي -أحياناً- بين المحافظين والإصلاحيين داخل إيران، وأهم من هذا إمكانية تجييش الأمة المسلمة في استثمار ملف الانكشاف العقدي والتكفيري والعدائي عند طائفة الشيعة الرافضة تجاه منهج أهل السُّنة والجماعة الذي عليه عموم الأمة الإسلامية.

وكذلك الحال عن التحديات التي تواجه إيران، حيث ضعف السيطرة على مجريات الأحداث العسكرية في سوريا حتى بعد دخول الجيش الروسي للأراضي السورية، وما ذكرته وكالة بلومبرج عن الخلاف الروسي الإيراني بعد التدخل الروسي لسوريا يكشف عن حجم التحديات أمام الأطماع الإيرانية في ظل خسائرها العسكرية والاقتصادية حسب موقع (algemeiner)، وقد يتفاقم الخلاف أكثر في حال تحقيق بعض الانتصارات لروسيا في سوريا، فمصالح روسيا وإيران لا تلتقي في كل شيء، وربما يكون الانتصار الروسي العسكري في سوريا بداية خلافٍ سياسيٍ أو عسكريٍ مع إيران.

ومن التحديات التي سوف تُضعف القوة الإيرانية ما يحدث لها من خسائر بشرية واقتصادية في اليمن، إضافة إلى أهمية التحالف التركي السعودي في إضعاف خُطَط إيران وحلفائها خاصةً حينما يتحول إلى واقع قوي، كما أن التحالف الإسلامي الذي تقوده السعودية مع ٣٤ دولة لا يمكن تجاهل دوره كلما تَعزَّزت مصداقيته

العملية، وهو ما سيكون مؤثراً على مجريات الأحداث في المنطقة لو ارتبط بمشروع استراتيجي متكامل لمقاومة طهران وقُم، وبالتالي فإن أحلام التمدد الإيراني قد تتأجل لفترة معينة، وهذه الخسائر الإيرانية والتحديات التي تواجهها والتحالفات المُناوئة لها قد تؤخر خُطط إيران أو تُربكها فترةً من الزمن لكنها لن تُلغيها؛ لأن إيران تعمل وفق خُططٍ استراتيجية قائمةٍ على مشروع أيديولوجي سياسي، ومحركات العقائد دائماً قد تكمن لكنها لا تزول أو تموت[١].

وفي المقابل كذلك، فإن إيران بالرغم من تنفيذ كثيرٍ من جوانب خطتها وتصدير ثورتها فهي وإن نجحت مع السياسات الغربية في احتلال أفغانستان والعراق -إلى حدٍّ معين حيث إقصاء خصومها طالبان وصدام حسين- إلا أن الغرب يُعاني فشلاً ذريعاً في استقرار النظام السياسي في كلتا الدولتين -إذا استُبعد أن الهدف الغربي هو استمرارية الفوضى السياسية والأمنية فيهما-.

فالانتصار الإيراني لن يتحقق عاجلاً كما تحلم إيران؛ لأنه يُراد بإيران ولها في معظم حروبها في المنطقة استنزافها سياسياً وعسكرياً واقتصادياً، كما هو الحال في اليمن وسوريا -كما سبق-، كما أن معارك الموصل إن تم حسمها مع داعش فلن يكون حسمها سهلاً أو عاجلاً مع القوى الأخرى حسب المؤشرات السياسية، حيث تتداخل المصالح وتتقاطع فيها بين النظام العراقي من جهة وحكومة أكراد أربيل والبشمركة من جهةٍ أخرى مما قد يصنع مستقبلاً دموياً أكثر لمعارك وصراع وحروبٍ مستمرة بين الطرفين، إضافةً إلى أن أحقية

(١) انظر: صحيفة العرب، بتاريخ ١٤ ديسمبر ٢٠١٥م، الرابط التالي:
http://goo.gl/mSEs3v.

تركيا في الحفاظ على أمنها الحدودي ببقاء السكان السُّنة من أهل الموصل، ورفض التغيير الديموغرافي السُّني إلى شيعي مما سيطيل أمد الحرب والصراع والاستنزاف كذلك، وهذه التداخلات والمصالح السياسية والاقتصادية الإقليمية والدولية المتعارضة مما سوف يُؤخر الحسم في هذه المدينة بالذات.

وفي سياق التحديات المستقبلية لإيران، فمما يضاف إلى ما سبق حجم الشكوك حول أهداف الغرب بإطلاق اليد الإيرانية في المنطقة بوضع غير مقيدٍ بزمنٍ أو قيودٍ أخرى، مما يظهر معه أن الغرب يُريد بهذه اليد الإيرانية تحقيق الفوضى الأمنية والسياسية وأجندة التفتيت والإضعاف لدول المنطقة وبيع السلاح لكل الأطراف، ولهذا فليس هناك ما يمنع من تخلي الغرب -وأمريكا بصورة خاصة- عن إيران في أي وقت لتصارع بين النصر والهزيمة وتبقى في مربع الفوضى والاستنزاف كغيرها، وليبتز الغرب خصومها في الوقت ذاته، كما أن المحتل الروسي لسوريا في حال انتصاره قد يختلف مع إيران ليربك هذا الواقع مشروع التوسع الإيراني في المنطقة أو يؤجله، إضافة إلى أن المقاربة الروسية التركية المتوقعة ستكون على حساب تقدم المصالح الإيرانية في مناطق الصراع.

ولذلك فربما من غير الغائب أن يكون لدى الغرب المتعصب استهداف القوة الإيرانية باستنزافها كهدفٍ آخر مهم لتدمير القوى المنافسة مهما كانت نوع المنافسة، فالمشهد السياسي للتحالف الاستراتيجي الأمريكي الخليجي السابق يُمكن تكراره مع إيران بأن تُنفذ (قُمْ) الأجندات الغربية في صناعة الفوضى في المنطقة

وحرب ما يُسمى الإرهاب، ثم تكون التضحية بها، فإيران بهذا التحالف مع الغرب المتعصب لن تخرج من كونها من محاور الشر وإن تقاطعت المصالح العالمية معها بعض الزمن؛ لأنها تُعدُّ من القوى المنافسة في الأطماع التوسعية والاقتصادية في المنطقة مما سوف يتعارض مع مصالح الغرب في العاجل أو الآجل، وفي إطلاق يدها استنزافٌ لها وإحراقٌ لقوتها على المدى الطويل، بل قد تكون هي الجائزة الأخرى للغرب -بعد تركيا والسعودية والخليج- في تفتيت وحدتها السياسية وقوتها الإقليمية فيما بعد تنفيذها لأجندات الأعداء الدوليين.

وفي استقراءٍ تاريخي نجد هناك من سبق ورصد حال الشيعة المنشقين عن الأمة واليهود واستعانتهما بالنصارى أو العكس عبر عصور التاريخ ما يُعزِّز جوانب الضعف الإيراني، وهو في الوقت ذاته مما يعكس رؤيةً استشرافية عن الشيعة (الرافضة)، وأنهم بهذه العقيدة لا تقوم لهم دولة مستمرة أو مستقرة إلا بمعاونة غيرهم من اليهود أو النصارى أو المنافقين، والواقع يشهد بهذا ويُصدِّقه، فحال دين اليهود ودين الشيعة الرافضة ظاهر للعيان بعدم قوتهم إلا بغيرهم، يقول ابن تيمية عام (٦٦١ - ٧٢٨هـ) (١٢٦٣-١٣٢٨م): «ولا تجد أهل مدينة ولا قرية يغلب عليهم الرفض، إلا ولابد لهم من الاستعانة بغيرهم، إما من أهل السُّنَّة، وإما من الكفار، وإلا فالرافضة وحدهم لا يقوم أمرهم قط، كما أن اليهود وحدهم لا يقوم أمرهم قط، بخلاف أهل السُّنَّة فإن مدائن كثيرة من أهل السُّنَّة يقومون بدينهم ودنياهم، لا يحوجهم الله سبحانه وتعالى إلى كافرٍ ولا رافضي.

والخلفاء الثلاثة فتحوا الأمصار، وأظهروا الدين في مشارق الأرض ومغاربها، ولم يكن معهم رافضي»[1].

معززات الصراع الإيرانية:

مما يُعزز هذا المؤشر عن الصراع وقوته في المنطقة الواقع الإيراني في صناعة بؤر الحروب والصراعات في المنطقة، ومن أبرزها ما يلي:

أ- العراق ولاية إيرانية:

من صور صناعة الصراع التدخل الأمريكي في العراق بزيادة بؤر العنف الطائفية وتسليم دولة العراق لإيران وعملائها من الشيعة منذ عام ٢٠٠٣م حتى أصبح العراق بهذا ولاية إيرانية، وكما أن هذا التسليم للعراق من معطيات الصراع، فهو في الوقت ذاته سيكون مؤشراً لصراع أكثر دمويةً في الحاضر والمستقبل، إضافةً إلى أن الحدود الإيرانية بالعراق أصبحت محاذية لحدود كثيرٍ من دول الخليج والسعودية.

عَبَّر بيار جان لويزار عن هذا العنف والصراع المتجدد بقوله: «اتَّخذ النزاع الطائفي بين الشيعة والسُّنَّة منحى حربٍ إقليمية ضروس (على الحيِّز والأرض)... وبعد سقوط عشرات آلاف الموتى، كسِب الشيعة معركة بغداد، وأصبحت العاصمة العراقية مدينةً ذات غالبية شيعية عظمى، بعد أن طُرِد السُّنَّة من الأحياء المختلطة، التي اختفت من الوجود (كحيِّز اختلاط)، نتيجة لذلك باتت كل طائفة تتحصَّن خلف حباكات وسياجات من الإسمنت التي صارت تكتنف المدينة

---

(١) انظر: شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، منهاج السُّنَّة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، ج٦، ص٢٢٠.

كلَّها»[1].

وعن هذا الواقع وصف المستشرق الإسرائيلي غي بخور في مقالٍ له بصحيفة (يديعوت أحرونوت) أن ما يجري في العراق تطهير عرقي برعايةٍ أمريكية بقوله: «هل يحتمل أن تكون الولايات المتحدة تسمح في هذه الأيام بتطهير عرقي وطائفي بحجم ملايين الأشخاص لتقرر مصير الشرق الأوسط لعشرات السنين القادمة من الأزمات؟ معتبراً أن هذا بالضبط ما يحصل في العراق بالتطهير الشيعي ضد السُّنِّي... واستنكر بخور الصمت الأمريكي على ما يقوم به حلفاؤهم في المنطقة، معتبراً أنه بدون مساعدتهم ما كانت المدن السُّنِّية لتُحتَل بأي شكل»[2].

والمتأمل في التقارير الإعلامية الصادرة في بعض الوسائل الإعلامية الأمريكية يرى حجم التواطؤ الأمريكي في إشعال الفتنة الطائفية في العراق، ودعم الميليشيات الشيعية، مثل منظمة بدر الموالية لإيران وغيرها، وتؤكد وكالة رويترز للأنباء هذا التواطؤ، بل إن هذه الوسائل نشرت تقاريرها عن ذلك واطلعت على وثائق أمريكية تخص هذا الملف[3].

---

(١) انظر: سلسلة الكتب المترجمة، أوضاع العالم ٢٠١٥ الحروب الجديدة، إشراف: برتران بادي ودومينيك فيدال، ترجمة: نصير مروّة، ط١، لبنان: مؤسسة الفكر العربي، ١٤٣٦هـ (٢٠١٥م)، ص٢١٩.

(٢) انظر: موقع عربي ٢١، بتاريخ ٢٤ ديسمبر ٢٠١٥م، الرابط التالي:
http://goo.gl/KqC9fr

(٣) انظر: تقرير عن رويترز: تواطأت أميركا مع الميليشيات وأشعلت الفتنة الطائفية في العراق، في موقع إسلام ديلي، بتاريخ ٦ / ٣ / ١٤٣٧هـ الرابط التالي:
http://www.islamdaily.org/ar/democracy/12048.article.htm

كما أن اعتذار رئيس وزراء بريطانيا الأسبق توني بلير[1] يكشف من وجهٍ آخر الهدف الحقيقي لاحتلال العراق وأن تسليم العراق لإيران فيما بعد هو الهدف والنتيجة، كما تأكد أن استهداف العراق وجيشه ما هو إلا مقدمة محتملة لاجتياح دول الجوار والخليج، وهو ما نقلته شبكة (سي.إن.إن.) الإخبارية الأمريكية عن بلير قوله: «أستطيع القول: إنني أعتذر عن الأخطاء، وعن حقيقة أن المعلومات الاستخبارية التي تلقيناها كانت خاطئة، لأنه وحتى مع استخدامه (صدام حسين) للأسلحة الكيماوية ضد شعبه وضد آخرين، إلا أن ما ظننا أنه يمتلكه لم يكن موجوداً بالصورة التي توقعناها»[2].

وقد صَوَّرت الباحثة إحسان الفقيه شيئاً مما آلت إليه العراق كولاية إيرانية، وبميليشياتٍ عسكرية تزيد من حدة الصراع الدموي في الحاضر والمستقبل بين الشيعة والسُّنَّة، بل وتُجذِّره ليكون طويل المدى بقولها: «نقلت جريدة الشرق الأوسط بتاريخ ١٨-٥-٢٠٠٧م، عن طبيب عراقي بالبصرة قوله: صار علينا أن نتعلم اللغة الفارسية حتى نتمكن من التفاهم مع الناس هنا، أصبحت العراق ولاية إيرانية

(١) هذا الاعتذار الدبلوماسي أو الخطأ السياسي العسكري بحق العراق وشعبه مما يستوجب إدانته من قبل المحكمة الدولية ومقاضاة كلٍ من بلير والرئيس بوش الابن والأب وفقاً للقوانين الدولية، فضحايا هذا الخطأ دولٌ وشعوب، كما أن هذا الاعتذار لا يعني تخلي بلير عن استراتيجياته وسياساته المعادية لسيادة العالم الإسلامي، ويُعدُّ توني بلير: «أحد رؤوس الحرب ضد الإسلام الراديكالي في المنطقة! وهناك أكثر من دافع محرض عليها: النفط، والقرب من أوروبا، وإسرائيل ومستقبل الإسلام، وقضية الإسلام تشغل باله أكثر، فالمنطقة كلها وفقاً لرؤية بلير، حاضنة لهذا الإسلام المتطرف! إذ إن المسلمين العرب هم من أوجدوه وصدَّروه إلى العالم، فهم صُنَّاعه ودعاته!»، انظر: مجلة العصر، بتاريخ ٧ يوليو ٢٠١٦م، الرابط التالي: http://alasr.me/articles/view/17734.

(٢) انظر: صحيفة الجزيرة، بتاريخ ٢٥/ ١٠/ ٢٠١٥م، الرابط التالي:
http://www.al-jazirahonline.com/news/2015/20151025/64597

عندما قفزت عليها الحكومة الشيعية الموالية لإيران، كانت ولا تزال تتعامل مع طهران معاملة التابع للسيد، وتعتبر أن الإدارة العراقية إنما هي في قُمْ [العاصمة الأيديولوجية الإيرانية]، تتماهى مع السياسة الإيرانية لدرجة مفضوحة، فإذا اتجهت إيران لإرسال مقاتلين إلى سوريا لدعم الأسد، تبادر الحكومة العراقية لإرسال المتطوعين تحت مزاعم حماية العتبات المقدسة.

وأصبحت ولاية إيرانية عندما تمددت فيها الميلشيات الموالية لإيران، مثل (سرايا الخراساني)، وهو الاسم الذي عرف به الخميني بين أتباعه المقربين، تلك الميليشيات التي تعيث في الأرض فسادًا، وتقتل أهل السُّنَّة، وتغتصب الحرائر، وتسفك الدماء على الهوية، من أجل عيون دولتهم الأم (إيران)، ولتكريس الحلم الفارسي المجوسي.

في نفس المادة التي نشرتها الشرق الأوسط بتاريخ ١٨-٥-٢٠٠٧م، نقلت عن أهالي المدائن العراقية قولهم: «إن الهجمات التي استهدفتهم من قبل الميليشيات الطائفية المسلحة العميلة لإيران كان هدفها إخلاء المنطقة من سكانها أهل السُّنَّة، ليتاح للإيرانيين الاستيلاء على المدائن وإعادة ترميم إيوان كسرى باعتباره صرحًا فارسيًا».

لقد أصبحت العراق ولاية إيرانية، حينما تنفذ فيها الإيرانيون وصاروا أصحاب الكلمة على أرضها، أليس مرجعهم علي السيستاني -الذي لا يحسن التكلم باللغة العربية- إيرانيًا، ولد في مشهد ويُنسب إلى محافظة سيستان الإيرانية؟»[1].

---

(١) انظر: إحسان الفقيه، مقال بعنوان: أحفاد العلقمي وبوابة العراق، صحيفة شؤون خليجية، بتاريخ ٦/ ٤/ ٢٠١٥م، الرابط التالي:

http://alkhaleejaffairs.news/c-16647.

وعن ذلك عَبَّر الأخضر الإبراهيمي مبعوث الأمم المتحدة في أفغانستان والعراق وسوريا سابقاً: «لقد أهدت أمريكا العراق لإيران على طبقٍ من ذهب»[1].

فالعراق الذي تُخاض فيه أكبر معركة في تاريخ المنطقة لأضخم عملية تغيير ديموغرافي طائفي يقودها جنرالٌ إيراني، هو قاسم سليماني بميليشياته الطائفية التي تفوق (١٠٠,٠٠٠) مئة ألف مقاتل للانتقام من أهل السُّنَّة -كما هو مُعلن-، وهو الذي قال عنه مُقتدى الصدر الشيعي: إنه (الحاكم الفعلي) للعراق ليصبح الخليج بأكمله في المواجهة المباشرة مع إيران[2].

والعراق بهذا الواقع أصبح مُختَطفاً من إيران بعد الغزو الأمريكي الثاني عام ٢٠٠٣م، ولاسيما قد تخلت دول الخليج عن نُصرة حزامها السُّني داخل العراق، بل إنه أصبح من مصادر تهديد الأمن الإقليمي، والعراق بهذا الواقع أصبح كذلك من أوائل الدول في تطبيق مشروع برنارد لويس الشهير المعني بتقسيم المنطقة من جديد، فقد انفصلت أربيل الكردية عن العراق بدولةٍ واضحةٍ تُسمى كردستان العراق، ويُمكن أن يكون الأكراد الهدف التالي للحكومة العراقية وإيران في السيطرة على ثرواتها وتهجير أهلها أو معظمهم، وذلك بعد انتهاء الحكومة العراقية وميليشياتها من عمليات القتل والتهجير لأهل السُّنَّة ولاسيما في المحافظات السُّنية.

---

(١) انظر: صحيفة الحياة، بتاريخ ٢٦/ ٦/ ٢٠١٤م، الرابط التالي:
http://www.alhayat.com/m/story/3234336.

(٢) انظر: عن هذا الخطر الإيراني، عوض الدرمكي، مقال بعنوان: المغول على أبواب الخليج، صحيفة البيان الإماراتية، بتاريخ ٢٧ يونيو ٢٠١٦م، الرابط التالي:
http://www.albayan.ae/opinions/articles/2016-06-27-1.2669310

وتخوض الحكومة العراقية الشيعية بدعم علني مباشر من إيران تحت مسمى (حرب الإرهاب)! قتال ما يُسمى (تنظيم الدولة الإسلامية)! حروباً شرسة وانتهاكات جسيمة للتغيير الديموغرافي للمحافظات السُّنية كمحافظة صلاح الدين السُّنية بعاصمتها تكريت التي لم تسلم من القتل والتهجير لأهل السُّنَّة طوال السنوات الماضية بعد الاحتلال الأمريكي، وكمحافظة الأنبار المحاذية بعاصمتها الرمادي للحدود السعودية ودول الخليج، لتكتمل معظم الحدود العراقية مع السعودية ودول الخليج بحزام شيعي بعد أن كانت الحدود بعضها شيعية وبعضها سُنية، وكذلكً فمحافظة نينوى السُّنية بعاصمتها الموصل تتعرض للتغيير السكاني والإبادة والتهجير، وقد تكون هذه الأخيرة بحدودها التركية والسورية وثرواتها منطقة صراع مستقبلي بين الحكومة العراقية والحكومة الكردية والتركية كذلك، ولذلكً فإن معركة الموصل لصالح التغيير الديموغرافي للشيعة ستكون من المعارك طويلة المدى، ولاسيما أن واشنطن قد يكون لها مصالح في استمرار القلاقل والحروب، وتركيا لها خسائرها في حال النفوذ الإيراني والعراقي الشيعي في الموصل أو استمرار الحروب الاستنزافية، وبهذا الواقع فكثير من المحافظات والمدن السُّنية العراقية تفقد يوماً بعد يوم هويتها السُّنية بعمليات عسكرية وأمنية ممنهجة! وهو ما يُولِّد في المنطقة بؤراً متجددة للعنف تخلق بيئة جاذبة للصراع.

ويُمكن أن يتم تقسيم العراق إلى أكثر من دولةٍ شيعية ودولةٍ كردية، كما يُمكن ابقاؤه مضطرباً أمنياً وسياسياً حسب مقتضيات المصالح الدولية في تقسيم المنطقة، ولكن الأخطر من ذلك أن هذا الاستهداف لمحافظات العراق ومدنه السُّنية هو مرحلةٌ أولى

لاستهداف السعودية ودول الخليج كمرحلةٍ تالية حسب المعطيات التاريخية والمؤشرات السياسية المتعددة، ولاسيما في ظل استمرارية عدم الدعم لسُنة العراق من قِبل دول الخليج، وغَياب التواصل القوي مع الشيعة العرب وبعض قياداتهم وأحزابهم ممن لا يتفقون مع السياسة العراقية الإيرانية.

ب- التدخل الإيراني في سوريا:

التدخل الإيراني السافر بالشأن السوري أخَّر الحسم فيما بين الشعب السوري وحكومته وأطال أمد الصراع والعنف، بل إن مجموعات الجيش الثوري الإيراني وميليشيات الشيعة الرافضية الإيرانية واللبنانية والعراقية بتدخلها المكشوف عززت الصراع في المنطقة ودفعته إلى مستوى جرائم بحق الإنسانية، فحسب بعض التصريحات الإيرانية والروسية أنه للحيلولة دون الوجود السُّنِّي بأرض الشام، وهو ما يؤجج الصراع في المنطقة ويوسع دائرته، وعن ذلك قال الرئيس الإيراني حسن روحاني: «إن بلاده ساعدت العراق وسوريا في حربهما ضد من سماهم الإرهابيين بناء على طلب حكومتيهما، مؤكداً أن قوات بلاده هي أقوى قوة في المنطقة ضد الإرهاب»[1]!

وكان مما صرح به الرئيس الإيراني حسن روحاني في كلمته التي ألقاها أمام الدورة السبعين للجمعية العامة للأمم المتحدة بتاريخ ٢٨ سبتمبر٢٠١٥م : «إن إيران مستعدة للمساعدة في نشر الديمقراطية في سوريا واليمن كما فعلت في العراق وأفغانستان؛ مؤكداً أن الاتفاق النووي ساهم في الاستقرار وَمَنع حرباً مترامية الأطراف في الشرق

---

(١) انظر: قناة الجزيرة، بتاريخ ٢٢ / ٩ / ٢٠١٥م، الرابط التالي: http://goo.gl/88dıgO.

الأوسط»[1]!

وهكذا يتضح للقارئ أن روحاني تحت شعارات (محاربة الإرهاب) ونشر (الديمقراطية) يكون مُمارساً لتضليل الرأي العام العالمي[2]، فالنتائج الدموية لهذا التحالف بين النظام السوري وإيران تكشف عن إحصائيات مرعبة، فبعد مضي خمس سنوات من ثورة الشعب السوري تقول الإحصائيات: إن ضحايا عدوان النظام السوري بالدعم الإيراني على الشعب السوري في شهر أكتوبر عام ٢٠١٦م وصل إلى ما يقارب (٣٠٨,٠٦٧) قتيل[3]، وأضعاف هذا الرقم من الجرحى والمرضى والمساجين والمفقودين!! إضافة إلى تشريد وتهجير ما يزيد عن (١٢) اثني عشر مليون نسمة في شهر سبتمبر من عام ٢٠١٦م حسب ما أعلنه المرصد السوري لحقوق الإنسان[4]، علماً أن الواقع الفعلي للمأساة السورية يؤكد أضعاف هذه الأرقام، ومن ذلك ما أشار إليه وزير الخارجية التركي مولود جاويش أوغلو بأن القتلى السوريين (٦٠٠) ألف إنسان في نهاية عام ٢٠١٦م[5].

---

(١) انظر: قناة الجزيرة، بتاريخ ٢٨ / ٩ / ٢٠١٥م، الرابط التالي: http://goo.gl/azi5vT.

(٢) إيران كان لها دور مؤثر وبارز في ايواء حركة بعض عناصر القاعدة، حيث كانت إيران جسراً يعبرون منه، كما تساءل عادل الجبير وزير الخارجية السعودي متعجباً: لماذا لا نسمع دوراً للقاعدة في إيران؟! انظر: حوار على قناة (CNN)، بتاريخ ١٧ يناير ٢٠١٧م، الرابط التالي: https://arabic.cnn.com/middleeast/2017/01/17/aljubair-iran-nuclear-agreement-internal-clashes

(٣) انظر: المركز السوري للإحصاء والبحوث، الرابط التالي:
http://csr-sy.org/index.php?id=479&sons=redirect&l=2&.

(٤) انظر: المرصد السوري لحقوق الإنسان، بتاريخ ٣ سبتمبر ٢٠١٦م، الرابط التالي:
http://bit.ly/2fBRXHw.

(٥) انظر: الجزيرة نت، بتاريخ ٢/ ١٢/ ٢٠١٦م، الرابط التالي:
http://bit.ly/2gV3Ckk

كما أن تقارير صادرة عن الأمم المتحدة للشؤون الإنسانية بعد مضي حوالي ست سنوات من الثورة السورية تؤكد بأرقام صادمة للإنسانية عن الوضع السوري، ومما ورد فيها: «أن ٢,٨ مليون سوري يعانون من إعاقة جسدية دائمة بسبب الاشتباكات، وأظهر التقرير الذي تناول احتياجات الشعب السوري لعام ٢٠١٧م تعرض ٣٠ ألفاً في سوريا شهرياً لصدمة نفسية جراء الصراع، ومعاناة ٢,٨ مليون شخص من إعاقة جسدية دائمة.

وأضاف أن ٢,٩ مليون طفل سوري تحت سن الخامسة وعوا الحياة مع الصراع الدائر بالبلاد، إضافة إلى سبعة ملايين طفل يعانون الفقر، ومليون و(٧٥) ألف طفل حرموا من التعليم، وتوقع التقرير اضطرار ١,٤ مليون طفل للانقطاع عن التعليم، وإغلاق ثلث مدارس البلاد لأبوابها.

وأوضح التقرير أن ١٣,٥ مليون إنسان بحاجة للمساعدات في سوريا، ٥,٨ ملايين منهم من الأطفال، مع وجود مليون شخص تحت الحصار، و٣,٩ ملايين آخرين في مناطق يصعب الوصول إليها، واضطرار ٦,٣ ملايين شخص لترك منازلهم والنزوح إلى مناطق أخرى داخل سوريا.

وأكد التقرير أن نصف السوريين اضطروا لترك منازلهم منذ بدء الاشتباكات في البلاد، مشيراً إلى أن ٨٥٪ من الشعب السوري يعيش ضمن خط الفقر، فيما يحتاج ٤,٣ ملايين شخص للإيواء. وقبل أيام ذكر بيان صادر عن منظمة الأمم المتحدة للطفولة يونيسيف أن نحو نصف مليون طفل في سوريا يعيشون تحت الحصار»[1]، بل إن برامج

---

(١) انظر: تقارير مكتب الأمم المتحدة، الجزيرة نت، بتاريخ ٢/ ١٢/ ٢٠١٦م، الرابط التالي:
http://bit.ly/2gV91I1

ما يُسمى (الخروج الآمن) و(الممرات الآمنة) وعمليات (الإجلاء للمدنيين والمقاومين) أصبحت لا تخرج عن الهدف الكبير في تحقيق التغيير الديموغرافي لكثيرٍ من المدن السورية -كما هو في العراق- ومن أبرزها ما جرى ويجري في حلب في أواخر عام ٢٠١٦م، حيث التهجير المزدوج من المدنيين من حلب إلى إدلب، والعكس من قريتي كفريا والفوعة النصيرية في أدلب بإحلالهم في حلب! وذلك كما نقلت وكالة الأنباء السورية الرسمية (سانا) عن محافظ حماة محمد الحزوري قوله: «إنه تم إرسال ٢٩ حافلة وسيارات إسعاف وفرق طبية إلى بلدتي كفريا والفوعة المحاصرتين في ريف إدلب لإخراج الحالات الإنسانية وعدد من العائلات»[١].

ويتأكد بهذا أن إبقاء الرئيس القاتل لشعبه وحمايته ودعمه ما هو إلا وسيلة لتنفيذ المخططات الأجنبية والإيرانية في المنطقة، ومنها التغيير السكاني، ولهذا فكثيرٌ من المنظمات الإنسانية أصبحت تصف الوضع في سوريا بأنه من أسوأ كوارث العصر الحاضر وحتى الماضي، وكذلك حسب تصريحات الأمم المتحدة المتكرر عن المأساة.

ومن الحقيقة أن اتفاق إيران النووي مع الغرب أسهم بصورةٍ كُبرى في المزيد من تدخلها وما يترتب على هذا التدخل من تعميق الصراع في العالم الإسلامي وإطالة أمده، كما أسهم هذا الاتفاق في نشر الفوضى والصراعات في سوريا كما هو في أفغانستان والعراق واليمن، بل إنه منح إيران مشروعية صناعة مناخ الحروب المترامية الأطراف في دول المنطقة من خلال نشر أيديولوجيتها العدائية التي حققت كثيراً من أهدافها في المنطقة.

---

(١) انظر: الجزيرة نت، بتاريخ ١٤ ديسمبر ٢٠١٦م، الرابط التالي: http://bit.ly/2h8AIkG.

والوضع السياسي والعسكري في سوريا يتعقد بصفةٍ أكبر، ولاسيما في ظل حساسية الحدود المباشرة لسوريا مع الكيان الصهيوني المحتل، وأصبح الوضع السوري لا يختلف عن سابقه في العراق من حيث حجم الإبادة الجماعية والتغيير الديموغرافي بالتهجير الطائفي للمسلمين من أهل السُّنَّة، وبصفة مُستمرة، وتحت لافتات متعددة من أبرزها ما يُسمى (حرب الإرهاب) مما هو معروف ووارد في التقارير السياسية والوثائق والكتب المعنية بالصراع في المنطقة كما سيرد في المؤشر السادس عن التدخل الروسي في سوريا.

وعن جوانب الحل للأزمة فكثيرٌ من التقارير السياسية تقول: إن التوجسات وأزمة الثقة السياسية والعسكرية فيما بين الدول المعنية بإنهاء النظام السوري ودمويته، إضافةً إلى التراخي التركي والسعودي والقطري عن دعم المعارضة المسلحة السورية بالسلاح النوعي والاستجابة لوجهة النظر الأمريكية، وهو ما منح فرصاً أكثر للخصم الروسي والإيراني وغيرهما في الانتصار والتمدد إلى ما هو أكثر من سوريا، وفي هذه الحالة ستدفع دول الخليج وتركيا من استقرارها السياسي والأمني ثمناً غالياً في ظل هذا التأخر أو التردد، فسوريا هي بيت القصيد -كما يُقال- لأنها أصبحت المحور الرئيس في صراع المنطقة الذي يُراد له أن يطول ولا ينتهي، وكما أنها نقطة القوة لإيران كلاعب رئيس في المنطقة وسورياً تحديداً، فهي تُعدُّ نقطة ضَعفٍ لإيران ولاسيما في حالة إنهاء النظام السوري.

والخلاصة أن سوريا هي الأخرى أصبحت مثل العراق قابلةً لتحقيق مشروع برنارد لويس في تقسيم المنطقة على أساسٍ طائفي،

ومن ذلك دولة الأكراد في الأراضي السورية التي بدأت في التشكُّل، ودولةٌ أخرى للنصيريين الرافضة وغيرها من الدويلات، وستكون هذه الدويلات وأمن الكيان الصهيوني المحتل بوابةً لرجوع الوصاية الدولية على المنطقة وإعادة الانتداب الأجنبي ولاسيما على الأراضي المحيطة بفلسطين المحتلة لتحقيق الأمن للكيان اليهودي المغتصب.

وفي مقابل ذلك فإن القراءات السياسية للساحة السورية تقول: إن خسائر إيران في الساحة السورية تزداد، حيث طول الأزمة السورية زاد من الخسائر الإيرانية، ولاسيما في اقتصادها وميليشياتها، وهو ما أفقدها شيئاً كثيراً من تحقيق كل أهدافها وأطماعها حسب خططها الزمنية، كما أن طول المعركة أتاح فرصاً كبيرة لتزايد أعداد المجاهدين في الساحات السورية، ونُضج بعض المجموعات والأفراد من المقاومة أكثر من السابق بالرغم من تعددها وتنافر بعضها مع بعض، لكن هذا -حسب التاريخ- سيكون عاملاً مساعداً لتبلور بعض جوانب الوحدة والاتحاد بين أطراف المقاومة السورية، بل وبوضع أكثر من واقع الساحة الأفغانية والعراقية -سابقاً- حسب كثيرٍ من التقارير الإعلامية والسياسية.

ج- التدخل الإيراني في اليمن:

استطاعت إيران أن تضع لها قدماً أيديولوجياً في اليمن مع الحوثيين كما فعلت في لبنان سابقاً، وما لبث أن تطورت هذه الأيديولوجية -كالمعتاد- إلى ميليشيا عسكرية، ثم قوة انقلاب سياسية تعبث في اليمن وحكومته وتهدد جيرانه، وهو ما يعكس قوة تنفيذ المخططات الإيرانية في المنطقة، وكان قد تزايد النفوذ الأيديولوجي الإيراني

في اليمن بعد الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م، خاصةً بعد غياب أو ضعف الدعم التنموي والدعوي والتعليمي والإغاثي للشعب اليمني من الدول المجاورة وخاصةً السعودية ودول الخليج، مما ترتب على ذلك تمدد إيران في الفراغ السُّنِّي.

ومن مفارقات الحالة اليمنية أن الدعم الخليجي المالي الكبير كان مُعظمه يتجه للحكومة اليمنية! لكن في المقابل فإن كثيراً من العطاء الإيراني المُؤدلج كان مُوجهاً للشعب اليمني ومنظماته وجمعياته وليس للحكومة اليمنية، وقد استطاع الحوثيون بهذا الدعم الإيراني تشكيل ميليشيات عسكرية قوية مؤثرة في الساحة السياسية والعسكرية اليمنية.

وإيران من خلال دعمها لحركة الحوثيين الشيعية بالأساطيل البحرية المُحمَّلة بالأسلحة، استطاعت أن تبسط نفوذها على بعض مفاصل الدولة اليمنية وجيشها خلال شهورٍ قليلة، وذلك في نهاية عام ٢٠١٤م، وبالتعاون مع الرئيس المخلوع، في ظل صمتٍ غربيٍ مريب! بل وتطميناتٍ غربيةٍ أمريكية خادعة لدول الخليج! وعن هذا كتبت صحيفة نيويورك تايمز، وفيه تم ضبط كثير من الشحنات البرية والبحرية وكان آخرها ما أعلنته السلطات الأسترالية حول مصادرتها سفينة تحمل أسلحة مضادة للدروع، وقد علقت الصحيفة على ذلك بأن هذا الأمر يشير إلى أن طهران لها يد في عملية تهريب أسلحة إلى القرن الأفريقي وشبه الجزيرة العربية[١].

---

(١) انظر: صحيفة نيويورك تايمز، بتاريخ ١٠ يناير ٢٠١٧م، الرابط التالي:
https://www.nytimes.com/2017/01/10/world/middleeast/yemen-iran-weapons-houthis.html?ref=world&_r=0

وانظر عن ترجمة الخبر في: صحيفة سكاي نيوز عربية، بتاريخ ١١ يناير ٢٠١٧م، الرابط التالي:
http://www.skynewsarabia.com/web/article/908036/

وكان إعلان علي رضا زاكاني المقرَّب من المرشد الإيراني جرس إنذارٍ للسعودية ودول الخليج، حينما قال: «إن ثلاث عواصم عربية أصبحت اليوم بيد إيران، وتابعة للثورة الإسلامية، وإن صنعاء أصبحت العاصمة العربية الرابعة التي باتت في طريقها للالتحاق بالثورة الإيرانية، ولم يمضِ يوم على تصريحه حتى التحقت صنعاء بالفعل بدمشق، وبغداد، وبيروت»[1].

وبهذه الأحداث والوقائع تنامى الصراع والصراع المسلح داخل المحافظات والمدن اليمنية، حتى جاء التحالف العربي بعاصفة الحزم العسكرية على مواقع المتمردين الحوثيين في اليمن، ويُعد هذا التحالف في الاتجاه الصحيح نحو تحقيق بعض السلام في المنطقة[2]، إلا أن تحقيق السلام إلى حدٍّ يُجهض المخاطر يتطلب اكتمال حلقات الحزم العسكرية والسياسية والفكرية في تقليم الأظافر الإيرانية في المنطقة من خلال المبادرة بمشروعٍ استراتيجي متكامل ومستقل عن السياسات الغربية.

ويُلاحظ أن الولايات المتحدة الأمريكية ودول أوروبا المتعصبة حسب تصريحاتهم ومواقفهم المعلنة وغير المعلنة لن يسمحوا بتمكين القوة العقدية السُّنِّية سياسياً، كما هو واضحٌ من الواقع في اليمن وغيره،

---

(١) انظر: أمجد خشافة، مقال بعنوان: الموقف الخليجي بعد سقوط صنعاء وتداعيات عاصفة الحزم، مجلة البيان، العدد ٣٣٥، بتاريخ ١٩/ ٤/ ٢٠١٥م، الرابط التالي:
http://www.albayan.co.uk/Mobile/MGZarticle2.aspx?id=4301.

(٢) انظر: تصريح أحد كبار الضباط-قائد القوة الصاروخية- الموالية للحوثيين سابقاً عن دور عملية الحزم في المنطقة، الوطن أون لاين، بتاريخ ٢٥ يناير ٢٠١٧م، الرابط التالي:
http://www.alwatan.com.sa/Politics/News_Detail.aspx?ArticleID=291885&CategoryID=1

حيث رفض الأذرعة التعليمية والدعوية والإغاثية السُّنية، فالغرب يعمل بمعظم سياساته للحيلولة دون إنهاء قوة الحوثيين أو إضعافهم، بل تعزيز مساندة إيران لهم، ويمكن فهم ذلك بوضوح من خلال تقييد أعمال تحالف عاصفة الحزم ومحدودية دعمه المعلوماتي واللوجستي، الأمر الذي سيجعل من هذا الصراع العسكري في الأراضي اليمنية عمليةً مستمرةً (استنزافية) في المنطقة لإضعاف الاقتصاد الخليجي وإنهاكه سياسياً، وبأدواتٍ إيرانية وأيدٍ طائفية وأسلحةٍ أجنبية بفواتير مكلفة، والمؤشرات تؤكد على ضعف إمكانية تحقيق حسم عسكري أو سياسي لدى الأطراف المتحاربة في اليمن، وذلك لتبقَى الفوضى السياسية والأمنية في اليمن، وتمتد إلى ما يجاورها بوضعٍ أكثر من السابق، وهذا من أهداف الاستراتيجية الغربية في صناعة الصِّراع وامتداده في المنطقة بسياساتٍ واستراتيجياتٍ لحروبٍ طويلة المدى والأجل.

ومما نشره معهد كاتو الأمريكي عن الدعم الأمريكي لحرب اليمن في فبراير ٢٠١٦م، ما ورد بالمقال عن وصف حرب اليمن: «ينبغي على الولايات المتحدة أن توقف دعمها للحرب في اليمن، وحرب اليمن من أحدث كوارث السياسة الخارجية الأمريكية. مضيفًا: أي ادعاء بأنها جزء لا يتجزأ من الحرب على الإرهاب هو طرح مشكوك فيه، فالتفجيرات في اليمن لا تؤدي إلا إلى دعم المتطرفين الإسلاميين، وأردف المقال: بعيدًا عن تهدئة المخاوف السعودية الشديدة من ميل الاستراتيجية الأمريكية تجاه إيران، لا يوجد ببساطة أي مبرر أخلاقي أو قانوني أو استراتيجي لما تقوم به الولايات المتحدة في اليمن»[(١)].

---

(١) انظر: صحيفة شؤون خليجية، بتاريخ ٢/ ٣/ ٢٠١٦م، الرابط التالي:
http://bit.ly/2bWgMN3.

وتتأكد مخاطر الصراع في اليمن وفي المنطقة بأكملها أكثر من السابق في تغول روسيا ووصولها إلى باب المندب أو اليمن لتزداد بذلك مخاطر الصراع الدولي المباشر في المنطقة، وذلك بالرغم من فشلها العسكري في سوريا حيث لم تُحقق أهدافها العسكرية بهزيمة المقاومة مقارنة بحجم القوة التي تستخدمها، ولهذا الاعتبار يُمكن أن يكون التدخل في اليمن بهدف المناورة، وقد تدفعها هذه المناورة أو الغرور السياسي إلى التدخل القوي في اليمن، بهدف تحقيق مكاسب سياسية أكثر في صراعها مع الغرب على الهيمنة والنفوذ العالمي في هذا المضيق الاستراتيجي أو الشراكة في السيطرة عليه، وهذا ما يُمثّل دعماً لوجستياً في خدمة المشروع الإيراني[1].

وبالرغم من أن التحالف العربي بعملية عاصفة الحزم أضعف بعض التمدد الإيراني، أو أخّره إلى أمدٍ مُعيَّن في اليمن، لكن الحكم النهائي والمهم حول مغبّةِ هذه الحرب إنما يأتي عند النهايات والمآلات وليس في البدايات، ولاسيما أن هذه الحرب في اليمن من خلال مسيرتها والمحادثات بين الأطراف المعنية المصاحبة لها تعطي مؤشرات لاستمرارية الحرب التي فيها استنزاف جُلِّ الأطراف داخل اليمن وخارجه، ومؤشرات المآلات بعد مضي أكثر من سنتين تدعو للتأمل والمراجعات من حيث الآثار التي تتركها الحروب، فالحرب في اليمن مثل غيرها تترك آثاراً نفسيةً عدائيةً بين الشعوب يصعب ردمها ومعالجتها كونها ناتجةً من الصراع العسكري القائم على الجانب الطائفي الشيعي.

---

(١) عن هذه التخوفات من التدخل الروسي فيما هو أكثر من سوريا، انظر: المؤشر السابع في هذا الكتاب، تحت عنوان: (التدخل الروسي في اليمن).

والشعب اليمني -بهذا التدخل الإيراني والدعم الأمريكي والروسي والأممي الغربي- هو من يدفع ثمن الحرب وآثارها خاصةً مع أوضاعٍ اقتصاديةٍ ومعيشيةٍ تتفاقم في ظل غيابٍ كبيرٍ لمؤسسات ومراكز إغاثية متعددة ومتنوعة في الداخل اليمني ومن خارجه تُسهم في علاج الأزمات الإغاثية بشكلٍ كافٍ في عامة محافظات اليمن، وحسب العربية نت: «قالت الأمم المتحدة إن مساعداتها وصلت إلى ٤ ملايين يمني، بينما ما زال هناك ١٤ مليون شخص ليس لديهم أمن غذائي»[١].

ودعت منظمة (أطباء بلا حدود) المجتمع الدولي في الإسهام بدعم الصحة المتدهورة والإغاثة في اليمن بتاريخ ٢٩ محرم ١٤٣٨هـ الموافق (٣٠ أكتوبر ٢٠١٦م)، قائلةً: «يعاني القطاع الصحي في اليمن تدهوراً كبيراً زادت الحرب حدته التي تشهدها البلاد مع استمرار سقوط العديد من القتلى والجرحى وانتشار عدد من الأوبئة... وأضافت أنه نتيجة لنقص الكوادر الطبية والأدوية والمستلزمات الطبية فإن ٤٥٪ من المرافق الصحية فقط لا تزال تعمل بشكل كلي... وأسفر النزاع عن مقتل ٦٦٠٠ شخص، وإصابة نحو ٣٥ ألفاً وفقاً لمنظمة الصحة العالمية، فضلاً عن نزوح أكثر من ثلاثة ملايين يمني في الداخل، وتشير التقديرات إلى أن ٢١ مليون يمني (٨٠٪ من السكان) بحاجة إلى مساعدات»[٢].

---

(١) انظر: موقع العربية نت، بتاريخ ٣٠ أغسطس ٢٠١٦م، الرابط التالي:
http://bit.ly/2bFBmAD

(٢) انظر: الجزيرة نت، بتاريخ ٢٩ محرم ١٤٣٨هـ الموافق (٣٠ أكتوبر ٢٠١٦م)، الرابط التالي:
http://bit.ly/2f8aCdk.

وعن آثار الحرب ومخاطرها قالت منظمة الأمم المتحدة للطفولة (يونيسيف): إن نحو ١,٥ مليون طفل في اليمن مصابون بسوء التغذية، في حين يعاني نصف السكان من الجوع، وفق تقرير لبرنامج الغذاء العالمي، وأكثر من الربع منهم يعانون من سوء التغذية الحاد الوخيم، وهو الهزال الشديد الذي يؤدي إلى الوفاة في حال عدم علاجه[1].

كما أطلق منسق وكيل الأمين العام للأمم المتحدة للشؤون الإنسانية ستيفان أوبراين في جلسة مجلس الأمن الخاصة باليمن بتاريخ ٣٠ محرم ١٤٣٨هـ الموافق (٣١ أكتوبر ٢٠١٦م): «إن اليمن على بعد خطوة واحدة من المجاعة... وأطلق في الوقت ذاته محافظ الحديدة اليمنية عبد الله أبو الغيث نداء استغاثة للمنظمات الإنسانية، وأعلن الحديدة محافظة منكوبة، في ظل الكارثة والمعاناة الإنسانية نتيجة الانقلاب الحوثي، على حد تعبيره. وحذر أبو الغيث من تأثير المجاعة على نحو ثلاثة ملايين نسمة من سكان المحافظة»[2].

وغياب المساعدات والمؤسسات الإغاثية الإسلامية أو تغييبها عن الساحة اليمنية ولاسيما أن برامج المعونات والإغاثات من الأمم المتحدة -حسب الواقع وشهود العيان- في غالبها تكون موجهة للحوثيين في صعدة والحديدة وصنعاء، بل تقوم المليشيات الحوثية في أوقات كثيرة بمصادرة كثير من المساعدات العالمية المتجهة إلى

---

(١) انظر: تقارير الجوع وسوء التغذية بأطفال اليمن، الجزيرة نت، بتاريخ ٢٩ أكتوبر ٢٠١٦م، الرابط التالي:http://bit.ly/2flMovP .

(٢) انظر: الجزيرة نت، بتاريخ ١ صفر ١٤٣٨هـ الموافق (١ نوفمبر ٢٠١٦م)، الرابط التالي: http://bit.ly/2fzNEPl.

المناطق المحتاجة أمام مرأى العالم ومنظماته[1]، إضافةً إلى رفض بعض المنظمات توجيه المعونات إلى عدن وما يُماثلها بمزاعم الضعف الأمني! وهذا الواقع مما سوف يصنع وضعاً أمنياً جديداً خطيراً لليمن مع دول الجوار الخليجي، حيث يُمكن أن تنشط هجرات الجوع الجماعية الكبيرة غير المشروعة، وبالتالي تعمل إرباكاً غير مسبوق لدول الجوار في ظل انشغالٍ سيكون بجبهات حُروبٍ جنوبيةٍ وشماليةٍ متوقعة.

كما أن هذا الوضع الأمني والسياسي سيزيد من حالات الفوضى السياسية والأمنية لكل الأطراف، وبالتالي فإنه سوف يخدم مشروع تقسيم دول المنطقة ليتوافق مع مشروع برنارد لويس، وقد بدأ يظهر جلياً تقسيم اليمن بصورةٍ ملحوظة في الداخل اليمني السياسي بين الشمال والجنوب، أو إلى أكثر من ذلك حيث قد يكون انفصال مناطق الحوثيين في الشمال عن اليمن الكبير، بل ربما تكون صنعاء تحت سيطرة الحوثيين في مشروع تقسيم اليمن العدواني، وربما يكون غير ذلك من التقسيم أكثر لو حدث الاختلاف السياسي والمصالح بين الرئيس المخلوع صالح من جهة، وبين الحوثيين من جهةٍ أخرى.

والتدخلات الأجنبية باستراتيجياتها الدولية والإقليمية المعادية تعمل باتجاهات متعددة على تفتيت وحدة اليمن وقوته، ويبدو أن دول الخليج بهذا الواقع سوف تدفع فواتير مُكلفة إلى حدٍ كبير نتيجة التردد أو الرفض بأخذ مقترحات الناصحين لدول الخليج واليمن

---

(١) انظر: سكاي نيوز عربية، بتاريخ ٢٠ يناير ٢٠١٦م، الرابط التالي:
http://www.skynewsarabia.com/web/article/809019

منذ سنوات بضم الأخير إلى منظومة مجلس التعاون الخليجي وتكامل شعبه كمخزونٍ أخويٍ بشريٍ وعسكريٍ مع شعوب الخليج[1].

د- إثارة الفتن والاضطرابات في الخليج (الأسلحة في الكويت والبحرين أنموذجاً):

مما يُعزز هذه الرؤية المستقبلية عن صناعة الصراع ومستقبل المنطقة أن إيران بخططها الاستراتيجية وسياساتها التنمرية أصبحت داعمة للعنف والتوتر في العالم الإسلامي، ومن ذلك على سبيل المثال ما تم اكتشافه من ترسانات للأسلحة الإيرانية في الكويت والبحرين والسعودية بالتتابع لدى الشيعة المسيسين في أواخر عام ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م، ويظهر أن ما لم يُكتشف أكثر من هذا بكثير حسب خُططهم واستراتيجياتهم المبكرة في التخزين السري للأسلحة بدول المنطقة، ويُعدُّ هذا من المؤشرات القوية حول مرحلةٍ خطرةٍ مقبلة من الصراعات الفارسية الشيعية على أهل السُّنَّة في أنحاء العالم الإسلامي وعلى دول الجوار الإيراني بصفةٍ خاصة.

الكويت:

لقد تم رصد خطر الشيعة المسيسين على الكويت مبكراً كما هو على معظم دول الخليج، وفيه ورد اختراق التنظيمات الشيعية

---

(١) انظر: عن هذه الدعوات الإصلاحية مقالات ومطالبات من أبرزها مقالات ونداءات الدكتور عبد الله النفيسي المنشورة، ومنها: (النفيسي: قرار انضمام اليمن إلى مجلس التعاون الخليجي لا علاقة له بالتحول الاقتصادي... القرار هو سياسي)، الرابط التالي:
http://m.marebpress.net/news_details.php?sid=3600
ومقطع فيديو لـ(عبد الله النفيسي: ما يرعب إيران هو انضمام اليمن إلى مجلس التعاون الخليجي)، الرابط التالي:
https://www.youtube.com/watch?v=i4MPiLQhMJs

للمجتمع الكويتي ومؤسساته الحكومية والتجارية، ومما كُتب عن هذا ما أورده الباحث عبد الله بن محمد الغريب -رحمه الله-: «المتتبع لأنشطة الرافضة في الكويت يجد فيها شواهد على صحة الخطة التي ساروا عليها في الخليج خلال نصف قرن، وبصورة أوضح فإن نشاط الرافضة في الكويت ترجمة أمينة لخطتهم»، ثم ذكر بعض الشواهد لهذه الأنشطة بالأسماء والعناوين للمساجد، والحسينيات، والمؤسسات الدينية والثقافية ودور النشر وغيرها، كما أن اختراق جوانب كثيرة من الحياة الاجتماعية والسياسية والأمنية والعسكرية والاقتصادية في الكويت يتفق مع الاستراتيجية الإيرانية التوسعية تجاه المنطقة[1].

ويتألم الباحث من عدم مواجهة هذا الخطر الاستراتيجي بما يماثله، قائلاً: «هذا يحدث في بلد لا تتجاوز نسبة المواطنين الشيعة فيه ٢٠٪، وقد حازوا على الجنسية بطرق غير مشروعة وهم أعاجم إيرانيون!! ثم يأتي من يقول: الشاه وحده كان سبب توتر العلاقات ما بين إيران ودول الخليج، وهذا القول ليس صحيحاً فتوتر العلاقات ازداد بعد قيام ثورة الخميني، والخطر ينطلق من هذه الأوكار: الحسينيات والمساجد، وفيها تلتقي جميع فئات الرافضة... وهي تابعة للحوزات العلمية في قُمْ، وليست تابعة للشاه -هكذا كانت وهكذا هي اليوم- والتخطيط لها كان قبل قيام الثورة الخمينية، ومنها انطلق أحمد عباس

---

(١) انظر: عبد الله محمد الغريب، أطماع الشيعة في الخليج والجزيرة العربية، بيروت: دار الإسلام، ص٣٨-٦٢. وانظر كتابه الآخر: وجاء دور المجوس - الأبعاد التاريخية والعقائدية والسياسية للثورة الإيرانية، ط٥، ١٤٠٧هـ (١٩٨٧م)، ص٣١٩-٣٣٥، ويُلاحظ أن كتاب (وجاء دور المجوس) قد طُبع فيما بعد ذلك تحت اسم الشيخ محمد سرور زين العابدين -رحمه الله- وأن الاسم المكتوب على طبعات الكتاب الأولى لا يعدو أن يكون اسماً مستعاراً.

المهري يُهدد ويتوعد»[1].

وعن مضبوطات الكويت كتبت صحيفة القبس الكويتية: «في تطور لافت للوضع الأمني في البلاد، وفي خطوة استباقية لمنع عمليات إرهابية ومخططات تستهدف الكويت، تمكنت الأجهزة الأمنية يوم أمس، من ضبط كمية هائلة من المتفجرات والأسلحة النارية والقنابل والأحزمة الناسفة في مزرعة بمنطقة العبدلي، وألقت القبض على مواطنين متورطين في هذه القضية، التي وصفها مصدر أمني مسؤول بأنها أكبر ضبطية أسلحة ومتفجرات في تاريخ الكويت، وأنها مخطط خطير يستهدف المصلحة العليا وزعزعة الأمن»[2]، وفي الخبر ما يصف هذا بما يشبه ترسانة الأسلحة، حسب وصف قيادي أمني بأنها كمية أكبر مما يصدقها عقل؟ حيث فيها قنابل يدوية وصواعق كهربائية ومتفجرات وقنابل (RBG)، والتحقيقات قائمة مع مواطنين كويتيين وإيرانيين ولبنانيين[3].

البحرين:

عن الأطماع الإيرانية في البحرين كَتَب الغريب أيضاً قبل ثورة الخميني الإيرانية وبعدها مُنبهاً لمخاطر إيران على السعودية ودول الخليج مدعومةً هذه الكتابة بالحقائق والوثائق التاريخية والسياسية، ومما قال في كتابه: «عادت إيران تطالب البحرين عام ١٨٤٠م رغم أن الجزيرة عربية ويحكمها آل خليفة الذين ينتسبون إلى (عتبة) فرد

---

(١) انظر: المرجع السابق، ص٦٢،٣٨.

(٢) انظر: جريدة القبس الكويتية، بتاريخ ١٤/ ٨/ ٢٠١٥م، الرابط التالي:
http://www.alqabas.com.kw/Articles.aspx?ArticleID=1081761&CatID=102

(٣) انظر: المرجع السابق.

(لابردين) وزير خارجية بريطانيا على هذه المطالب بتصريح نفى فيه أحقية إيران في الخليج أو في البحرين فأجابه حلنجي ميرزا رئيس وزراء إيران بمذكرة، جاء فيها: «إن الشعور السائد لدى جميع الحكومات الفارسية المتعاقبة أن الخليج الفارسي من بداية شط العرب إلى مسقط بجميع جزائره وموانيه بدون استثناء ينتمي إلى فارس بدليل أنه خليج فارسي وليس عربياً».

وفي ١١/ ١١/ ١٩٥٧م أعلنت إيران إلحاق البحرين بالتقسيمات الإدارية لإيران معتبرةً إياها المحافظة الرابعة عشرة، وفي عام ١٩٥٨م خصصت إيران مقعدين في برلمانها للبحرين شَغَلَهُما: عبد الله الزبرة وعبد الحميد العليوات وهما من الإيرانيين الذين بُليت بهم البحرين.

ونجحت إيران في منع البحرين من الاشتراك في منظمة الدول المنتجة للبترول (الأوبك)، ودأبت على عدم الاعتراف بجوازات السفر الصادرة من البحرين، وإذا دخل البحراني إلى إيران يُسحب منه جواز سفره ويُعطى ورقة مرور داخلية، ولن يستطيع الخروج إذا كان خاضعاً لقانون التجنيد العسكري»[١].

وعن المحاولات الانقلابية لشيعة البحرين المُسيسة كانت ثلاث محاولات فاشلة، لكنها لم تمنع الاستمرار في المحاولات التي عمادها الخلايا الإرهابية والأسلحة[٢]، فمضبوطات البحرين وهي كثيرة

---

(١) انظر: عبد الله محمد الغريب، أطماع الشيعة في الخليج والجزيرة العربية، ص١٢-١٣، وانظر كتابه الآخر: وجاء دور المجوس - الأبعاد التاريخية والعقائدية والسياسية للثورة الإيرانية، ص٣٠٢-٣٠٣.

(٢) انظر: عن المحاولات في صحيفة شؤون خليجية، بتاريخ ١٨/ ٤/ ٢٠١٥م، الرابط التالي: http://soo.gd/7vUd.

كان آخرها ما أُعلن عنه في الأول من أكتوبر ٢٠١٥م، كما تكشف عن الخطر الحالي والقادم، وفي الخبر ورد: «كشفت الأجهزة الأمنية في مملكة البحرين عن أنها فككت خلايا إرهابية، واعتقلت أفرادها وضبطت مخازن أسلحة بموقع يستخدم كورشة لتصنيع القنابل، في قرية النويدرات، وهي إحدى قرى محافظة الوسطى البحرينية.

وأعلنت وزارة الداخلية البحرينية في بيان أن المعتقلين مشتبه بتورطهم بقضايا إرهابية وجماعات بالعراق وإيران، وبيَّنت أنها كشفت مخبأً يحوي طنٍّ ونصف (١,٥) من المتفجرات في منزل بمنطقة سكنية»، «وأضافت الداخلية: تم العثور في المخبأ على كميات كبيرة من المواد شديدة الانفجار والمواد التي تدخل في صناعتها، قُدِّرت بما يفوق طنٍّ ونصف (١,٥) ومن ضمنها مادة (C4) و (RDX) شديدة الانفجار ومادة (TNT) المتفجرة، بالإضافة إلى مواد كيميائية وعدد من العبوات المتفجرة الجاهزة للاستخدام وأسلحة أوتوماتيكية ومسدسات وقنابل يدوية وكميات من الذخائر الحية والأجهزة اللاسلكية»[1].

وما سبق عن اكتشاف الأسلحة كان ما يُماثله في السعودية كذلك، وتؤكد التصريحات الإيرانية المتعددة والمعلنة من رجال الدين والسياسة حيث لا تقية عندهم في ذلك، ومن أمثلته تصريح روحاني بعد الاتفاق النووي مع الغرب، حيث ذهب إلى أبعد من شرعنة الصراع المستقبلي في المنطقة من خلال تكراره في أحقية إيران بتدخل جيشها في الدول المجاورة بقوله في مراسم استعراض

---

(١) انظر: موقع خبر خليجي، بتاريخ ١ أكتوبر ٢٠١٥م، الرابط التالي:
http://goo.gl/c8MffO

القوات المسلحة الإيرانية تزامناً مع بدء أسبوع الدفاع المقدس: «على هذه الدول [الخليجية] ألا تتصور بأن القوى الكبرى تدافع عنها، وأضاف: أن على الدول التي تمارس اليوم الظلم بحق جيرانها أن تعلم بأنه لو أراد الإرهابيون إسقاطها وإذلال شعوبها فإن القوات المسلحة القادرة على دحر أولئك الإرهابيين هي القوات المسلحة الإيرانية فيما لو طلبت تلك الشعوب منها»[1]، وفي هذا ما يؤكد أن إيران تستثمر بعض المواقف الدولية في تحقيق أطماعها وبسط نفوذها العدائي.

المؤشر الخامس/ السعودية ومقدسات الحرمين:

مما يُعدُّ من مؤشرات الصراع في المنطقة استهداف وحدة السعودية والمقدسات الإسلامية فيها من قِبل إيران، وذلك من خلال الدعم الغربي لها وللأقليات الشيعية وعملاء الغرب من الأقلية الليبرالية والعلمانية داخل الوطن وخارجه حسب مقالاتهم وبرامجهم الإعلامية الموالية للشيعة، إضافةً إلى نوايا العدوان الإيراني الواضحة والظاهرة في تصريحاتهم المتكررة والمتنوعة[2]، كما تبرز مؤشرات الصراع من خلال الخطة الإيرانية الخمسينية -سابقة الذكر- التي تستهدف العالم الإسلامي وفي مقدمته دول الجوار والسعودية.

وعن هذا كتب المستشرق الإسرائيلي رؤوفين باركو في مقال له بصحيفة (إسرائيل اليوم): «إن السعودية موجودة في قائمة

---

(١) انظر: جريدة مباشر الإلكترونية الكويتية، بتاريخ ٢٢ سبتمبر ٢٠١٥م، الرابط التالي:
http://mobashernews.net/news/61636

(٢) انظر على سبيل المثال ما ورد في هذا الكتاب من تصريحات، تحت عنوان: (الفوضى الإيرانية وصناعة الصراع!) في المبحث الرابع.

الاستهداف الإيراني، وأشار إلى أن إيران تواصل اتخاذ سلسلة من الخطوات التصعيدية ضد دول الخليج العربي، وأن إيران مستمرة في سياستها العنيفة التي تهدف إلى السيطرة على الجزر العربية، ووضع يدها على الأماكن الإسلامية المقدسة في مكة والمدينة، بجعلهما خاضعتين لقيادة شيعية، والسيطرة على موارد النفط وحقوله في دول الخليج، تمهيداً للوصول إلى دول العالم... إن النشاط الإيراني يذهب باتجاه تحريض السكان الشيعة على دولهم الخليجية ودعوتهم للتمرد ضد هذه البلدان، وهو ما يعني أن إيران باتت تشكل تهديداً وجودياً على دول المنطقة»[1].

وفي سياق الاستهداف تأتي المحاولات الجادة والقوية في تفريغ السعودية من قوتها المعنوية (الأيديولوجيا الدينية) المحلية والعالمية مثل إضعاف الهوية الفكرية واستبعاد التطوع والجهاد في مقاومة أعدائها، وفصلها عن محيطها الإسلامي وقوتها الأممية الإسلامية، حيث قوَّضت السعودية بشعبها ومؤسساته الخيرية بإمكانياتها المتواضعة خلال ثلاثة عقودٍ تقريباً مخطط التنصير العالمي وهيمنته حينما نجحت هذه المؤسسات إلى حدٍ كبير في الحد من أهداف (مؤتمر كولورادو الأمريكي) المنعقد في مايو سنة ١٩٧٨م، الموافق (١٣٩٨هـ)، وهو الذي خطط لتنصير المسلمين في العالم، ومن أبرز ذلك تحويل النصف الجنوبي من القارة الأفريقية ليكون نصرانياً، وكذلك إندونيسيا لتكون الأكثرية السكانية نصرانية، وإن كانت لم تفشل برامج ومشاريع التنصير والتغريب.

(١) انظر: الجزيرة نت، بتاريخ ٢٦/ ٦/ ٢٠١٦م، الرابط التالي:
http://bit.ly/2dLqvXW.

ويؤكد ما سبق عن الاستهداف ما حدث في المؤتمر الصوفي في جروزني بتاريخ (٢٥-٢٧ أغسطس ٢٠١٦م) وما فيه من توصيات وقرارات لتقزيم الدور السعودي الإسلامي العالمي، وكما حدث من الولايات المتحدة الأمريكية تجاه السعودية فيما يُسمى قانون العدالة ضد رعاة الإرهاب (جاستا) بتاريخ ٢٨ سبتمبر ٢٠١٦م، وما في مآلاته من تمكين لإيران في المنطقة، ومحاولات الإدانة والاستحواذ بهذا القانون على الاستثمارات والودائع السعودية الضخمة وغيرها، وليبقى هذا القانون في أقل أحواله وسيلةً للضغط والابتزاز السياسي والمالي، وتُقَدِّر واشنطن خسارتها من هجمات ١١ سبتمبر ٢٠٠١م (٣،٣ تريليون دولار) وهي ما يفوق الأرصدة السعودية الحالية في أمريكا بأكثر من ثلاث مرات، حيث تُقَدِّر كثيرٌ من المصادر إلى أن قيمة السندات والأصول السعودية في الولايات المتحدة تزيد على (١٠٠٠ مليار)، أو تريليون دولار في منتصف عام ٢٠١٦م[١]، وفي هذه الاستراتيجيات الغربية المتسارعة ما يدل على مستقبل المنطقة المشحون بالحروب والصراعات، ليتم للعدو الإقليمي والدولي تحقيق أهدافه في الابتزاز والتمزيق والتفتيت لدول المنطقة.

وفي السياق نفسه يأتي استهداف السعودية وقوتها الذاتية الداخلية في تفريغها من أيديولوجيتها، وتحجيم قوتها في محيطها الإقليمي والعربي والإسلامي والعالمي، وهو ما يؤكد استراتيجيات

(١) انظر: الموقع الألماني (made for minds)، بتاريخ ١٦ أكتوبر ٢٠١٦، الرابط التالي: http:// bit.ly/2dYA5aP، ويلاحظ صدور قرار أمريكي رسمي صادر من السي آي إي (CIA) عن براءة الحكومة السعودية قبل قانون (جاستا) بحوالي سنة ونصف السنة، انظر عن هذا: محمد السلومي، مقال بعنوان: حتى لا تكون براءة السعودية إدانة لها!، بتاريخ ٨ رمضان ١٤٣٦هـ الرابط التالي: http://bit.ly/1suMRBk

الأعداء والخصوم، ويُجسِّد هذا الاستهداف قانون (فرانك وولف) للحرية الدينية الدولية الصادر في ديسمبر ٢٠١٦م، الذي يستهدف بإجراءات إدارية عملية بعض الحكومات الأجنبية والجهات التي تنتهك الحريات الدينية -حسب مفهومهم- بأنها تُثير قلقاً خاصاً، بالرغم من كَوْن بعضهم حلفاء وأصدقاء للولايات المتحدة الأمريكية ومن بين هؤلاء السعودية، ولاسيما أن التقرير يتهمها سنوياً منذ عام ٢٠٠٤م، لكن (بند المصلحة الوطنية) للولايات المتحدة كان يُقلِّص فاعلية التقارير المتابعة وهو ما أصبح متفياً في ظل الاستراتيجيات الجديدة لأمريكا[١].

وعن التقزيم ومخاطره كتب محمد السعيدي بقوله: «ولا أشك أن هذا المشروع [التقزيم] لو نجح فإن مآلاته سوف تذهب بالبلاد إلى ما هو أشد خطراً من التقسيم وهو الفوضى اللامتناهية... مما يجعل العقول والقلوب والهِمَم متحفزة ومستجيبة لأي خطاب ثوري ينتهي بالبلاد إلى إحداث الشَّغَب ثم الفوضى، كما حصل في العراق وسوريا وليبيا، وكما كان مُخَطَّطاً لإيقاعه في مصر، وبهذا تصبح البلاد رهناً لما تريده الدُوَل العظمى من تقسيم أو احتلال، أو انتداب، أو سَم ما شئت من الحلول التي سيقترحها الأجنبي ويفرضها في الوقت الذي يريده»[٢].

---

(١) للقراءة عن مزاعم تقارير الخارجية الأمريكية يُمكن للقارئ قراءة كتاب الشيخ صالح الحصين (الحرية الدينية في السعودية)، وعن قانون (فرانك وولف) انظر: إرم نيوز، بتاريخ ٢٠ ديسمبر ٢٠١٦م، الرابط التالي:

http://www.eremnews.com/news/reports/655326.

(٢) انظر: محمد السعيدي، مقال بعنوان: محاولات تقزيم السعودية ومشروع الأيديولوجية، الموقع الرسمي للدكتور محمد بن إبراهيم السعيدي، بتاريخ ٣ أكتوبر ٢٠١٦م، الرابط التالي:
http://www.mohamadalsaidi.com/?p=5364#.V_Nis_krKUl

ومما لا يقل خطراً عمّا سبق حول السعودية استهداف أساس وحدتها، حيث محاولات تجريدها من وطنيتها الحقيقية القائمة على العقيدة والتاريخ واستبدال وطنيةٍ زائفة بها، تكون مُفرغةً من الأيديولوجيا العقدية لا تحميها كما ينبغي، بل وطنيةٌ لا تحافظ فيها على معاني الانتماء والولاء، وإلى ذلك أشار صالح الحصين في سياق نُصحه وتوجيهه لمن يعنيهم أمر صياغة المفهوم الصحيح للوطنية، وفيها قال عن خصوصية السعودية من حيث كونها بلاد الحرمين، حيث الرابطة القوية القائمة على الكتاب والسُّنة: «إن هذه الخصوصية للمكان أمر يَجْمعُ بين المواطنين فيه، ويُوجِد بينهم أقوى رابطة وأمْتَنها، رابطة تستند إلى الشرع والمنطق والواقع التاريخي، ولا أتصور وجود رابطة بين المواطنين في أي بلد آخر تشبه هذه الرابطة في قوتها ومتانتها ورسوخها»[١].

ومما يؤكد استهداف السعودية محاولات تأجيج الصراع فيها جرَّاء بعض العمليات الإرهابية المتكررة من شيعة المنطقة الشرقية بالسعودية وتصعيد الانشقاق علماً أن السعودية تكافح الإرهاب في أي جزء منها على حدٍّ سواء، كما عبَّرت عن ذلك الكاتبة إحسان الفقيه بقولها: «شيعة المملكة لا يتعاملون باعتبارهم مواطنين سعوديين، ولا يدينون بالولاء لتلك البلاد، إنما ولاؤهم لإيران كشأن الشيعة في العالم، والذين تجمعهم ولاية الفقيه، لذلك ينظرون دائماً وخاصة في المنطقة الشرقية والقطيف، إلى الحكومة السعودية على أنهم أعداءٌ، مُحتلّون»[٢].

---

(١) انظر: صالح الحصين، مقال بعنوان: أساس وحدتنا الوطنية، بتاريخ ٥ نوفمبر ٢٠١٢م، الرابط التالي: http://rowaq.org/?p=341.

(٢) انظر: صحيفة شؤون خليجية، بتاريخ ١/ ٦/ ٢٠١٥م، الرابط التالي: http://goo.gl/ftKQwN. وانظر بتصرف: كتاب (الحراك الشيعي في السعودية تسييس المذهب ومذهبة السياسة)، لمؤلفيه: بدر الإبراهيم، ومحمد الصادق.

وقد تم في مرَّات عِدَّة ضبط أسلحة بخلايا إرهابية شيعية وإرهابيين مطلوبين، وذلك في أماكن سكنهم ومزارعهم كما هو مذكورٌ في المواقع الإخبارية الرسمية السعودية[١]، والتحركات الشيعية السرية والعلنية لشيعة السعودية والكويت والبحرين وغيرها تُؤكد زيف الوطنية التي تتغنى بها هذه الأقليات وأنها لا تعدو أن تكون شعارات برَّاقةً زائفة لكسب الوقت، كما أنها تُسقط كثيراً من مفاهيم الوطنية المُستوردة التي تستبعدُ العقيدة والأيديولوجيا عاملاً مُوحداً للمجتمعات الإسلامية.

ويبقى أن دعوات إيران بتدويل الحرمين الشريفين، أو أحلام السيطرة عليهما مما يؤجج الصراع في المنطقة، بل إن إيران اعتبرت أن انقلاب الحوثيين على الحكومة اليمنية وسيطرتهم على اليمن وجيشه ومؤسساته مقدمةٌ وبوابةٌ لغزو الحرمين حسب تصريحاتهم الواردة في أكثر من موضع إخباري[٢]، ويأتي إقحام السعودية بالحرب الاستنزافية في اليمن التي بدأت منذ تاريخ ٥ جمادى الثانية ١٤٣٦هـ، الموافق (٢٦ مارس ٢٠١٥م)، ولا زالت حتى بداية عام ١٤٣٨هـ، ولا يلوح في الأفق نهاية لها لتشتعل معها فيما بعد -حسب المؤشرات- الجبهة الشمالية للجزيرة العربية في اقتحام إيران للكويت وللسعودية من الأراضي العراقية، وإرباك المنطقة ربما بهجراتٍ منظمة من مرتزقة أفريقيا الشيعة أو من شيعة أفغانستان وباكستان وغيرهما.

---

(١) انظر على سبيل المثال: جريدة الرياض، بتاريخ ٧ أكتوبر ٢٠١٥م، الرابط التالي:
http://www.alriyadh.com/1088942

(٢) انظر: مجلة الدستور اللندنية، العدد ٢٩٧، بتاريخ ١ أغسطس ١٩٨٣م الموافق (٢١ شوال ١٤٠٣هـ)، الرابط التالي:
https://pbs.twimg.com/media/BB2kfQwCUAAaaD6.jpg

وقد نشرت مجلة الدستور اللندنية في ١ أغسطس ١٩٨٣م، الموافق (٢١ شوال ١٤٠٣هـ) وعلى ظهر غلافها صورة الخُميني وخلاصة وصيته وحلمه: «عندما تنتهي الحرب مع العراق، علينا أن نبدأ حرباً أخرى... أحلم أن يرفرف علمنا فوق عمّان والرياض ودمشق والقاهرة والكويت»[1]، وقد كان هذا الحلم مثار سخريةٍ من بعض حكومات ودول المنطقة!!!

ويُضاف إلى ما سبق عن صراع المنطقة استصحاب ارتفاع حالات التوتر الإيراني السعودي في العلاقات بين البلدين مما يزيد من حِدَّة الصراع، حيث أعلنت السعودية على لسان وزير خارجيتها قطع علاقاتها السياسية والاقتصادية مع النظام الإيراني بتاريخ ٢٣/ ٣/ ١٤٣٧هـ ومما جاء فيه: «والمملكة تعلن عن قطع علاقاتها الدبلوماسية مع إيران، وتطلب مغادرة جميع أفراد البعثة الدبلوماسية الإيرانية (السفارة - القنصلية - المكاتب التابعة لها) خلال ٤٨ ساعة، وقد تم استدعاء السفير الإيراني لإبلاغه بذلك، وطلبها مغادرة جميع أفراد البعثة الدبلوماسية الإيرانية (السفارة - القنصلية - المكاتب التابعة لها) خلال ٤٨ ساعة، جاء ذلك خلال مؤتمر صحفي عقده وزير الخارجية السعودي بالرياض، وذلك بعد الاعتداء الذي تعرضت له السفارة السعودية في طهران وقنصليتها في مشهد، وقال: «طلبنا من البعثة الدبلوماسية الإيرانية مغادرة البلاد خلال ٤٨ ساعة»»[2].

---

(١) انظر: عن تصريحات بعضهم المؤشر الرابع (التدخل الإيراني في اليمن) في هذا المبحث.

(٢) انظر: صحيفة الرياض، العدد ١٧٣٥٩، بتاريخ ٢٣ ربيع الأول ١٤٣٧هـ الرابط التالي: http://www.alriyadh.com/1116040

وعن استشراف المستقبل ستتعرض السعودية سياسياً وثقافياً مع هذا الوضع الإيراني العدواني إلى مزيدٍ من الضغوطات الغربية والأمريكية بأكثر من السابق مع محاولاتٍ مستمرة باستدعاء بعض الأحداث التاريخية وتضخيم بعضها، وذلك باستحضار بعض الجهود الدعوية والأعمال الإنسانية الإغاثية والدعوية التاريخية السابقة للدولة السعودية والضغط السياسي بهدف إضعاف مصادر قوتها الذاتية المعنوية في رسالتها الإسلامية وحقوقها الإنسانية والدولية، من خلال التضييق على ممارسة حقها في دعم أنشطتها الخارجية الخيرية.

إضافةً إلى محاولات أممية دولية وإقليمية لتصنيف الدور العسكري السعودي في اليمن في حرب عاصفة الحزم والتحالف الدولي المُصاحب (جريمة حرب)، وقد يتطور ذلك إلى الحصار ومنع بيع السلاح أو النوعي منه كما حدث مع العراق سابقاً وغيرها لتبقى الحرب اليمنية مثل حروب المنطقة استنزافاً للقوة السياسية والاقتصادية للدولة السعودية وغيرها من دول الخليج.

كما أن الضغوطات سوف تتجاوز إلى تجريم المنهج السائد فيها كمصدر قوةٍ في العقيدة القتالية وأساسٍ قوي لوحدتها السياسية، وربما يكون هذا التجريم بقوانين دوليةً أممية! وبالرغم من أهلية السعودية الدينية والاقتصادية في خدمة الحرمين ونهج السلام مع دول العالم وخدمة الحجاج، إلا أنه مع أجواء الاستهداف العالمي ومحاولات الإقصاء الإقليمي للدور السعودي سوف تنشط دعوات التدويل للحرمين من خصوم الدولة والمنهج، وستَستغل بعض

الدول السُّنية وشعوبها بعض الأنظمة السعودية التنظيمية التي تحتاج إلى إعادة نظر سعودي سريع مثل الاستمرار في تحديد نسب الحجاج (الكوتا)، أو بعض الرسوم المبالغ بها عن العمرة والحج الصادرة من الحكومة أو الشركات.

والسعودية كغيرها من دول المنطقة ليست بمعزلٍ عن مشروع برنارد لويس التقسيمي للمنطقة بأكملها، وذلك باستثمار ما سبق بالتدخلات الدولية والإقليمية، إضافة إلى استغلال جنوح بعض الأقليات وانشقاقها عن الثقافة الأم، وكذلك بمزاعم حماية النفط ومصادر الطاقة العالمية التي تحتويها الأراضي السعودية.

وفي المقابل ففي ظل هذه المخاوف والصراعات والحروب شَكَّلت السعودية تحالفاً دولياً إسلامياً بتاريخ ٤ ربيع الأول ١٤٣٧هـ الموافق (١٥ ديسمبر ٢٠١٥م) ضم ٣٤ دولة، وفي البيان الصادر بهذا الخصوص ورد في صحيفة الرياض ما يلي: «والتزاماً بالأحكام الواردة في ميثاق الأمم المتحدة وميثاق منظمة التعاون الإسلامي والمواثيق الدولية الأخرى الرامية إلى القضاء على الإرهاب، وتأكيداً على حق الدول في الدفاع عن النفس وفقاً لمقاصد ومبادئ القانون الدولي وميثاق الأمم المتحدة، وانطلاقاً من أحكام اتفاقية منظمة التعاون الإسلامي لمكافحة الإرهاب بجميع أشكاله ومظاهره والقضاء على أهدافه ومسبباته، وأداءً لواجب حماية الأمة من شرور كل الجماعات والتنظيمات الإرهابية المسلحة أياً كان مذهبها وتسميتها والتي تعيث في الأرض قتلاً وفساداً، وتهدف إلى ترويع الآمنين.

فقد قررت الدول الواردة أسماؤها في هذا البيان تشكيل تحالف

عسكري لمحاربة الإرهاب بقيادة المملكة العربية السعودية، وأن يتم في مدينة الرياض تأسيس مركز عمليات مشتركة لتنسيق ودعم العمليات العسكرية لمحاربة الإرهاب»[1].

ولم يُعلن في بيان هذا التحالف ما يمنحه قوةً أكثر، حيث أهمية وجود الاستراتيجية والمشروع القائم على الأساس الأيديولوجي السياسي لهذا التحالف.

وفي إطار مقاومة الصراع المتزايد الذي يحيط بالمنطقة أعلنت المملكة العربية السعودية بتاريخ ١٨/ ٣/ ١٤٣٧هـ، عن ولادة مجلس التعاون الاستراتيجي السعودي التركي حسب المؤتمر الصحفي بالرياض الذي عقده وزير الخارجية السعودي مع نظيره التركي، وفيه قال وزير الخارجية السعودي: «إن مجلس التعاون الاستراتيجي بين البلدين سيهتم بأمور عديدة بما فيها المجالات الأمنية والعسكرية والسياسية والاقتصادية والتجارية والاستثمارية والطاقة والتعليم والشؤون الثقافية والطب وغيرها من المجالات»[2].

ووفقاً لوسائل الإعلام التركية فإن البلدين قطعا شوطاً طويلاً من التنسيق والتعاون في توحيد المواقف على مستوى السياسات الأمنية والاقتصادية والاستراتيجية، ولم يصدُر حول هذا المجلس بيان مشترك.

---

(١) انظر: صحيفة الرياض، العدد ١٧٣٤٠، بتاريخ ٤ ربيع الأول ١٤٣٧هـ الموافق (١٥ ديسمبر ٢٠١٥م)، الرابط التالي:
http://www.alriyadh.com/1110002

(٢) انظر: موقع (BBC) (بي، بي، سي)، الرابط التالي:
http://www.bbc.com/arabic/middleeast/2015/12/151230_saudi_king_turkey_al-jubayr_erdogan

وهذا التعاون الاستراتيجي بين تركيا والسعودية -كما يراه كثير من المراقبين- يُعد خطوةً في الاتجاه الصحيح، بل هو الخيار الحتمي للبلدين والشعبين، وستكون قوته السياسية والعسكرية في مدى مصداقيته وتفعيله من الطرفين بخطوات وبرامج عملية تنفيذية سياسية وعسكرية، حيث العدو المشترك لكلتا الدولتين، وحيث إمكانية التكامل العسكري والاقتصادي بينهما، وتتأكد قوة هذا المجلس كلما كان له أساس سياسي أيديولوجي، حيث مقتضيات المرحلة وما فيها من صراعٍ عقدي.

ويأتي في المقابل كذلك مدى إدراك صاحب القرار السياسي لحجم المؤامرة على مصادرة القوة المعنوية للدولة بعقيدتها ودينها وتشريعاتها الإسلامية ورسالتها الإسلامية المعتدلة.

أما على المستوى الخارجي فالسعودية بهذا الواقع ستكون أحوج ما تكون إليه إعادة تعزيز قوة أذرعتها الخارجية التعليمية والدعوية والإغاثية بقوةٍ تتكافأ مع حجم التحديات الجديدة، إضافةً إلى أهمية التجنيد التطوعي في مواجهة الحشود والجُيوش المعادية، وكذلك المبادرة بالإصلاح السياسي الذي يتواكب مع المرحلة، ويُضاف إلى ما سبق تجاوز عقدة الإسلام السياسي وعقدة الإسلاموية في التعاون والشراكات باستثمار هذه الفُرص في القوة الداخلية والخارجية كما فعل الملك فيصل -رحمه الله-، فالحياة السياسية مصالح مشتركة ومنافع متبادلة، ومعظم ذلك من الأوراق السياسية التي يُمكن لها أن تُبلور قوةً مؤثِّرةً في المعادلات السياسية في المنطقة، والتي لازالت تمتلك المؤهلات التي تساعدها في الوصول إلى العالم الأول والتأثير فيه.

وفي المقابل كذلك فإن القوة الإيرانية ربما ستكون ضعيفة إلى حدٍّ كبير حينما تعمل السعودية بأوراقها الأيديولوجية السياسية وتقوية علاقاتها مع الشعوب والجماعات والأقليات المُسلمة حول العالم حيث المليار ونصف المليار مسلم، وحيث لا يمكن أن تفرض الطائفة الشيعية أجندتها على عموم الأمة المسلمة، وهذا ما يتطلب من السعودية ودول الخليج الاستحضار القوي عن طبيعة التنافسية والصراع مع الغرب ومع إيران بوضع خاص وأنها أكبر من كونها جوانب عسكرية فحسب، بل هي في أصلها مواجهة فكرية ثقافية وتاريخية، كما سماها الباحث المغربي المهدي المنجرة في كتابه (الحرب الحضارية الأولى)! وهذا ما يفرض تجنيد القوى الإسلامية مع القوة السعودية والخليجية، والمبادرة العملية بمصداقية وسرعةٍ تكون على مستوى المرحلة بالعمل في الاستقطاب السُّنِّي للجماعات الإسلامية والجمعيات الإقليمية والدولية، وعلى مستوى المنح الطلابية من أنحاء العالم وغير ذلك من وسائل القوة الأيديولوجية.

المؤشر السادس/ التدخل الروسي في سوريا:

مما يُعدُّ من مؤشرات الصراع التدخل العسكري الروسي الموصوف بأنه الأجنبي الأضخم في سوريا وبأسلحةٍ عابرةٍ للقارات، وذلك في نهاية عام ٢٠١٥م، ويصحب هذا اتفاقياتٍ روسيةً إيرانيةً، واتفاقيةً أخرى روسيةً مع الكيان الصهيوني المحتل لفلسطين حسب بعض التقارير الإعلامية، إضافةً إلى الموقف الغربي المُريب! وأقل ما كُتب عن هذا التدخل من تحليلات سياسية أن فيه توريطاً لروسيا في المستنقع السوري طويل الأجل، وهذا مما يُعدُّ مؤشراً لصراع طويل وعنيف قادمٍ على المنطقة بأكملها، وتتأكد خطورته كونه لا يُستبعد

منه استهداف تركيا في الأمد القريب والبعيد إن لم يكن من الأهداف الرئيسة لهذا التدخل وما يترتب على ذلك من مخاطر قد تستدعي مستقبلاً تدخل حلف الناتو بحكم عضوية تركيا فيه.

والتدخل الروسي في سوريا مُهددٌ كذلك للسعودية بحكم وجودها ضمن بعض التحالفات الدولية الغربية المناوئة لروسيا، كما أن رسالة الحرمين الإسلامية المؤرِّقة لمتعصبي روسيا ليست غائبةً في الصراع، حيث ارتباط مسلمي روسيا والجمهوريات الإسلامية بالحرمين الشريفين حاضرٌ في المشهد السياسي، واستدعاء الأرثوذكسية المتعصبة في الديانة النصرانية مما يُعقِّد القضية ويزيد من أمدها! ويؤكد هذا ما كشفت عنه التصريحات الروسية بدعم الأقليات المتنوعة في المنطقة واستغلال أيديولوجياتها، فحسب تصريح وزير الخارجية الروسي سيرغي لافروف الذي أكد فيه -مثل غيره- أن الصراع هو مع الإسلام السُّنِّي ودوله وشعوبه، وقد عبَّر الوزير عن هذا بقوله: «إن الصراع يدور في المنطقة كلها، وإذا سقط النظام الحالي في سوريا فستنبثق رغبة قوية، وتُمارَسُ ضغوط هائلة من جانب بعض بلدان المنطقة من أجل إقامة نظام سُنِّي في سوريا، ولا تراودني أي شكوك بهذا الصدد.. ويقلقنا في هذا الوضع مصير المسيحيين، وهناك أقليات أخرى كالأكراد والعلويين وكذلك الدروز»[1]!

---

(١) انظر: جريدة الشرق الأوسط، العدد ١٢١٦٨، بتاريخ يوم الخميس ٢٨ ربيع الثاني ١٤٣٣هـ الموافق (٢٢ مارس ٢٠١٢م)، الرابط التالي:

http://archive.aawsat.com/details.asp?section=4&issueno=12168&article=669143#.Vhyiz_lVhBc

وكرر لافروف هذه التصريحات عدة مرات، ومنها في (حوار لقناة روسيا اليوم الإنجليزية، صحيفة نيويورك، بتاريخ ٢٩/ ٠٩/ ٢٠١٥م)، والحوار منشور كاملاً على موقع وزارة الخارجية الروسية، الرابط التالي: http://goo.gl/7hob4e.

وبهذا يفترض لافروف أن الإسلام السُّني سيلغي هوية الآخر! ولعل هذا نابعٌ من طبيعة حياتهم هم مع الآخرين، وليس من فهم التاريخ الإسلامي المملوء بأخبار التعايش، بل والحماية للأقليات من غير المسلمين.

فالدوافع الدينية الأرثوذكسية بهذا التصريح وغيره حاضرة بقوة لدى الحكومة الروسية، ولاسيما مع المحاولات الروسية القوية لإيقاظ الهوية الدينية السابقة لها، ولذلك فالدور الجديد للكنيسة الأرثوذكسية الروسية وجهودها العملية الجادة لإعادة صياغة الهوية النصرانية الروسية للوقوف أمام الثقافات والأيديولوجيات الأخرى وعلى رأسها الإسلام مما جعل الحكومة الروسية ترى أن من مواجهة المد الإسلامي في الداخل الروسي هذا الغزو الجديد لسوريا.

ويُضاف إلى هذا أن الإسلام يُعدُّ منافساً قوياً للمحاولات الروسية في العودة للهوية الروسية السابقة قبل الهوية الشيوعية، وما فيها من الطقوس والأعياد والمناسبات الدينية النصرانية بما في ذلك الصوم النصراني وهو ما يؤكده الاطلاع على الصحافة الروسية اليومية الإلكترونية وغيرها.

وللتأكيد على هذا فمظاهر هذه العودة للهوية الروسية النصرانية بعد فشل الشيوعية كهوية لروسيا واضحةٌ من خلال تشكيل لجان رسمية تعمل منذ سنة ٢٠٠٨م، ثم توسعت هذه اللجان وتجذَّر دورها في عام ٢٠١١م لتنصير كثيرٍ من مظاهر الحياة في روسيا، وذلك في

القانون والأسرة والمجتمع والثقافة وفي المظاهر العامة[1]، ومن أهمية إعادة هذه الهوية الدينية أن بلغت ميزانية الكنيسة وحدها ما يفوق ميزانية وزارتي التعليم والتعليم العالي مجتمعتين[2]. واعتماد الحكومة الروسية في بداية صيف ٢٠١٢م لمشروع بناء (٢٠٠) مئتي كنيسة في موسكو وحدها مؤشر لما سبق[3]، بينما لم يُسمح للمسلمين بعد هذه

---

(١) انظر: على سبيل المثال لا الحصر صحيفة كومسومولسكايا برافدا، بتاريخ ٠١/ ٠٢/ ٢٠٠٨م، (أندريه ريابتسوف: الثقافة الأرثوذكسية أصبحت مادة إجبارية بالمدارس) الرابط التالي: http://m.kp.ru/daily/24041/98824/، وصحيفة ترود، بتاريخ ٠٩/ ١٠/ ٢٠١٢م، (حول التعليم الإجباري للثقافة النصرانية الأرثوذكسية لمسلمي تتارستان)/ الرابط التالي: http://goo.gl/aT5o2e، وصحيفة البرافدا، بتاريخ ٠١/ ٠٧/ ٢٠١٥م، الرابط التالي: http://goo.gl/JnIMTF.

(٢) ويُضاف إلى هذا الدعم منح الأوقاف والأملاك الهائلة من الحكومة الروسية للكنيسة في إطار الدعم الرسمي لها، أو في إطار إعادة أملاكها التي انتزعت منها خلال الفترة الشيوعية؛ فالدعم الإضافي لميزانية التسيير الإداري فقط! -للكنيسة الأرثوذكسية من خزينة الدولة- بلغت قيمته رسمياً حسب جميع المنشورات الرسمية لعام ٢٠١٥م حوالي (٢ مليار روبل)، بينما يبلغ الدخل السنوي للهياكل الكنسية الأرثوذكسية الروسية ما يزيد عن (٥٠٠ مليون دولار/ نصف مليار دولار) حسب مقال الأكاديمي الروسي نيكولاي ميتروخين: (ميزانية الكنيسة الأرثوذكسية الروسية)، في صحيفة جورنالني زال، بتاريخ ١١/ ٠٢/ ٢٠١٥م، الرابط التالي: http://magazines.russ.ru/oz/2001/1/mitr.html، وحسب صحيفة صدى موسكو، بتاريخ ٢٨/ ١١/ ٢٠١٤م، الرابط التالي: http://echo.msk.ru/news/1445316-echo.html.

(٣) الرقم القطعي المصرح به رسمياً هو ٢٠٠ كنيسة، وبعض المصادر الرسمية تجعله بين (٢٥٠ و٣٠٠ كنيسة)، بينما تشير مصادر أخرى إلى أنه أكثر من ٣٠٠ كنيسة جديدة سيتم بناؤها في موسكو وحدها، عدا عن بناء كنائس أخرى في مناطق تمركز المسلمين في روسيا، انظر: النائب البرلماني فلاديمير ريسين: برنامج بناء ٢٠٠ كنيسة بموسكو تم اعتماده، صحيفة روسيسكايا غازيتا، بتاريخ ١٤/ ١١/ ٢٠١٣م، الرابط التالي: http://m.rg.ru/2013/11/14/resin.html واقرأ على الصفحة الروسية من موقع (BBC.COM-١٠/ ٠٧/ ٢٠١٥م)، مقالاً هاماً بعنوان: (مواطنون ضد نشطاء الأرثوذكسية: هل تحتاج روسيا كنائس جديدة؟)، الرابط التالي: http://www.bbc.com/russian/society/2015/07/150709_new_churches_conflicts.

القوانين أن يبنوا مسجداً جديداً واحداً بعد المساجد الأربعة القديمة في موسكو -باستثناء تجديد مسجد موسكو المركزي-؛ بالرغم من أن المسلمين في تزايد كبير، وبالرغم من توفر تمويل مشروعات بناء المساجد الجاهزة مخططاتها الهندسية، والتي هي على طاولة الجهات الرسمية ولم يُسمح بالبدء بها.

لقد أصبح الروس يسابقون واشنطن في صناعة الصراع بأرض الإسلام والمسلمين في استباحة أرضهم ودينهم وحقوقهم لتحقيق أهدافهم الاستراتيجية، ومنها بناء قواعدهم العسكرية في الشام، وتحديداً في سوريا بأهداف أوسع من القضية السورية، ويظهر أن روسيا إضافةً إلى صراعها السياسي مع الغرب أُصيبت بعدوى الخوف من الإسلام (Islamophobia) بما لا يقل عن خوف الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا، ولاسيما أن المسلمين في روسيا يُشكلون حوالي (١٥) خمسة عشر مليوناً في القوقاز، وهي الأقاليم أو الدول المُحتلَّة من روسيا التي لم تحصل على الاستقلال، مثل داغستان والشيشان وأنغوشيا وغيرها، إضافةً إلى (١٥) خمسة عشر مليوناً من التتار، وحوالي (٥٠) خمسون مليوناً يسكنون الجمهوريات المستقلة، مثل أوزبكستان وطاجكستان وكازاخستان وغيرها، إضافةً إلى أن ثورات الربيع العربي -كما تُسمى- تُمثل بالرغم من إخفاقاتها المؤقتة مرحلةً جديدة لوعي الأمة العربية والإسلامية مع يقظتها الدينية التي تربطها بالمسلمين والأقليات المسلمة في أنحاء المعمورة.

ويأتي في سياق الخوف الروسي من الإسلام بمنهجه الصحيح تبني مؤتمر جروزني المريب في الشيشان بتاريخ (٢٥-٢٧ أغسطس ٢٠١٦م) وهو محاولة روسية في اختطاف قوة الإسلام في روسيا

وغيرها، وذلك بتشويه صورة منهج أهل السُّنة والجماعة في فهم الإسلام الصحيح، وما في ذلك من تمزيق لوحدة المسلمين الفكرية وصناعةٍ للانقسام بين مذاهب أهل السُّنَّة والجماعة وتياراتهم المتنوعة، مع محاولاتٍ لتمكين الجماعات الصوفية المنحرفة وفِرَق الخرافة والكلامية وتحالفها مع الأحزاب العلمانية التغريبية ومع خُطط واستراتيجيات الاحتلال الجديد للمنطقة بصفةٍ مباشرة أو غير مباشرة!

ويُضاف إلى ما سبق أن الخوف الروسي يزداد من المجموعات الجهادية القادمة من آسيا الوسطى والقوقاز وروسيا والتي لها حضورٌ قوي في الساحة السورية، وهناك قلقٌ رسمي روسي من رجوعهم إلى بلدانهم بأفكار جهادية -حسب رأيهم-.

وهذه الاعتبارات الدينية لدى روسيا لا تُقلل من أهمية صراعها السياسي الكبير مع الغرب على الهيمنة والنفوذ العالمي، كما أن هذه الاعتبارات الدينية لا تتجاهل المصالح السياسية والاقتصادية لروسيا الاتحادية في هذا التدخل العسكري بسوريا، والتي لها وزنها الكبير في أهداف هذا التدخل.

وتزداد مخاطر الصراع في المنطقة حينما تتغول روسيا وتطمع بما هو أكثر، حيث إنها بهذا التدخل في سوريا تُعدُّ منتصرةً سياسياً ولو لم يكن الانتصار العسكري، فقد يدفعها هذا الغرور إلى التدخل في اليمن لتحقيق مكاسب سياسية أكثر في صراعها مع الغرب، ولاسيما حينما تصل روسيا إلى باب المندب أو الشراكة في السيطرة عليه كما

تُشير إلى ذلك بعض الأخبار[1]، وتزداد الخطورة بالاستفراد الروسي في سوريا من خلال مناوراتها السياسية مع السعودية والخليج في تحييدهما عن التدخل المؤثر بالشأن السوري، مقايضةً بعدم التدخل الروسي القوي بالشأن اليمني!

وإذا كانت الضربات الروسية على سوريا انطلاقاً من قاعدة (همدان العسكرية) الإيرانية في أغسطس من عام ٢٠١٦م مما يُعدُّ مؤشراً في هزيمة روسيا العسكرية في سوريا، إلا أنها من جانب آخر مما يُعدُّ من التدخل الروسي بصفةٍ أكثر في شؤون المنطقة[2]، وفي الوقت ذاته فإن هذه الضربات من هذه القاعدة الإيرانية مما يُعدُّ مؤشراً لتعاون إيراني روسي أكثر.

وتكشف الأحداث السياسية بهذه التدخلات الأجنبية الخطر الكبير المحدق بسوريا، فالحرب في سوريا التي دخلت عامها السادس وبدون أي بوادر في الحسم العسكري أو الحل السياسي أسفرت عن كوارث خطيرة تتعلق بتغيير الديموغرافية السكانية ووحدة الأراضي السورية، حيث تُشير الإحصائيات إلى مقتل مئات الآلاف من السُّنة وما يُماثلهم تقريباً في سجون النظام السوري، كما أن حروب التصفيات والتهجير تُشير في يناير ٢٠١٦م إلى أن خمسة ملايين هُجِّروا من ديارهم خارج الأراضي السورية[3]، وما يُماثلهم

---

(١) انظر: عن التدخل الروسي في باب المندب واليمن موضوع المؤشر السابع في هذا الكتاب، تحت عنوان: (التدخل الروسي في اليمن).

(٢) انظر: الجزيرة نت، بتاريخ ١٦ أغسطس ٢٠١٦م، الرابط التالي:
http://bit.ly/2buPtuv.

(٣) انظر: صحيفة الحياة، بتاريخ ٢٦ يناير ٢٠١٦م، الرابط التالي:
http://bit.ly/2aHgqLW.

أو أكثر داخل الأراضي السورية من المُهجرين من مدنهم وقُراهم، وهو تهجيرٌ مبرمجٌ وممنهج لتغيير الديموغرافية السكانية لسوريا، وقد اتضحت هذه السياسات في كثيرٍ من المحافظات السورية وريف دمشق، حيث تم تدمير مُعظم حِمص وتهجير كثيرٍ من أهلها، وكذلك حلب التي تتعرض للإبادة والتهجير والإحلال الشيعي، إضافةً إلى قتل وتشريد وتهجير كثير من أهالي ريف دمشق، حيث دوما ومضايا وداريا وغيرها كثير، كما أن مشروع التقسيم للأراضي السورية بدأ واضحاً بانفصال الأكراد السوريين بكيان مستقل، وكذلك حماية الساحل السوري بالروس وقاعدتهم العسكرية لتحقيق هدف إقامة الدولة العلوية الخاصة بالنظام النُّصيري السوري وأعوانه.

لكن في المقابل فإن روسيا وإن انتصرت سياسياً وربما اقتصادياً في تأسيس قواعدها العسكرية في سوريا وفرض علاقتها السياسية ومبيعاتها العسكرية التي زادت بعد هذا التدخل، إلا أن أمام روسيا تحديات سياسية وعسكرية في هذا، ومن ذلك أن هزيمة من سبقها إلى الساحة السورية من ميليشيات لبنانية شيعية وعراقية وأفغانية وإيرانية إضافةً إلى جيش النظام السوري كل ذلك مما يُرجح الهزيمة العسكرية الروسية المستقبلية، حيث أرض المعركة السورية ليست بأرضها، ولم تستفد من الدرس الأفغاني الذي أسهم بسقوط الاتحاد السوفيتي بعد أن كلَّفه عشرات الآلاف من القتلى، ولم يدعمه وجود الحدود الجغرافية المشتركة مع أفغانستان آنذاك، أو وجود حزبٍ شيوعيٍ في الداخل الأفغاني زمن الحرب، ولا قوة الآلة العسكريَة السوفيتِية آنذاك، أو إمدادات حلف وارسو العسكرية!

وكذلك في المقابل فإن روسيا حسب مؤشرات التاريخ وإن انتصرت مرحلياً إلا أنها ستحظى بهزائم عسكرية فيها بعد، إضافةً إلى أن حروبها في المنطقة وسوريا تحديداً ستكون حروب استنزافٍ مستمر لهم ولأعوانهم، حيث الشعب السوري الأبيّ المقاوم والمجاهد، وحيث المجموعات الجهادية التي هزمت النظام وأعوانه على مدى حوالي ست سنوات مضت، وهذه المقاومة إن لم تنتصر في العاجل فإنها سوف تُطيل أمد المعركة مع الروس -على أقل تقدير- الذين ظنوا بأنهم سيحسمونها بأسابيعٍ أو أشهرٍ معدودة! وقد يكون الرهان الروسي خاسراً في الاعتماد على المقاتلين الإيرانيين في الحرب الميدانية بحكم الخسائر البشرية والاقتصادية الكبيرة لإيران في سوريا تحديداً قبل مجيء الروس وبعده، إضافةً إلى المخاطر المحتملة من عمليات انتقام مسلمي روسيا الاتحادية والجمهوريات الإسلامية من حكومة روسيا في ظل هذا التصعيد العسكري الروسي في البلاد الإسلامية، كما أن تحديات التنافس الروسي الغربي ومخاطر مستقبل الصراع الدولي على مناطق النفوذ يُمثّل خطورةً أخرى على مُستقبل روسيا السياسي والعسكري ويؤدي بها إلى الانشغال عنه، وقد تكون أرض الشام مقبرةً للغزاة الروس وغيرهم، وهذا الواقع مما يفرض الصراع والحروب في المنطقة.

المؤشر السابع/ التدخل الروسي في اليمن:

كتب الأستاذ عبد الله المفلح في وقتٍ مبكر مقالاً في أوائل عام ٢٠١٦م، حَذَّرَ فيه من تدخلٍ روسي عسكريٍ في اليمن بعد التخاذل العربي الخليجي والتركي تجاه نُصرة المقاومة السورية، وما كتبه المفلح

مما يُعدُّ من الاستشراف المستقبلي للمخاطر المحدقة بالمنطقة، وفيه قال: «الروس وجدوا فراغاً مفيداً، نظراً لخلافات داعمي الثوار [في سوريا] واستقطاباتهم وتوجسهم من بعضهم، فأخذ الروس زمام المبادرة، وفرضوا رؤيتهم للحل في سوريا، وهو الحل الذي لن يكون في صالح السعودية أو تركيا أو قطر».

«فأمن الخليج لم يعد أولوية أمريكية، فأولوية الحكومة الأمريكية اليوم، هي الوقوف في وجه تمدد المارد الصيني. ولذا فأمريكا لا تريد توسيخ يديها في سوريا، فأوكلت تلك المهمة إلى روسيا، وكي تخرج أيضاً ولو بشكل مسرحي مكشوف لتقول لدول الخليج: (لقد قلت لكم: إن عليكم أن تتحركوا، لكنكم لم تفعلوا، وها هي روسيا قد تدخلت!)، يبدو أن الثلاثي السعودية وتركيا وقطر يدرك أن أمريكا لم تعد حليفاً موثوقاً، لكنه لا يعرف ماذا يفعل بهذا الصدد!؟».

«قد يقول قائلٌ: ما مصلحة روسيا في التدخل في اليمن؟ الجواب: مصالح روسيا في اليمن أكثر بكثير من مصالحها في سوريا، التي تنحصر في قاعدتها العسكرية. في اليمن تستطيع روسيا إغلاق باب المندب، وتستطيع الضغط على السعودية لرفع أسعار النفط التي يئن الاقتصاد الروسي تحت وطأة انخفاضها، وتستطيع الضغط للحصول على صفقات عسكرية حقيقية بمئات المليارات، بل وتستطيع أيضاً الحصول على صفقة ممتازة من حليفتها إيران، بعد رفع التجميد عن أرصدتها»[1].

---

(١) انظر: عبد الله المفلح، مقال بعنوان: قبل أن تصل السوخوي الروسية إلى اليمن!، صحيفة شؤون خليجية الإلكترونية، بتاريخ ٣ فبراير ٢٠١٦م، الرابط التالي:
http://alkhaleejaffairs.info/c-32141

ولذلك فإن ما سبق سيُعدُّ من الانتصار السياسي الروسي في المنطقة، حيث بدأ هذا الانتصار يظهر واضحاً في ميادين العلاقات السياسية والاقتصادية الدولية لروسيا، ولاسيما في ظل بعض ما يُمكن اعتباره حماقات أو سياسات أمريكية من التخلي عن تحالفاتها السابقة مع دول الخليج التي أصبحت في المنظور الأمريكي غير مؤهلة في ميزان القوة في الشراكة الإقليمية، ومن هذه الاستراتيجيات الدعم الأمريكي القوي للنظام الإيراني العدواني، وحماقات الكيد المستمر لتركيا في دعم الأقلية الكردية، ودعم محاولات الانقلاب على الحكومة التركية كما هو واضحٌ في كثيرٍ من التصريحات والتحليلات السياسية التركية بعد المحاولة الانقلابية في ١٥ يوليو ٢٠١٦م.

ويُضاف إلى ما سبق عن التدخل الروسي في اليمن الضَعْفُ في اتخاذ القرار السيادي والمتردد تجاه دعم المقاومة السورية بأسلحةٍ نوعية من قِبل الدول المعنية وعلى رأسها تركيا والسعودية وقطر حسب التحالفات فيما بينها، كما أن الاستراتيجيات الجديدة للسياسة الأمريكية والغربية خَدَمَت إلى حدٍ كبير انتصار روسيا السياسي أو تمددها في المنطقة، ومن هذا الانتصار أن تضاعفت المبيعات وصفقات السلاح الروسي أكثر من السابق لدول المنطقة، واقتربت روسيا من دول الخليج سياسياً واقتصادياً أكثر من السابق، كما أنها تصالحت مع تركيا أكثر من ذي قبل، وهو ما قد يُحقق رفع أسعار النفط لصالح روسيا مستقبلاً، كما أنه مما قد يُحسِّن الوضع الاقتصادي لها.

وتتأكد مؤشرات هذا التدخل الروسي في اليمن سواءً كان مُناورةً سياسيةً للضغط على السعودية ودول الخليج في التخلي عن دعم

المقاومة السورية! أو كان بدايةً لتدخلٍ حقيقيٍ في اليمن بعد أي نجاحٍ روسي في سوريا، فتحركُ الفرقاطةِ الروسيةِ من جيبوتي حسب خبر موقع حضرموت نت يُعدُّ مؤشراً خطيراً عن حروب المستقبل، وفي الخبر ورد: «أعلن الناطق الرسمي باسم أسطول المحيط الهادئ الروسي أمس الخميس أن فرقاطة (ياروسلاف مودري) الحربية الروسية غادرت ميناء جيبوتي لبدء مهمة لمكافحة القرصنة في خليج عدن، ونقلت وكالة أنباء (تاس) عن العقيد البحري مارتوف قوله: «في جيبوتي تم تحميل الإمدادات اللازمة، وتنفيذ أعمال الصيانة بها، وبدأت الفرقاطة القتالية الروسية مهمة مكافحة القرصنة في منطقة القرن الأفريقي»»[1].

لقد أصبح التدخل الروسي العسكري اللوجستي أو السياسي في اليمن سواءً كان مناورةً سياسية أو استراتيجيةً جديدة مما يُعدُّ من التصعيد الخطير في حروب المنطقة، وقد يصبح التدخل الروسي من الاستراتيجيات العالمية التي سوف تُغيِّرُ قواعد اللعبة السياسية في المنطقة، وتُربك دول الخليج سياسياً وأمنياً وعسكرياً، وهذا الواقع بالتدخل في سوريا ثم اليمن بعدها بتعقيداته وتشابكاته يُعدُّ مؤشراً كبيراً من مؤشرات إذكاء الصراع والتحضير لحروب الدمار وربما يكون الشامل.

وتزداد مخاطر الأحداث السياسية والعسكرية في المنطقة يوماً بعد يوم بعد هذا التدخل الذي سوف يُسرِّع مراحل تفتيت المنطقة، ولاسيما حينما اعترفت روسيا بـ(المجلس السياسي الأعلى اليمني) في صنعاء

---

(١) انظر: موقع حضرموت نت، بتاريخ ١٦ ذو القعدة ١٤٣٧هـ الموافق (١٩ أغسطس ٢٠١٦م)، الرابط التالي: http://bit.ly/2brObgy.

الذي أعلنه الحوثيون والمخلوع علي صالح وأشادت به روسيا من خلال تصريح القائم بأعمال السفارة الروسية باليمن أوليغ دريموف، والذي حضر مراسم تسليم رئيس اللجنة الثورية العليا للحوثيين محمد علي الحوثي للقصر الجمهوري، وتسليم إدارة شؤون الدولة إلى الرئيس الدوري لـلمجلس السياسي وذلك بتاريخ ١٤ أغسطس ٢٠١٦م[1].

كما أن هذا التدخل الروسي والدعم الغربي سيُضعف من فُرص خيارات الحل السياسي الذي كان متاحاً -إلى حدٍ كبير- لدول الخليج في السابق مع الأحزاب والتجمعات اليمنية خاصةً ذات الحس الديني والوطني، ولهذا فإن المؤشرات السياسية الإقليمية والدولية تكشف بقوة بأن مستقبل اليمن السياسي سيكون بنجاح الذراع الإيرانية في حُكم اليمن وبدعم غربي مكشوف، حيث يتكرر الطرح السياسي الأمريكي والغربي والأممي عن الحل السياسي التوافقي، ففي ٢٥ أغسطس من عامٍ ٢٠١٦م تقدم وزير الخارجية الأمريكي كيري -كالمعتاد- بتقديم حَلّه السياسي بخطة إنقاذ مشاورات السلام اليمنية المُتعثرة مُتضمنةً الاعتراف بالأقلية الحوثية، لتكون ضمن المُكوِّن السياسي اليمني وضمن حكومة الوحدة الوطنية المقترحة المستقبلية أو الحكومة التوافقية![2].

وفي هذا الحل الأمريكي المقترح يتجاهل الغرب المُتعصب أن الحوثيين لا يعدون أن يكونوا ميليشيا عسكرية قفزوا بالسلاح

---

(١) انظر: الجزيرة نت، بتاريخ ١٥ أغسطس ٢٠١٦م، الرابط التالي:
http://bit.ly/2bSgJYU.

(٢) انظر: الجزيرة نت، بتاريخ ٢٥ أغسطس ٢٠١٦م، الرابط التالي:
http://bit.ly/2ce8QtX.

والإرهاب على الحكومة اليمنية! وهذا السيناريو من الحل مشابهٌ إلى حدٍ كبير الوضع الشيعي في لبنان، حيث تم القفز على الحكومة اللبنانية، وبالتالي فإن قَبول هذا الحل والحلول المشابهة من قِبل التحالف الذي تقوده السعودية سوف يزيد من تعقيد الوضع المستقبلي لليمن، وسيكون اليمن مصدر قلقٍ واضطرابٍ لدول الخليج ودول المنطقة بصفةٍ مستمرة، وبهذا فإن استمرارية الحَرب مُشكلةٌ استنزافية لكل الأطراف، كما أن هذا الحل الغربي يُعدُّ تكريساً للأزمة وتجذيراً للدور الإيراني المستقبلي في اليمن.

والخلاصة المتوقعة لليمن أن التدخل الروسي في الشأن اليمني يُعدُّ نازلةً أخرى جديدة من نوازل هذا العصر، حيث سيكون استمرارية الصراع العسكري والسياسي في اليمن كما هي الحالة السورية تقريباً، فهذا التدخل الروسي في باب المندب، والتدخل السياسي لها بالاعتراف بالحوثيين بأحقيتهم السياسية يتوافق مع واقع السياسات الغربية المتعصبة، إضافةً إلى ما قد يترتب على ذلك من تدخلٍ جوي في الداخل اليمني وهو ما سوف يوفر الغطاء الآمن لوصول الأسلحة الإيرانية التقليدية والمتطورة إلى الحوثيين وأنصارهم من إيران وغيرها، في الوقت ذاته قد يُشكِّل هذا التدخل غطاءً بحرياً أو جوياً لجيوشٍ من المرتزقة الذين قد يُجلبون من دولٍ متعددة لصالح الحوثيين، وهو ما سيزيد من المخاطر في الداخل اليمني وعلى الحدود مع جارتها السعودية وبعض دول الخليج بأخطارٍ أكثر من السابق.

المؤشر الثامن/ التقارب الإيراني الروسي:

كشفت الساحة السياسية عن تقارب وتعاون إيراني روسي

متجدد، وقد لا يخرج عن كونه تقاطع مصالح بين الدولتين تجاه الإسلام السُّنِّي، حيث الرعب الروسي من المدّ السُّنِّي وانتشاره في آسيا الوسطى والقوقاز وعموم دول الجمهوريات الإسلامية خاصةً بعد فشل الهوية الشيوعية في حماية روسيا ذاتها وثقافتها من الإسلام، ثم ضعف الهوية الصليبية الأرثوذكسية المدعومة من حكومة روسيا للحفاظ على الهوية الروسية فيما بعد ذلك -كما سبق في المؤشر السادس- وهو ما دعا حكومة روسيا إلى البحث عن عامل مساعد للوقوف أمام المد الإسلامي بين الروس، وقد تمثل هذا العامل بالتعاون مع إيران من خلال مؤتمرات واجتماعات علنية وسرية بين النصارى الأرثوذكس ودعاة التشيع في السنوات العشر (٢٠٠٥-٢٠١٥م) كالتعاون بينهما في مؤتمر ممثلي الديانات العالمية في موسكو في يناير ٢٠٠٦م، والمؤتمر السنوي لحوار الحضارات في روسيا وخارجها[١]، والتعاون الكبير بين المستشارية الثقافية الإيرانية بموسكو، وكذلك إيران مُمَثلة بالمركز الوطني لأبحاث العولمة ووزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي الإيراني من جهة، ومعهد الثقافات ومعهد الخدمات الحكومية التابعين لوزارة الثقافة الروسية من جهة أخرى، وغير ذلك من صور التعاون، إضافة إلى الدعم السياسي من حكومات الدولتين الروسية والإيرانية، وكثيرٌ من هذه الصور من التعاون تكشف بوضوح بأنها موجهة ضد المدِّ السُّنِّي الكبير داخل روسيا وما

---

(١) بدأ هذا المؤتمر في الانعقاد رسمياً منذ سنة ٢٠٠٤م؛ حيث انعقد بتاريخ ٢٦-٢٧/ ٠٤/ ٢٠٠٤م بموسكو، تحت عنوان: (المسيحية والإسلام: قضايا العولمة في ضوء العقائد الدينية والثقافات)، يراجع أرشيف (أبريل ٢٠٠٤م) من الموقع الرسمي للبطريركية الأرثوذكسية الروسية، الرابط التالي:

https://mospat.ru/archive/2004/04/6828/.

يجاورها من أقاليم ودول، وهو تعاون يهدف لتمكين إيران من تحويل الشعوب السُّنِّية للتشيع في روسيا ودول الجمهوريات الإسلامية[1]، كما يهدف إلى إرباك التمدد الإسلامي بين الروس الأصليين الذين يعتنقون الإسلام بأعداد كبيرة؛ فإذا رأى هؤلاء الروس تناقضات الصراع الشيعي السُّنِّي وأنه مظهرٌ عامٌّ للحالة الإسلامية -كما يسميها الروس- فإن هذا مما يدعو إلى التشكيك في الإسلام والتراجع عن اعتناقه والإيمان به، فلا يأسرهم بريقه أو تُغريهم قِيَمه ومحاسنه!

وتجدر الإشارة هنا إلى أن مثل هذا التقارب أو التعاون في هذه الحوارات الدينية والثقافية الروسية الإيرانية يُستخدم لغايات سياسية، بل إن هذه الحوارات تَعدُّ أداةً من الأدوات السياسية الخارجية للبلدين[2].

ويؤكد ما سبق تصريح رئيس اللوبي الإيراني في واشنطن تريتا بارسي الذي أكد على طبيعة الدور الإيراني الحالي والقادم في المنطقة بقوله: «إن المفاوضات بين الغرب وإيران كانت منذ البداية جيو سياسية تحت شعار الملف النووي، وأن ما يجري هو ولادة شرق أوسط جديد»[3]!!!

---

(١) انظر: موقع البينة، الرابط التالي: http://www.albainah.net/index.aspx?functio n=Item&id=16336&lang، وخلال فترة صدور هذا المقال تم إنشاء أول موقع لتشييع مسلمي روسيا بشكل احترافي كبير، وقد استهل الموقع دعايته بمقال عنوانه: (علماء أهل السُّنَّة الذين اعتنقوا التشيع!!)؛ الرابط التالي:

http://arsh313.com/sunnitskie-uchyonye-prinyavshie-shiizm/

(٢) انظر بتصرف عن توظيف الدين والحوارات الدينية في تحقيق أهداف سياسية على مستوى المفاهيم والقضايا، للدكتور سامر رضوان أبو رمان، الأبعاد السياسية للحوار بين الأديان - الحوار الإسلامي المسيحي نموذجاً، ط١، عمان: دار كنوز المعرفة، ٢٠١٥م، ص٧٢.

(٣) انظر: موقع ترك برس، بتاريخ ١٣ يوليو ٢٠١٥م، الرابط التالي:

http://www.turkpress.co/node/10456.

وبالتالي فإيران التي انكشفت بهذا التآمر والتعاون والتحالفات أكثر من ذي قبل في خِضم هذه الأحداث قد وضعت نفسها يداً تنفيذيةً للصراع ودولةً وظيفيةً للغرب والشرق على حدٍ سواء في صناعة الفوضى في العالم الإسلامي، خاصة بعد الاتفاق الغربي الإيراني حول المفاعلات النووية الإيرانية وما صَحِب هذا الاتفاق من بنود صريحة عن التزام إيران بحرب ما يُسمى (الإرهاب)! وتلا هذا التقارب الإيراني الروسي التعاون العسكري الميداني في سوريا كذلك -كما سبق-، بالرغم من بعض الاختلافات في الاستراتيجيات والأيديولوجيات بين الدولتين، ويبقى أن هذا التقارب مؤشرٌ يدعم حالات الصراع في المنطقة حتى مع الاختلاف الاستراتيجي بين الدولتين.

المؤشر التاسع/ الدعم الصيني للصراع:

يؤكد هذا الدعم الصيني في صراع المنطقة تدخله، بل ومشروعيته لدى الصين حينما صرَّح وزير الخارجية الصيني فانغ تشي خلال اجتماع مجلس الأمن حول سوريا، قائلاً: «لا يمكن للعالم أن يسمح لنفسه بأن يبقى متفرجاً ومكتوف الأيدي تجاه ما يجري في سوريا، ويجب عليه ألا يتصرف بطريقة غير منطقية تجاه ما يجري من أحداث تضرب الإنسانية في الصميم»[1].

ويُعدُّ الدعم الصيني الذي سبق تدخل روسيا الاتحادية وتلاه في الشأن السوري بطريقة غير مباشرة عاملاً يُطيل أمد الصراع ويُذكي

(١) انظر: جريدة الشرق الأوسط، العدد ١٣٤٧٧، بتاريخ ٩ محرم ١٤٣٧هـ (٢٢ أكتوبر ٢٠١٥م)، الرابط التالي: http://bit.ly/2kGqREc.

الحروب، وقد برز هذا الدعم بالتصويت الصيني الدائم بحق الرفض (الفيتو) مع روسيا بصفة مستمرة في مجلس الأمن في أي موضوع يتعلق بسوريا، ولاسيما أن هذا الموقف الصيني يأتي في ظل تنافر صيني أمريكي حول ملفات متعددة بين الطرفين، وفشلٍ في التقارب بينهما إلى حدٍّ يُمثِّل خطورةً في الصراع، وقد يكون هذا التدخل الصيني غير المباشر لتقاطع المصالح السياسية والاقتصادية للصين مع روسيا ضد واشنطن، مع عدم استبعاد عداوة حكومة الصين للإسلام بمنهجه السُّنِّي، حيث إن مسلمي الأيغور وإقليم سنكيانغ من الصينيين مصدر خطرٍ مستقبلي على وحدة الصين -كما يزعمون-، ولاسيما مع وجود أعدادٍ من الجهاديين الصينيين الوافدين إلى سوريا، وفي ظل بعض الأصوات الانفصالية في عددٍ من الأقاليم الصينية المسلمة.

ويبقى أن هذا التحالف الصيني مع الروس في الشأن السوري، وما صحبه من دعم عسكري لروسيا في تدخلها العسكري في الشأن السوري مؤشراً لصراع أوسع مكانياً وأطول زمانياً، والتحالفات في أحيانٍ كثيرة جزءٌ من المشكلة أو تفاقمها، والتي لا تخدم الحل السلمي أو السياسي في شيء.

المؤشر العاشر/ تركيا والاستهداف:

مما يُعدُّ من مؤشرات صناعة الصراع في المنطقة استهداف تركيا بالحروب والمؤامرات المتنوعة والتفجيرات المتلاحقة، ويلاحظ أن تركيا أفلتت عبر سنوات مضت في نجاحها باستثمارها للعبة الديمقراطية في ملاعبها الخاصة بها، حيث استفادت من اللعبة حينما استخدمتها بطريقةٍ صحيحةٍ جعلها لاعباً دولياً رئيساً في المنطقة، وقد

فوّتت بذلك كثيراً من المؤامرات وتجاوزت بديمقراطيتها كثيراً من التحديات، وصاحب هذا النجاح السياسي نجاحٌ آخر اقتصاديٌ منافس ليصبح هذا الواقع التركي بنجاحاته من مصادر القلق بشكلٍ أكبر للغرب المتعصب والشرق المعادي على حدٍ سواء.

ومن المؤكد أن التجربة الديمقراطية التركية الناجحة لدولة إسلامية تُعدُّ مصدر قلقٍ لمتعصبي الغرب وحكوماته، كما عبَّر عن ذلك ديفيد هيرست بعد محاولة الانقلاب التركي الفاشل بتاريخ ١٥ يوليو ٢٠١٦م[١].

ويُعزِّز ما سبق عن القلق الغربي ما عبَّر عنه المفكر الأمريكي نعوم تشومسكي حول واقع الغرب المتعصب ومواقفه من الدولة التركية قائلاً: «فالنموذج التركي لم يعد مُرحَّباً به، وصارت أمريكا في حيرة من هذه التجربة»[٢]، كما أن تشومسكي نفسه يؤيد مبدأ توماس فيرغسون عن حقيقة الديمقراطية الغربية المصلحية الفاسدة! خلافاً لديمقراطية تركيا الناضجة! كما وصفها، وعن الديمقراطية قال: «الانتخابات مناسباتٌ يلتحم فيها جماعات من المستثمرين للسيطرة على الدولة باختيار مهندسي السياسة الذين سيخدمون مصالحهم»[٣]، كما أن هذا القلق يُساور إيران والحكومة السورية وروسيا والكيان

---

(١) انظر: عن قول ديفيد هيرست الصريح والواضح ما ورد في هذا الكتاب تحت عنوان: (المؤامرة بين الرفض والقبول).

(٢) انظر: مجلة المجتمع، بتاريخ ٢٣ أبريل ٢٠١٦م، الرابط التالي:
http://mugtama.com/hot-files/item/33221-2016-04-23-17-50-27.html

(٣) انظر: نعوم تشومسكي، من يمتلك العالم؟ ترجمة أسعد حسين، دمشق: دار نينوى، ١٤٣٥هـ (٢٠١٤م)، ص٧٨، وانظر كلام ديفيد هيرست في المقارنة بين الديمقراطيتين تحت عنوان: (المؤامرة بين الرفض والقبول) في هذا الكتاب من المبحث الخامس.

الصهيوني على حدٍ سواء من النجاح السياسي التركي بالديمقراطية الناضجة والقوة الاقتصادية الصاعدة، بالرغم من بعض تحالفات المصالح!

ولهذا وغيره من الاعتبارات يأتي تأجيج الصراعات القائمة على دعم الأقليات وحركاتهم الانفصالية داخل تركيا مثل مخططات فصل لواء الإسكندرون الذي يقطنه نُصيريون، الذي يأمل فيه أعداء تركيا الموحَّدة ضَم الإقليم للدولة النصيرية المقترحة للعلويين في الأراضي الساحلية السورية مع الحدود التركية، ومن المحاولات المعادية لوحدة تركيا الدعم الغربي للحركات الكردية السياسية والعسكرية في الجنوب الشرقي لتركيا المتمثلة بالحزب الديمقراطي الكردي، وحزب العمال الكردستاني للانضمام مع أكراد سوريا أو العراق أو كليهما لتحقيق مشروع تكوين الدويلات الطائفية في المنطقة، وتفتيت وحدة تركيا من خلال اللعب الدولي بهذه الأقليات الكردية السورية أو العراقية أو التركية، والتي أصبحت تعمل بشكلٍ مكشوفٍ ودعم غربي في محاولات الانفصال والتكوُّن المستقل عن أوطانها السابقةَ لتصبح مصدر قلقٍ أمنيٍّ وعسكريٍّ مستمرٍّ لتركيا وللمنطقة.

ويتأكد استهداف تركيا في إدخالها حلبة الصراع والنزاع بتوريطها عسكرياً واستهدافها سياسياً واستنزافها اقتصادياً بسبب كونها الأب الروحي للمسلمين في آسيا الوسطى والقوقاز، كما هي الأب الروحي للمسلمين في بلاد البلقان، وحيث دورها التاريخي الموحِّد للمسلمين خصوصاً في آخر خلافة لهم، كما أنه لا يمكن إغفال الموروث التاريخي لدى الروس، حيث فتح العثمانيون القسطنطينية

٨٥٧هـ عاصمة الكنيسة الأرثوذكسية، وتحولت كنيسة أيا صوفيا الأرثوذكسية إلى مسجد أو متحف، ويُعدُّ هذا مع غيره من مصادر القلق الروسي، إضافةً لكونها عضواً في حلف الناتو الذي هو الآخر عدو لروسيا. ويبقى أن هذا الاستهداف الروسي والغربي لتركيا وسيادتها قائم ومستمر ليكون في الوقت ذاته من عوامل الصراع في المنطقة ومؤشراته.

وقد عبَّر الكاتب أحمد موفق زيدان عن خطر التدخل الروسي في سوريا على تركيا، وأنها مستهدفةٌ فيه بدرجةٍ رئيسة عاجلاً أم آجلاً، حينما قال: «وهنا على تركيا أن تعي أن الانتشار الروسي ليس موجهاً إلى أبطال الشام فحسب، فطبيعة الانتشار الروسي وحجمه وتوسعته يشير إلى أن الأمر أبعد من الشام، وإلا فما الداعي إلى أنظمة مضادات جوية متنقلة، وطائرات متطورة وتوسيع مطارات إن لم يكن المقصود به تركيا بالدرجة الأولى، وهنا على تركيا أن تتبنى المشروع الشامي وليس فقط الاكتفاء بدعمه وتأكيدها على أن المهاجرين السوريين ضيوف، وعلينا مساعدتهم وضيافتهم»[1].

ويُلاحظ من خلال ما سبق أن تركيا اسْتهدفت -ولازالت- دولياً وإقليمياً في معظم فترات الأزمة السورية بمحاولة سحبها ودفعها إلى المُستنقع السوري وتحدياته، كما اسْتهدفت بالتفجيرات الإرهابية المتابعة في أنطاكيا وأنقرة وإسطنبول وغيرها -ولازالت-، إضافةً إلى محاولات الأكراد للانفصال التي أصبحت مصدر قلقٍ للوحدة التركية في الشرق التركي، ولاسيما في ظل دعمٍ أمريكي مكشوف

(١) انظر: أحمد موفق زيدان، مقال بعنوان: الشام التي وحدت الغرب والشرق عليها، صحيفة العرب، الرابط التالي: http://t.co/Cljgjxi22d.

للأقليات الكردية في العراق وسوريا وتركيا جميعاً، كما أن تركيا مستهدفةٌ في التغيير الديموغرافي السُكاني من السُّنة على حدودها الجنوبية مع الموصل، حيث معارك الموصل العراقية الإيرانية في شهر أكتوبر من عام ٢٠١٦م وما بعده بغرض التوطين الشيعي مع الحدود التركية.

وقد انكشف هذا الاستهداف لتركيا بصفةٍ أكبر من السابق من خلال محاولة الانقلاب الفاشلة في ١٥ يوليو ٢٠١٦م، والتي -حسب الأحداث- لن تَسْلَم فيه تركيا من ارتدادات زلزاله فيما بعد خاصةً في جوانب استمرار التفجيرات الداخلية والمشاكل الأمنية، ولكنها -فيما يبدو- ستبقى ارتدادات فقط على الجانب الأمني دون السياسي حسب مؤشرات قوة الحكومة التركية الداخلية والخارجية التي اكتسبتها -ولا تزال- بعد المحاولة الانقلابية الفاشلة، كما أن أعداء وحدة تركيا وقوتها سيعملون بصفةٍ مستمرةٍ على محاولات إضعاف اقتصادها وعملتها النقدية.

وفي حالة كان التصالح بين روسيا وتركيا، أو عودة العلاقات السياسية والاقتصادية بينهما، وكذلك الحال في العلاقات فيما بين تركيا من جهة وبين إيران كبلدٍ موازٍ ومنافس من جهةٍ أخرى، ومثل هذا عن العلاقات الدبلوماسية بين تركيا والكيان الصهيوني، وهو ما حدث بالفعل من تركيا مع الدول سابقة الذكر ولاسيما بعد محاولة الانقلاب الفاشلة، فإن هذه العلاقات التي تلت الانقلاب الفاشل لا تعدو أن تكون تصالحاً على المصالح، وتفويتاً لرهان الغرب المتعصب حول استثماره لأزمة العلاقات التركية مع روسيا وإيران والكيان

الصهيوني، إضافةً إلى أنه دفعٌ تركيٌّ لمخاطر أكبر على وحدة تركيا وكيانها السياسي كما هي رؤيتها السياسية المُعلنة.

والحقيقة التاريخية تقول: إن هذا التصالح لا يمكن أن يكون استراتيجيةً طويلة الأجل والمدى مع هذه الدول سابقة الذكر لاعتبارات تاريخية ودينية، كما أن مستقبل تركيا مع الاتحاد الأوروبي لن يكون توافقياً فإن لم تَخْرج تركيا من هذا الاتحاد فسوف تُرفض منه، كما أن التوقعات المستقبلية تُعطي مؤشرات كُبرى لخروج تركيا من حلف الناتو، نظراً لكثير من الاعتبارات والتي من أبرزها الاعتبارات التاريخية والدينية، وتُتوِّجها النزعة الاستقلالية السيادية لدى تركيا.

ومن المؤكد أن هذه التصالحات مع تلك الدول أو عودة العلاقات ستدفع بعض مخاطر الحروب والصراع إلى أجلٍ مُسمًّى أو تؤجلها، لكنها لن تدفع الحروب أو الصراع الكبير الذي يُراد بالمنطقة ومنها تركيا المستهدفة بشكلٍ كبير، ولاسيما في حالة نجاح التغيير الديموغرافي في حلب والموصل، وهو ما سيُعرِّض الوحدة التركية للخطر الكبير والزلزال السياسي غير المسبوق وإن تأخر بعض الوقت، ولاسيما أن هذا التغيير السُكاني مما يُعدُّ مقدمةً استعماريةً جديدة يكون فيه للدويلات الطائفية في المنطقة نفوذ، وربما يكون في ظل هذه الأجواء مطالبات عالية الصوت من النُّصيريين في جنوب تركيا للانفصال أو للاتحاد مع الدولة النصيرية في سوريا فيما بعد التغيير الديموغرافي الذي قد يُمهد لتدخلات القوى الكُبرى والأمم المتحدة في إجراء التصويت لهذا الانفصال أو الاتحاد، وكذا الحال مع أكراد تركيا، وفي كلِّ مآلات ما سبق تقسيمٌ لبعض تركيا ومحاولاتٍ لإضعافها.

ويبقى القول: إن تركيا حينما تتجاوز هذه التحديات وتُفشل بعض المؤامرات إلا أن أمامها تحدياً تاريخياً ليس باليسير مرتبط بمعاهدة (لوزان ١٩٢٣م)[1] التي كَبَّلت تركيا الحديثة إلى حدٍّ كبير حوالي مئة عام من توقيعها، فهل ستكون نهاية المعاهدة سبباً رئيسياً لحرب عالمية جديدة كالحرب الأوروبية العالمية الأولى التي برَّرت الجناية على تركيا من أعدائها وخصومها؟ أو هل سيكون المارد التركي الصاعد في سيادته السياسية والاقتصادية هو بذاته سبباً لحربٍ عالميةٍ جديدة لإعادة معاهدةٍ أخرى تُحجِّم تركيا! وبالتالي يكون تحجيم سواها من دول العالم الإسلامي السُّني تباعاً؟! الإجابة على هذه التساؤلات الكبيرة من الصعوبة بمكان؛ لأن أعضاء النادي النووي من الأقوياء يعملون على حروبٍ عالمية تُعيد رسم الحدود والمشاهد السياسية من جديد! ومن المؤكد أن التاريخ سيُجيب عن ذلك خلال المتبقي من سنوات المعاهدة السابقة، حيث سبع السنوات القادمة التي تنتهي بها اتفاقية (لوزان) وما فيها من الاستعباد الدولي لقوة تركيا.

وفي المقابل فحسب المؤشرات السياسية لتركيا -إن هي تجاوزت هذه التحديات السابقة- فإنها ستصبح القوة الإقليمية الثالثة مع كلٍّ من الكيان الصهيوني وإيران، ولاسيما بعد انتصارها على الانقلابيين وأنصارهم -السابق ذكره- من القوى الإقليمية والدولية المعادية والمتآمرة على تركيا ووحدتها، إضافةً إلى أن تركيا اكتسبت قوةً ومناعةً داخلية إلى حدٍ كبير بعد العمل على تطهير مؤسساتها العسكرية والأمنية والقضائية والتعليمية والإعلامية من خطر خصوم الحكومة

---

(١) انظر عن: تفاصيل معاهدة لوزان وبنودها الاستعمارية بحق السيادة التركية، الجزيرة نت، بتاريخ ٢١/ ٨/ ٢٠١٦م، الرابط التالي: http://bit.ly/2fazlu5

التركية من داخلها، خاصةً من التنظيم الموازي الذي يُعدُّ العمود الفقري للانقلابيين، والذي طالما كان هذا التنظيم وتغلغله في أجهزة الدولة عامل اهتزازٍ وضعفٍ للحكومة التركية في قراراتها الداخلية وسيادتها السياسية الخارجية.

ومع هذا وذاك فمما يزيد من القوة السياسية الإقليمية والدولية لتركيا أن لديها استراتيجية واضحة ورؤية قوية في تعزيز أذرعتها الخارجية التعليمية والثقافية والإغاثية في أنحاء العالم، ولاسيما إن عملت بها أكثر من السابق، حيث وكالة التنسيق والتعاون الدولية التركية (تيكا) العاملة على تعزيز الثقافة العثمانية الإسلامية عبر مكاتبها وأنشطتها في ٣٧ دولة في العالم، والمتأملُ في أغلب ذلك أو بعضه يدرك أهمية وجود المشروع السياسي الأيديولوجي الخارجي لأي دولة تريد أن تحمي نفسها وتُعزِّز ثقافتها خارجياً، كما هو حال دول العالم التي تحترم سيادتها وقوَّتها وثقافتها وهويتها الفكرية، فدولة بلا مشروع عالمي قوامه التدخل المشروع في الدول الأخرى يُعدُّ في الدبلوماسيَة الحَديثة وميزان القوى العالمية من الدول التي تُعرِّض نفسها للاحتضار والزوال، ولذلك فمن المتوقع لتركيا بعد تجاوز الزلزال الانقلابي وتداعياته وتنامي الاستقرار السياسي والاقتصادي أن تُعزِّز قوة تواجدها الثقافي العالمي لتكتسب بذلك سياسةً خارجيةً أقوى.

وسوف يتعاظم هذا الدور التركي حينما تعمل تركيا بسياسة التجنيد أو التطوع لمقاومة العدوان ولاسيما في ظل تنامي ولاء عموم الشعب التركي لحكومته، خاصةً في أجواء تنوع المؤامرات الأجنبية

وتعددها على تركيا سياسياً وأمنياً واقتصادياً، كما أن ما سيُعزِّز قوة تركيا العمل بسياسة التوطين والتجنيس للسوريين من أهل السُّنة في الجنوب التركي كمشروع استراتيجي يُوازي حجم التحديات القادمة، إن هي عملت بذلك دون تردد أو تخوُّفٍ وحذر، وهذا مما سيُساعد على إجهاض المؤامرات المستقبلية حول ديموغرافية إقليم الإسكندرون وطائفة النُّصيرية فيه، وتركيا بهذا الحق السيادي سوف تكتسب قوةً أكثر، وتتجاوز بهذا كثيراً من المخاطر المستقبلية! كما أن تركيا ستكون أقوى حينما تُدرك بوضوح أن الخطر الشيعي عليها أشد بكثير من الخطر الكُردي السُّني، بل وأشد من خطر داعش المؤقتة في اللعبة السياسية العالمية، ولاسيما حينما تُدرك جيداً أن إشغالها في حروب ما يسمى الإرهاب مما يَصدق عليه وصف (اللعبة الكُبرى) استنزافٌ لها عسكرياً واقتصادياً عن معركتها الحقيقية، وهو ما يتطلب وِفق هذا الإدراك العمل باستقلالية وسيادية بعيداً عن التردد والحذر.

وفي سياق القوة المستقبلية لتركيا والرؤية المستقبلية لبعض دول العالم وللمنطقة فإن جورج فريدمان المحلل الأمريكي الشهير في كتابه (المئة عام القادمة) الصادر عام ٢٠٠٩م؛ أشار فيه إلى توقعاته المستقبلية، والتي تُعزِّزُ معظم ما ذُكر في هذا المؤشر.

حيث يرى أن الدور التركي القوي هو القادم في المنطقة حسب قوله، ولذلك سوف تتعرض تركيا إلى ضغوطاتٍ ومؤامراتٍ غير مسبوقة نظراً للخوف من هذه القوة الصاعدة لها سياسياً واقتصادياً وعسكرياً، ومما ورد في كتاب جورج فريدمان عن هذا الدور القوي المتوقع ما لَخَّصه أو جمعه عنه الكاتب محمد إلهامي، قائلاً: «يقرّر

فريدمان أن الأتراك هم من سيستفيدون واقعياً من هذا التمزق الحاصل في المنطقة العربية، وسيكون هذا عاملاً من عوامل صعود القوة التركية، التي ستجد نفسها عملياً قائدة للعالم الإسلامي»[1].

كما برَّرَ الكاتب نقلاً عن فريدمان كيف ستكون تركيا قوةً مستقبليةً صاعدة بقوله: «تعتمد تركيا في بزوغ قوتها على عدد من أسباب القوة؛ فتركيا التي حقّقت المركز السابع عشر ضمن الاقتصاد العالمي سيستمر نمو اقتصادها بثبات حتى يصير ضمن أقوى عشر اقتصاديات في العالم، كما أن موقع تركيا الجغرافي من أهم أسباب قوتها إذ يجعلها متصلة بالعالم العربي وإيران والقوقاز وأوروبا، كذلك فإن الأتراك كانوا تاريخياً قادة للعالم الإسلامي، ثم إن الجيش التركي هو أقوى جيوش المنطقة، لكن التمدد الحقيقي للأتراك سيكون بعد فشل الروس في استعادة دور الاتحاد السوفيتي... وفي هذا السياق ستقدم تركيا نفسها للعرب باعتبارها زعيمة لتحالف إسلامي لمواجهة الهيمنة الأمريكية»[2].

المؤشر الحادي عشر/ الصراع العالمي الخفي والمعلن:

ورد في كتاب (الخليج في سياق استراتيجي متغير) ما يُؤكد هذا الصراع الدولي الخفي والمعلن، ويتأكد في ظل عدم استمرار دور القوى الدولية الكبرى في الحفاظ على أمن الخليج ولاسيما مع عدم

---

(١) انظر: محمد إلهامي، مقال بعنوان: تركيا في توقعات جورج فريدمان، موقع تركيا بوست، بتاريخ ٦ يناير ٢٠١٦م، الرابط التالي:

http://www.turkey-post.net/p-101772/

(٢) انظر: المرجع السابق، وانظر عن: النص المتفرق بلغته الإنجليزية في الصفحات التالية من كتاب جورج فريدمان (George Friedman)، المائة عام القادمة (*THE NEXT 100 YEARS*)، ٢٠٠٩م، ص٧،٤٩،٦٦،٢١٣.

توفر الأمن الذاتي الخليجي، وفيه: «ترافقت التطورات الإقليمية، مع مستجدات نوعية على الصعيد الدولي، وذلك من خلال بروز مؤشرات متزايدة على وجود تحول في توجهات وأولويات السياسة الخارجية الأميركية خلال العقد المقبل لجهة تركيز الاهتمام بدرجة أكبر على منطقة آسيا والمحيط الهادي، بالنظر إلى التوتر الذي شهدته شبه الجزيرة الكورية خلال الأشهر الأولى من العام ٢٠١٣م ومن أجل مواجهة تصاعد الدور الصيني المنافس للهيمنة الأمريكية عالمياً وآسيوياً...، ومن المرجح أن يستمر دور القوى الدولية الكبرى في الحفاظ على أمن الخليج على المدى القصير والمتوسط؛ وذلك نظراً لعدم توفر الأمن الذاتي أو الاستقرار الإقليمي، ولو أن هذا الوجود يمكن أن يمثل بأنماط أخرى؛ لتحاشي الحساسية الشعبية والإقليمية الناجمة عن تواجد قوى أجنبية على أرض المنطقة»[١].

وإذا ما أُخذ بعين الاعتبار ملخص ما دَوَّنه الدكتور إيرل تيلفورد -حسب رأيه- في ورقته البحثية التي قدمها لمركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية أن الولايات المتحدة الأمريكية ترزح تحت كمٍّ متزايد من الديْن الوطني الذي يُقوِّض اقتصادها وقيمة دولارهاً، فإن انهيار الاقتصاد الأمريكي سيؤثر بالضرورة في قدرتها على التحرك الفوري والسريع لقوتها العسكرية، ومع هذا الواقع لا توجد قوةٌ واحدة قادرةٌ على أن تحل مكان الولايات المتحدة كقوةٍ عُظمى مهيمنة، فأوروبا لاتزال ممزقة وغير مبالية بأي دورٍ أوسع لها، في حين أن الصين من المرجح أن تفرض نفسها فقط

---

(١) انظر: الخليج في سياق استراتيجي متغير، مجموعة من الباحثين، مركز الجزيرة للدراسات، ١٤٣٥هـ (٢٠١٤م)، ص٣٠٤،١٣.

في بعض المناطق في جوارها الجغرافي تحديداً، وبالتالي فإن الانتقال من عالمٍ أحادي القطبية تُهيْمن عليه قوةٌ عظمى واحدة إلى عالمٍ متعدد الأقطابِ سيكون مضطرباً على الأرجح، والنتيجة: عالمٌ أخطر ومتاعب لا يسهل حلها، خاصةً حول أمريكا والمخاطر المستقبلية من أفول قوتها العظمى أو ضعفها[1].

وما سبق يُؤكد على أن الصراع يتجدد بلافتات متعددة بين الغرب والشرق بعد سقوط الشيوعية، ويُعدُّ هذا من مؤشرات الصراع الدولي المعاصر، فالصراع الخفي والمعلن عالمياً ظاهرٌ وواضح، ولاسيما بين روسيا الاتحادية والصين ومعظم دول أمريكا الجنوبية من جهة، وبين الولايات المتحدة الأمريكية ودول أوروبا من جهة أخرى حول السيادة السياسية والهيمنة الاقتصادية في العالم، حيث هذا الصراع من أبرز المواد والأخبار الإعلامية السياسية المتكررة يومياً.

والعالم العربي والإسلامي ودول الخليج ليست بمعزل عن مصالح الدول الكُبرى وصراعاتها الدولية، بل أصبحت ساحاتها أرضيةً خصبةً للمشاريع الاستعمارية والسياسات الدولية الكبرى، وتقوم في أحيان كثيرة على المقاضاة والمقاصة فيما بين هذه الدول ومصالحها.

بل إن الصراع العالمي بدأ بصورةٍ أوضح من السابق حول كثيرٍ من المفاهيم عن الإنسانية والسلام العالمي، وهو ما قد يؤدي إلى صراعٍ أوسع من المفاهيم، ففي هذا الواقع المتجدد تتضاعف المخاطر

---

(١) انظر: التطورات الاستراتيجية العالمية - رؤية استشرافية، مجموعة من الباحثين، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ص١٣.

حينما يستخدم أطراف الصراع أو بعضهم الأديان والأيديولوجيات كما هو الحال والواقع لدى كثيرٍ من دول العالم، وساحات الصراعات الأيديولوجية خير شاهدٍ على ذلك في فلسطين وأفغانستان والعراق وسوريا واليمن وغيرها.

وهذا المناخ المشحون بالتدخلات الأجنبية بشتى صورها وإن كان ظاهره أنه تدخل للحفاظ على الأمن أو القيم الديمقراطية والإنسانية!! إلا أن هذا التدخل مما يصنع الاحتقان لدى كثيرٍ من الشعوب، فالتدخل الأجنبي مما يُغذِّي الصراعات الفكرية والمسلَحة كما حدث للعراق بعد التدخل الأمريكي فيه، وهو صراع مرشحٌ لمساحاتٍ أوسع ودولٍ أكثر خاصةً دول الخليج العربي المستهدف إدخالها حلبة الصراع ودمويته بحروب طائفية لا تُبقي ولا تذر.

المؤشر الثاني عشر/ المنافسة الصينية الغربية:

الراصد للتحركات الصينية السياسية والاقتصادية يُدرك بلا شك منافسة الصين للغرب، وهو مما يُعدُّ من مؤشرات الصراع المعاصر والمستقبلي، كما أنه مما يُعدُّ من مؤشرات سقوط النظام الدولي وهيمنته أو ضعفه، ومن ذلك أن الصين أنشأت البنك الدولي الصيني الآسيوي (AIIB - أيه.آي.آي.بي) عام ٢٠١٤م، بانضمام وشراكةٍ روسيةٍ قوية، وحوالي ستين دولة بما فيها بعض الدول الأوروبية وانضمام لدولٍ جديدة بصفةٍ مستمرة، ويُعد هذا البنك منافساً للبنك الدولي الَغربي وصندوق النقد الدولي، حيث إنه يَحُدُّ بشكلٍ كبير من الهيمنة الأمريكية على النظام المالي العالمي، بل ويُؤجِّجُ صراعات النفوذ بين مؤسسات التمويل الدولية، خاصةً البنك والصندوق

الدوليين اللذين تهيمن عليهما الولايات المتحدة، ويلاحظ أن الولايات المتحدة واليابان رفضتا المشاركة في المشروع[١].

وعلى مستوى أعمال هيئة الأمم المتحدة ومنظماتها أنشأت روسيا والصين وبعض دول أمريكا الجنوبية (المنتدى العالمي لحقوق الإنسان)؛ لينافس الأمم المتحدة ومنظماتها الإنسانية، ولاسيما بعد أن فشلت أستاذية حقوق الإنسان الغربية، وانكشف خداع الشعارات الإنسانية الغربية المزيفة لدى الشرق والغرب، خاصةً أن هذا المنتدى نجح إلى حدٍ معين في دورته الأولى في البرازيل، ثم بدورته الثانية بالمغرب عام ٢٠١٤م بحضورٍ وتمثيل من (٩٤) أربع وتسعين دولة، وهذا مما يُعد مؤشراً لتأجيج صراعات النفوذ، ولاسيما في حال استحضار بعض القناعات بأن النظام العالمي بقوانينه ومؤسساته ونظامه الاقتصادي الربوي نظام بشري قابل للسقوط في أي وقت، خاصة والأزمة المالية العالمية المتكررة والارتدادية تجتاح الاقتصاد العالمي كبيره وصغيره، وسوف تتكرر هذه الأزمة بسبب أزمة الديون السيادية الأمريكية والأوروبية بصفةٍ خاصة[٢]، مما يصنع مناخ الحروب الاقتصادية لدى بعض الدول الكبرى.

والصين بقوتها العسكرية وصعودها الاقتصادي وتقنياتها العالية المستقلة في الإنترنت والفضاء وغيره أصبحت قوةً سياسيةً جاذبةً لبعض دول المنطقة وطاردةً لبعضها الآخر من الهيمنة الأمريكية كما

---

(١) انظر: عن المنافسة الصينية في البنك الآسيوي الجديد، الروابط التالية:
http://www.alarab.co.uk/m/?id=48715، http://goo.gl/54dBE1، http://goo.gl/8Tqad8.

(٢) انظر: عن تفاقم أزمة الديون المتوقعة في كتاب: الخليج في سياق استراتيجي متغير، مجموعة من الباحثين، مركز الجزيرة للدراسات، ص١٣.

حدث من حكومة الفلبين الجديدة ٢٠١٦م على سبيل المثال، وكما هي محاولات ماليزيا وإندونيسيا وغيرهما، وهذا الواقع يُمثِّل صُداعاً مُزمناً للولايات المتحدة الأمريكية، لدرجةٍ يُفسَّر فيها انحسار الدور الأمريكي عمَّا يُسمى الشرق الأوسط من أجل التفرغ للصين وكوريا الشمالية، والتصريحات العدائية المتقاطعة بين الطرفين تُؤكد المخاوف المستقبلية في الصراع بينهما.

والصراع بهذا الواقع يتأكد أكثر، سواءً في استمرارية هيمنة القطب الواحد والملعب الواحد للعالم! أو في حال المنافسة الدولية وتعدد الملاعب وصراع النفوذ والهيمنة التي تصنع الحروب!.

المؤشر الثالث عشر/ غياب العدالة:

من معززات الرؤية عن مستقبل الصراع الدولي في العالم العربي الإسلامي تحديداً تغييب العدالة الإنسانية الدولية ولاسيما بحق الشعوب المسلمة، وسقوط ما يُسمى بالشرعية الدولية إلى حدٍ كبير، حيث تَعرَّى النظام الدولي بأذرعته المتوحشة غير العادلة، وأصبح جزءًا من المشكلة وليس من الحل في شيء، خاصة حينما فشلت إلى حدٍ كبير معظم المنظمات الأممية الإنسانية والسياسية في معالجة قضايا العالم وبالأخص أزمات العالم العربي والإسلامي، وانكشفت حقيقة قيم هذا العالم تجاه حقوق الإنسان خارج دول الغرب، وأصبح مجلس الأمن بانحيازه ضد قضايا العرب والمسلمين، وحيث حق الرفض فيه (الفيتو) أصبح عاملاً مساعداً لكثيرٍ من الانتهاكات، بل من عوامل شرْعنة الانتهاكات دولياً، والشعوب العربية والإسلامية ليست بدعاً من شعوب العالم التي تتطلع إلى العدالة وحقوقها السياسية

والإنسانية المسلوبة، وتنشد مثل غيرها الكرامة والحرية والشراكة في الحكم الرشيد لأوطانها، ولذلك تعالت الأصوات العالمية بإعادة تنظيم حق استخدام الفيتو.

ومن صور غياب العدالة الظاهرة إقصاء الشريعة الإسلامية بحق الشعوب العربية والإسلامية، وذلك بالرغم من إرادة الشعوب الإسلامية ومطالبها بالعيش في كنف شريعتها الدينية وما فيها من عدالةٍ وحقوق، فضلاً عن تدينهم الذي أشارت له العديد من دراسات الرأي العام[1]، حيث إن معظم ما يتعارض مع هذه الإرادة والسيادة ويتصادم بها مما يُعزز الصراع.

وكلما زاد مستوى انخفاض تحقيق إرادة الشعوب وحقوقها السياسية والعدالة بحقها ارتفع مستوى المطالبة بالحقوق السياسية والسيادية، بل في هذا المناخ تتكون المجموعات الإرهابية وجماعات العنف المتطرفة والباحثة عن العدالة بأي صورةٍ من الصور وما في ذلك من مخاطر على الاستقرار الأمني والسياسي إقليمياً ودولياً، وهو ما يجعلها تلجأ إلى وسائل بائسة وغير مشروعة.

ومن غياب العدالة أو تغييبها استمرار حصار القطاع الخيري الإسلامي والعمل المنظم لحجبه عن الإسهام في رفع المعاناة عن الشعوب المسلمة كحرب استراتيجية استباقية طويلة المدى، حيث تلا هذه الحرب الاستباقية أحداث وحروب العالم العربي والإسلامي،

---

(١) انظر بتصرف: دراسة للدكتور سامر رضوان أبو رمان، بعنوان: الإسلاميون والحكم... رؤية من منظور استطلاعات الرأي، عن تأييد حكم الإسلاميين وتطبيق الشريعة في عام ٢٠١١م، الرابط التالي:
http://www.fikercenter.com/ar/p/studies/view/9df8gpp.

كما ورد في الوقفة الثانية من المبحث الخامس من هذا الكتاب، ويؤكد هذه الاستراتيجية أن الحصار يزداد مع ضرورة الحاجة إلى هذا القطاع التنموي في ساحات الدول العربية والإسلامية المنكوبة، وهذا الواقع مما يكشف عن حقيقة هذا الملف، وأنه من الملفات الاستراتيجية الغربية الاستباقية التي تعمل على منع النصرة والتراحم والتعاطف بين الشعوب الإسلامية، وفي الوقت ذاته فهذا المنع للماعون مؤْذن بعقوبات وكوارث وفتن حسب السنن الربانية.

وهذا التعاطي المحلي والدولي مع هذا الملف مما يزيد من تكريس أزمة الثقة بين الحكومات والشعوب، وما يترتب على هذا من إذكاء العداوات والصراعات والكراهية لتتلازم مع صناعة السياق العام للصراع المسلح والحروب وللأحداث الدموية في المنطقة القائمة والقادمة، بل إن غياب العدالة الدولية على المستوى الإنساني والحقوقي مسهمٌ كبير في صناعة التطرف والعنف، فغيابها مما يُكوِّن المناخ الملائم لميلاد جماعات وأفراد ودول تقفز على العدالة وتزعم تحقيقها كما سبق.

يقول صالح الحصين عن بعض هذا الانتهاك المنظم للعدالة ولحقوق الإنسان وللقيم الإنسانية: «يبقى الأمر المزعج لأي شخص مهتم بحقوق الإنسان أن الإدارة الأمريكية وهي تكشف دورها في هذا الموقف المشين، مغتبطة به، لم تبال بالتناقض الصارخ بين هذا الموقف وبين ما يرتفع به ضجيجها عن: الحرية، والعدل، ودولة القانون، وحقوق الإنسان، كما لم تبال بخزي الهزيمة الأخلاقية التي تجللها وهي تدمر ظلماً وعدواناً بناءً إنسانياً خيرياً عالمياً بنته المؤسسات

الخيرية الإسلامية، ولقد وصف تقرير لجنة التحقيق في حادث ١١ سبتمبر، أحد المؤسسات الخيرية السعودية بأنها... في ذروة نشاطها كانت توجد في خمسين بلداً على الأقل تتكفل بثلاثة آلاف معلم يتنقلون إلى مواقع مختلفة لتعليم الناس الخير ونهيهم عن الشر، وتقدم الغذاء والمساعدات للمسلمين المحتاجين في جميع أنحاء العالم، وتقوم بتوزيع الكتب، وتنفق الأموال لمشاريع تأمين المياه الصالحة للشرب، وتعمل على إنشاء وتجهيز العيادات الطبية وتدير أكثر من عشرين مركزاً لرعاية الأيتام... هذا يعني أن أي تحديد لفرصة الإنسان المسلم في ممارسة البذل التطوعي للنفع العام لن يكون فقط مجرد انتهاك للحرية الشخصية والمدنية بل انتهاكاً لحق الإنسان في حرية العبادة، وحرية الضمير!!»[١].

وكما أن غياب العدالة مؤذن بمخاطرَ وخيمة على حقوق الشعوب والدول، فهو بالتالي مُهدِّد للأمن والسلام الإقليمي والدولي، ومؤشرٌ لصراعٍ أكثر دموية بين تحالفات دولية وإقليمية ستدفع فيها معظم الشعوبِ الثمن غالياً.

المؤشر الرابع عشر/ أزمة الإصلاح السياسي:

تزداد مخاطر الصراع في العالم العربي والإسلامي ودول الخليج بصفة خاصة جرَّاء التأخر الكبير للإصلاح السياسي بالرغم من دعوات الإصلاح من الداخل بشعارٍ سِلمي مضمونه الشعب يريد إصلاح النظام أكثر منه -في الغالب- بأن الشعب يريد تغيير النظام،

(١) انظر: صالح الحصين، مقال بعنوان: جهود الغرب في تحجيم البذل التطوعي الإسلامي، لماذا؟، الرابط التالي: http://goo.gl/PRVtWs.

وتزداد هذه المخاطر بأن الشراكة السياسية كحق إنساني ووطني أصبحت مطلباً مُتجدداً ومتنامياً لدى معظم الشعوب العربية ولاسيما في ظل (أزمة الشرعية السياسية) للحكومات حسب دراسة مركز كارنيغي للشرق الأوسط بهذا العنوان السابق[1]، وفي ظل غيابٍ واضح للمؤسسات غير الحكومية المعنية بالرقابة والمساءلة والمحاسبة وما يصحب ذلك من فساد إداري ومالي يصنع الاحتقان ويُخَصِّب الصراع ويحول دون تحقيق العدالة والحرية والشفافية.

ويُضاف إلى ما سبق واقع التدخلات الأمريكية والروسية والغربية التي لا تخدم الاستقرار السياسي خاصة في دعم الأقليات العلني مثل الدعم الأمريكي للأكراد وللشيعة وغيرهما، وهو ما يجعل المنطقة قابلة للاشتعال من الداخل، وتزداد المخاطر على دول المنطقة وخاصةً الدول الخليجية في ظل الضغوطات القوية عن الحقوق الديمقراطية والحقوق الإنسانية والحريات السياسية، ولاسيما مع بروز أجيال شبابية جديدة صاعدة تُشكِّل ما يزيد على ثلث السكان في معظم دول الخليج، وفي حالات كثيرة اكتسبت هذه الأجيال المعرفة والحقوق من مدارس الغرب وجامعاته، وفي الوقت ذاته فإن هذه الفئة العمرية متعلمةٌ وواعيةٌ بهذه المفاهيم الحقوقية إلى حدٍ كبير، بل إن الصراع على الحقوق سيكون من المطالب المتوقعة بدرجة كبيرة، ولاسيما في ظل الزيادة في كثرة عدد المبتعثين والدارسين من العالم العربي، وخاصة من دول الخليج العربي، وهو ما يُؤكد فرضية نهاية الحصانة السياسية أو الاستثناء في ظل انتهاء الاحتكار العلمي

---

(١) انظر: عن هذه الدراسة في مركز كارنيغي، الرابط التالي:
http://carnegie-mec.org/publications/?fa=42071

والمعرفي والتقني والإعلامي.

وفي توصيات الأبحاث والحوارات الواردة في كتاب (الخليج في سياق متغير) ما يُشخِّص شيئاً عن هذا الواقع السياسي وما فيه من مخاطر مستقبلية، كما يؤكد على ضرورة الإصلاح للحيلولة دون تحول المنطقة إلى احتقان وصراع، وفي هذه التوصيات ورد: «يجدر بدول الخليج -خاصة بعد ثورات الربيع العربي- التعاطي الإيجابي مع المتغيرات الحاصلة حولها، فكلما كان التعاطي حكيماً وهادئاً وفي توقيته المناسب؛ كان سدًّا منيعاً يَدرأُ كل تأثيرات غير مرغوبة في الحاضر والمستقبل.

التغير قادم لا محالة، وهو أمر تفرضه قوانين التاريخ، وعوامل موضوعية أخرى، ومن ثَمَّ تبدو أهمية مشاركة المواطنين في صناعة القرار كمُسلَّمة رئيسة ضمن قائمة مطالب الإصلاح السياسي... وفي ضوء التحديات الداخلية والخارجية التي تواجهها دول الخليج متشابكة يجدر بها بلورة رؤية رصينة على الصعيدين الجماعي والوطني، لترتكز على البعد المؤسساتي الرسمي، وتأخذ بعين الاعتبار توجهات وتطلعات الرأي العام على نحو يُعزز مفهوم المواطنة، ويُوسع من المشاركة الشعبية في عملية صنع القرار، وبالتالي يزيد من مصادر قوة المواقف الخليجية، ويُمكِّنها من هامش حركة ومناورة أكبر في التعامل مع القوى الإقليمية الكبرى في المنطقة»[1].

ويؤكد هذه الحقيقة أو النتيجة مرةً أُخرى الأمين العام السابق

---

(١) انظر: الخليج في سياق استراتيجي متغير، مجموعة من الباحثين، مركز الجزيرة للدراسات، ص٣٠٩.

لمجلس دول التعاون الخليجي عبد الرحمن بن حمد العطية حول أهمية استيعاب التحدي السياسي والتعاطي الجاد مع الإصلاح الذي تتطلع إليه الشعوب، بل ويُفشِل حالات صراع المنطقة وحروبها، قائلاً: «لقد تعرضت المنطقة العربية -ولا تزال- لهزات شديدة، وتحديات وظروف صعبة، من احتقان سياسي وارتباك اقتصادي وتخلف اجتماعي وتزعزع أمني، والسبب الأساس لكل هذا يعود إلى غياب الفهم الدقيق للعلاقات الوثيقة بين المشاركة السياسية والتنمية، فلا تطور ولا ازدهار ولا استقرار ولا نمو من دون أن تكون هناك علاقة مبنية على الثقة بين مختلف أطراف المجتمع، ووجود مؤسسات المجتمع المدني، وإرساء حقوق المواطنة الأساسية، ومن المعروف أن المشاركة السياسية الفاعلة أصبحت مطلباً أساسياً لتحقيق التنمية، كما أنها ضرورة حتمية من أجل بناء نسيج اجتماعي واقتصادي وسياسي، يُرسي دعائم الاستقرار والتنمية، ويُعزز الداخل لمواجهة تحديات الخارج، ويُؤسس للحاضر من أجل بناء المستقبل»[1].

ويؤكد العطية أن الأمن والاستقرار لدول المنطقة هو بتقوية الداخل بين الحكومات وشعوبها بالإصلاح السياسي، وهو الكفيل بمنع الصراعات والحروب، وتحصين المجتمعات من التهديد للكيانات السياسية من الخارج، ولاسيما في ظل الصراعات الدولية مع تطلعات الأجيال الجديدة من شباب المنطقة للحريات السياسية والكرامة والشراكة في الشأن العام، وعن ذلك قال: «إن الإصلاح بمفهومه الواسع السياسي والاجتماعي والاقتصادي والأمني،

(١) انظر: التطورات الاستراتيجية العالمية - رؤية استشرافية، مجموعة من الباحثين، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ص٣٠-٣٣.

أصبح أمراً في غاية الأهمية لإحداث التنمية المنشودة لأي مجتمع... ويتمتع الجيل الجديد من الشباب في المنطقة بقناعات بشأن دوره وأهمية مشاركته في الشأن العام، وهذا الاقتناع يختلف عما كان سائداً في أوساط الأجيال السابقة... كما أن هذا المفهوم يكتسب وجوده الجمعي من المشاركة السياسية الفاعلة في ظل مشروع حضاري إنساني متكامل الأبعاد»[1].

المؤشر الخامس عشر/ دعم الانشقاق الفكري:

يحتاح العالم العربي والإسلامي خاصةً بعد الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م دعم سياسي غربي مباشر ومساند (لوجستي) غير مسبوق خاصةً من الولايات المتحدة الأمريكية؛ لزراعة الانحراف الفكري وصناعة انشقاق الأمة فكرياً في كثيرٍ من الدول الإسلامية، وهو ما يؤدي إلى الصراع بصوره المتعددة والمتنوعة. ومن أنواع هذا التأجيج للصراع دعم المجموعات المنحرفة والطوائف المنشقة عن المنهج الإسلامي الصحيح، مثل دعم الشيعة الاثني عشرية والجماعات الصوفية المسيسة، والحركات العلمانية والليبرالية أفراداً ومجموعات، وأحزاباً سياسيةً سريةً وعلنيةً، وتُشكِّل هذه الصناعة بمجملها حركات النفاق والشقاق التي تعمل على إضعاف وحدة المسلمين وقوتهم الفكرية والثقافية من الداخل، مما يُؤدي إلى تفتيت وحدة المجتمعات الإسلامية الفكرية والثقافية، والحالة العراقية أنموذج عملي في دعم الغرب للأقلية الشيعية بتمكينهم سياسياً كافية في الاستدلال على هذه الصناعة للصراع الطائفي المسلح، واستثماره

(١) انظر: المرجع السابق.

في تمزيق الأمة وأوطانها[1].

ومن الأمثلة على تعزيز هذا الصراع دعم غلاة الصوفية وما شابهها في العالم الإسلامي بصورةٍ مباشرةٍ وغير مباشرة من خلال دعم أو تأسيس المجالس والهيئات المناوئة للمنهج السُّنِّي السائدِ في جزيرة العرب وغيرها تحت مسميات وأهداف الإسلام المعتدل! وإحلال السِلم محل الحرب والعنف! كما هي على سبيل المثال ممارسات وتصريحات ومواقف مجلس الحكماء بالإمارات العربية المتحدة[2]، وكما هو واقع بعض جماعات الصوفية المنحرفة في اليمن في دعمها للحوثيين والسياسات الإيرانية في اليمن، ووضع الحركات المشبوه يتأكد أكثر من خلال الدعم الأمريكي المكشوف لحركة فتح الله كولن في تركيا التي لم تألُ جهداً في السابق على تأكيد أهدافها بعدم الممارسة السياسية! لكنها كغيرها من الفرق الإسلامية تتعاون مع المحتل ومع أعداء وحدة الأوطان في تقويضها كما حدث في محاولة الانقلاب التركي الشهيرة بتاريخ ١٥ يوليو ٢٠١٦م.

ومما يُعدُّ من دعم الصراع في المنطقة تمكين الغرب المتعصب للتوجهات العلمانية والليبرالية المتطرفة داخل الكيانات السياسية ومجتمعاتها من خلال تمكينهم في الإعلام والتعليم والمراكز البحثية التي تصنع الصراع الفكري داخل العالم الإسلامي والعمل على

---

(١) انظر: عن توظيف وتجنيد الأقليات والحروب الفكرية في صناعة الصراع، في المبحث الثالث من هذا الكتاب. تحت عنوان: (الصناعات المباشرة وغير المباشرة للصراع).

(٢) انظر معلومات سياسية وثقافية أكثر عن خطر الصوفية على العالم الإسلامي، في كتاب: (شبكة التصوف السياسي وخطره على أمن المملكة العربية السعودية)، الرابط التالي: http://bit.ly/2aVb7ZB.

صناعة تيارات فكرية دخيلة على دين الأمة الإسلامية وقيمها لإحداث انشقاقها وتشتيت جهودها، وغير ذلك مما لا يخرج في مآلاته عن صناعة الفوضى الأمنية والسياسية.

ومن هذا الدعم في ميادين الفكر والثقافة على سبيل المثال مركز المسبار للدراسات والبحوث الذي يتخذ من دبي مقراً له ويُعرِّف نفسه بقوله: «مركز المسبار للدراسات والبحوث هو مركز مستقل متخصص في دراسة الحركات الإسلامية والظاهرة الثقافية عموماً، ببعديها الفكري والاجتماعي السياسي، يبدي المركز اهتماماً خاصاً بالحركات الإسلامية المعاصرة، فكرا وممارسة، رموزاً وأفكاراً، كما يهتم بدراسة الحركات ذات الطابع التاريخي متى ظل تأثيرها حاضراً في الواقع المعيش»[1].

حيث يتعرض هذا المركز لكثيرٍ من النقد حول أدواره المشبوهة، في ظل شُبهات تدور حوله وحولَ إمكانياته وتمويله، بوصفه مركزاً للاستشراق والمستشرقين بسُحنةٍ عربية ونُسخةٍ مُهجنة! كما يُتهم المركز بالتحريض وزراعة الكراهية والتعصب والإقصاء للإسلام المعتدل تحت شعارات (السبر والتقسيم، ودراسة الحركات الإسلامية) كما هي مقالات كثيرٍ من الناقدين له[2].

وفي هذا السياق أكدت وزيرة الخارجية الأمريكية كوندا ليزا رايس في مقالٍ لها في صحيفة الواشنطن بوست في ديسمبر ٢٠٠٥م عن هذه

---

(١) انظر: الموقع الإلكتروني لمركز المسبار للدراسات والبحوث.

(٢) انظر: أبو عبد الله العليان، بحث بعنوان: ماذا تعرف عن مركز (مسبار) المشبوه؟! موقع المجتمع السعودي سياسية، الرابط التالي: https://saudi-society.blogspot.com/2011/12/blog-post_24.html، وانظر: مدونة الجزيرة العربية، (مركز «المسبار».. العين البحثية للاستخبارات الإماراتية)، بتاريخ ١٦ فبراير ٢٠١٥م.

الحروب الخفية للأفكار، وفيه قالت: «إننا ضالعون في حرب أفكار أكثر مما نحن منخرطون في حرب جيوش»[1]، وفي السياق نفسه قال رئيس مجلس الوزراء البريطاني السابق توني بلير خلال مؤتمر صحفي عقده في ١٧ / ٤ / ٢٠٠٧م: «إن الوقت قد حان لتتوحد إدارات الحكومة البريطانية، من أجل تحقيق النصر في حرب الأفكار، إذا كنتم تريدون أن تنقلوا الحرب إلى أرض الأعداء، فعليكم أن تهزموا أفكارهم ودعايتهم إلى جانب هزيمة مخططاتهم»[2].

ومن الأدلة على هذا الدعم الغربي لحرب الأفكار وصناعة الصراع ما ورد في تقارير مؤسسة راند البحثية الأمريكية المتعاقبة، وهي تقارير معنية باللعب على أوتار ما يُسمى التعددية الفكرية! وتبنِّي ما يُسمُّونه الإسلام الحضاري! وصناعة الشركاء! وفيها الإشادة بالإسلام الصوفي وزعمائه! بل حسب هذه التقارير وتوصياتها وردت توصية: «تعزيز مكانة المذهب الصوفي»[3]، وغيرها من العبارات الصريحة.

وتتضح صور الدعم الغربي المباشر لحركات الانشقاق في الدول المُستهدفة -كمثال عملي- من خلال الدعم لحركة فتح الله كولن في تركيا القائمة على أساس المرونة بين الأديان والأفكار! وبالتالي العلاقة المشبوهة مع الغرب، وحسب تقرير لمؤسسة راند (بناء شبكات مسلمة معتدلة)، وفيه ورد: «يُشجِّع القائد الديني التركي فتح الله

---

(١) انظر: عبد العزيز كامل، مقال بعنوان: حرب الأفكار بين بأس الأمريكان ويأسهم، موقع صيد الفوائد، الرابط التالي: http://www.saaid.net/Doat/kamel/17.htm

(٢) انظر: المرجع السابق.

(٣) انظر: عن الدعم الغربي للصوفية السياسية، صالح بن عبد الله الغامدي، الإسلام الذي يريده الغرب، ص٢٨٤-٣٠٤.

كولن الإسلام الصوفي الحديث المعتدل، حيث إنه يعارض تنفيذ الدولة للقانون الإسلامي، مشيراً إلى أن معظم اللوائح الإسلامية تتعلق بالحياة الخاصة للأفراد، ويهتم القليل منها بأمور الحكم، فالدولة كما يعتقد هو لا ينبغي أن تطبق أو تنفذ الشريعة الإسلامية؛ لأن الدين مسألة شخصية، فقوانين ومتطلبات عقيدةٍ بعينها لا ينبغي أن يتم فرضها على السكان ككل»[1]، ومع أن كولن وحركته لا تمثل غالبية الاتجاه الإسلامي في تركيا عدا عن غيرها، إلا أن الغرب يحاول فرض هذا النموذج على المسلمين كخيار مثالي.

ويتأكد هذا الدعم الغربي من خلال قوة الأحداث السياسية والأمنية السلبية المتعاقبة التي صنعتها قواعد وخلايا حركة كولن داخل الحكومة التركية بهدف الإضرار بها والتي كانت متصالحةً معها، حيث صنعت الحركة منذ فبراير ٢٠١٢م ما عكّر صفو العلاقة من خلال كوادرها في القضاء والشرطة والبرلمان والحكومة، ومن محاولاتٍ لإسقاط حكومة العدالة والتنمية القائمة، أو من خلال التخطيط للانقلاب على الحكومة حسب بعض المصادر الإعلامية، وتُعدُّ حركة كولن مصدر قلقٍ للاستقرار في تركيا خاصةً قبل الانقلاب الفاشل في تركيا بتاريخ ١٥ يوليو ٢٠١٦م.

وتأتي أحداث هذا الانقلاب لتؤكد عملياً ما سبق عن هذه الحركة، أو ما يُسمى في تركيا الكيان الموازي، حيث صدرت التصريحات الرسمية التركية بتأكيد ضلوع الحركة ورئيسها عملياً في محاولة

(١) انظر: صالح بن عبد الله الغامدي، مقال بعنوان: حركة كولن وموقف الغرب منها، الرابط التالي: http://goo.gl/5S6Y3t.

الانقلاب العسكري، ومطالبة الحكومة التركية للحكومة الأمريكية تسليمه إليها بعد ثبوت تورطه[1].

ومقترحات تقارير مؤسسة راند الشهيرة والمنشورة تُشير بوضوح وصراحة إلى دعم ومساندة أي حركةٍ أو مجموعةٍ أو أفراد يدعون إلى ما يُسمى الإسلام المعتدل! مثل دعم الغرب للعلمانية في العالم العربي والإسلامي! ودعم من يُسمون بالتنويريين من أصحاب المدرسة العقلية! وتشجيع العلماء التقليديين (المشايخ) لمواجهة الأصوليين! ونشر انتقادات للأصوليين في الإعلام! والمتأمل في توصيات التقرير يُدرك أن الغرب بمؤسساته يزرع الشقاق والنزاع الفكري داخل المجتمعات الإسلامية، وبالتالي الصراع السياسي والعسكري[2].

وفي مقابل هذا يتعرض المنهج الصحيح أو ما يُطلق عليه تداولاً (منهج السلف الصالح) في فهم الإسلام إلى حملاتٍ مُمنهجة شرسة من التشويه المتعمد، والشيطنة لهذا المنهج، بل ولكل حركةٍ جهاديةٍ سُنِّية صادقة، وذلك من جهاتٍ ودولٍ عالمية معادية للإسلام وعقيدته تستخدم بعض الأطراف المُسيسة محلياً وإقليمياً أدواتٍ في تنفيذ ذلك[3]، وهذه الحملات مؤهلةٌ إلى ما هو أكثر وأكبر حسب معدل ارتفاع وتيرة الحرب الإعلامية الدعائية على هذا المنهج ومؤسساته ورموزه، وحسب تزايد حجم المطالب الغربية وضغوطاتها، بهدف

---

(١) انظر: عن توعد أردوغان لجماعة فتح الله كولن في محاولة الانقلاب الفاشل في تركيا، الجزيرة نت، بتاريخ ١٧ يوليو ٢٠١٦م، الرابط التالي: http://bit.ly/29FVgof.

(٢) انظر بتصرف: صالح الغامدي، الإسلام الذي يريده الغرب، ص٢٤١-٢٨٣.

(٣) انظر: على سبيل المثال كتاب (الليبراليون الجدد) للشيخ خليفة الخزي، وانظر كذلك: كتاب (شاهد من الصحوة .. الشيخ خليفة بن بطاح الخِزِّي - دراساته ورؤاه حول المشروع الليبرالي) تأليف محمد السلومي.

تحجيم هذا المنهج بمناهجه التعليمية ومؤسساته الدعوية ودور علمائه ورموزه، والحقيقة أن هذه المطالب بأهدافها ومآلاتها لا تعدو أن تكون استهدافاً للإسلام ذاته بسيادته العقدية ومناعته الفكرية وحصانته الأخلاقية، حسب ما وصلت إليه بعض الدراسات التحليلية الغربية الموضوعية عن هذا المنهج وأنه المنهج الصحيح في فَهم الإسلام ذاته[1].

ومما يؤكد هذا الاستهداف للمنهج ودوله ومؤسساته وعلمائه ورموزه مؤتمر جروزني في عاصمة الشيشان المنعقد بتاريخ (٢٥-٢٧ أغسطس ٢٠١٦م) بدعم روسي مكشوف في التشكيك بقيادة الإسلام السُّنِّي العالمية لأهل السُّنة والجماعة للأمة.

وهذه الحملات على المنهج والضغوطات على المتسبين إليه دولاً وشعوباً بحد ذاتها مما يصنع مناخاً أكثر للصراع بين الغرب والإسلام، وأحياناً فيما بين الشعوب الإسلامية وحكوماتها، ولاسيما حينما يكون قَبول الحكومات بهذه الضغوط! وبالتالي فلن تتوانى أمة الإسلام في الدفاع عن حقوقها ودينها وعقيدتها وقيمها وسيادتها.

وما سبق من أمثلة عن صناعة الانشقاق الفكري داخل جسد الأمة الإسلامية يُعدُّ قليلاً من نماذج كثيرة يتم فيها زراعة الصراع وتأسيسه بقوة، حيث التفتيت الفكري مقدمات للتفتيت السياسي، وبالتالي فالنتيجة هي التفتيت الجغرافي، وهو ما يُعدُّ مؤشراً من مؤشرات المرحلة التي تتحدث عنها هذه الرؤية.

---

(١) انظر: عن المنهج السلفي وأنه المنهج الصحيح في فهم الإسلام ووسطيته، لشارل سان برو، كتاب الإسلام - مستقبل السلفية بين الثورة والتغريب.

ولذلك يتأكد في مقابل هذا أن الحوار مع هذه الفئات المختلفة مع الأمة الإسلامية أو المنشقة عنها واجبٌ وضرورة؛ لأنهم قد وضعوا من أنفسهم أذرعةً في صناعة الصراع داخل جسد الأمة الإسلامية، وبالحوار الصحيح تنكشف الحقائق أكثر وتتضح مخاطر الانشقاق الفكري، وهذا الحوار لمعرفة الحق والصواب بين طرفي الصراع أمام الطرف الثالث من المجتمعات والشعوب الإسلامية المعنية بذلك، وهي التي عليها الرهان لدى أطراف هذا الصراع.

المؤشر السادس عشر/ مشروع التفتيت والتقسيم:

من مؤشرات الصراع العمل على تمزيقٍ أكثر لدول العالم العربي والإسلامي، بتقسيم المقسم منه أكثر من السابق، واعتبار أن خرائط (سايكس بيكو) قد انتهت مدتها التاريخية، وأصبح التقسيم من مسلَّمات المرحلة لدى أعداء المنطقة، وذلك مما يُعدُّ من مؤشرات الصراع وصناعته، ويؤكد مشاريع التفتيت حقيقة الحُلم الأمريكي في تنفيذ مخطط الشرق الأوسط الكبير والجديد في نسختيه ١٩٩٣م، و ٢٠٠٣م الذي فشل في التأخر فقط عن موعده، وما في هذا من صناعةٍ لخرائط جديدة لجغرافية المنطقة بأكملها، وهي تقسيمات تعيد الهيمنة الغربية على المنطقة من جديد وربما بأسلوب جديد، لتجهض مشروع سيادة الأمة الإسلامية ونهضتها، إضافةً إلى أن الحروب مما تُعزِّز بعض الاقتصاديات العالمية وتُحرِّكها وهو ما يسمى (الحروب الاقتصادية)، ولاسيما مع اعتبار أن العالم العربي لا يزال بكراً يحتفظ بكثير من المعادن والثروات والفرص الاقتصادية التي سيزداد نهب الغرب لها وسرقتها أكثر من السابق، في ظل جغرافيا جديدة وحدود حديثة للمنطقة.

وعن مشروع هذا التقسيم وحقيقته كتب المستشرق الصهيوني برنارد لويس، بل خَطَّطَ ودعا إلى إعادة تفتيت بلاد المسلمين على أسس دينية وعرقية ومذهبية، وذلك بإضافة أكثر من ثلاثين كياناً سياسياً جديداً، حتى يقترب عالم الإسلام إلى تسعين كياناً للحيلولة دون نهضة المسلمين ووحدتهم، ولبقاء الهيمنة والسيادة الغربية ولضمان أمن إسرائيل التي يتترس بها الغرب من الشرق الإسلامي ويعتبرها طوق نجاةٍ له أمام العالم الإسلامي[1].

والمشروع طُرح على الكونغرس الأمريكي بجلسة سرية عام ١٩٨٣م وتم إقراره، ليكون تنفيذه في الوقت المناسب للتنفيذ، فرؤية برنارد لويس فيها إضعاف للفكرة الموحِّدة لأمة الإسلام أو إجهاض لها -حسب زعمه-، وهي تستند إلى تحويل عنصر التعددية ليكون مصدر ضعفٍ لا مصدر قوةٍ ومنعة كما هو الحال في الغرب، فالغرب دائماً ما يُصر على أن التعددية مصدر قوة، بينما في الحالة العربية يتم توظيف التعددية لتكون عامل تقويض وتفكيك، وذلك خدمة للمشروع الأمريكي والصهيوني[2].

ولويس بهذا المشروع يؤكد -حسب قوله- أن مناخ التقسيم مهيأ، فليس هناك مجتمع مدني حقيقي يضمن تماسك الكيان السياسي للدول المعنية، ولا شعور حقيقي بالهوية الوطنية المشتركة أو ولاء للدولة (الأمة)، حيث عدم الشراكة في المسؤولية يؤدي إلى عدم

---

(١) انظر بتصرف: وليد بن عبد الله الهويريني، عصر الإسلاميين الجدد، الأحساء، ١٤٣٤هـ ص ٣٠، نقلاً عن: محمد عمارة خطط التفتيت لعالم الإسلام.

(٢) انظر بتصرف: المرجع السابق، ص ٢٩، نقلاً عن: صحيفة الاقتصادية بتاريخ ١٤٣٢/٤/٦هـ.

الانتماء والولاء للدولة والوطن، وفي هذه الحالة تتفكك الدولة[1].

ومن رجع الصدى أو خطوات التنفيذ لمشروع لويس أن مجلة وزارة الدفاع الأمريكية أعادت النشر في حزيران ٢٠٠٣م/ ١٤٢٣هـ وفيه تقسيم للخارطة العربية من جديد، كما سبق الحديث عنه حول العراق وسوريا واليمن وغيرها، ولم يستثنِ مشروع التقسيم دولة المملكة العربية السعودية التي وضع لها خرائط جديدة بثلاث دويلات أو خمس بطروحات متعددة[2]، ولا يزال يتكرر نشر المشروع الخاص بتقسيم السعودية وغيرها في الصحافة الأمريكية، ومن ذلك ما كشفت عنه الباحثة الأمريكية روبين رايت، وما نشرته صحيفة نيويورك تايمز عن تقسيم السعودية[3].

ويؤكد الكاتب الأمريكي أندرو باسيفيتش وهو مؤرخ وكولونيل متقاعد من الجيش الأميركي حقيقة التقسيم، وأنه استراتيجية ثابتة، وذلك في كتابه (حرب أميركا من أجل الشرق الأوسط الكبير)، قائلاً: «أصبحت الحرب من أجل الشرق الأوسط الكبير من ثوابت الحياة الأميركية وأصبحت مقبولة على هذا الأساس»[4].

---

(١) يُلاحظ أن العملاء من الليبراليين والعلمانيين مهدوا بصناعة الأرضية الخصبة للتقسيم تحت مسمى التعددية الفكرية في الوطن السعودي مثلاً، وأنها حقيقة! متجاهلين أن الأقليات ليست تعددية فكرية، ولا تتطلب تغيير مفهوم الوحدة الوطنية والمواطنة القائمة على الوحدة الفكرية كأساس تاريخي.

(٢) انظر: وليد بن عبد الله الهويريني. عصر الإسلاميين الجدد، ص٢٧-٢٨.

(٣) انظر بتصرف: دراسة تحليلية نشرتها صحيفة نيويورك تايمز حول الخريطة الجديدة للعالم العربي، الرابط التالي: http://cutt.us/TuSz

(٤) انظر: الوطن أونلاين، بتاريخ ١٢/ ٤/ ٢٠١٦م، الرابط التالي:
http://alwatan.com.sa/Culture/News_Detail.aspx?ArticleID=259627&CategoryID=7

وواقع العالم العربي بصراعاته الداخلية وحروبه الإقليمية واستبداده السياسي يؤكد ما سبق، ومن ذلك الواقع العراقي والسوري كما هو موضح في مواضعه في هذا الكتاب.

كما أن الواقع الليبي بحروبه المدعومة دولياً وإقليمياً يُعمِّق مشاريع التقسيم والتفتيت لنهب ثرواته بأكثر من السابق، وعن ذلك تواترت الكتابات، ومنها: «أفادت صحيفة الشروق الجزائرية في ١٣ أغسطس ٢٠١٥م، بأن مصادر رسمية ليبية كشفت لها عن مخطط فرنسي جديد في المنطقة بدأ تحركاته من داخل ليبيا، وبالتحديد الجنوب الليبي مع دولة خليجية، حيث بدأت الدولة الخليجية المعنية بعقد اجتماعات سرية لمجموعة من قادة الجنوب الليبي من ضباط الجيش والشرطة ورجال القبائل، والهدف هو السيطرة على الجنوب الليبي...»[١].

وأكد الكاتب البريطاني، ديفيد هيرست، في مقالٍ له على موقع (ميدل إيست آي)، نقلاً عن دبلوماسي غربي يقيم في ليبيا استبعد فكرة أن بريطانيا وفرنسا وإيطاليا تعمل على تقسيم ليبيا إلى ٣ أقطار، معتبرًا ذلك نوعًا من التفكير التآمري، وتتلخص الفكرة في أن تحوز بريطانيا على برقة، بينما تكون طرابلس من نصيب الإيطاليين، ويفوز الفرنسيون بالمناطق الجنوبية، إلا أنه أقر بأن مخاطر التقسيم قائمة بسبب لاعبين من أمثال حفتر[٢].

---

(١) انظر: صحيفة التقرير، بتاريخ ١٦ سبتمبر ٢٠١٦م، الرابط التالي:
http://bit.ly/2cPUZXR

(٢) انظر: المرجع السابق.

كما أن مصر ليست بعيدةً عن هذه السياسات المعادية لاستقرار المنطقة، حيث سياسة الحكومة الانقلابية قائمةٌ على الاستفزاز المستمر والمتنوع للمجتمع المصري ومؤسساته، والأوضاع الاقتصادية والسياسية في مصر مهيأة للانفجار الكبير في عهد الانقلاب، وهو ما قد يهيئ لتدمير الجيش المصري كآخر جيش عربي بعد العراق وسوريا واليمن! وبالتالي تدمير مصر أو تقسيمها ليتحقق بهذا الواقع تعزيز الأمن الأكبر للكيان الصهيوني المحتل -حسب مخططات الكيان وحلفائه-، وعن ذلك كتبت الصحافة ووكالات الأنباء العالمية في ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م تقارير ومقالات كثيرة، ومما ذكرته عن هذا الموضوع: «كتبت صحيفة (وول ستريت جورنال) الأمريكية، فقالت: إن الأوضاع الاقتصادية في مصر تزداد سوءاً، وإن هناك حالة من التشاؤم حول قدرة الحكومة المصرية على تنفيذ إصلاحات سريعة... وكانت صحيفة (يديعوت أحرونوت) الإسرائيلية، قالت أيضا: إن النظام المصري لا يزال غير قادر على التعامل مع أخطر مشكلة تواجهه في الوقت الحالي وهي الاقتصاد حسب تعبيرها... وكانت (وكالة رويترز) الإخبارية العالمية، قالت هي الأخرى: إن الإجراءات القاسية التي شَرَعت الحكومة المصرية في اتخاذها لإنقاذ الأوضاع الاقتصادية المتردية لن تمر على الأرجح دون رد فعل شعبي غاضب، قد لا يحمد عقباه»[1].

«وحسب (وكالة رويترز) جاءت استعانة مصر بصندوق النقد الدولي بعد اتساع الفجوة التمويلية وتفاقم الأزمة الاقتصادية في

---

(١) انظر: موقع بوابة القاهرة، بتاريخ ٣١ أغسطس ٢٠١٦م، الرابط التالي:
http://bit.ly/2eyKI5R

البلاد، حيث بلغ سعر الدولار في السوق الموازية ١٣ جنيهاً مصرياً مقارنة بـ(٨,٨٨) جنيهات لدى البنوك، كما بلغ الدين الخارجي لمصر (٥٣,٤) مليار دولار بنهاية مارس من عام ٢٠١٦م، وهو ما يعادل ١٦,٥٪ من الناتج المحلي الإجمالي»[١].

وما ينطبق على العراق وسوريا ومصر وليبيا وغيرها ينطبق على دولة السودان التي -ربما- تتعرض لتقسيمٍ آخر أو تقسيمات أخرى غير فصل الشمال عن الجنوب[٢].

وفي حال انتصار الاستراتيجيات الغربية في تفتيت دول العالم العربي والخليجي المستهدفة فإن الغرب سينتقل بمخططه العدواني إلى تفتيت وتقسيم بقية دول العالم الإسلامي مثل إندونيسيا وباكستان، بل وربما أقاليم مسلمي الهند، وتفتيت بنجلاديش وماليزيا، وبعض الدول الإفريقية ذات الأغلبية المسلمة مثل نيجيريا.

وبهذا يتأكد أن الدول العربية والإسلامية بعمومها والخليج العربي على وجه الخصوص أصبحت قابلة لكثيرٍ من أنواع الصراع والحروب ومُرشَّحةً للفوضى الأمنية والسياسية إلا إذا شاء الله غير ذلك، والأمر لله من قبل ومن بعد.

---

(١) انظر: المرجع السابق.

(٢) انظر: العربية نت، بتاريخ ٢٣ محرم ١٤٣٢هـ الموافق (٢٩ ديسمبر ٢٠١٠)م، الرابط التالي: https://www.alarabiya.net/articles/2010/12/29/131433.html.

المبحث الثامن

النتائج واللوازم بين المعطيات والمؤشرات

«الحروب المقبلة ستكون مبنية على الحرب الإعلامية والحضارية، وأزمة الخليج أَعتبرها بداية لحرب حضارية، فلا أعتقد أن أسبابها اقتصادية أو نفطية فحسب، بل هي كذلك حضارية».

(المهدي المنجرة - الحرب الحضارية الأولى)

أولاً: نتائج القراءة التاريخية ومعطياتها

من بدهيات الحقائق أن لأي أمة هويةً خاصة بها، وفكراً وثقافة وعقيدة وحضارة تعتز بها. والأمة الإسلامية كغيرها من الأمم لها هويتها الخاصة بها ومشروعها الحضاري المستقل. فعقيدتها الإسلامية لا تسمح لها بذلك الاندماج الذي يلغي هويتها وشخصيتها من خلال الحوار غير المتكافئ أو بالقوة الناعمة أو ما شابه ذلك، بالرغم من إيمانها بوجوب تبادل المعرفة والمنافع المشتركة وأهمية التعايش مع الأمم الأخرى وحضاراتها وعمارة الأرض، ولكنه التعايش الذي لا يلغي الهوية. التعايش الذي تسوده العزة وتقوده الكرامة، وتهيمن عليه حقوق السيادة الفكرية والسياسية والاقتصادية لأمة الإسلام ودولها؛ لأن ذلك حقٌّ من حقوق الأمم. فهذه المحددات الواضحة هي التي تحكم علاقة الحوار مع الآخر غير المسلم وتُوجهها، وهو ما يُعزِّز أهمية الحوار مع شعوب الغرب، حيث إنه وسيلةٌ مُثلى لمعرفة الصواب قدر المستطاع من الطرفين بعضهما عن بعض.

وقد اعترف الكاتب الأمريكي صموئيل هنتنجتون بأن أبرز محددات العلاقة بين الحضارتين هي الاستقلال في النهضة عند المسلمين وعدم تجاهلها، حيث قال عن صحوة الشعوب ونهضتها، بل وحقوقها في الممانعة للهيمنة الغربية: «إن انبعاث أديان المجتمعات غير الغربية هو أكثر المظاهر قوة ضدّ الغرب في المجتمعات غير الغربية، وذلك الإحياء ليس رفضاً للحداثة. إنه رفض للغرب وللثقافة العلمانية، والنسبويَّة المتفسخة التي ارتبطت بالغرب. إنه رفض لما اصطلح عليه تعبير (Westoxification) التبعية للغرب عند

المجتمعات غير الغربية. إنه إعلان الاستقلالية الثقافية عن الغرب، إنها عبارة فخر: نحن نريد أن نتقدم، ولكن نحن لا نريد أن نكون أنتم»[١].

وبهذا الاعتراف من كاتب غربي بحقوق الآخرين في الاستقلال الفكري والثقافي، وبالتالي عدم تبعيتهم السياسية والاقتصادية، وبإيمان أمة الإسلام بقدرة دينهم على استعادة حضارته وصناعة البديل الحضاري للأمة الإسلامية ولغيرها من الأمم تنكشف حقيقة الصراع الغربي واستراتيجياته القائمة على الإقصاء للأمم الأخرى، خاصةً مناوأة مشروع النهضة المستقل المأمول عند المسلمين[٢] لدول العالم الإسلامي وشعوبه.

وإضافة لما ورد في ثنايا مباحث هذا الكتاب من نتائج علمية عن المنافسة والصراع، فإن أبرز النتائج الإضافية الواضحة ما يلي:

النتيجة الأولى/ الإسلام العدو!:

مما يجدر التنبيه إليه أن الغرب في حواره أو صراعه مع الإسلام أو بعض دوله لا يمانع بقبول الإسلام الصديق! بشعائره التعبدية

---

(١) انظر: صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، ط١، ص٢٠١.

(٢) مما يُقلق كل مسلم ومواطنٍ عربي في هذا العصر الحاضر أن (مشروع النهضة) المأمول فيه حول إعداد القوةً السياسيةً والاقتصادية والثقافية والعسكرية للمسلمين ولدول المنطقة بدأ يضعف في الطروحات العلمية والفكرية ومبادرات المطالب الإصلاحية نظراً لأن حاجة العالم العربي والإسلامي -مع الأسف- أصبحت مُلحةً في (معركة البقاء) وحماية نفسها، ولاسيما أن غياب هذا المشروع هو ما سَبَّبَ ضَعف الأمة وفقدان قوتها وسيادتها، ويمكن أن يُستفاد في بناء النهضة والقوة لدول العالم العربي والإسلامي من التجربة التركية والماليزية -بالرغم من عدم اكتمالها- خاصةً في نظامها السياسي والاقتصادي، وعن أبرز جوانب المشروع الاستراتيجي يمكن القراءة في الصراع الدولي وخيار إعداد القوة.

الفردية، التي لا تمانع من الاندماج الفكري والخضوع السياسي للغرب. كما أنه يرحب بقبول المسلم الصديق كذلك. فالصديق هو الذي لا يَعتز بهويته الإسلامية الكاملة المستقلة، ولا يعمل على السيادة السياسية لأمته. والحرب المصطنعة عمّا يُسمى (الإسلام السياسي) من خصومه كافيةٌ في الكشف عن حقيقة الإسلام العدو والإسلام الصديق، ويأتي هذا الوصف وما فيه من انتقاصٍ للإسلام بالرغم من تحريك الدين للسياسة في عموم دول الغرب على مستوى الأحزاب اليمينية، ومؤخراً أحزاب اليسار الديني، مما يُمكن تسميته (النصرانية السياسية)[1].

وقد نبه مصطفى محمود -رحمه الله- عن الإسلام المقبول عند الغرب وعند المبهورين بحضارته، فقال عن المقبول والمرفوض كذلك: «حينما يصرِّح الساسة في الغرب بأنهم لا يعادون الإسلام، وأنهم ليسوا ضد الإسلام كدين، فإنهم يكونون صادقين بوجه من الوجوه. إذ لا مانع عندهم أبداً من أن نصلي ونصوم ونحج ونقضي ليلنا ونهارنا في التعبد والتسبيح والابتهال والدعاء، ونقضي حياتنا في التوكل، ونعتكف ما نشاء في المساجد، ونوحد ربنا ونمجده ونهلل له. فهم لا يعادون الإسلام الطقوسي، إسلام الشعائر والعبادات والزهد. ولا مانع عندهم في أن تكون لنا الآخرة كلها فهذا أمر لا يهمهم ولا يفكرون فيه. بل ربما شجَّعوا على التعبد والاعتزال، وحالفوا مشايخ الطرق الصوفية ودافعوا عنهم. ولكن خصومتهم

(١) انظر عن الديانة النصرانية في السياسة في المبحث الثاني من هذا الكتاب، تحت عنوان: (الأصولية الإسلامية المسيحية)، وفي المبحث السابع كذلك، تحت عنوان: (المؤشر الثالث/ دور الأساطير والعنصرية النصرانية واليهودية).

وعداءهم هي للإسلام الآخر. الإسلام الذي ينازعهم السلطة في توجيه العالم وبنائه على مثاليات وقيم أخرى. الإسلام الذي ينازعهم الدنيا ويطلب لنفسه موقع قدم في حركة الحياة. الإسلام الذي يريد أن يشق شارعاً ثقافياً آخر. ويُرسي قِيَماً أخرى في التعامل ونماذج أخرى من الفن والفكر. الإسلام الذي يريد أن ينهض بالعلم والاختراع والتكنولوجيا، ولكن لغايات أخرى غير التسلط والغزو والعدوان والسيطرة. الإسلام السياسي. الإسلام الذي يتجاوز الإصلاح الفردي إلى الإصلاح الاجتماعي والإصلاح الحضاري والتغيير الكوني، هنا لا مساومة ولا هامش سماح وإنما حرب ضروس. هنا سوف يطلق الكل عليك الرصاص. وقد يأتيك الرصاص من قوى سياسية داخل بلدك الإسلامي نفسه!»[1].

ويؤكد مصطفى محمود أن عنصر المنافسة الإسلامية جعلت من العقلية الغربية مُمارساً قوياً فِي إقصاء أي حضارةٍ أو قيم منافسة، قائلاً: «النمط الغربي للحياة تَحوَّل الآن إلى قلعة مسلحة، تَرفض أي منافس أو بديل... والصدام هو قَدَر كل من يحاول أن يخرج بالإسلام من دائرة المسجد ويسعى به خارج التَّكِيَّة الصوفية»[2].

ويؤكد الدكتور جعفر شيخ إدريس الخبير بالحضارة الغربية ومؤسس الجامعة الأمريكية المفتوحة في العاصمة واشنطن حقيقة عداوة متعصبي الغرب للإسلام بشموله من خلال استخدامهم لمصطلح (الإسلام السياسي) على سبيل التخويف من الإسلام

---

(١) انظر: مصطفى محمود، الإسلام السياسي والمعركة القادمة، القاهرة: مطابع أخبار اليوم، ص١٧-١٨.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص١٨.

والانتقاص منه، قائلاً عن هذا المفهوم الذي أطلقه الغرب: «الجماعات الإسلامية التي انتشرت في العالم العربي وفي باكستان والهند وإندونيسيا وماليزيا وغيرها تدعو إلى أن تكون دولهم إسلامية تحكم بما أنزل الله تعالى!»[1].

وللتأكيد أكثر عن عداوة الغرب وصراعه مع الإسلام ومن يُمثله، فالباحث النصراني نبيل خليفة أكد بحياديةٍ أن متطلبات استراتيجية الهيمنة والسيادة الغربية والصهيونية بشقيها السياسي والاقتصادي هي ما يصنع العداوة والصراع في العالم، ومما قال في هذا الصدد: «يبقى أمر مهم جداً، أشار إليه أكثر من باحث غربي، وهو أن الكتلة السُنِّية كانت في منافسة مع الغرب وكان لديها (كراهية للغرب) كما يقول البروفسور الشهير برنارد لويس، ولكنها بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م أصبحت البديل للاتحاد السوفيتي في صراع الكتلتين الدوليتين! بناء عليه يجدر، بل ينبغي التوكيد على أمور أساسية في الوضعية الجيو استراتيجية للمنطقة لاستيعاب ما جرى، وما يجري حالياً، وما سوف يجري من تحولات وتطورات جذرية ودراماتيكية وذلك في سياق استراتيجية اقليمية كونية في آن (ماكرو-استراتيجية) وفيها ثلاثة أهداف أساسية كبرى يراد تحقيقها، أولها: إزاحة النفوذ السُنِّي عن دول شرق المتوسط واستبدال النفوذ الإيراني الشيعي به. وثانيها: إدماج إسرائيل كجسم طبيعي في المنطقة ضمن دولة كونفدرالية، وثالثها: السيطرة على نفط العراق أفضل وأغزر نفط في العالم (٣٨٠ مليار برميل بحسب آخر التقديرات)

(١) انظر: جعفر شيخ إدريس، الإسلام السياسي، صحيفة الأمة الإلكترونية، بتاريخ ١٥ أكتوبر ٢٠١٤م، الرابط التالي: http://bit.ly/1WHubea

(احتياط السعودية ٢٦٥ مليار برميل). وبهذا تُفهم سياسة أميركا في المنطقة: مصير إسرائيل، واحتواء الأنظمة والنفط ببُعدَيها السُّنِّي والشيعي على السواء باليد اليمنى السعودية ودول الخليج، وباليد اليسرى إيران وتوابعها الإقليمية! ولا فضل لعربي على أعجمي إلا بالاستسلام»[١].

لذا ففي واقع تضليل الرأي العام الغربي بيَّنت استطلاعات الرأي بأن الشعوب الغربية لا تؤيد الأنظمة السياسية الإسلامية حتى لو جاءت بها صناديق الاقتراع! كما اتضح من الاستطلاعات الغربية التي ترى تأييد الحكومة المصرية الانقلابية بأن تُحكَم بالعسكر حسب ما جاء في كتاب (كيف ينظرون إلينا؟) المعني باستطلاعات الرأي العالمية، وفيه: «في العام ٢٠١٣، وبعد سنة وشهرين من انتخاب د. محمد مرسي رئيساً لمصر، والذي كان معروفاً بانتمائه ودعمه من قِبل الإخوان المسلمين؛ وبعد شهرين من الانقلاب عليه في بداية يوليو ٢٠١٣ جاء استطلاع (Pew)، الذي أظهر نتائج معارَضَة الرأي العام الأمريكي لقيادة جماعة الإخوان المسلمين لمصر، حيث فضّل (٤٥٪) من الأمريكيين أن يقوم الجيش بقيادة مصر، مقابل (١١٪) فقط يعتقدون أنه من الأفضل أن تقوم جماعة الإخوان المسلمين بقيادة مصر، و(١٩٪) يعتبر أن كلاً منهما غير مؤهل لقيادة مصر»[٢]، ولذلك فإن المخاوف لدى عامة المجتمعات الغربية قائمة حول فعالية الإسلام السياسية لانطباعات ناتجة من الإعلام الدعائي

---

(١) انظر: نبيل خليفة، استهداف أهل السُّنَّة، ص١٢-١٣.

(٢) انظر: سامر رضوان أبو رمان، كيف ينظرون إلينا؟ .. الإسلام والمسلمون في استطلاعات الرَّأي العالمية، الرياض: مركز البيان للبحوث والدراسات، ٢٠١٥م، ص٣٠١.

(البروبغندا) (Propaganda)[1]!

النتيجة الثانية/ الحرب المفتوحة!:

القراءة المتأنية لما ذُكِر من القضايا الواقعية الواردة في معطيات المباحث السابقة كان لها صدمةٌ علمية للباحث من حجم التعصب والعداوة والكراهية الغربية للإسلام والمسلمين بهذه اللغة الصريحة. وهي نتيجةٌ مفزعة لمن يَنشُد العدل والسلام للبشرية جمعاء. وقد يبدو التعارض واضحاً بين هذه النتيجة وبين مزاعم التعايش والسلام وأمنياته، لكن هذا لا يعني أن لا تكون هناك رؤية أخرى للحل من خلال الحوار الذي يتطلب تحديد طبيعته في السِّلم والحرب وقيامه على مبادئ صادقة، وكما أن التأكيد على أهمية الحوار ووجوبه أحياناً وضرورته أحياناً أخرى وهو ما ورد في ثنايا هذا الكتاب، فإن خيار مواجهة الصراع الغربي ومقاومته بقوة نتيجةٌ أخرى كذلك لا تقل أهمية، وهما من نتائج هذا الكتاب.

إن ما ورد من معطيات تاريخية في هذا الكتاب مع كثيرٍ من المؤشرات السياسية تُعدُّ انعطافاً خطيراً لنمو الصراع وزيادة الحروب، خاصةً أن ذلك أو بعضه يؤكد أن الحكومات الغربية بقوتها التقنية والإعلامية تمارس تضليل الرأي العام لشعوبها وللعالم عن الإسلام ودوله، وتصويرها أنها مُحَارِبة وليست مُحَارَبة، علاوة على أن الغرب القوي اليوم لم يعد يُلقي بالاً تجاه ما يصدر عنه بحق المسلمين، بالرغم من اعتراف المسلمين عن وجود حالات إرهابية من أفرادٍ أو

(١) انظر بتصرف: عطاالله بن ناصر بن سعيد، الإرهاب المنظم في المجتمع الدولي: دراسة تأصيلية مقارنة، الرياض: جامعة الأمير نايف، ١٤٣٦هـ (٢٠١٥م)، الرابط التالي: http://goo.gl/higSkD.

مجموعات، لكن ليس من إرادة دولٍ أو حكومات إسلامية.

وتتأكد أهمية الحوار المطروح مع حكومات الغرب، أو مع شعوبه، حيث الحوار المفتوح مع الشعوب الغربية يتطلب الجِدية والاستمرارية لتحييد الشعوب برفع صور التضليل، فالحوار الإسلامي مع الشعوب الغربية هو الرهان الحقيقي في الإخفاق أو النجاح.

والواضح أن الحكومات الغربية المتعصبة -بقيادة حكومة الولايات المتحدة الأمريكية في الغالب- ترفض عملياً الحوار القائم على مبدأ التكافؤ وتعادل القُوى، فهي لا تستطيع التخلص من فكرة الصراع التي هي من مكونات العقل الغربي قديمه وحديثه بتعصبه الديني وإقصائه السياسي، أو بعلمانيته وهيمنته العالمية!

وقد عَبَّر عن بعض هذه الحقيقة الشاعر التونسي أبو القاسم الشابي في قصيدته (فلسفة الثعبان المقدس) بقوله:

«إن السـلام حقيقـةٌ مكذوبـةٌ

والعـدل فلسـفة اللهيـب الخـابي

لا عـدلَ إلا إن تعادلـت القوى

وتصـادم الإرهـابُ بالإرهابِ»[1].

والغرب بهذا التعصب يُريدها حرباً مفتوحة، بل سماها بعض متعصبي الحروب حرباً عالميةً رابعة[2] ضد الأفكار الإسلامية

(١) انظر: القصيدة كاملةً، في موقع أدب، الرابط التالي:

http://www.adab.com/modules.php?name=Sh3er&doWhat=shqas&qid=14559

(٢) في الثاني من أبريل ٢٠٠٢م، ذكر رئيس وكالة المخابرات المركزية الأمريكية سابقاً جيمس=

والمسلمين. وكما أنه بهذا يُريدها حرباً، فإنه في الوقت ذاته يُريدها سلاماً يُقَوِّي المعتدي المحتل، ليمنحه هذا ممارسة الحروب متى شاء وكيفما شاء!

وإضافة إلى ما ورد في المبحث الثالث من تصريحات ونقولات، معظمها تؤكد أن الحرب الأيديولوجية الغربية مفتوحة، فإيراد بعض الإضافات من التصريحات يؤكد مرة أخرى أن هذه الحرب الغربية حقيقةٌ مشاهدة وليست دعاوى، وهي نتيجةٌ علميةٌ للبحث ليست مبنية على كراهية الآخر من غير المسلمين.

ومن هذه التصريحات ما وَرَد في مقال صالح الحصين (الحرب الأيديولوجية): «ففور انهيار الشيوعيةِ اشْتُهر تصريح سكرتير حلف شمال الأطلسي ولي كلاس (Willy Claes)[1] بحلول الإسلام محل الشيوعية عدواً للغرب شرقيه وغربيه، وبدأت تسمية الإسلام العدو الأخضر بعد أن غاب عن الوجود العدو الأحمر الشيوعية».

«ونقل الدكتور محمد السماك أنه في منتدى الشؤون الأمنية الدولية في ميونخ عام ١٩٩١م رفع ديك تشيني وزير الحرب الأمريكي في عهد بوش الأب شعار الإسلام العدو البديل، وأنه في عام ١٩٩٣م دعا رئيس مجلس النواب الأمريكي آنذاك نيوت جينجرتيش المجلس

=وولزي: بأن الولايات المتحدة دخلت في حرب رابعة ستستمر لسنوات، وقد توجه بخطاب إلى مصر والسعودية قائلاً: «لا بد من القلق والحذر.. عليكم أن تدركوا أن هذه البلاد (أمريكا) وحلفاءها يدخلون في مسيرة حرب على مدى مئات السنين للمرة الرابعة، وبأننا إلى جانب أولئك محاصرون بخوف ورعب كبيرين»، انظر الموقع التالي:
http://www.newsmax.com/archives/articles/2002/7/24/230153

(١) لمزيد من المعلومات عن الجنرال كلاس، الرابط التالي:
http://en.wikipedia.org/wiki/Willy_Claes

إلى وضع استراتيجية كاملة لمحاربة التوليتارية الإسلامية»[١].

«وأخيراً فقد سمع العالم تصريح الرئيس الأمريكي السابق بوش الابن، وهو يصف حروبه ضد الإسلام بأنها الحرب الأيديولوجية للقرن الحادي والعشرين».

«وأما الجنرال ويسلي كلارك[٢] فقد قال: إن حرب الولايات المتحدة ضد الإرهاب كانت حرباً على الإسلام»[٣].

وعلى الافتراض جدلاً بعدم وجود هذه التصريحات وما شابهها مما وَرد في ثنايا هذا الكتاب، أو وجود معانٍ محتملة أخرى لألفاظ هذه التصريحات، أو تلمس تفسيرات تبريرية لتلك الأقوال، أو صرفها عن حقيقتها ومفهومها، فإن مواقف دول الغرب العدائية مع الإسلام ودوله مما يُؤكد هذا الافتراض. وهذا أو بعضه -بوجود هذه التصريحات أو عدمها- مما يُعزز النتائج عن مُكونات الكراهية وحب الصراع في النفسية الغربية المتعصبة، ومع ذلك فمن يُغلِّب مقولة التسامح الغربي فسوف يجد له أدلته، ولكن تبقى الحقائق العلمية والتاريخية والسياسية أكبر من المغالطة أو العاطفة المسيطرة.

---

(١) انظر: ورقة الشيخ صالح الحصين: (دور الإعلام في مواجهة الإساءة إلى الإسلام) التي ألقيت في مؤتمر رابطة العالم الإسلامي المنعقد بصنعاء - اليمن، عام ٢٠٠٩م، تحت عنوان: الإعلام المعاصر بين حرية التعبير والإساءة للدين.

(٢) ويسلي كلارك: هو الجنرال الامريكي المتقاعد الذي قاد عملية قوة التحالف في حرب كوسوفو، والذي خاض المنافسة على رئاسة الولايات المتحدة عن الحزب الديمقراطي عام ٢٠٠٤م، انظر: مزيداً من المعلومات في الموسوعة الرقمية Wikipedia، على الرابط التالي: http://en.wikipedia.org/wiki/Wesley_Clark.

(٣) انظر: صالح الحصين، مقال بعنوان: الحرب الأيديولوجية، الرابط التالي: http://cutt.us/tktQ.

وكثيراً ما تفاءَلَت - خطأً - حكوماتُ العالم العربي والإسلامي حول انتخابات بعض دول الغرب بين أحزاب اليمين واليسار في دول أوروبا، وبين الجمهوريين والديمقراطيين في الولايات المتحدة الأمريكية مُتجاهلين أن الناخب الغربي لا تهمه قضايا ما يُسمى بالشرق الأوسط، فما يحكم الغرب هي سياسات استراتيجية وثوابت قائمة على المصالح لا تتغير في عمومها ومآلاتها مع حزبٍ دون آخر خاصةً تجاه قضايا مصالح العرب والمسلمين.

وإلى ذلك أشار سفر الحوالي عن تقلبات السياسة الأمريكية وثوابتها، قائلاً: «يتغير منهج السياسة الأمريكية وتتقلب مواقفها دون أن يعلم حلفاؤها وأولياؤها أو يفهموا! وليست هذه هي المشكلة، ولكن المشكلة في أن التصنيف الأمريكي يأتي في كل مرة اعتباطياً! بحيث يصبح عدو الأمس صديق اليوم، وحليف الأمس عدو اليوم، بلا سبب واضح، بل ربما ادعوا صداقة من لم يصادقوه قط، أو مساعدة من لم يساعدوه بشيء، وربما قاتلوا من لا يزال سلاحهم في يده، وغذاؤهم في بطنه، وصادقوا من لا تزال دماؤهم تقطر من يده، وكل هذا فيما لا يمس الثوابت الدائمة في السياسة الأمريكية وأهمها: المحافظة على أمن إسرائيل وتفوقها العسكري على الدول العربية والإسلامية مجتمعة، وضمان تدفق النفط والسيطرة على الممرات الاستراتيجية، وعدم السماح بقيام دولة إسلامية حقيقية في أي مكان»[1].

---

(١) انظر: سفر الحوالي، بحث بعنوان: بيان للأمة عن الأحداث، الرابط التالي:
http://bit.ly/2fbLd1N

إنّ هذا الصراع المتأصل الذي ينتهجه «متعصبو» الغرب ضد العالم الإسلامي يكشف بجلاء مدى اغتراره بقوته المادية، حيث يعمدُ إلى كثير من الوسائل لتشويه صورة الإسلام والمسلمين، ومحاولة مصادرة كرامتهم وحقوقهم الإنسانية والحضارية، والساحات الدولية خير شاهدٍ على ذلك[1].

وفي المقابل فإن التاريخ شاهدٌ بأن الإسلام الذي عاش تحت ظله الأقليات غير المسلمة واحترم العهود والمواثيق مع خصومه يريدها منافسة شريفة لا تصل إلى حد الصراع وإلغاء الآخر -كما ورد في المبحث الأول والثاني-، ويؤكد ذلك فِعْل الغرب الذي يسعى جاهداً لتفويت فرص المنافسة، بل ويحول دون حرية شعوبه في معرفة الحقيقة عن قيم ومبادئ وتشريعات الدين الإسلامي وما فيها من السِلم والسلام والتسامح وحقوقٍ للإنسان وكرامته.

النتيجة الثالثة/ تفسير دوافع الصراع:

التعاطي مع أي قضية يتطلب التصور التام عن الدوافع لحرب الغرب الأيديولوجية القائمة بصفة مستمرة. فمعرفة الدوافع

---

(١) عن تأكيد مخططات الصراع الغربية واستهداف العالم الإسلامي بها، انظر على سبيل المثال: بيان الأربعاء ــ جمعيات السلام الأوروبية: (أمريكا تخطط لإذكاء الصراعات والفتن الطائفية)، مجلة البيان، الرابط التالي: http://www.albayan.ae/one-world/2001-02-21-1.1170746، ومقال (الشرق الأوسط الجديد في التصور الأميركي الصهيوني) لعبد الوهاب المسيري، الرابط التالي: http://soo.gd/nKHj، ومقال (الطائفية سلاح الغرب الأمضى لتفتيت الشرق الأوسط) لعبد الحميد سلوم، الرابط التالي: http://soo.gd/nYJs، ومقال (نحو شرق أوسط جديد طائفي) لمركز تنوير للدراسات الإنسانية، الرابط التالي: http://soo.gd/S2ke، ومقال (أمريكا تزرع الفتنة الطائفية في الوطن العربي) لجمال الحوشبي، الرابط التالي: http://goo.gl/6hoziC.

والأسباب وتفسيرها مما يساعد على تحديد مسار العلاقة مع الآخر حكوماتٍ وشعوباً. والحكم على الشيء فرعٌ عن تصوره كما تقول القواعد الفقهية في الإسلام، والتاريخ دَوَّن كثيراً من الدوافع والأهداف.

ومن ذلك الموروثات التاريخية التي من أبرزها الفتح العربي الإسلامي للأندلس، على الرغم من أن هذا الفتح قد جاء معه بتأثيرات حضارية بالغة الأهمية وخصوصاً لأوروبا، حيث كانت الأندلس جسراً للعلوم الإنسانية في الانتقال من العصر الوسيط إلى عصر النهضة والعصر الحديث، كما أشار إلى ذلك محمود زقزوق عن هذه الموروثات، قائلاً: «ومن هذه الموروثات الحروب الصليبية وما صاحبها من تخريب وتقتيل ونهب وسلب، والغزو [الفتح] العثماني للبلقان، وحصار العاصمة النمساوية فيينا، والغزو الاستعماري لبلاد العالم الإسلامي في العصر الحديث من جانب كل من إنجلترا وفرنسا على وجه الخصوص، وبعض البلاد الأوروبية الأخرى، والوعد الإنجليزي لليهود عام ١٩١٧م بإنشاء وطن قومي لهم في فلسطين، على حساب سكانها الفلسطينيين، الذين لا يزالون مشردين في مختلف دول العالم، ومحرومين من أبسط حقوق الإنسان من أكثر من نصف قرن من الزمان، والتحيز التام لإسرائيل في صراعها مع العرب [المسلمين] بصفة عامة والفلسطينيين بصفة خاصة منذ عام ١٩٤٨م ولأكثر من ستين عاماً، وكذلك حروب الإرهاب»[١].

---

(١) انظر: محمود حمدي زقزوق، الإسلام والغرب، ص١٣٣، ويلاحظ ما وضع بين القوسين [المعقوفين] يعني تصحيح من الباحث، حيث قد يكون فات على زقزوق الانتباه إلى مدلولات بعض الكلمات، فلم يكن فتح الأندلس فتحاً عربياً بدون الإسلام، ولم تكن=

وعن تفسير الدوافع كتب ديف ستراتمان (Dave Stratman) ما يعتقده قائلاً إن قادة الغرب يعتقدون أن الإسلام هو المانع الحقيقي لهم في السيطرة على أرض الإسلام. ويقول: «إن الإسلام السياسي يناسب تمامًا احتياج قادة أمريكا لعدو... فتصوير الإسلام على أنه العدو يخدم دور إسرائيل كجبهة متقدمة للاستعمار الغربي في الشرق الأوسط، وبناء على هذا السيناريو فالمسيحيون واليهود الذين يجمعهم تراث يهودي- مسيحي (Judeo-Christian) مشترك يهدف لتنحية المسلمين، مدعوون لدعم الدولة اليهودية التي تقوم على التطهير العرقي الوحشي (savage ethnic cleansing) ضد المسلمين المتطرفين»[1].

أما مراد هوفمان المفكر الألماني فيفسر الدافع العدواني بأنه الموروث الثقافي في الغرب الذي ظل حيًا في ثقافة الغرب حتى بعد أن خف ميزان الدين وسيطرة العلمانية، مما يعني تجذره في عمق الثقافة الغربية، فيقول: «الإسلام هو الدين الوحيد الذي لا يشمله

=الفتوحات العثمانية غزواً مجرداً، وليس صحيحاً أن الصراع الإسرائيلي مع العرب وحدهم، بل هو مع المسلمين عامة، حيث فلسطين والقدس قضية إسلامية وليست عربيةً فحسب.

(١) انظر: ديف ستراتمان (Dave Stratman)، مقالة بعنوان: *Inventing the Enemy*، الرابط التالي:

http://www.axisoflogic.com/artman/publish/Article_10445.shtm

ونصّها بالإنجليزية:

"Political Islam perfectly suits the needs of America's rulers for an enemy... Seeing Islam as the enemy also supports Israel's role as an outpost of Western colonialism in the Middle East; according to this script, Christians and Jews supposedly share a common Judeo-Christian heritage which is meant to exclude Muslims, and we are encouraged to support a Jewish state based on savage ethnic cleansing against Islamic fanatics."

التغاضي اللطيف أو التسامح الجميل! أسباب ذلك معقدة ومتنوعة، يرجع بعضها إلى الحروب الدموية بين المسيحيين والمسلمين والصراع السياسي والتجاري للسيطرة على البحر المتوسط»[1].

ويؤكد أيضاً ثبات هذا الموقف الغربي بقوله: «أصبحت إدانة الإسلام جزءاً لا يتجزأ من العقلية الأوروبية»[2]. ويضيف هوفمان تأكيدًا عن هذه الروح العدائية الغربية: «سيكون وهماً خطيراً أن نعتقد أن الروح الصليبية قد تلاشت»[3].

هذه الأقوال تُعدُّ من الجانب النظري، لكن من شواهد الواقع التطبيقي يمكن أن نورد على سبيل المثال ما يجري في فلسطين والعراق وأفغانستان، وصناعة الفوضى الخلاقة -كما تسميها بعض الدوائر الغربية- لوأد حريات الشعوب المسلمة التي -على سبيل المثال- بدأت مع محاولات الشعوب العربية إصلاح حكوماتها الدكتاتورية، وطالت عملياً شعوب مصر وليبيا وتونس وسوريا واليمن وغيرها. والتي دلت عليه بعض استطلاعات الرأي حين رفضت بعض الشعوب الغربية ما يُسمى بالإسلام السياسي حتى لو جاء عن طريق انتخابات كما مر في النتيجة الأولى (الإسلام العدو).

وإضافةً إلى ما سبق فإن العداء للإسلام هو المحور الرئيس فيما أُدخل من تعديلات على المهام الأمنية لحلف شمال الأطلسي، منذ قمة بروكسل عام ١٩٩٣م. وجرى تثبيته في قمة واشنطن عام ١٩٩٩م. ورافق ذلك تعديل كامل لصياغة المهام الأمنية على مستوى الجيوش

---

(١) انظر: مراد هوفمان، الإسلام عام ٢٠٠٠، ص٤٥-٤٦.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص٤٩.

(٣) انظر: المرجع السابق، ص٥٠.

الوطنية في الدول الأعضاء؛ ليكون بوضعٍ سافر حلفاً موجهاً لشعوب العالم الإسلامي ودوله.

كما أن للاستشراق والمراكز البحثية الاستشراقية بصفةٍ عامة دورها في صناعة الصور النمطية المشوهة عن الإسلام من جهة، ومنعاً للوصول إلى حقيقة الإسلام من جهةٍ أخرى، ودعماً في التخويف من الإسلام والمسلمين! وحمايةً للعقل الأوروبي من جاذبية الإسلام، كتب علي النملة وهو المتخصص في هذا المجال عن دور الدراسات الاستشراقية التي تسهم في صناعة الصور الذهنية السلبية عن الإسلام، ومما قال: «وقد خَلَّف هذا الاتجاه في الدراسة وراءه زخماً هائلاً من المعلومات المغلوطة في الغالب عن الإسلام والمسلمين، كانت هي القاعدة المعلوماتية التي بنى عليها المتأخرون من المستشرقين وغيرهم دراساتهم التالية، واستند إليها صنَّاع القرار في رسم سياساتهم في المنطقة، رغم المحاولات المتأخرة من بعضهم في طرق أبواب الموضوعية والتجرد، ولكن ظلت فكرة تهديد الإسلام للغرب مسيطرة، ليس على مستوى العلماء والمحيط العلمي الأكاديمي فحسب، ولكن على مستوى القيادات السياسية والتخطيط للعلاقات الغربية مع العالم الآخر»(١).

ولاشك أن هذه الدوافع الاستشراقية وغيرها مما يُسند العدوان والصراع كغيرها من الدوافع السابقة، كما أن استبعاد البُعد الاقتصادي -الذي يدخل في المصالح- كدافعٍ من دوافع الصراع والحروب لا يخدم كمال الحقيقة.

---

(١) انظر: علي النملة، مصادر الاستشراق والمستشرقين ومصدريتهم، ط٢، بيروت: دار بيسان، ١٤٣٢هـ (٢٠١١م)، ص٨٣.

وما سبق هنا من أقوال واستدلالات يُعدُّ نتائج إضافية تؤكد أن الصراع الغربي مع الإسلام وشعوب العالم الإسلامي ودوله حقيقة ناطقة بالقول والعمل! وبأهدافٍ لا تخرج عن العمل المستمر من الغرب لإقصاء السيادة أو الهيمنة للأمة الإسلامية، وتحقيق أمن الكيان الصهيوني في فلسطين، كما هو موضح في مواضعه من هذا الكتاب.

النتيجة الرابعة/ الحوار كنتيجة علمية:

الحوار مع الغرب، والقوة الجهادية على حدٍّ سواء تُعدُّ من أبرز نتائج المنافسة والصراع، بل إن الأبحاث والدراسات عن الحوار والجهاد بتنزيلهما على الواقع المعاصر من متطلبات هذا العصر، حيث المغالطات الكبيرة المصاحبة لهما[1].

إن ما ورد في هذا الكتاب عن الحوار وأهميته مع الشعوب الغربية، وما تم ذكره من الأقوال الموضوعية، إضافةً إلى بعض النماذج اليسيرة من استطلاعات الرأي العام يؤكد أن الرأي العام لدى الشعوب الغربية هو الرهان الحقيقي عند حكوماتهم، فالشعوب هي المستهدفة عند الساسة من المتعصبين بغرض كسبها في إثارة الكراهية وتجييشها ضد الإسلام والمسلمين. وفي الوقت ذاته فهم رهان غير خاسر بالنسبة للمسلمين للحوار معهم، حيث الفرص متعددة ومتنوعة بتوجيه الخطاب لهم والحوار معهم، وبالتالي كسبهم بالتحييد عن عداوته أو

---

(١) يُلاحظ أن أحد الباحثين المتخصصين كَتَبَ عن هذه النتيجة ضمن محددات العلاقة بين الشرق والغرب، وهو السابع عشر من المحددات، انظر: علي النملة، الشرق والغرب - منطلقات العلاقات ومحدداتها، ط٣، بيروت: دار بيسان للنشر ١٤٣١هـ (٢٠١٠م)، ص٢٦٥.

بمعرفة الإسلام باعتناقه. واستثمار قناعتهم الذاتية المستقلة بالعمل على إيقاف عدوان حكوماتهم أو إضعافه. بل قد يكون من أبرز صور مقاومة عدوان الحكومات الغربية العمل بحوار الحضارات مع الشعوب لإحباط محاولات تكرار إصدار نسخ مشوهة عن الإسلام والمسلمين، ولدفع سوء الفهم عن الإسلام، وإفشال الحملات الإعلامية المُسهمة في تضليل الرأي العام عن الدين الإسلامي.

وللاعتبارات السابقة ومن خلال هذا البحث فالحوار الفكري والثقافي الذي يستهدف الشعوب يُعد الحوار الرئيس، وله الأهمية القصوى، وميدان هذا الحوار مؤسسات القطاع الثالث المتنوعة في عالم الغرب، والمؤسسات الأهلية والشعبية في الدول العربية والإسلامية. وهذا مدعاة لنجاح الحوار وقبوله بين الشعوب، ولاسيما أن إرادة الشعوب -في غالب أمورها- هي ما يوجه مصالح الغرب. ولعل هذا يتسق مع بزوغ فجر إرادة الشعوب في العالم العربي والإسلامي، وتحولات القوة بعد الثورات العربية عام ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م، بالإضافة إلى تطور الوسائل الإعلامية الجديدة، ومن ذلك وسائل التواصل الاجتماعي دون حدودٍ أو قيود.

والحوار المتكافئ بالنسبة للمسلم يكون حوار المُعتزّ بهويته الفكرية والثقافية، وبالحكمة والموعظة الحسنة والبلاغ والبيان حينما يكون الحوار عن الأديان والثقافات، قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (النحل:١٢٥)، وقال تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ وَإِنَّا

إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ﴾ (الشورى:٤٨).

وهكذا نجد أن القرآن يُشرِّع للمسلمين العمل بالحوار، وأن الاجتهاد بتطويره بأساليب حديثة مما سيساعد في فهم أفكار الآخرين ومناقشتها.

النتيجة الخامسة/ لغة القوة الإسلامية (المقاومة والجهاد):

الحوار بين الأمم والشعوب لا يمنع من وجوب الإعداد للقوة في الوقت ذاته، فالقوة المعنوية والمادية من متطلبات نجاح الحوار. والتكافؤ في القوة مما يُعزِّز نجاحه، أياً كانت هذه القوة سياسية أم عسكرية، معنوية أم مادية، وهذا ما يحقق مصالح التوازن بين القوى المتحاورة، ويقي الطرفين مخاطر استخدام القوة الخاطئة.

والإعداد للقوة عند المسلمين أمرٌ رباني مفيدٌ للأمة، كما أمر جل وعلا بقوله: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ (الأنفال:٦٠).

والواقع العالمي بعدوانيته وتهديداته وابتزازه هو ما يُوجب إعداد القوة المعنوية والمادية والعسكرية، ومن أولويات استحضار هذه القوة تقوية الانتماء لهوية الوطن الإسلامي وهي العقيدة والدين؛ لأنها قوة أساسية تبعث معظم وسائل القوة الأخرى وتستدعيها، وأمة بلا انتماء أو ولاء لدينها واعتزاز بقيمها وثقافتها وتاريخها الإسلامي

العريق لا يمكن أن تحترمها الأمم الأخرى أو تحترم الحوار معها، كما أنها بفقدان هويتها الفكرية والثقافية تفقد حتماً مكانتها بين الأمم، وتتهمش قوتها وتنهزم قبل المواجهة. ومن يفقد قوته تسهل إثارة الصراع معه أو الحروب عليه، أو السيطرة على مقدراته المعنوية والمادية، بل إن القوة العقدية لدى أية أمة هي ما يُحبِط النيل من الثغور والأوطان، ولاشك أن القوة -أياً كان نوعها- مقابل القوة عند الآخر هي الوسيلة المثلى لصناعة الحوار الجاد والمتوازن والمثمر، حتى لو كانت القوة المعنوية عند الطرف الإسلامي تتقابل مع القوة العسكرية عند الطرف الآخر.

كما أن من المهم التذكير بأن المقاومة الفكرية أو الثقافية تُعدُّ من أنواع الجهاد عند المسلمين، وهي حقٌّ من حقوق الأمم والمجتمعات والدول جميعاً، ما دامت هذه المقاومة لا تُشكِّل اعتداءً على حقوق الآخرين.

المفكر الألماني مراد هوفمان له بعض الرؤى والمقترحات حول ذلك، حيث شرح: «إذا أردنا نحن -المسلمين- أن نُترك وشأننَا فعلينا أن نجاهد جهاداً جباراً [شرعياً] لنحمي حقنا في الاختلاف الثقافي، في عالم يسعى لفرض النموذج الغربي علمياً. باختصار، يتطلب ذلك أن يعود المسلمون بالميلاد، إلى مسلمين بالإيمان والفعل، وليس هناك بديل عن ذلك»[1].

---

(١) انظر: مراد هوفمان، الإسلام عام ٢٠٠٠، ص٣٥-٣٦، يلاحظ أن هناك إشكالات ذهنية حول مفهوم الجمع بين المواطنة والعضوية في الأمة الإسلامية الواحدة، وهي ناتجة -مع الأسف- عن عدم تحرير مصطلح الوطنية، والحقيقة أن لا تعارض بين الوطنية والانتماء للأمة الإسلامية، والأمر يحتاج إلى إيضاح وشرح للمصطلحات الوافدة ومدى توافقها أو تعارضها مع المصطلحات التاريخية والشرعية.

والبغي والظلم الوارد النقل عنه في المبحثين الثالث والرابع بصفةٍ خاصة مع الواقع المعاصر المذكور عن صناعة الحروب والإرهاب تجاه العالم الإسلامي ولاسيما في المبحث الخامس، إضافةً إلى ما ورد في مؤشرات الرؤية الاستشرافية في المبحث السابع، ذلك أو بعضه مما يتطلب معه عند المسلمين استحضار الجهاد الإسلامي ودوره الأخلاقي في حسم معارك العدوان. ولذلك يجب أن لا يغيب مبدأ جهاد القتال، وكذا الإعداد له والأخذ بأسبابه. ومما كان يردده على مسامعي صالح الحصين القول: إن المسلمين لا يفضلون الحرب، ولكن الجميع يعلم أن تجنب الحرب في بعض الأحيان قد يكون مستحيلاً، كما ورد في القرءان الكريم: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (الممتحنة:٨)، ﴿فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة:١٩١)، وإن كان الحكم الشرعي في حَلٍّ النزاع يميل إلى الحل السلمي بدلاً من الحرب.

وأكرر القول: إن جهاد القتال في الإسلام لا يتعارض مع الفطرة الإنسانية السليمة، ولا مع كثير من القوانين الدولية المُنَظِّمة للحروب، حيث من المُسلَّمات وجوب الدفاع ومقاومة المعتدي وصد العدوان عن النفس، أو المال والممتلكات، أو عن العِرْضِ والدين: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ﴾ (الشورى:٣٩)، وذلك مما تتفق عليه جميع الأديان السماوية ومعظم النظم القانونية البشرية السوية.

يقول الحصين مؤكداً ما سبق: «ليس معنى أن الحرب الجهادية حرب دفاعية بمعنى أن ينتظر المسلمون حتى يهاجمهم العدو فينطلقوا

لمقاومته.

إنّ قتال المسلمين العدو الذي يحاربهم أو يهددهم بالحرب أو يفتن المسلمين عن دينهم أو يَحُولُ بين الناس وأن يكون دينهم لله، أو يخرجهم من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا: ربُنَا الله، كلُ هذا داخل في مضمون قتال المسلمين من يقاتلهم»[1].

ويتفق مع ذلك شارل برو عن مفهوم الجهاد بشيءٍ من التجرد العلمي، حيث يقول: «عادة ما يقوم أعداء الإسلام بإبراز (الآية:٢٩) من سورة التوبة: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾، إنما من الضروري وضع هذه السورة في سياقها التاريخي. ويذكر عبده الفيلاني الأنصاري أنها نزلت على النبي ﷺ في ظروف حرب، عندما كان الأعداء يهددون حياة المسلمين. وكان لا بد من وضع [نزول] هذه الآية المعدة لإثارة حماسة المسلمين المهدَّدِين -والذين يعانون أوضاعاً قاسية- في الإطار العام للسورة الذي يتناول الصفة المقدسة للمواثيق، ويعرض الأصول والفروع التي يجب حفظها في الذاكرة. وهناك عدة آيات من السورة توضح: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (التوبة : ٥)، ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ...﴾ (التوبة:٦)، وفي كتاب نشرته أمانة سر الفاتيكان لغير المسيحيين، يُوضح الأب موريس بورمانز: «إن الجهاد ليس الحزم التوراتي، ولا يتجه أبداً إلى الإبادة، بل إلى نشر شرائع الله وحقوق

---

(١) انظر: صالح الحصين، التسامح والعدوانية بين الإسلام والغرب، الرياض: طبعة كرسي الأمير سلطان للدراسات الإسلامية المعاصرة، ١٤٢٩هـ ص٢٣٥.

الإنسان في المقاطعات الجديدة»»[1].

ويقول برو كذلك في توضيح بعض المصطلحات في هذا الشأن: «وفي ضوء القرآن والسُّنَّة، حدد مفكرو المذاهب السلفية في الشريعة ما يجب أن يُكَوِّنه الجهاد، فالجهاد في المقام الأول لا يعني الحرب، كما أن عبارة حرب مقدسة لا تلائم معنى الجهاد، ويكتنفها الغموض والإبهام، وبمقدار ما تحمل كلمة اجتهاد حرفياً معنى الجهد، فهذا الجهد هو الذي يبذله المسلم في سبيل الله، ويميز المذهب السلفي بين الجهاد الأكبر والجهاد الأصغر»[2].

فالجهاد مشروع لأمة الإسلام، كما هو مشروعية القوة العسكرية لأي دولة عند حصول العدوان، والجهاد لا ينفصل عن العدل، بل هو لتحقيق العدالة والسلام والدفاع عن الإسلام، وهو حق وواجبٌ على المسلمين[3].

ويعلق برو في هامش كتابه حول (فرض العين) قائلاً بالمقابل: «الجهاد بهدف نشر راية الإسلام في دار الحرب واجب جماعي (فرض كفاية)، أي فرض على الأمة، لكن المسلم يستطيع رفض ذلك بصفة فردية»[4].

ويورد برو خلاصةً مفادها أن الجهاد حق فِعلي في الحرب، وينقل

(١) تضيف الوثيقة.. وفيما مضى، كانت مظاهر الشدة في الجهاد تتبع قوانين الحرب، ولم يكن المسلمون أيام الصليبيين هم الذين يرتكبون دوماً المجازر (المترجم). انظر: شارل برو، الإسلام - مستقبل السلفية بين الثورة والتغريب، ص١٤١.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص١٤١.

(٣) انظر بتصرف: المرجع السابق، ص١٤٢-١٤٣.

(٤) انظر: المرجع السابق، ص١٤٣.

برو بقناعةٍ علمية عن مازن مطبقاني أخلاقيات الجهاد وقِيَمه قوله: «كان الإسلام أول حضارة حديثة أرست حقوق الحرب، وذلك بفرض مبادئ لم تستطع الشعوب الأخرى تطبيقها إلا بعد فترة طويلة جداً. وحسب القرآن تشكل الحرب فرضاً غير مرغوب فيه، ينبغي القيام به ضمن التقيد بالقيم الأخلاقية والإنسانية، ولا ينبغي اللجوء إليه إلا بوصفه حكماً أخيراً، وقد منع النبي ﷺ الانتقام والنهب والسلب وأوصى بالعفو عن الأعداء المغلوبين. ونجد قواعد حقوق الحرب هذه مطروحة بشكل واضح في الوصايا العشر التي وجهها الخليفة أبو بكر الصديق إلى قائد جيوشه أسامة بنِ زيد: (لا تخونوا، ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا طفلاً صغيراً أو شيخاً كبيراً ولا امرأة، ولا تعقروا نخلاً ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلا لمأكلة، وسوف تمرون بأقوام قد فَرَّغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له. وسوف تَقدُمون على قوم يأتونكم بآنية فيها ألوان الطعام فإذا أكلتم منها شيئاً فاذكروا اسم الله عليها). وبعد مضي ١٢ قرناً، استطاع القانون الدولي، وبخاصة قانون الحرب، أن يضع هذه المبادئ التي أطلقها الإسلام منذ القرن السابع [الميلادي، الموافق القرن الأول الهجري]»[(١)].

وخلاصة الأمر عن إعداد القوة بالمقاومة والجهاد، أن القتال

---

(١) انظر: المرجع السابق، ص١٤٣-١٤٤. ويلاحظ أن هذا الحديث الذي ساقه برو ليس بحديثٍ مرفوعٍ وإنما هي وصيةٌ من أبي بكر لجيش أسامة رضي الله عنهما، وللمسلمين ولغيرهم غُنيةٌ وكفايةٌ بما روي عن محمد ﷺ في خطبة الوداع، حيث أوصى الرسول بما ذكر أعلاه وغيره من هذه القيم أو الوصايا، وكذلك ما ورد في البخاري عن أدب الغزو في الإسلام.

حق مشروع لأمة الإسلام، وهو من حقوق دول العالم الإسلامي في منظومته الدفاعية والأمنية كما هو حق لغيره، ويُقابل ذلك السلاح النووي والأمن الوطني لدى الدول الغربية، والجهاد لا يتعارض مع الحوار، بل إن إعداد القوة في كثير من الأحيان مما يصنع حواراً جاداً متكافئاً بين الأطراف، كما يخلق بعض الردع الذي يُعزِّز كثيراً من الحوارات، والحديث عن الجهاد في هذا الموضع يُعدُّ من استنتاجات هذا البحث، وليس مقدمة وقيمةً إسلامية كما ورد في المبحث الثاني من هذا الكتاب.

ثانياً: نتائج الرؤية المستقبلية

ما ورد في المؤشرات الستة عشر السابقة يُعدُّ من المعالم الرئيسة للرؤية المستقبلية وتكتمل هذه الرؤية ببعض الاستنتاجات العامة للكتاب، ومن أبرزها:

أولاً: هذه المعطيات التاريخية والمؤشرات السياسية الخطيرة لا تعني التهويل من قدرات الآخرين من متعصبي الغرب وأعداء الشرق ومكرهم وكيدهم أو سيطرتهم على مقاليد بعض الأمور. كما لا تعني تجاهل الأخطار المحدقة بدول المنطقة، أو التهوين من قدرة الأمة الإسلامية الذاتية بعقيدتها القتالية، فالتاريخ يقول: إن أمة الإسلام الكبيرة ورقعة جغرافيتها الواسعة وما تمتلك من روحٍ قتالية في شعوبها ومجتمعاتها قادرة على صد العدوان عبر التاريخ، وهي كمثال معاصر تمتلك إمكانية الوقوف أمام تمدد إيران السياسي والعسكري حينما تأخذ بأسباب القوة. بل إن التاريخ الحديث دَوَّنَ وهن إيران أمام الجيش العراقي على مدى ثماني سنوات من الحرب زمن صدام حسين! فكيف بأمة الإسلام كافةً وبقوتها الذاتية التي تملك قوة الماضي والحاضر بعقيدتها أمام أعدائها وخصومها بأيديولوجياتهم التي تقوم على الكراهية وعدم التسامح. ولم يسجل التاريخ لخصوم الإسلام البقاء والقوة والسيادة الدائمة -حتى مع الانتصار- بسبب تلازم هذه الصفات التي -حسب التاريخ- تُنهي الحضارات ولا تبنيها!

وقد أصبح المسلمون يدركون الواقع أكثر من ذي قبل، كما يؤمنون بقوة دينهم وحضارتهم مقارنة مع غيرها، بل إن هذا الوعي

المعرفي والإيمان العقدي ما يميز هذا العصر عن عصر اجتياح التتار وغزو الصليبيين لبلاد العالم الإسلامي، كما أن المسلمين يتأكد لهم أكثر من السابق أهمية التصدي لمحاولات تحجيم العقل العربي وإرادته الإسلامية الحُرة، والتحرر من ديمومة سذاجة السياسات العربية وغبائها في علاقاتها الدولية مع الآخرين[1].

ولهذه الاعتبارات وغيرها فإن عقلاء الأمة ومفكريها[2] يُدركون أهمية التذكير للحكومات والشعوب، بأن ما أصابها وما سيصيبها من فتن وصراعات ترجع إلى ذاتها الداخلية بقبولها للاستبداد وبتعاطيها الخاطئ مع الإصلاح قبل أن يكون أسباباً خارجية، وقد عاتب الله صحابة رسوله محمد ﷺ عند مخالفتهم أمره، بقوله تعالى: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (آل عمران:١٦٥). وفي هذا السياق نَبَّه سفر الحوالي عن هذا الواقع الداخلي للحكومات والشعوب ناصحاً، ومما قال: «إن من يتأمل حالنا مع الله، وموقعنا من الاعتصام بحبله والتمسك بهديه، لا يعجب من وقوع البلاء، بل يعجب من سعة رحمة الله وفضله علينا وعفوه عن كثير مما كسبت أيدينا، فالابتعاد عن هدى الله وشريعته يتزايد، والمنكرات تتكاثر، والغفلة تستحكم، والاغترار بمتاع الدنيا يسلب الألباب، والركون إلى الظالمين وموالاة الكافرين يجاهر بهما الناعقون، وقائلو كلمة الحق والناصحون المشفقون الآمرون بالمعروف الناهون عن المنكر تسكتهم قوة الباطل، وتأكل لحومهم وسائل الإعلام، ودعاة الشرك والبدعة يرفعون رؤوسهم

---

(١) انظر: نعوم تشومسكي، من يحكم العالم؟ ص٤٦،٤٥.

(٢) يستثنى من ذلك المفكرون الذين يجاملون حكوماتهم من أجل تحقيق مصالحهم الشخصية.

بلا حياء ولا وجل»[1].

ولذلك ففي الوقت ذاته يُمكن للمؤشرات المُتسمة بالعدوانية الواردة في هذا المبحث -بالرغم من قوتها- أن تكون ضعيفة الفاعلية -حسب إيمان المسلم بقدرة الله- خاصةً حينما يكون الرجوع إلى الله حكوماتٍ وشعوباً، والفرار إليه بصدق على مختلف المستويات، ثم بالإصلاح السياسي وتحقيق العدالة والحقوق، والعمل بسلامة المنهج بدلاً من العمل بمنهج السلامة الذي أضاع العمل به الأمة الإسلامية فترةً طويلةً من الزمن.

ثانياً: ما سبق توصيفه في المعطيات والمؤشرات يُعدُّ -حسب التاريخ- مقدمات كبيرة لصراعٍ أكبر متوقَّع -والله أعلم- وسيكون بصورةٍ أعنف من واقعه عند صدور هذا الكتاب، حيث تتشكل التحالفات الإقليمية والدولية العسكرية والعدائية بتسارع خطير، وتتقاطع المصالح الكُبرى الخاصة بين أهداف هذه الدول، كما تتقاطع الأهداف المشتركة فيما بين بعض هذه الدول.

فالصراع بارتفاع وتيرته واستمراريته ناتجٌ في مُعظمه من تقاطع بعض تلك المصالح، كما أنه ناتجٌ من جرَّاء التدخلات الأجنبية السياسية والعسكرية والتحالفات الدولية والإقليمية، وعلى رأسها التحالف الإيراني الغربي، وفي الوقت ذاته فمخاطر زيادة الصراع ناتجةٌ عن الدعم غير المباشر للتطرف والإرهاب لما يُسمَّى الدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش).

---

(١) انظر: سفر الحوالي، كلمة له من مقال بعنوان: نصيحة وذكرى، بتاريخ ١٤ ربيع الآخر ١٤٢٤هـ الرابط التالي:

http://www.saaid.net/Warathah/safar/5.htm

وإلى ذلك أشار الرئيس التركي رجب طيب أردوغان في آواخر ديسمبر من عام ٢٠١٦م قائلاً: «بأن التحالف الذي أسس لمكافحة تنظيم الدولة لا يقدم أي دعم لبلاده في معركة الباب (شمال سوريا) التي يسيطر عليها التنظيم».

بل وهاجم أردوغان دول الغرب وعلى رأسها الولايات المتحدة، قائلاً: «إنها تتحجج بذرائع مختلفة لتقديم الدعم العلني لتنظيمات إرهابية تورطت في دماء الأبرياء بمنطقة الشرق الأوسط»، وذلك رغم دعوات أنقرة المتكررة لهم بعدم التفريق بين التنظيمات الإرهابية، وخاطب الرئيس التركي تلك الدول قائلاً: «تدعمون التنظيمات الإرهابية بكافة أنواع الأسلحة، وتزعمون أنكم لم تقدّموا لهم الأسلحة بل ترسلون لهم الذخائر، هذا الكلام لا ينطلي علينا»[1].

وإضافةً إلى ما سبق فمخاطر الصراع تتزايد من المجموعات أو الخلايا الإرهابية الشيعية النائمة المرتبطة بإيران داخل دول الخليج، ويضاف إلى هذا غياب دور الجامعة العربية وهشاشة مجلس التعاون الخليجي في دوره العسكري الدفاعي المشترك، بل إن المخاطر الإقليمية، ولاسيما مع إشكاليات حدودية، والتي قد تكون محسومة في حالات السِّلم بين كلٍّ من السعودية والكويت، أو الإمارات والسعودية، أو الإمارات وعمان، وكذلك بين اليمن والسعودية، وغير ذلك من المشكلات الحدودية -كقنابل حدودية موقوتة-، قد تزداد في حالات الصراع والحروب والتدخلات الأجنبية الإقليمية

---

(١) انظر: عن هذه التصريحات لأردوغان الجزيرة نت، بتاريخ ٢٩ ديسمبر ٢٠١٦م، الرابط التالي: http://bit.ly/2k3j1Qw .

والدولية[1].

ولاشك أن خطورة احتمالية الصراعات الإقليمية تتعاظم وذلك لقرب محاذاة إيران الحدودية مع السعودية ودول الخليج من معظم شمال الجزيرة العربية ومن جهات بحرية متعددة خصوصاً بعد أن أصبحت العراق أشبه بولاية إيرانية، ودول الخليج مُستهدفةٌ في إدخالها إلى حَلبةَ صِراع المصالح والهيمنة بين القِوى الدولية الكُبرى، وهي في الوقت ذاته ليست ببعيد أن تكون المسرح الرئيس للحرب الموصوفة بالحرب العالمية الثالثة القادمة.

وستؤدي الأطماع الدولية والإقليمية والتطرف الدولي العالمي إلى زيادة الصراعات والحروب بأكثر من الواقع المعاصر في ظل تراجع مشهود لمنظومة قيم العدالة والسلام الدولي، وفي عصرٍ اتسم بانكفاء الزعامة الأمريكية العالمية وتراجع هيمنتها إلى حدٍّ كبير، وهو ما سيزيد من حالات الفراغ السياسي العالمي ويرفع من وتيرة الحروب العالمية، وبالتالي إلى تفكك كثير من دول العالم العربي وأمنها الداخلي والحدودي، ويبقى عامل الوقت عن هذا التفكك الذي قد يكون قريباً، أو قد يحتاج إلى بعض الوقت.

لكن هذا -حسب التاريخ- سيُعزِّز فيما بعد الشعور الإسلامي تجاه وحدة الأمة الإسلامية وأهدافها التي أثبتت أحداث التاريخ بأن عدالة الدين تَصهر التوجهات الدينية من أهل السُّنة، وتُضعف القوميات والعرقيات لصالح وحدة الأمة الإسلامية الفكرية

---

(١) انظر: عن هذه المخاطر الحدودية لدول الخليج العربي، موسوعة ويكيبيديا الحرة، الرابط التالي: http://bit.ly/2b3Q2JI

والجغرافية التي ينشدها كثيرٌ من المسلمين، ولاسيما بعد فشل تجارب الوحدة القومية والعلمانية والاشتراكية والوطنية المستوردة التي تتجاهل خصوصيات الأوطان.

ثالثاً: أصبحت الأساطيل البحرية الأجنبية المتنوعة تُحيط بالمنطقة المسماة بالشرق الأوسط من نهاية عام ٢٠١٥م، بل وهذه الأساطيل الكبيرة بقواعدها البحرية في البحر الأبيض المتوسط والأحمر وباب المندب والخليج العربي تزداد يوماً بعد يوم بقوة لتكشف أنها لحروبٍ محتملةٍ أوسع وصراعٍ أكبر بين قُوى إقليمية ودولية.

وحسب موقع العربي الجديد في توصيف تطورات أحداث باب المندب بتاريخ ١٥ أكتوبر ٢٠١٦م: «وتسارعت التطورات في المنطقة مع تكثيف الولايات المتحدة من تحركاتها في البحر الأحمر ومضيق باب المندب، وعززت تواجدها بثلاث بوارج حربية هي (يو أس أس نيتز)، (يو أس أس ميسون)، إضافة إلى بارجة (آيزنهاور) التي أرسلت في وقت سابق من هذا العام ٢٠١٦م... وازداد التوتر مع إعلان (وكالة تسنيم) الإيرانية، أن إيران أطلقت سفينتين حربيتين في مهمة نحو المياه الدولية قبالة خليج عدن، لتنتزع لنفسها موطئ قدم عسكرياً في المياه قبالة اليمن»[1].

«تصاعدت وتيرة التطورات في باب المندب، لتتخذ بُعداً إقليمياً ودولياً، مع استهداف سفينة أميركية في تلك المنطقة، اتُهم الحوثيون بالمسؤولية عنه!... وتبرز أهمية مضيق باب المندب بأنه يرتبط بممرات أخرى أهمها قناة السويس في مصر، ومضيق هرمز اللذين تمر من

---

(١) انظر: موقع العربي الجديد، بتاريخ ١٥ أكتوبر ٢٠١٦م، الرابط التالي:
http://bit.ly/2dUZ6pz

خلالها ناقلات النفط العملاقة لإمداد أوروبا بالنفط في ظل تزايد الاعتماد على نفط دول الخليج، كما تعكس هذه التطورات أن الصراع في باب المندب، أحد أهم الممرات الاستراتيجية للنقل البحري، لم يعد ذا طابع محلي»[1].

والمتأمل لحجم هذه الأساطيل والقواعد العسكرية المتعددة يُدرك أنها قادمةٌ لصراعٍ أوسع وأطماع أكبر، وكأنها مُقبلةٌ على حالاتٍ من الانهيار السياسيِّ والفوضى الأمنية لدول المنطقة، وقد تكون هذه الأطماع اقتساماً وتقسيماً جديداً في النفوذ والاحتلال لدول العالم العربي أو دويلاته.

والأحداث بتسارعها واتساع رقعتها تعني أن المنطقة مرشحة لتعرضها لأحداث جسام ونوازل عظام، وما التدخل الروسي في باب المندب وزيادة حجم التدخل الأمريكي في شهر ديسمبر وأكتوبر من عام ٢٠١٦م وما بعدهما إلا مؤشر خطير للعبث أكثر بسيادة دول المنطقة وأمنها.

والتدخل العالمي الأجنبي بهذه الصورة يُعدُّ من مؤشرات قيام حرب عالمية -كما سبق- لكنها ستكون هذه المرة في أرض الإسلام -والله أعلم- وخاصةً في بلاد الشام وجزيرة العرب، حيث أهم المضائق العالمية (قناة السويس وباب المندب ومضيق هرمز) وهي أهم المعابر المائية الاقتصادية، كما أنها مصادر لكثيرٍ من الاقتصاديات والثروات والطاقة العالمية، إضافةً إلى أن الأراضيَ المقدسة وافتعال جدلية الأحقية فيها مع مزاعم حماية حقوق الأقليات في المنطقة مما

---

(١) انظر: المرجع السابق.

سوف يُعزِّز الصراع، وكل ذلك أو بعضه مما سيزيد من حالات اتساع دائرة الحروب، وبهذه التدخلات الأجنبية الكبيرة فالحرب ستكون مُرشَّحة للامتداد إلى ما هو أكثر من دول المنطقة، بما في ذلك بعض دول أوروبا وغيرها، بصورةٍ مباشرةٍ أو غير مباشرة، وليس هذا من التهويل والمبالغة كما قد يظن القارئ! فهل كان أحد يظن أن آليات الحروب المدمرة ستجتمع في محيط البحر المتوسط والخليج العربي بهذه الأحجام الكبيرة في السنوات الأخيرة؟!!

ويؤكد على هذه الحرب المتوقعة مستشار الأمن القومي الأمريكي ووزير خارجيتها السابق هنري كيسينجر بقوله: «إن ما يجري في الشرق الأوسط والعالم كله، يُعدُّ تمهيداً للحرب العالمية الثالثة التي سيكون طرفاها روسيا والصين من جهة، والولايات المتحدة من جهة أخرى، فيما وصفها بأنها ستكون حرباً شديدة القسوة»، كما يضيف في مقابلة أخرى قائلاً: «إذا كنت لا تسمع طبول الحرب فإن في أذنيك صمماً»[1].

رابعاً: من الواضح أنه في كثير من الأحيان تتعارض المصالح الأوروبية وحلف الناتو مع المصالح الروسية ، بالرغم من المصالح المشتركة وتقاطعها بينهما، إلا أن روسيا لن تقبل توسُّع الاتحاد الأوروبي على حسابها في دول شرق أوروبا مثل دول أوكرانيا والجبل الأسود وغيرهما، بالرغم من ضَعف الاتحاد الأوروبي أمام القوى

---

(١) انظر: موقع المناطق، بتاريخ ٨ أكتوبر ٢٠١٥م، الرابط التالي:.http://almnatiq.net/136347/?mobile=1، نقلاً عن: صحيفة ديلي سكيب اليومية المحلية في نيويورك، وانظر: صحيفة ديلي سكيب، بتاريخ: ٢٧/ ١١/ ٢٠١١م، الرابط التالي:
http://goo.gl/OQR63F

الغربية الكُبرى، وتحديات الاقتصاد، وبالرغم من إشكاليات ملفات الهجرة لدى بعض الدول الأوروبية، ولذلك سينعكس هذا الواقع إلى حدٍ كبير في المستقبل بصراعٍ بين بعض دول أوروبا وروسيا في ساحاتٍ أوسع من دول العالمَ الإسلامي، وخاصةً حينما انتصرت روسيا في فرض وجودها وقوتها السياسية والعسكرية من خلال أحداث القرم في أوكرانيا، ومن خلال تعزيز وجودها في سوريا ثم في باب المندب وقد يكون في داخل اليمن كذلك فيما بعد، وهو ما سوف يُقلق الغرب الأوروبي من عودة الدب الروسي وانتقامه، ولذلك فهناك من يرى أن هذا الصراع القائمِ بقدر ما هو صراعٌ في العالم الإسلامي إلا أنه كذلك بين القوى الكبرى، حيث أمريكا وأروبا من جهة وروسيا من جهةٍ أُخرى، والأوضاع العالمية مرشحة أن تزداد فيها حالات الصراع والحروب بالرغم من تردي الأوضاع الاقتصادية العالمية والروسية خاصة، لكن يُردُّ على هذا الوضع بأن ما يُسمى (اقتصاديات الحروب) يُعدُّ وسيلةً مثلى لتعويض الاقتصاديات المتردية.

خامساً: إضافةً لما ورد من نتائج في عموم هذا البحث عن الصراع الغربي مع الإسلام ودوله، وحسب ما ورد في المؤشرات السابقة، فالصراع العسكري الدموي الكبير الذي يلوح في الأفق تسارعه واتساعه في قلب العالم الإسلامي يتشابه إلى حدٍ كبير مع ظروف الحرب العالمية الأولى والثانية، من حيث حجم النزاعات الدولية على النفوذ والهيمنة وتداخلها وتشابكها، إن لم تكن ظروف حجم النزاعات الحديثة والجديدة أكبر من ظروف الحرب العالمية الثانية ودوافع نشوبها.

وهذه الصراعات القوية بسوريا -حسب بعض القراءات الدينية الشرعية- قد تكون من المقدمات العاجلة أو الآجلة لملاحم الشام الموعودة والتي منها ملحمةُ مرج دابق[1] وفيها سيكون النصر للإسلام والهزيمة لأعدائه، حسب ما ورد في السُّنة النبوية وبعض كُتب التاريخ، وقد تكون هذه الملاحم مقدمات أو تهيئات للجهاد الموعود ضد اليهود في فلسطين وأنصارهم، وذلك بالرغم من أن هذا الواقع المتردي لدول العالم العربي والخليجي سوف يتجه حكومياً إلى التطبيع الشامل مع الكيان الصهيوني لبقية الدول العربية والخليجية! خلافاً لإرادة الأمة والشعوب الإسلامية.

وما سبق مما يُعزِّز ميلاد مشروع واضح قوامه وحدة الأمة الإسلامية من جديد، ولاسيما أن هذه الأحداث -كما يبدو- بمؤشراتها تعكس مرحلة بداية واضحة في التمييز بين الصفوف على مستوى الشعوب الإسلامية، بل وعلى مستوى الدول والحكومات إلى حدٍّ معين، باختلافٍ في مستويات هذا التمييز أو درجاته في الحق والباطل، وسوف تتجه الأحداث حسب ظاهرها ومؤشراتها إلى أن يكون العالم والعالم الإسلامي بصورةٍ أخص فسطاطين: حقٌّ أو قريبٌ منه، وآخر باطلٌ واضحٌ أو صريحٌ بظلمه!

سادساً: أن مواقع الصراع المستهدفة ستنحصر من إسطنبول شمالاً إلى صنعاء وعدن جنوباً مروراً ببلاد العراق والشام وفلسطين ومجمل جزيرة العرب وخليجها باختلافٍ في قوة هذه الصراعات والحروب بين الدول، ومع تزايد الصراعات الإقليمية والضعف

---

(١) انظر: عن حديث مرج دابق، في صحيح مسلم، كتاب الفتن، حديث رقم (٢٨٩٧)، وفيه قوله ﷺ: (لا تقومُ الساعةُ حتَّى ينزلَ الرومُ بالأعماقِ، أوْ بدابقَ).

السياسي والأمني لكثيرٍ من هذه الدول فقد تتدخل الدول الكُبرى بصورة مباشرة في إدارة المنطقة بمزاعم حماية المصالح الاقتصادية العالمية كالنفط والغاز، وكذلك سيكون التنافس في السيطرة أكثر على المضائق البحرية، وربما يكون التدخل المباشر كذلك بدعاوى حماية الأقليات، أو الوصاية على النزاع حول المقدسات أو لكافة هذه الاعتبارات، وستكون تركيا والسعودية وبعض دول الخليج هدفاً عالمياً طويل الأجل في اقحامها في حروب المنطقة وأزماتها، بل كلما أفلتت هذه الدول من مؤامرة فعليها أن تنتظر مؤامرات أخرى لتقويض قوتها الجيوسياسية ووحدتها كما هو الواقع مع محاولة الانقلاب التركية الفاشلة بتاريخ ١٥ يوليو ٢٠١٦م، وكما هي المحاولات الكبيرة لإقحام تركيا بحروب استنزافية في الأزمة السورية، وكذلك في مواجهة الدعم الغربي للأقلية الكردية داخل تركيا وعلى حدودها، إضافة إلى أن التغيير الديموغرافي السكاني في الموصل وحلب باستبدال الشيعة بسكانها السُّنة الأصليين، وكذلك تمكين الأكراد من الموصل بما هو أكثر، ومعظم ذلك أو بعضه مما سوف يصنع لتركيا وحدودها الجنوبية قلاقل وحروباً أخرى قادمة -كما سبق توضيحه في موضعه-.

وفي سياق التآمر الدولي على الأمة الإسلامية ومصادر قوتها فإن السعودية ودول الخليج ليست بمنأى عن الصراعات والحروب والتقسيم والتفتيت، فالإجهاز على الحزام السُّنِّي في العراق وسوريا بدعم دولي وإقليمي إنما يستهدف بالدرجة الأولى محاصرة السعودية والسيطرة الإيرانية على الكويت واحتلال البحرين إيرانياً، كما أن حرب اليمن الاستنزافية تزداد فيها وتيرة الدعم السياسي الدولي

والدعم العسكري الإقليمي يوماً بعد يوم، وهو ما يُضاعف حالات الحروب الدائمة، واستهداف السعودية بحروب الدول المجاورة يُعدُّ الجائزة الأخيرة في مشروعات تقسيم دول المنطقة، ولهذا الاعتبار تزداد حالات استهداف قوة الرسالة الإسلامية بمؤسساتها الدينية في السعودية وإضعافها، ومحاولات تفريغها من قوتها الدينية الداخلية والخارجية حيث إضعاف التطوع والتبرع والأذرعة الإغاثية الخارجية للحكومة وللشعب على حدٍّ سواء كضربات استباقية في الإضعاف لوحدتها وتماسكها، ومؤتمر جروزني بأهدافه في إقصاء المملكة وعلمائها وتراثها لا يخرج عن هذا الاستهداف، وفي الوقت ذاته تتصاعد محاولات استهداف القوة الاقتصادية للدولة السعودية سواءً فيما يُسمى قانون العدالة ضد رعاة الإرهاب (جاستا) -كما سبق في المؤشر الخامس عن جاستا-، أو إضعاف أسعار النفط -كما يرى البعض- أو الاستنزاف في الحروب.

ويؤكد ما سبق المستشرق الألماني الدكتور إيكهارد شولتز الذي زار سلطنة عُمان والمنطقة الشرقية بالسعودية واليمن عدة مرات، وكتب تحليله لمجمل الأحداث في المنطقة العربية، قائلاً: «إنه لا يمكن استبعاد البعد الاقتصادي كعنصر مهم في الصراع بالمنطقة، فبالنسبة للسعودية سيقل الوزن النسبي -الجيوبولوتيكي- لها خاصة بعد إتمام الاتفاق النووي مع إيران ورفع العقوبات عنها مما يزيد من فرص زيادة تدفق البترول الإيراني في الأسواق الغربية، وتقليل الاعتماد على البترول السعودي، ومن ثم التأثير سلبًا على الوزن النسبي للمملكة عالميًا.

مع استحضار ممارسة الغرب بقيادة الولايات المتحدة ضغوطًا شديدة على السعودية فيما يتعلق بملف حقوق الإنسان، وعلى حد تعبيره ليس هناك مبرر لدى الغرب للتغاضي عن هذا الملف كما كان يحدث في الماضي، خاصة أن التصالح الغربي مع إيران قد يجعل واشنطن وأوروبا أكثر جرأة في الضغط على المملكة دون خوف من (البترول فوبيا)»[1].

وفي هذا السياق المستقبلي للدول المستهدفة سابقة الذكر فإن ما جَرى سابقاً ويَجري لاحقاً في كلٍ من العراق وسوريا من تعدٍّ على أهل السُّنَّة كافٍ في استقراء المستقبل، حيث حروب الإبادة العراقية الإيرانية في محافظة نينوى بعاصمتها (الموصل) في الثلث الأخير من عام ٢٠١٦م -ولا يزال-، وما يجري كذلك من حرب الإبادة بالهجوم النُّصيري السوري والروسي على (حلب السورية) بهدف التغيير الديموغرافي السكاني لصالح الطائفة الشيعية وإكمال القوس الشيعي الممتد من إيران مروراً بالعراق وسوريا إلى جنوب لبنان، وهذه المعركة في كلٍّ من الموصل وحلب لربما تكون ما يرسم ملامح أحداث المستقبل بين عموم الأمة المسلمة وبين الطائفة الشيعية المُكفِّرة للأمة المسلمة والمستحلة لدمائها المستبيحة لأعراضها وأموالها!

وفي هذه الأحداث ما سيفرض مخاطر كبيرة ومضاعفة مستقبلية على أمن ووحدة تركيا والسعودية ودول الخليج بصفة خاصة، كما لن تكون الأردن بمعزلٍ عن مشروع إيران التوسعي والتي ستكون منخرطةً فيه أو منحازةً له سِلماً أو حرباً لإكمال كسر جسر التواصل بين

---

(١) انظر: مفكرة الإسلام، بتاريخ ٧ أبريل ٢٠١٥م، الرابط التالي:
http://islammemo.cc/akhbar/arab/2015/04/07/239294.html

تركيا ودول الجزيرة العربية، وتعزو كثيرٌ من الدراسات والتحليلات أن هذه القوة الإيرانية ليست مُستمدةً من الذات الإيرانية أو من الدعم الغربي بقدر ما هي من ضَعف دول المنطقة وتأخر كثيرٍ منها في الإصلاح السياسي، مع ضعف الإعداد العسكري الشامل والتساهل في الصناعات العسكرية الذاتية لدى دول الخليج، كما أن هذه النهايات الخطيرة في المنطقة هي المتوقعة للأحداث بسبب تساهل أو تخاذل هذه الدول عن نُصرة حزامها السُّنِّي في العراق وسوريا نُصرةً تتساوى بحجم التآمر والاستهداف، وبسبب التزام دول المنطقة وتركيا بالسقف الأمريكي في عدم الدعم النوعي للثورة السورية. لِيَصْدُق على هذا الواقع المثل العربي الشهير: (أُكلتُ يوم أُكِلَ الثور الأبيض).

سابعاً: الاستنتاجات الموضوعية تكشف غياب القوة الحقيقية لدول المنطقة وخاصةً دول الخليج بعد أن خرج البترول من كونه سلاحاً استراتيجياً حاسماً يمكن استخدامه، كما أن القوة الحقيقية لأي دولة لا تقتصر على القوة الاقتصادية والعسكرية إن وجدت فحسب! ولاسيما مع محاولات التقزيم للدور السعودي كما كتب عن ذلك الدكتور محمد السعيدي: «ومحاولات التقزيم الأيديولوجي اتضحت -ولا أقول: ابتدأت- من أحداث الحادي عشر من سبتمبر حيث تم محاصرة المشروع الدعوي السعودي عبر التضييق على الملحقيات الدينية السعودية ومكاتب الدعوة ورحلات الدعاة والمساجد التي أسسها سعوديون والمعاهد الشرعية، والتي قال عنها جواد ظريف -وصدق وهو كذوب- إنها بلغت عشرات الآلاف

حول العالم، وكذا الهيئات الإغاثية التي تعرضت لدعاوى في المحاكم الأمريكية، ثم صدر بحقها أحكام براءة كمؤسسة الحرمين»[1].

ويتأكد هذا التقزيم بعد أن غابت البرامج الدعوية والإغاثية للسعودية وبعض دول الخليج عن كثيرٍ من الساحات الإسلامية خاصةً مع الشعوب والأقليات المسلمة التي تتطلبها المرحلة، كما أن تحفظات التدخل السياسي والعسكري المشروع من دول الخليج في أحداث الساحات الإقليمية أو الدولية أضعفت القوة لهذه الدول وسياساتها الخارجية، إضافةً إلى غَياب الدور القوي السياسي للمؤسسات الدينية وللعلماء ومن في حُكمهم من دعاة ومثقفين ومفكرين، والذين يُعدَّون عبر التاريخ صَمَّام أمانٍ لمجتمعاتهم في ظل الأحداث والنزاعات، ويأتي هذا الغياب متزامناً مع غيابٍ كبيرٍ للإصلاح السياسي، في ظل اختراقات وأدوارٍ مشبوهة داخل الكيَاناتَ السياسية الخليجية من المجموعات الصوفية المنحرفة، والليبرالية الموشومة، والعلمانية الإقصائية، والشيعية المسيسة التي عادةً ما تُرحب بالاحتلال ودباباته وثقافته وفكره وقيمه وأيديولوجياته، وتزداد الخطورة على دول الخليج أكثر في ظل غياب القوة المتكافئة مع العدو المُتربص من خلال عدم تقوية جيوش المنطقة وتطويرها بما يتناسب مع مرحلة العدوان الإقليمي والدولي، إضافةً إلى غياب أي مشروع في التجنيد المتكافئ والحشود التطوعية للطوارئ والأزمات القائمة على الدين والتدين والعقيدة القتالية وما فيها من تضحياتٍ

(١) انظر: محمد السعيدي، مقال بعنوان: محاولات تقزيم السعودية ومشروع الأيديولوجية، الموقع الرسمي للدكتور محمد بن إبراهيم السعيدي، بتاريخ ٣ أكتوبر ٢٠١٦م، الرابط التالي:
http://www.mohamadalsaidi.com/?p=5364#.V_Nis_krKUl

متكافئة مع العدوان الفعلي للأعداء والخصوم[1].

ومقارنةٌ يسيرة بين حجم الإعلام الإيراني الطائفي المؤدلج شيعياً، وبين حجمه في إعلام الأمة الإسلامية يُدرك الراصد البسيط غياب القوة الإعلامية والفكرية للإعلام الأخير، بل وفي أحيانٍ كثيرة اختراقه لصالح الأعداء والخصوم، وعن ذلك صدرت عددٌ من الدراسات تُشير بلغة الإحصائيات إلى المفارقات بين الإعلامَيْن، ومن ذلك ما نُشر ضمن التقرير الاستراتيجي السنوي لمجلة البيان اللندنية للعام ١٤٣٧هـ، وفيها ورد: «كشفت الدراسة عن أن هناك ٧٣ قناة شيعية أمكن رصدها على أجهزة الاستقبال في العالم العربي؛ منها ٤٦ قناة عراقية؛ وجميعها تبث أطروحاتها وفق أبعاد عقدية فاسدة تخدم بصورة مباشرة وغير مباشرة أهداف المشروع الشيعي التوسعي.

كما كشفت الدراسة عن أن عدد القنوات السنية التي تم رصدها ٢٢ قناة، منها ٦ قنوات تعمل بطريقة مباشرة على مدافعة المشروع الشيعي؛ في حين أن عدد القنوات السنية المرصودة والتي يمكن اعتبارها عقدية، وتنشط في نشر العلم الشرعي الصحيح والدعوة الإسلامية، وتثبيت العقيدة الإسلامية السنية قد بلغ ١٦ قناة، تخدم بطريقة غير مباشرة في اتجاه مدافعة المشروع الشيعي، وتحصين الأمة قبالة الأطروحات العقدية الفاسدة بصفة عامة»[2].

---

(١) انظر: محمد السلومي، مقال بعنوان: القوة المهدرة - درس من الانقلاب التركي، بتاريخ ١ ذي القعدة ١٤٣٧هـ رسالة مركز القطاع الثالث للاستشارات والدراسات الاجتماعية (قطاع)، الرابط التالي: http://bit.ly/2eDD9Hr.

(٢) انظر: الهيثم زعفان، مقال بعنوان: الإعلام الفضائي الشيعي بين الاختراق والمواجهة السنية، موقع طريق الإسلام، بتاريخ ٥ جمادى الآخرة ١٤٣٧هـ (١٤ مارس ٢٠١٦م)، الرابط التالي:http://bit.ly/1UTWJAd .

ويؤكد غياب هذه القوة المهدرة للشعوب من حكومات المنطقة كثيرٌ من التحليلات السياسية عن مخاطر التحولات الكُبرى في القوة الإقليمية على دول الخليج خاصة، بعد توقيع الاتفاق الغربي الإيراني، ومنها ما كتبه خليل العناني قائلاً: «ما يجب أن يُقلق العرب ليس أن تصبح إيران قوة إقليمية، فهي بالفعل كذلك منذ غزو العراق عام ٢٠٠٣م، وإنما هو فشلنا وعدم قدرتنا على امتلاك مشروع إقليمي متكامل، يمكنه تحصين وحماية مصالحنا، وأن يكون لنا الثقلَ والتأثيرَ والنفوذ الموجود لدى إيران على المستويين الإقليمي والدولي، فضلاً عن ضعف مناعتنا الداخلية، بسبب البنية السلطوية للدولة العربية وفشلها في احتواء قواها وحركاتها وأقلياتها، أو بسبب مشكلاتنا وصراعاتنا البينية التي تتفجر بين حين وآخر»![١].

ولذلك فإن الأخطر في غياب القوة، وقد يكون الأهم هو غياب الرؤية الاستراتيجية والمشروع المتكامل لدى دول المنطقة ودول الخليج تحديداً، وهو مما يُقلل أو يُضعف من قوتها السياسية والعسكرية والاقتصادية المطلوبة -إن وجدت-.

وبالتالي فإن هذا الواقع الخطير المُحدق بدول المنطقة والخليج أو بعضها -ربما- سيجعلها تعيش إرباكاً وفوضى أمنية نظراً لعدم وجود مؤسسات وجمعيات نفع عام على مستوى المرحلة والأحداث، وغيابِ مشهودٍ -كما سبق- للحشود التطوعية المتنوعة والمدربة ذات القدرةِ الكافية لمواجهة الطوارئ والأزمات التي تتطلبها المرحلة خاصةً في حال سقوط أو ضعف بعض حكومات المنطقة ودول

(١) انظر: خليل العناني، مقال بعنوان: العرب وإيران وتحولات الإقليم، موقع الرسالة نت، بتاريخ ٢١ يوليو ٢٠١٥م، الرابط التالي: http://bit.ly/2bekBzF

الخليج تحديداً، وفي المقابل سوف تتلاشى كثيرٌ من صور وأنواع الحد من العمل الخيري وأدواته ووسائله في ظل التحديات الجديدة المقبلة والحاجات الشديدة له، لكن هذه النهاية لهذا الحصار لن تُقدم البديل بالمستوى المطلوب كعملٍ مؤسسي قوي.

ثامناً: من فوائد أحداث هذا العصر بصراعاته وحروبه انكشاف تعصب الغرب وعدائيته وأمريكا بصورةٍ أكثر من السابق، وأن الغرب هو أصل هذا الصراع وأساسه بصفةٍ مباشرةٍ وغير مباشرة، ولذلك فإن من لوازم هذه الرؤية -كما سيأتي- أنها لم تُهمل كيفية التعاطي الأمثل مع هذا التعصب الغربي بمكره وكيده، ومع أيٍّ عدو لمشروع نهضة المسلمين وحريتهم وسيادتهم.

وستجني دول الغرب المتعصب لهيب صناعتها للصراع أو تأجيج الحروب في دول العالم الإسلامي تحت ذرائعها البراغماتية[1]! كما ستدفع ثمن تغييبها تحقيق العدالة مع الشعوب المسلمة بدعم الاستبداد السياسي وشيطنة الأقليات على حكوماتها، وأَبْلَسةِ كل الحركات الجهادية، وإذكاء الحروب الطائفية، واستمرار مناصرة الكيان الصهيوني في فلسطين، وتعزيز التدخل الإيراني العدواني في شؤون المنطقة، والعمل على تفتيت كيانات المسلمين السياسية وغير ذلك من صور التطرف الغربي مع العالم الإسلامي، فهذا التطرف

---

(١) البراغماتية (Pragmatism): مذهب فلسفي سياسي يعتبر نجاح العمل المعيار الوحيد للحقيقة، وعرفها المعجم الفلسفي بأنها: مذهب يرى أن معيار صدق الآراء والأفكار إنما هو في قيمة عواقبها عملاً، وأن المعرفة أداة لخدمة مطالب الحياة، وأن صدق قضية ما هو كونها مفيدة، والبراجماتي بوجه عام: وصف لكل من يهدف إلى النجاح، أو إلى منفعة خاصة، انظر: غادة الشامي، مقال بعنوان: البراجماتية: عرض المنهج ونقد الواقع، موقع الألوكة، الرابط التالي: http://www.alukah.net/culture/0/77581/

الغربي أو بعضه مما يُوقظ الشعور الإسلامي بأهمية عودة الكيان المُوحَّد للمسلمين، وتحفيز الجهاد والقوة لدى المسلمين ليتجاوز بذلك التحديات أو كثيرٍ منها.

وفي الوقت ذاته فإن هذا التطرف الغربي سيُنَشِّط حالات التطرف المضاد والإرهاب، وقد تكون أحداث باريس في فبراير، وبعدها أكتوبر ٢٠١٥م، وكذلك أحداث بروكسل في ٢٢ مارس ٢٠١٦م، وأحداث نيس الفرنسية في ١٤ يوليو ٢٠١٦م، وحوادث بعض القتل الجماعي في أمريكا المتكررة وغير ذلك، وكل هذا مما يُعدُّ من ردود الأفعال، كما سوف تُستَهدف الرعايا الغربية في أنحاء العالم بأكثر من السابق، ولاسيما أن هناك من يعتقد بنظرية الإشغال في الداخل الغربي للحيلولة دون تمدد عدوانه في الخارج، وردود الفعل تُعدُّ من الإفرازات الطبيعية الناتجة من إرهاب الدول ومؤامراتها وانتهاك السيادة والحقوق للدول والشعوب وتغييب العدالة عن مظلومي العالم، فالاستقرار العالمي مترابطٌ بعضه مع بعض، ولذلك فالتهديد للنظام العالمي وسلامه سيكون شاملاً للدول باختلافٍ فيما بينها، وذكر هذه المخاطر والتوقعات مما يدخل في تفسير بعض الأحداث وليس التبرير لها بالعدوان والإرهاب غير المشروع.

تاسعاً: من أبرز مُحصِّلة الصراع المعاصر اتضاح حقيقة إيران وحزب الله اللبناني المُتاجرون بالوحدة الإسلامية، وبالقضية الفلسطينية وتحرير المسجد الأقصى! وشعارات الشيطان الأكبر (أمريكا)! حيث افتضحت إيران، وصاحب ذلك افتضاح كثيرٍ من شيعة دول الخليج وزيف وطنيتهم التي يُتاجرون بها، وذلك من

خلال اكتشاف خلايا التجسس الإيراني ومخابئ أسلحتهم السرِّية داخل دول الخليج[1]!!

ويمكن لإيران بعد هذا الانكشاف أن تبدأ مرحلةً تصعيديةً للصراع في المنطقة بافتعال عمليات إرهابية تستهدف شيعة الكويت أو البحرين تحديداً أكثر من السابق من أي جهةٍ كانت أفراداً أم تنظيمات، وقد يكون هذا من سيناريوهات المرحلة، حيث يمكن افتعال الاعتداء بصفةٍ أكثر من السابق على حُسينيات الشيعة في دول المنطقة من قِبل بعض المجموعات الإرهابية من أمثال داعش وغيرها ليكون التدخل العسكري الإيراني في دول الخليج حسب التصريحات الإيرانية السياسية والدينية المتتابعة، وذلك بغرض مزاعم حماية أقلياتها الشيعية لتبرير التدخل الإيراني واحتلال تلك الدولتين إما بضغوط دولية أممية، أو بعمليات سياسية انتخابية (دولة دستورية) تكون فيها لطائفة الشيعة دورٌ رئيس في إدارة الحُكم، أو بتدخلٍ إيرانيٍ عسكريٍ بهدف ضم هاتين الدولتين إلى الامبراطورية الإيرانية الصفوية، وقد تُبقي إيران بعض أُمراء هذه الدول أو رموزها السياسية كولاةٍ تابعين لها كما هي مخططات أي محتل[2]، وهذا الاحتلال أياً كان نوعه يتفق مع التصريحات الإيرانية المتكررة عن مسؤولية إيران في حماية

---

(١) انظر: كنموذج عن خلية التجسس الإيرانية في السعودية، جريدة الخبر، بتاريخ ١/ ٣/ ٢٠١٦م، الرابط التالي:
http://alkhabarkw.com/index.php/middleeastandinternational/gccnews/45722.html

(٢) يلاحظ أن أمير الكويت الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح بتاريخ ٢/ ٦/ ٢٠١٤م وصف آية الله خامنئي المرشد الأعلى للجمهورية الإيرانية بأنه ليس مرشد إيران فقط، بل مرشد المنطقة كلها. انظر: صحيفة المصري اليوم، بتاريخ ٢/ ٦/ ٢٠١٤م، الرابط التالي:
http://www.almasryalyoum.com/news/details/457493

الأقليات الشيعية في المنطقة وحقوقها السياسية حسب استراتيجياتهم وخططهم. وقد يسبق هذا الاحتلال الإيراني أو يصحبه أو يتلوه محاولات إيرانية فعلية لنيل شيءٍ من التعاطف الإسلامي كما فعل حزب الله مع الكيان الصهيوني عام ٢٠٠٦م.

وقد تَطلُب إيران في مرحلةٍ من المراحل الحرجة لها المُصالحة السياسية مع دول المنطقة والخليج تحديداً؛ لالتقاط أنفاسها في إعادة ومراجعة وسائل تنفيذ استراتيجيتها التوسعية، خاصةً بعد ارتباك خططها؛ بسبب المواجهة الواضحة من أغلبية الدول الإسلامية وبعض دول المنطقة، كما ورد في بيان منظمة التعاون الإسلامي[١]، ولذلك فإن أي حل سياسي مطروح من إيران أو معها من دول المنطقة يتطلب اعتبار عدم الفروقات بين المحافظين والإصلاحيين بإيران في تحقيق الأهداف التوسعية في المنطقة وإن اختلفت وسائل تنفيذ الأهداف فيما بينهما، ولاسيما أن الملف الخارجي يُمسك به المرشد الأعلى للثورة الإيرانية أكثر من الحكومة بحزبيْها، كما يتطلب اعتبار الجانب العقدي القائم على الفكر الباطني والتُّقية، وأن عداوة العالم السُّني وتكفيره واستحلال دمه وماله وعِرضه من ثوابت ولاية الفقيه والحكومة الإيرانية وأيديولوجيتها.

والمغالطة الكُبرى أن يتم تجاهل هذا الخطر الأيديولوجي الإيراني بمقدماته ومآلاته بأخطاره الحالية والمستقبلية من دول الخليج خاصة، فتجاهل هذا المنطلق العقدي المغذِّي للتمدد الخارجي لا يمكن أن يُلغيه من الساحة، بل إن استحضاره واستدعاءه في أي

---

(١) انظر العربية نت على الرابط التالي: http://bit.ly/2jme4lQ

مواقف سياسية تجاه إيران هو من الوقاية والعلاج، فعلى سبيل المثال فإن جامعة المصطفى العالمية في مدينة قُم الإيرانية المخصصة لطلاب المنح الدراسية دَرَسَ بها حتى عام ٢٠١٦م حوالي (٥٠,٠٠٠) خمسين ألف طالب قدموا من ما يزيد عن (١٠٠) مئة دولة من دول العالم، لا ليتعلموا الحب الأخوي والتسامح بقدر ما يتعلمونالتطرف والإرهاب والدعم في تصدير الثورة الإيرانية في بلادهم بعد رجوعهم كما هو الواقع المشاهد[1].

عاشراً: أن إيران وإن أُصيبت ببعض الهزيمة أو الإرباك في سوريا واليمن إلا أن هذا لا يعني تخليها عن مشروعها الكبير في تصدير الثورة الإيرانية، والأقليات الشيعية في دول الخليج تُعدُّ من الخلايا النائمة والقنابل الموقوتة، وتزداد المخاطر عندما يصحب التدخل الإيراني دعمٌ لوجستي متوقَّع من خلال التسهيل لدخول أمواج بشرية بمجموعاتٍ مهاجرة ومهاجمة للجزيرة العربية برياً وبحرياً بصفةٍ منظَّمة من خلال الحدود العراقية شمالاً وسواحل الخليج العربي والبحر الأحمر وجُزره من المؤدلجين الشيعة الأفارقة وغيرهم من الآسيويين، ولاسيما أن إيران -على سبيل المثال- قد شَيَّعت ودَرَّبت في نيجيريا وغيرها ملايين من الزنج وغيرهم، وهو ما قد يتطلب من دول الخليج الاستعداد المبكر للأحداث بالتجنيد التطوعي وبالمتطوعين المُدرَّبين على الطوارئ كأقل تقدير، وذلك لحماية السواحل الشرقية والغربية للجزيرة العربية، ويبقى أنه احتمالٌ

---

(١) انظر: سيد أحمد غزالي، مقال بعنوان: عدوانية السياسة الخارجية الإيرانية.. نهج مستمر من الخميني إلى خامنئي، موقع العربية نت، بتاريخ ١٧ رمضان ١٤٣٧هـ، الموافق (٢٢ يونيو/ ٢٠١٦م)، الرابط التالي: http://bit.ly/29bSxMb.

وتوقعٌ يتطلب النظر والدراسة، ولاسيما أن هذا الاحتمال مأخوذٌ من أحداث التاريخ عن جنود المرتزقة وخطرهم.

وعن بعض هذا الخطر كان للدكتور سفر الحوالي رؤيةٌ مستقبليةٌ عن المنطقة قبل عقدين من الزمن تقريباً من خلال رسالةٍ موجهةٍ إلى الشيخ عبد العزيز بن باز -رحمه الله- مفتي السعودية في ذلك الوقت ومن كبار علمائها تتعلق بوعد كيسنجر، وما سوف تعمله واشنطن بعد تدمير دولة العراق! وكان مما قال: «إذا تصورنا ذلك، أدركنا خطراً كبيراً يهدد المنطقة في حالة تدمير العراق وإحلال التحالف الشيعي محله (إيران، سوريا، العراق الذي سيصبح دولة شيعية بعد فصل الأكراد، ثم بقية المناطق الخليجية كالبحرين والإمارات وشرق السعودية والوجود الشيعي واضحٌ فيها، ولا ننسى أن نذكر أن كثيراً من الناطقين بالعربية في جنوب تركيا من النصيرية أيضاً، أما باكستان فكثير من قادة جيشها الكبار شيعة ومعهم إخوانهم القاديانية والبريلوية)»[١].

وفي سياق الرؤى المستقبلية عن خطر الشيعة كشف عدد من الدعاة والكتَّاب بأزمنةٍ مبكرة تزيد عن ثلاثين عاماً، بل قبل الثورة الإيرانية ثم بعد قيامها عن الخطر المستقبلي لخطط إيران الاستراتيجية العدوانية! ومن أبرز هؤلاء عبد الله بن محمد الغريب، وكان مما قال نُصحاً وتحذيراً للحكومات وللشعوب على حدٍّ سواء وبخاصةٍ دول الخليج المستهدفة: «إنني أَلمح منذ سنين رايات سوداء تتحرك من المشرق، ويسعى حملتها لابتلاع العالم الإسلامي... لابد من

(١) انظر: سفر الحوالي، بحث بعنوان: كشف الغمة عن علماء الأمة - وعد كيسنجر، الرابط التالي: http://bit.ly/2drVdEV.

الاستمرار في إنذار قومنا، وتحذيرهم من المؤامرة الخطيرة التي يُعدُّها الخميني وأنصاره، ولعل هذه الصيحة التي نطلقها تلقى آذاناً صاغية قبل أن يأتي زمن لا ينفع فيه الندم، ولا تجدي فيه محاولات الإنقاذ من الغرق»[1].

ولعل ما سبق وفق ما ورد في المعطيات والمؤشرات ما يُشكِّل الرؤية عن هذا الصراع العسكري المتنامي إقليمياً والمدعوم دولياً والذي تزداد وتيرته ولا تنقص، وبالتالي تأتي أهمية العمل بلوازم هذه الرؤية، حيث من لوازمها أهمية وجود (المشروع) للأمة، علماً أن موضوعات (المقاومة والجهاد) و (خيار إعداد القوة) و (التفاؤل عند المسلمين) وما ورد في (الخاتمة) من توصيات تعد بأكملها مما يحدد المعالم الرئيسة لهذه (الرؤية المستقبلية).

(١) انظر: عبد الله محمد الغريب، وجاء دور المجوس - الأبعاد التاريخية والعقائدية والسياسية للثورة الإيرانية، ص٤-٥، ١٠، ٣٠٠، وإذا كانت هذه الرؤى المبكرة عن كشف الخطر الإيراني، فهي في الوقت ذاته مما يُحسب لعلماء المسلمين ومفكريهم ودورهم الإيجابي في التحليل التاريخي والسياسي القائم على الجانب العقدي، ونُصحهم لعامة الأمة وخاصتها.

اللوازم: (المشروع الاستراتيجي)

حسب معطيات المباحث الستة في هذا الكتاب التي كوَّنت بمجملها قراءةً تاريخية سابقة ولاحقة عن الصراع، ثم حسب المؤشرات الواردة في المبحث السابع فإن الأهمية تتأكد كثيراً على الأمة الإسلامية بمبادرتها في صناعة استراتيجيات قوية وواضحة لمواجهة التحديات الكبيرة، وقد أصبحت صناعة (مشروع حماية الأمة الاستراتيجي) واجباً وضرورة على مستوى الحكومات والشعوب العربية والإسلامية على حدٍّ سواء، ويمكن أن يكون هذا مقدمة لمشروع نهضة الأمة الذي طالما تم تجاهله، وغياب الشعور بهذه التحديات الجديدة لدى الدول المُستهدَفة بالعدوان، يعكس إلى حدٍ كبير افتقادها للهدف الاستراتيجي من وجودها السياسي! ثم غَياب الرؤية المستقبلية بمشروع استراتيجي يُقابل حجم المشاريع المعادية التي تستهدف السعودية ودول الخليج وتركيا وبلاد الشام وفلسطين منفردةً ومجتمعة يُعدُّ الأخطر! حيث لم تعد المشكلة قضية حدودٍ أو خسائر اقتصادية أو بشرية محدودة، بل إن القضية أصبحت معركة وجودٍ للأمة أو عَدَم وجود، وهو ما لا تُجدي معه ردود الأفعال مهما كانت قوية.

وقديماً وردت جملةٌ مفيدة في إعلان الرياض الصادر عن قمة المجلس الأعلى لمجلس التعاون لدول الخليج العربية في دورته العشرين: «إن التاريخ لا يصنعه المتفرجون من بعيد، وإن الأحداث لا يصوغها المنعزلون المتهيبون»[1]، ولاشك أن شعوب دول المجلس تتطلع إلى أن يتحول هذا التعبير إلى ترجمةٍ فعلية وبصفة مستمرة.

---

(١) انظر: التطورات الاستراتيجية العالمية - رؤية استشرافية، مجموعة من الباحثين، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ص٢٦.

وباعتبار هذا الواقع من التحديات الإقليمية والدولية ترى بعض الدراسات الاستراتيجية أهميةً بالغةً للتخلي عن السياسات التقليدية في العالم العربي، وضرورة تصحيح الأوضاع الداخلية والسياسات الخارجية الحمائمية خاصةً لدى دول الخليج مع السياسات الغربية المُتعصبة، ولاسيما أنها المُستهدَفة بالصراع بالدرجة الأولى، ومن توصيات بعض هذه الدراسات ما ورد فيها: «ينبغي على صُنَّاع القرار في دول الخليج السعي لبناء قدرات ذاتية تجعل من مجلس التعاون الخليجي ضِلعاً رئيساً في توازن القوى بالمنطقة»[1].

كتب عبد الله المفلح عن أهمية المبادرات في الحلول العملية لتفادي مخاطر أكبر على المنطقة، ومما قال: «لا بد من تصعيب الأمر على روسيا ما دامت في سوريا، كي لا تفكر في تكرار المغامرة في اليمن أو في أي بلد آخر، وهذا لن يكون ممكناً ما لم تتجاهل الدول الثلاث وجهة النظر الأمريكية بعدم إرسال مضادات الطيران للثوار».

«ما زلنا في زمن الإمكان. وما زال في الوقت متسع لإحداث تغييرات جدية تحمي المنطقة من التفتيت والفوضى والإرهاب، الذي تدعمه روسيا وإيران، وتغطيه أمريكا...الأفكار كثيرة، والأماني أكثر. واللحظة تاريخية. والكبار هم فقط من يصنعون التاريخ. وأما الصغار فيقرؤونه. وأما المترددون فيبكون على النفوذ المسكوب»[2].

(١) انظر: الخليج في سياق استراتيجي متغير، مجموعة من الباحثين، مركز الجزيرة للدراسات، ص٣٠٣، ٤٠٠.

(٢) انظر: عبد الله المفلح، مقال بعنوان: قبل أن تصل السوخوي الروسية إلى اليمن!، صحيفة شؤون خليجية الإلكترونية، بتاريخ ٣ فبراير ٢٠١٦م، الرابط التالي:
http://alkhaleejaffairs.info/c-32141

وعن طبيعة هذا المشروع فهو مشروع نهضة متكامل في الجوانب السياسية والاقتصادية والثقافية والعسكرية، مُتضمناً الحماية للأوطان والشعوب وقائماً على التطوع والقوة الجهادية كأولويةٍ لهذا المشروع، ومن سماته أن يكون مشروعاً وطنياً قائماً على الشراكة في المسؤولية ولا يخرج عن ثوابت الدين، ويُلبي الحقوق الإنسانية للجميع بما في ذلك الطوائف والأقليات، كما يُحقق العدالة للأمة لتلتقي عليه فئات المجتمع عامة.

ولذلك فإن المعطيات التاريخية ومؤشرات هذه الرؤية تتطلب كذلك لوازم عملية في صناعة مشروع نهضة للأمة، ومن أولوياته الحماية لدينها وأرواحها وأعراضها وأوطانها، ومن أبرز تلك اللوازم لإنجاح هذا المشروع الجوانب التالية:

أولاً: أهمية المبادرات الجادة والصادقة في الإصلاح السياسي الداخلي لكل دولة من الدول المعنية لتعزيز الثقة بين الحاكم والمحكوم، والمبادرة بشراكة الشعوب مع حكوماتها في مسؤولية شؤونها الداخلية والخارجية في ظل تحديات غير مسبوقة، حيث يتحقق بهذه الشراكة الدعم الأهلي وتجييش الشعوب في المسؤولية المصيرية للأوطان وحمايتها، وتقوية الانتماء والولاء، فالشراكة في المرحلة الراهنة أصبحت واجباً وضرورة.

ومن الإصلاح السياسي أهمية المبادرات والخطوات العملية فيما بين دول الخليج خاصة، وذلك على مستوى الاندماج العسكري فيما بين الصادقين من دول الخليج، حيث إن من مخاطر المرحلة الجديدة أن فترة التنسيق والتعاون انتهت حسب الأحداث السياسية ومؤشراتها

إلى ما يجب أن يكون أهم من ذلك، ولم تكن هذه الأخطار المحدقة بالمنطقة بعيدةً عن رؤى الناصحين من فترةٍ ليست بالقصيرة، وذلك من أصحاب الرؤى السياسية أمثال المفكر السياسي الدكتور عبد الله النفيسي وغيره[1]، وقد أدركت حكومة عبد ربه هادي منصور اليمنية أهمية الانضمام حينما رأت الأغلبية بوقتٍ متأخرٍ جداً اختطاف اليمن لإيران والعراق وخصوم الخليج، وتدويل قضيته بما يفوت على دول الخليج انضمامه بوضعٍ صحيح، بل أصبح واقع اليمن يُفوت فُرص الحل والسلام[2].

وأخطر من تفويت الإصلاح السياسي وفُرصه لدول المنطقة والخليج خاصة بالرغم من الحاجة الماسة إليه أن تصل الأمور ببعض دول المنطقة إلى أن تُحارب الدولة نفسها، وذلك بحرب عقيدتها وهويتها الثقافية الموحِّدة أو أن تُصادر حرية شعوبها في النقد والإصلاح لا فرق في ذلك بين حالها في السِّلم أو الحرب! وهذا ما عناه الدكتور محمد إقبال الصيدلي في توصيفه للجيل الرابع من أجيال الحروب، حينما كتب عن هذا الخطر المُحدق، فقال: «أن تترك عدوك يحارب نفسه بنفسه، باستخدام الطابور الخامس (الخونة والجواسيس) وباستثمار الصراعات الفكرية والدينية وتأجيجها. وروجيه غارودي قال عن الجيل الرابع من الحروب: «الآن يقاتل الغرب بالتكلفة الصفرية... العدو يقتل نفسه... العدو يدفع ثمن السلاح... العدو

---

(١) انظر: (النفيسي مكرراً دعوته: على دول الخليج الانضمام إلى السعودية)، موقع العربية نت، بتاريخ ١٢ يونيو ٢٠١٠م، الرابط التالي:
https://www.alarabiya.net/articles/2010/06/12/111138.html

(٢) انظر: صحيفة اليمني اليوم، بتاريخ ٢٩ أغسطس ٢٠١٦م، الرابط التالي:
http://www.alyemenialyoum.com/news15270.html.

يطلبنا للتدخل فلا نقبل، التكلفة الصفرية تعني أن الغرب لا يخسر شيئا في الحروب... نحن بحاجة لمواجهة ذلك إلى وعي فكري»»[1].

ومن معاني حروب الجيل الرابع، أن كثيراً مما يُسمى (حروب الإرهاب) دفعت فواتيرها دول المنطقة وخاصةً دول الخليج، بل وحاربت ما يُسمى بالإرهاب غالباً برؤيةٍ أمريكية أو غربية لتكون هذه الدول فيما بعد مُصنفةً عند المتعصبين من الغرب راعيةً للإرهاب كما هو القانون المُسمى بـ(قانون العدالة ضد رعاة الإرهاب «جاستا») وغيره، فهي حروبٌ بالحكومات وأموالها، ثم حربٌ عليها بأموالها كذلك لتدفع الثمن هذه الحكومات مرتين إن لم يكن مراتٍ عدة.

وتتضاعف هذه الحروب وآثارها حينما يُثير قانون جاستا مُنعطفاً سياسياً جديداً يترتب عليه ارتباكٌ سياسي واضطرابٌ وتناقضٌ إعلاميٌ غير مسبوق في فقدان المصداقية، حيث تعوَّد الخطاب الإعلامي الخليجي المُعادي لهويته وأيديولوجيته -إلى حدٍ كبير- في إدانة وطنه تحت مُسمى (حرب الإرهاب) على مدى ستة عشر عاماً مُنذ (أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م) ليفرض هذا المنعطف السياسي والإعلامي مأزقاً كبيراً على الإعلاميين في السعودية ودول الخليج بصفة خاصة، وذلك حينما تعوَّد هذا الإعلام على مدى سنواتٍ طويلة بندواته التليفزيونية وكتاباته ومقالاته الإعلامية التي أدانت الخطاب الديني المحلي والمنهج الصحيح لفهم الكتاب والسُّنة، وأدانت الدعوة ومؤسساتها، بل وأدانت المجتمعات الإسلامية في السعودية وبعض دول الخليج بمؤسساتها وعلمائها ومدارسها ومناهجها، ووصفت

---

(١) انظر: محمد إقبال، مقال بعنوان: أجيال الحروب، صحيفة ذي قارنا، بتاريخ ١ أكتوبر ٢٠١٦م، الرابط التالي: http://bit.ly/2dVBfSS.

كثيرٌ من ذلك بأنه مسؤولٌ عن ظاهرة الإرهاب وجذوره لتجني بعد ذلك ثمرة حروبها مع نفسها! ولتكون صورةً أخرى من الجيل الرابع من أجيال الحروب!

ثانياً: العمل على تقوية التحالفات الثنائية والدولية بجديةٍ أكثر ببرامج عملية مشتركة ذات مصداقية عالية بين الدول الإسلامية المستهدفة والمعنية بتوحيد أهدافها، وخاصةً بين دول (تركيا والسعودية ودول الخليج وباكستان ومصر) كدول تمثِّل الثقل السُّنِّي، وذلك بالعمل على تحالفاتٍ استراتيجيةٍ سُنِّيةٍ دائمةٍ وكبيرة خاصةً بين السعودية وتركيا كخيار استراتيجي لا بديل عنه للدولتين، ولاسيما بعد فرض هذا الصراع على دول المنطقة.

وتتأكد أهمية التحالف السُّني في ظل تنامي القوة العسكرية الإقليمية لدولة إيران في المنطقة واستراتيجياتها السياسية التي تتقدم ولا تتأخر في الجوانب التنفيذية كالتحالف الروسي الإيراني المتجدد في أغسطس ٢٠١٦م، والبدء باستخدام القواعد الإيرانية لضرب أهداف المقاومة السورية في حلب وغيرها، وأطماع روسيا في باب المندب للدعم اللوجستي الإيراني للحوثيين في اليمن، ويؤكد هذه القوة المتنامية ما ورد عن تجييشٍ عسكري تطوعي جديد في ساحات القتال الدولية الموالية لإيران، ومن ذلك ما تداولته بعض الصحف العالمية، وفي صحيفة ميدل إيست ورد: «أكد الجنرال محمد علي فلكي القيادي في الحرس الثوري، وهو أحد قادة القوات الإيرانية في سوريا، أن بلاده شَكَّلت ما سماه (جيش التحرير الشيعي) بقيادة قائد (فيلق القدس) قاسم سليماني ليعفي القوات الإيرانية من الذهاب والقتال بنفسها في الجبهات.

وأكد الجنرال الإيراني أن قوات هذا الجيش ليست من الإيرانيين فحسب، بل إنه في كل منطقة تشهد قتالاً يتم تنظيم وتجهيز هذا الجيش من شعب تلك المنطقة»[1].

ثالثاً: من لوازم هذا التحالف صناعة مشروع استراتيجي إسلامي سُنِّي منفردٍ لكل دولة، ومشتركٍ بين دول التَّحالف المعنيةَ بتحالفاتٍ سُنِّيةٍ تتسم بالسيادة بعيداً عن أوهام تحالفات الغرب ومساعداته، وتكون تحالفات أخرى كذلك بمصداقية مع بقية دول العالم الإسلامي وحركاته الإسلامية، مع الاستفادة من بعض العلاقات الإقليمية والدولية لمواجهة هذا العدوان الغربي بوجهه الصهيوني الصليبي والروسي والإيراني، ومن أقطاب هذا التحالف مصر بعد تحررها من الحكم العسكري المتأزم حسب الواقع السياسي والدراسات السياسية المعاصرة، وكذلك باكستان بالرغم من اختراق المد الشيعي لها.

رابعاً: من متطلبات هذا المشروع السُّنِّي ولوازمه تبنِّي الدول الإسلامية المعنية للجماعات الإسلامية الراشدة في العالم الإسلامي تبنياً حقيقياً، واستيعابها، وتُعدُّ هذه ورقةً رابحةً تحتاجها كثيرٌ من هذه الدول وعلى رأسها السعودية، والأوراق السياسية كثيرةٌ وكبيرة لهذه الدول، وهي رابحةٌ بها في مواجهتها للمشروع الصهيوني الصليبي الصفوي الذي جعل من ساحات العالم السُّنِّي والخليجي تحديداً مركزاً لتنفيذ مخطط الصراع والحروب والتفتيت.

---

(١) انظر: ميدل ايست أونلاين، بتاريخ ١٨ أغسطس ٢٠١٦م، الرابط التالي:
http://www.middle-east-online.com/?id=231053

وتُشير كثيرٌ من الدراسات والتحليلات أن العمل السياسي المُتعمد لحكومات المنطقة بالخليج تحديداً تجاه إقصاء الحل الإسلامي أو تهميش الجماعات والأحزاب التي تنادي فيه له دورٌ كبير في استمرار الصراع في المنطقة وعدم حسمه وزيادة حجم التدخلات الأجنبية، كما هو واضحٌ في العراق وسوريا، وكما هو مكشوفٌ في ليبيا واليمن -كنماذج-.

ومخاطر هذا العمل السياسي تتأكد في ظل تزايد أيديولوجيا سياسية معادية للمنطقة ومتخاصمة مع فكرها وثقافتها الأم، ولاسيما أن هذه الأيديولوجيا المعادية تقوم على عدوانٍ فكريٍّ عقديٍّ تجاه الأمة الإسلامية.

خامساً: من لوازم هذا الواقع ولوازم المشروع توعية الشعوب وعدم تهميشها بهذا الصراع العقدي السياسي ومخاطره، بل وتربيتها على العقيدة الصحيحة المقاومة لهذا التحالف الغادر بحق الإسلام والمسلمين، فالتحالف السُّنِّي السياسي بدون العقيدة القتالية خاصة على مستوى الدول المُستهدَفة بالمشروع الإيراني كالسلاح بلا ذخيرة، فنجاح هذا المشروع سيكون بقدر ارتباطه بالجانب الأيديولوجي العقدي كلحمة دينية لشعوب المنطقة؛ لمواجهة المشروع الأيديولوجي من الخصوم، وبقدر التزامه بالمصداقية في ذلك تكون الثمرات الإيجابية، فالمناورة غير الأمينة بالمشروع السُّنِّي أو جماعاته وأقلياته أو بعقيدة الأمة ودينها يُعدُّ من الفشل المبكر له.

سادساً: من اللوازم إعادة النظر بإرادةٍ سياسيةٍ قوية في تصحيح واقع القرارات المتعلقة بانتهاك السيادة العقدية والثقافية للأمة، كإضعاف

المناهج التعليمية الدينية، وتهميش مؤسسات القطاع الخيري الناتجة عن الضغوط الخارجية على دول العالم العربي عامةً، ودول الخليج والسعودية بصفةٍ خاصة، ولاسيما حينما كشفت الأحداث السياسية الدولية أن هذه الضغوط ليست عفوية، بل ناتجةٌ عن برامج واستراتيجيات غربية؛ لتفريغ الأمة الإسلامية من مصادر قوتها الأيديولوجية وخاصةً السعودية ودول الخليج؛ مقدمةً وتسهيلاً لإضعاف قوتها وتفتيت وحدة دولها السياسية وهو ما يكشف بحق عن ضعف مصداقية العلاقات الغربية الخليجية، وخاصةً الأمريكية الخليجية.

سابعاً: من لوازم هذا المشروع ما سوف تدعو الحاجة إليه في إعداد القوة المعنوية، وتقوية العلاقات الدبلوماسية مع الشعوب وفيما بينها، ومن ذلك المصالحة مع عموم الشعوب الإسلامية وجمعياتها ومنظماتها داخل دول التحالف وخارجه، وذلك بالانفتاح على مفاهيم وتطبيقات مؤسسات القطاع الثالث بأذرعته الخارجية التعليمية والدعوية والإغاثية؛ لتحقيق التعاون والعطاء المباشر مع الشعوب والأقليات المسلمة، وفيما بين الجمعيات والمنظمات المانحة الداخلية لدى دول الخليج وبين الممنوحة من خارجها.

ثامناً: من أساسيات هذا المشروع ولوازمه تبنِّي القوة الجهادية وتجهيز الأمة لها -كما سيأتي التفصيل أكثر عن خيار إعداد القوة- بل إن الحاجة ربما تكون مُلحةً إلى الاستعانة بكثير من أطياف الجهاد المعتدل.

بل إن بعض المحللين السياسيين يرون أن شراسة الأحداث بحقدها الطائفي قد تتطلب استثمار بعض الحكومات لبعض الجماعات

غير المعتدلة نتيجة الأحداث الجِسام والنوازل العِظام[1]، ويؤكد هذه التحليلات الواردة في صحيفة الشرق الأوسط ما ورد عن ديفيد بتريوس الرئيس السابق لوكالة الاستخبارات المركزية الأميركية سي آي إيه: «أن الخطر الحقيقي على استقرار العراق والأمن في المنطقة على المدى الطويل يأتي من ميليشيات الحشد الشعبي المدعومة من إيران، وليس من تنظيم داعش...

وأن تنظيم داعش لا يمثل الخطر الأول بالنسبة لأمن العراق والمنطقة لأنه في طريقه للهزيمة، لكن الخطر الأشد يأتي من الميليشيات الشيعية المدعومة من إيران، على حد تعبيره»[2].

فالصراع الإيراني على العالم السُّنِّي الذي أطل برأسه بما لا يدع وقتاً للتريث يستدعي مواجهة هذا المشروع بالمشروع -كما سبق- وقد يتطلب الأمر من دول الخليج خاصةً العمل على تجنيد مئات الآلاف من شعوب العالم الإسلامي كجيوش احتياطية لحماية الوطن الخليجي ومقدسات المسلمين، وعلى كل الأحوال فقد تُبادر أجيالٌ جهادية جديدة محلية وإقليمية ودولية في الانضمام إلى ساحات القتال.

بل إنه لو وُجد المشروع الجهادي على أرض الواقع بأساسه الشرعي الصحيح -حتى دون استخدامه إلا للضرورة- مقابل النووي العالمي والنووي الإيراني، فإن الغرب والكيان الصهيوني

---

(١) انظر: عن التهوين من خطر داعش مقارنةً بمخاطر العدوان الإيراني على دول المنطقة، مقالاً بعنوان: بصراحة.. إيران أخطر من (داعش) بألف مرة!، صحيفة الشرق الأوسط، بتاريخ ٥ مارس ٢٠١٥م، الرابط التالي: http://cutt.us/OcgD

(٢) انظر: سكاي نيوز عربية، بتاريخ ٢١ مارس ٢٠١٥م، الرابط التالي: http://bit.ly/2eAUPGU

وإيران ستكون لهم جميعاً حسابات أخرى في الصراع والمواجهة مع دول العالم الإسلامي وشعوبه، إضافةً إلى أن تبنِّي المشروع الجهادي مما يُحبط ويُفشل من جاذبية أدعياء الجهاد ومجموعاته المتطرفة.

تاسعاً: في حال تقصير الحكومات المعنية بإعداد مشروع التصدي للعدوان وللأطماع الأجنبية المحيطة بالمنطقة، ولاسيما مع تسارع الأحداث واهتزاز ثقة الشعوب بقدرة حكوماتها، فإن الشعوب -بعلمائها ودعاتها ومفكريها ومثقفيها- مسؤولةٌ عن المبادرة بإعداد هذا المشروع الجهادي والعمل به حمايةً للأمة الإسلامية ومقدساتها من الأخطار المحدقة بها من كل صوب.

وتتأكد أهمية هذا الجانب الجهادي من الأهالي والشعوب وبرامج التجنيد التطوعية، ولاسيما أن المجتمعات الخليجية في ظل هذه النوازل من الصراعات والحروب سوف تنسى الانتماءات القبلية والمناطقية والدينية، وسوف تنصهر الجماعات الدعوية لردِّ عدوان المعتدين، في ظل عدم الكفاية في قوة وجاهزية الجيوش النظامية الخليجية! فهي لن تكون كافية أو ذات جدوى كبيرة بدون دعم شعبي وتعزيز لمفاهيم الجهاد التطوعي والتجنيد التطوعي كذلك. فالمسلمون بأعيانهم حسب توجيهات دينهم في ظل هذا الواقع بمخاطره وتحدياته مطلوبٌ منهم الإسهام العملي في حماية دينهم وأرواحهم وأعراضهم وأوطانهم، لتتكامل جهود قيام المشروع، وقِوامه تقوية هوية الأمة بعقيدتها التي سوف تتعرض فيه إلى حملاتٍ أكثر وضغوطاتٍ أكبر للتخلي عنها والتنازل عن ثقافتها من خلال التغريب تارةً أو التبديل والتغيير في الدين تارةً أخرى، وهو ما يستوجب على أمة الإسلام

-حسب دينهم- تعزيز الدعوة الإسلامية بكافة الوسائل، مع أهمية التوعية السياسية بالأحداث، وتكوين اللجان التطوعية والجمعيات الخيرية المتخصصة بالطوارئ والأزمات وبوسائل جديدة تتجاوز بها التحديات، وتنظيم ما يتعلق بالجهاد المشروع والرشيد، فإيران لم تواجه خصومها بجيوشها فحسب، سواءً في داخلها أم في خارجها، مثل العراق وسوريا ولبنان واليمن، بقدر ما هو بتجييش الحشود الأهلية والشعبية وتعبئتها أيديولوجياً وعسكرياً، والمقام هنا هو عن أهمية المشروع من حيث فكرته ومسؤوليته، وليس عن تفاصيله وصياغته[1].

عاشراً: العمل على استثمار هذا الانكشاف الإيراني عالمياً بعداوته المفضوحة لأمة الإسلام، وذلك بإطلاق مشاريع وبرامج متعددة ضمن مشروع استراتيجي يُعزِّز الجانب العقدي والدعوي للأمة في العالم الإسلامي، حيثُ حاجة الأمة التاريخية لذلك، إضافةً إلى العمل على مواجهة الإمبراطورية الإعلامية الإيرانية المؤدلجة، حيث عشرات القنوات الإيرانية المؤدلجة والمُوجهة للعالم الإسلامي! -كما سبق- ومن متطلبات ذلك تأسيس مراكز وقنوات للبث الإعلامي الموجَّه للشعب الإيراني عامةً، وإلى أهل السُّنَّة في إيران على وجه التحديد، ليكون التغيير من الداخل الإيراني والنصرة لأهل السُّنَّة في إيران، فالقبائل العربية السُّنية الأهوازية تُشكِّل ٥٠٪ منها من السُّنة، إضافةً إلى البلوش الذين يُمثِّلون ٩٩٪ من السُّنة، وكذلك

(١) انظر بتصرف: عن أهمية المشروع السعودي المقترح محمد بن عبد الله السلومي، المجتمع السعودي والتغيير! - تعليم البنات حالة دراسية، الرياض: مجلة الأسرة، بالتعاون مع مركز آسية للاستشارات والتدريب، ١٤٣٧هـ (٢٠١٦م)، ص٩٩-١٠١.

التركمان والأكراد وبعض الترك خاصةً الآذريين منهم، ويمكن أن يكون تواصل الشعوب السُّنية من السعودية ودول الخليج مع إخوانهم السُّنة في إيران هو الأسلوب الأمثل في العون والتعاون مع هذه الأكثرية السُّنية والأقلية كذلك داخل إيران، إضافةً إلى الاستثمار الأمثل للأوراق السياسية والدينية الكبرى التي تمتلكها المملكة العربية السعودية -على سبيل المثال- ولا مجال للمقارنة مع ما تمتلكه إيران!

والخلاصة عن هذا المشروع هو وجوب ترتيب البيت السُّنِّي على مستوى الحكومات والشعوب على حدٍ سواء بمصداقيةٍ وقوة، حيث أهمية إعداد المشروع على أساس مواجهة الصراعات والحروب والتحالفات المُعادية ليقوم على أربعة عناصر أساسية مُهمة وهي: (أهمية التعاطي القوي مع الحرب الأيديولوجية المعادية باعتبار أهمية الجانب العقدي والثقافي في المواجهة، وإشراك الأمة بتجييشها لإشعار كل فردٍ بمسؤوليته، والعمل على التحالفات مع الجماعات والأحزاب الإسلامية من داخل دول المنطقة وخارجها، إضافةً إلى التحالفات الدولية القائمة).

وعن أهمية الأيديولوجيا في عصر الحروب الأيديولوجية للجانب السعودي تحديداً، فبالرغم من بعض المواقف السعودية الإيجابية التي تتسم بالقوة والحزم في تحالفاتها الدولية -مع بعض دول العالم الإسلامي من جهة، ومع تركيا من جهةٍ أخرى، وفي حرب عاصفة الحزم مع اليمن تجاه مواجهة إيران وميليشياتها في اليمن، والموقف من الحزب اللبناني- إلا أن هذه الخطوات المهمة حسب أي مراقب

سياسي تتطلب مشروعاً استراتيجياً طويل المدى قِوامه الأيديولوجيا السياسية في مناطق الحرب والسلام مع الغرب وإيران تحديداً كعدو استراتيجي أبدي، وهذا لا يمنع من العلاقات السياسية أو الدبلوماسية مع تلك الأطراف لكن على ضوء ما يُمليه عصر (الحروب الأيديولوجية).

ويتأكد دور الجانب السعودي في قضية المشروع أن العالم الإسلامي دولاً وشعوباً ينظرون إلى السعودية بأنها المعني الأول في الاستهداف. وبالتالي فهي المعني الرئيس في صناعة استراتيجية خاصة بها ومع غيرها من دول المنطقة كما أشار إلى ذلك الباحث نبيل خليفة[1]، مُستحثاً السعودية على الصمود في مركزية قيادة العالم الإسلامي بأيديولوجية صلبة، بدلاً من مركزية المنافس الإيراني المصارع بأيديولوجيته الهشة، موضحاً أهمية الدور الأساسي للسعودية في التصدي للمطامع والحفاظ على أمن الخليج والعمل على إرساء الأمن والسلام الإقليمي والدولي.

وعن أهمية مشروع القوة الجهادية وطبيعته مقابل قوة الأعداء والخصوم تساءلت الكاتبة إحسان الفقيه وأجابت في الوقت ذاته: «هل هو أمر طبيعي أن يكون لإيران ميليشيات شيعية، ونكون طائفيين! إذ نفكر بحشد شعبي سُنِّي؟! إن المواجهة الحالية مع المشروع الإيراني لن تجدي فيها الجيوش النظامية، فعناصر التفوق ستكون لصالح إيران. لن يفلح مع إيران إلا المواجهة بالمثل، فالحديد لا يفله إلا الحديد... إنني أخص بالذكر هنا دول الخليج، والتي هي

---

(١) انظر: نبيل خليفة، استهداف أهل السُّنَّة، ص١٣٥-١٣٦.

على خط المواجهة الأول، وأكثر الدول استهدافاً من قِبل الأطماع الإيرانية. وأعني في دائرة أكثر خصوصية المملكة السعودية التي تقوم بدور الرائد والقائد لمجلس التعاون الخليجي.

إننا نستطيع ضرب المشروع الإيراني عن طريق زرع ورعاية ودعم حشد سُنِّي في اليمن، وهو ما نادى به الدكتور عبد الله النفيسي... ورعاية ودعم وتمويل حشد سُنِّي في العراق لتكون في مواجهة الحشد الشعبي الشيعي الذي يعيث في الأرض فساداً، ويقتل ويَعتقِل ويُهجِّر أهل السُّنَّة، والعالم لا يُحرّك ساكناً... وذات الأمر في سوريا، بل ينبغي رعاية الجماعات السُّنِّية المسلحة في الأحواز للتصدي لهذا العبث الإيراني»[1].

وفي مقابل هذه الأوضاع الراهنة للصراع العالمي العسكري الصاعد، ومنه الصراع الإيراني الصفوي الإسلامي، فبالرغم من سلبيات هذا الواقع الظاهرة إلا أن مجمل هذا الصراع مما أتاح بوضوح كشف الأهداف العدائية وأنها للإسلام ذاته بمنهجه الصحيح، ولاسيما حينما أصبح الإسلام رقماً مهماً في ميزان المعادلة الدولية، وهو واقعٌ يُعزز الروح المعنوية عند المسلمين، خاصةً حينما انكشف أعداء الإسلام والمسلمين بأنهم يهدفون للحيلولة دون نجاح مشروع نهضة المسلمين، والصراع من الخصوم للإسلام وأهله تحديداً مما يصنع للأمة مشروعاً تلتف حوله، وهو بالتالي مما يستنهض هِمم المسلمين وغيرتهم.

---

(١) انظر: صحيفة شؤون خليجية، بتاريخ ٩/ ٦/ ٢٠١٥م، الرابط التالي:
http://soo.gd/qOAP

وفي جانب التفاؤل عند المسلمين فالمآلات حسب الأحداث التاريخية تُؤكد بأن الغزاة الأجانب لم ينتصروا على الحق عبر التاريخ، ولاسيما في أرض ليست لهم. وحسب السنن الكونية والقوانين التاريخية فإن انتصار الفكرة تعني انتصار أتباعها فيها بعد ذلك، فهذا الانتصار بانتشار الإسلام وامتداده الهائل في أصقاع الأرض سوف يتبعه انتصار كبير لأتباعه من المسلمين، حينما يكون الصدق مع الله ودينه، ولاسيما أن المكر الكُبار لأعداء الإسلام اتضح أكثر من ذي قبل أنه مع الإسلام ذاته -كما سبق- بغض النظر عن اللافتات المعلنة، وصدق الله بقوله: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ (الأنفال:٣٠)، ﴿اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ (فاطر:٤٣).

ولاشك أن العالم الإسلامي أصبح يعيش مرحلةً توصف بتداعي الغرب والشرق عليه وبحروب عسكرية وفكرية غير مسبوقة، حيث التكالب عبر التاريخ كان بين المسلمين مع عدوٍ واحدٍ مُحدد من فارسٍ أو الروم أو غيرهما، لكنه اليوم تكالبٌ جماعي يصدق فيه حديث الرسول ﷺ عن تداعي الأمم على الإسلام وأهله: (يُوشِكُ الأممُ أن تداعَى عليكم كما تداعَى الأكَلةُ إلى قصعتِها. فقال قائلٌ: ومن قلَّةٍ نحن يومئذٍ؟ قال: بل أنتم يومئذٍ كثيرٌ، ولكنَّكم غُثاءٌ كغُثاءُ السَّيلِ، ولينزِعنَّ الله من صدورِ عدوِّكم المهابةَ منكم، وليقذِفَنَّ الله في قلوبِكم الوَهْنَ. فقال قائلٌ: يا رسولَ اللهِ! وما الوهْنُ؟ قال: حُبُّ الدُّنيا وكراهيةُ الموتِ)[1]. والحديث كما أنه تشخيصٌ لواقع الأمة الإسلامية ففي الوقت ذاته فهو مما يُذكِّر بأهمية مشروع القوة الجهادية

(١) رواه أبو داود في سُنَنه، باب تداعي الأمم على الإسلام، حديث رقم: (٤٢٩٧).

والذي سيتم تناوله بالتفصيل في الموضوع التالي، ولذلك فبالرغم من جوانب التفاؤل عند المسلمين إلا أن المسلم في الوقت ذاته مطلوب منه في تشريعات دينه عدم إغفال الأخذ بالقوة والاستعداد شأنه شأن الأمم والدول الأخرى التي تأخذ بكل جوانب القوة.

التفاؤل عند المسلمين

التفاؤل عند الإنسان في الحياة من الصفات الإيجابية، وفي الإسلام هناك جوانب كثيرة تخلق للمسلمين حوافز نفسية وتربوية، ومن هذه الجوانب ما يلي:

الجانب الأول: الإيمان بالله وحده:

المسلمون قبل التفاؤل وبعده يؤمنون بأن الله وحده هو المتصرف بالكون المدبر له دون سِواه، والبشر بأفعالهم لا يعدون أن يكونوا أسباباً أرادها الله عز وجل، وعقيدتهم تُوجب عليهم التعلق به والتوكل عليه والاستعانة به، فهو القادر والغالب، وهو القاهر فوق عباده، والمعطيات والمؤشرات في هذا الكتاب ما هي إلا دلالاتٌ واستشراف، فالله هو عالم الغيب والشهادة كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلا شَفِيعٍ أَفَلا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ (السجدة:٤-٦)، ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (لقمان:٣٤).

والحياة لا تدوم على حال، والدعاء من القرآن والسنة عبادةٌ لله يستعين به المسلم على نوائب الدهر وضوائق هذه الحياة الدنيا، ومن ذلك في هذا المقام: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾،

اللهم إنا نعوذ بك من زوال نعمتك، وتحول عافيتك، وفجاءة نقمتك، وجميع سخطك، ربنا لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا.

وإذا كان غير المسلمين يَتقوَّون بإيمانهم كما هي الحكمة من بوليفيا الكاثوليكية العلمانية: «الإيمان يُحرك الجبال»، فكيف بمن إيمانهم تُحركه عقيدةٌ ربانية وتشريعاتٌ سماوية، فالمسلمون عبر التاريخ تستنهض هِمَمُهُم الآيات القرآنية كما أنها تصنع فيهم التفاؤل، فالقرآن هو المُلهم لهم ولاسيما في الشدائد، وكلام الله لعباده مما يدفعهم للعمل بكافة الأسباب المشروعة كما قال جلَّ وعلا للمؤمنين وعن الكافرين: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ (محمد:٧)، ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الروم:٤٧)، ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾ [الطارق: ١٥ - ١٧].

الجانب الثاني: حقيقة انتصار الإسلام:

دين الله منتصر حسب وعد الله للمسلمين، والمسألة لديهم قضية وقت، فهو معجزة الله في أرضه كُلَّما حصل تبليغه إلى البشرية، فالشيخ عبد العزيز بن باز يقول عن هذا الانتصار ما نصُّه: «المُسْلمون اليَوْم بَل العَالَم كُلّه في أَشدِّ الحَاجَة إلى بيَانِ دِين الله وإظْهَار مَحَاسنه وبيَان حَقيقَته، وَالله لَوْ عَرَفهُ النَّاس اليَوْم وَلوْ عَرَفه العَالَم عَلى حَقيقَته لَدَخلوا فِيهِ أفْواجاً»[1]، لكن هذا الانتصار إنما يكون بالدين باتِّباعه والعمل به

(١) انظر: كلمة الشيخ عبد العزيز بن باز، في المؤتمر الأول للدعوة والدعاة المنعقد في المدينة المنورة عام ١٣٩٧هـ الرابط التالي:

https://www.binbaz.org.sa/article/379

في جوانب الحياة المختلفة، وهذا كفيلٌ بنصر الله لعباده المخلصين على أعدائهم الظالمين، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ (غافر:٥١)، ويتكرر الوعد في آياتٍ كثيرة ومنها: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الروم:٤٧).

والمسلمون كما يؤمنون بنصر الله لدينه وأن استئصاله غير وارد، فهم في الوقت ذاته يؤمنون بأن هذا النصر سوف يتحقق أكثر، حتى لا يبقى بيت مدرٍ ولا وبرٍ من الحاضرة والبادية إلا دخله الإسلام بالإيمان به أو بالمعرفة عنه. والمسلمون يؤمنون كذلك بأن هذا الانتشار والانتصار لهذا الدين في أنحاء الشرق والغرب منحةٌ ربانيةٌ للأرض، وُلِدت من رَحِم بعض المحن والفتن التي مرت بها أمة الإسلام ولا زالت.

ويتأكد التفاؤل عند المسلمين بارتفاع نسبة الوعي بالأحداث وتزايد سقف الحريات الإيجابية لدى الشعوب الإسلامية. والتفاؤل يزداد أكثر بانتهاء احتكار العلم والمعرفة ووسائلهما، وبالتالي أفول احتكار الإعلام والسياسة[1]، حيث أصبحت المعرفة حقاً للبشرية، وهي من عناصر التفاؤل وتقدم الأمم. وفي وسائل الصناعة الغربية خاصةً الإعلامية ما يبعث على التفاؤل خاصة، بما يخدم انتصار الحقيقة -وهي هنا الإسلام-، والتي سيتبعها انتصار الأتباع حسب وعد الله للمؤمنين، فبالرغم من تسخير الوسائل الإعلامية الغربية لكثيرٍ من

---

(١) انظر: محمد السلومي، القطاع الثالث والفرص السانحة - رؤية مستقبلية، المبحث الخامس والسادس، ط١، الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٣١هـ (٢٠١٠م)، ص٢١٨، وانظر: كذلك في الكتاب نفسه عن (نهاية الاحتكار) ص٢٠٠.

البرامج؛ بهدف تضليل الرأي العام عالمياً عن الإسلام والمسلمين وتشويهها، إلا أنها في الوقت ذاته أصبحت هذه الوسائل ببرامجها الدعائية من أقوى الوسائل الفعَّالة في انتشار الإسلام وانتصاره، حيث الفضول المعرفي لدى الإنسان، والغربي بصورةٍ خاصة، مما يقوده غالباً إلى البحث عن الحقيقة في كل شيء، والأمثلة في هذا كثيرة لا تُحصى.

ويُضاف لعناصر التفاؤل عند المسلمين ما يمتلكونه من جغرافية متنوعة فريدة لأرضهم ومواردهم الطبيعية التي لا يزال الكثير منها بكراً في طول بلاد المسلمين وعرضها، كما أن العالم الإسلامي يمتلك مخزوناً كبيراً من شرائح العلماء في مختلف التخصصات والعلوم تمكنهم من منافسة غيرهم في الجامعات العالمية والمرافق الدولية في أنحاء الأرض، مما يجعل منهم نواة لنهضة أمتهم.

وقد أصبحت الحقائق التاريخية والنفاق الدولي المكشوف مما يُعزِّزُ ثقة المسلمين بدينهم وتاريخهم وحضارتهم، ويزيد من إيمانهم أن الغرب أصبح عاجزاً عن تحقيق السلام الدولي والشرعية الدولية وتحقيق الكرامة الإنسانية عالمياً، كما أن الغرب على المدى الطويل غير قادر على مواجهة الإسلام بالقوة المادية أو المعنوية، لكن فشل المسلمين وذهاب ريحهم إنما هو بسبب أنفسهم واستجابتهم لمكر العدو في التفريق والتنازع بينهم: ﴿وَلَا تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ (الأنفال:٢١٩)، ودخول الوهن والخذلان في قلوبهم: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران:٢٢٠)، ومن التفاؤل عند المسلمين حتمية الانتصار وأنها حقيقة قدريةٌ كما

هي هزيمة أعداء الإسلام عامة، وهذه الصراعات بين الطرفين أو المنافسة غير الأخلاقية من الغرب نتيجتها الفشل للطرف المعادي للإسلام، وهذا النصر وَعْدٌ قطعه الله على نفسه وهو الغالب: ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (يوسف:٢١)[١].

الجانب الثالث: الظلم الزائل:

سُنَن الله في العقوبات للأفراد والمجتمعات والأمم والدول المعتدية والظالمة لشعوبها أو لغيرها قائمةٌ على العدالة الربانية، والمسلمون يؤمنون بأن الظلم ممكن حدوثه، لكن لا يمكن أن يستمر أو يبقى، بل إن وقوعه من سنن الله الجارية لتكشف عنه عدالة السماء في الدنيا والآخرة، فدعوة المظلوم ليس بينها وبين الله حجاب، وقد حَرَّم الله الظلم على نفسه كما قال تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ (فصلت:٤٦)، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (النساء:٤٠)، وكما قال نبيُّ هذه الأمة عليه الصلاة والسلام في الحديث القدسي: (يا عبادي! إني حرَّمتُ الظلمَ على نفسي وجعلتُه بينكم محرَّمًا. فلا تظَالموا)[٢].

كما أن المسلمين يؤمنون بأن سُنَن الله متحققة في عقوبة الظلم والظالمين ليس بحق الأفراد فحسب، بل بحق الدول المسلمة وغيرها على حدٍّ سواء، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ (الرعد:٣١)، وتأتي العقوبات أيضاً من ظلم الدول لنفسها

---

(١) انظر بتصرف: صالح الحصين، مقال بعنوان: الحرب الأيديولوجية، الرابط التالي: http://cutt.us/tktQ.

(٢) رواه مسلم في صحيحه، باب تحريم الظلم، حديث رقم (٢٥٧٧).

ولغيرها، كما قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ (آل عمران:٥٧)، وكما قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ (الأنعام:١٣٥).

وقد تحل العقوبات الربانية على الظالمين حكوماتٍ أو أفراداً بسبب دعوات المظلومين من الشعوب، حيث العدل والعدالة بين الناس والحقوق مما تنتصر به الدول، كما تسقط بضعفه أو نقصانه الأمم والدول، فالعمل بشريعة الإسلام بما فيها من عدلٍ وحقوق كفيلٌ ببقاء الدول والحكومات، وبخلافه يكون الزوال لنعمة الأمن والسلام، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ (الإسراء:١٦)، وكما قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ (النحل:١١٢).

وقد تكون عواقب الظلم بالسقوط ليس من عدو متربص يمتلك ترسانة من الأسلحة الفتاكة، بقدر ما يكون من تدبيرها أحياناً، كسقوط الدول من خلال مصادر قوتها، كالحريات والتقنيات، بل وبأصغر مكون ناعم (Soft Power) من مكونات صناعتها كما هي الحروب الإلكترونية العالمية المتوقع تزايدها، وقد يكون السقوط بكساد اقتصادها وانكسار عملتها النقدية في أحيانٍ أخرى.

الجانب الرابع: حتمية الهزيمة لأعداء الإيمان:

ومن التفاؤل عند المسلمين أن أمة الإسلام عاشت قروناً من النهضة بسيادةٍ عالمية مشهودةٍ تاريخياً، وبوحدة سياسيةٍ فريدة لم تكن محصورةً بقارةٍ واحدة فحسب، كما هو الشأن عن الولايات المتحدة

الأمريكية والاتحاد الأوروبي، ولذلك فالمسلمون ينظرون بأن سقوط الدول التي ابتعدت عن العدالة والسلام مما يستوجب على أمة الإسلام العمل بتقديم البديل الحضاري لشعوب الأرض قاطبة.

وفي المقابل فإن اتحاد الغرب الأوروبي تعتريه الهشاشة وتُحيط به التحديات، وهو لم يُكمل ربع قرن حسب معاهدة ماستريخت بهولندا في ١٩٩٢م! بل إنه يتعرض للتفكك ولاسيما حينما خرجت بريطانيا من الاتحاد الأوروبي بعد الاستفتاء في يونيو ٢٠١٦م، وكذلك فإن وحدة الولايات المتحدة الأمريكية لم تتجاوز قرنين ونصفاً، حيث بدأت عام ١٧٧٦م باعتبار احتفالها بمرور مئتي عام على الاتحاد وذلك عام ١٩٧٦م!

وفي الوقت ذاته فالمسلمون يقرؤون مثل غيرهم عن الانهيار المُرتقب للحضارة الغربية المعاصرة التي كتب عنها بعض مفكري الغرب، ومن هؤلاء المفكر الألماني مراد هوفمان الذي يقول: «والغرب ينتظر مثل هذا المصير، فبعد انتصاره على الشيوعية يتهدده تدمير الذات ومصير الفناء، إلا إذا تجاوز تأليه الإنسان ووجد طريقه مرة ثانية عائداً إلى التمسك بالقيم الإلهية. ويشير الإسلام إلى هذا الطريق»[1].

ولكن هل سينجح العقلاء لاحقاً في إدراك الموقف؟ عن هذا يعلق تركي الجاسر الصحفي السعودي بقوله: «مشكلة أمريكا أن مسارها الحضاري ليس في اتجاه الصعود والقوة، بل في اتجاه الانحدار وربما السقوط! هذا الكلام ليس مشاعرَ رغبوية، بل تحدّث به الكثير من

(١) انظر: مراد هوفمان، الإسلام في الألفية الثالثة ديانة في صعود، ص٢٩٩.

عقلاء أمريكا ذاتها من زوايا متعددة... فالدولة المترفة أو الهرمة إنما تخسر من الدولة الفتية بالمطاولة وليس المناجزة، وهي سنّة تاريخية ذكرها ابن خلدون [عالم الاجتماع والتاريخ] في مقدمته»[1]، وحقاً ما ارتفع شيء من الدنيا إلا وضعه الله كما قال المصطفى ﷺ: (حَقٌّ عَلَى اللهِ أَنْ لا يَرْتَفِعَ شيءٌ من الدُّنيا إلا وَضَعَهُ)[2].

وسياق تاريخ الأمم السابقة يُثبت حقيقة السقوط والزوال. فالإمبراطورية الرومانية المادية القوية العاتية، التي هَزَمت سلفها دولة الإغريق اليونان واستولت عليها، لم تستطع أن تضيف شيئاً يُذكر إلى سابقتها الحضارة الإغريقية، التي ما لبثت أن اندثرت تماماً، إلا ما بقي من الحصون المشيدة والقلاع الحصينة والأبنية الهائلة، وبالرغم من أنها ظلَّت مصدر إلهام ومعيناً فكرياً وثقافياً للغرب حتى اليوم إلى حدٍّ كبير، إلا أنها سقطت، وكانت النهاية لإمبراطوريات كبرى حقيقة تاريخية.

---

(١) انظر: تركي الجاسر، مقال بعنوان: من يحصد أرباح الحرب على الإرهاب؟ صحيفة التقرير، بتاريخ ١٠ يونيو ٢٠١٤م، الرابط التالي:

http://url.qwled.com/ls3x، وانظر عن: قول ديفيد ووكر (David Walker)، مقال بعنوان: أمريكا تخاطر بمصير روما (*America risks the fate of Rome*)، فاينشال تايمز (Financial Times)، بتاريخ ٢١ أغسطس ٢٠٠٧م، الرابط التالي:

http://www.ft.com/intl/cms/s/0/f98a1f4e-4fef-11dc-a6b0-0000779fd2ac.html#axzz3kTTNBY15

وانظر عن قول ابن خلدون في الفصل السادس والأربعين: في أنّ الهرم إذا نزل بالدولة لا يرتفع، وفي الفصل الخمسين في أن الدولة المستجدة إنما تستولي على الدولة المستقرة بالمطاولة لا بالمناجزة، مقدمة تاريخ ابن خلدون، ج١، ط١، بيروت: دار الفكر، ١٤٠١هـ (١٩٨١م)، ص٣٦٢، ٣٧٢.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، حديث رقم (٢٨٧٢).

الجانب الخامس: مآلات القَدَر والفأل:

مما يضيف جوانب أخرى في التفاؤل لدى المسلم أن من رَحِمِ المحنة تكون المنحة الربانية، فالمسلمون بحكم إيمانهم بالقضاء والقدر خيره وشره موقنون بأن للأحداث ظاهراً وباطناً ومقدماتٍ ومآلات، والعبرة في النهايات للأحداث، بل ولحلقاتها الأخيرة أحياناً، ففي أربعة عقود مضت أو أكثر قبل أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م تسلطت بعض الحكومات العربية على حرية شعوبها السياسية والدينية، فخرجت مجموعات بشرية مسلمة مهاجرةً إلى دول أوروبا وأمريكا وغيرها من دول عربية وإسلامية مثل العراق وسوريا وليبيا وتونس ومصر ولبنان والجزائر والمغرب وغيرها؛ طلباً للحرية حيناً، ولجوءًا سياسياً حيناً آخر، أو هروباً من الواقع الاقتصادي في بلدانهم، حيث كان الفقر والحاجة سبباً عند بعض الشعوب الإسلامية مثل اليمن والسودان والصومال وغيرها كـبنغلاديش والباكستان والهند، وكانت لهذه الظواهر آلامٌ وتوجعات.

وتزامن هذا وذاك مع بعثات طلابية دراسية من دول الخليج العربي وبعض الدول العربية والإسلامية. وتنامى هذا الوجود الإسلامي في الغرب وتكاملت جهود هؤلاء بمشروعات إسلامية مشهودة كالمدارس والمساجد والمراكز الإسلامية وغيرها، تحافظ على هويتهم ورسالتهم في الحياة. ثم نما هذا الوجود بصورة أكبر من خلال ميلاد أجيال جديدة من أبناء المسلمين في الغرب، حينما كوَّنوا في غالب أحوالهم أجيالاً علميةً، ولاسيما مع حصولهم على درجاتٍ عليا من العلم والمعرفة والشهادات، بل وتحولت تلك المجموعات التي هي

في غالبها مطاردة أو مشردة أو لاجئة بأجيالها اللاحقة من جاليات أجنبية إلى مواطنين في الغرب لهم حق المواطنة عبر العقود الأربعة أو الخمسة الماضية؛ لتُكوِّن هذه المجموعات البشرية المنتمية إلى دينها الإسلامي بعزةٍ وثقة -في غالب أحوالها- معادلةً أخرى جديدة في القارة الأوروبية والأمريكية في انتشار الإسلام وتمدده بمؤسسات تعليميةٍ وإعلامية ومراكز وجمعيات إسلامية ومساجد وغير ذلك مما ورد ذكر بعض إحصائياته في ثنايا هذا الكتاب. ومعظم هذا الانتشار والانتصار دون استراتيجياتٍ حكومية أو أهلية، ومن دون غزوٍ أو فتوحات كما هي التهم المعلبة عن المد الإسلامي وانتصاره!

وتتكرر هجرة المسلمين القسرية والمؤلمة بتدفقات كبيرة إلى بلاد الغرب، فيما بعد انتكاسات الثورات العربية المعروفة بالربيع العربي لأمرٍ يعلمه الله ولا نعلمه، ولحِكم كونية ربانية، وقد كان لهذا الاحتكاك الثقافي الكبير بين الشعوب المسلمة المهاجرة وغيرها من شعوب أوروبا وأمريكا دورٌ كبير في تَعرُّف شعوب الغرب على الدين الإسلامي وثقافته وقيمه بصفةٍ أكثر، وذلك من خلال التعامل الأمثل والعمل المشترك مع الغربيين. وبالتالي تَعرَّفت كثيرٌ من شعوب الغرب على قيم الإسلام وحضارته، ولاسيما أن الحوارات الفردية والمؤسساتية متاحةٌ بين الطرفين بصفةٍ مستمرة، وهذا الواقع بحد ذاته مما عَزَّز فكرة الحوار مع الشعوب الغربية ولا زال يُعززها، ثم جاء دور وسائل التواصل الاجتماعي لتقوّي هذا الواقع التفاؤلي بفرص جديدة للحوار مع الآخرين بالرغم من بُعد المسافات أحياناً، بل إن هذا الإيمان بالقضاء والقدر خيره وشره هو ما يُميِّز المؤمنين

بالله وأقداره عن غيرهم، وهو ما يمنح للمؤمنين السعادة في الدارين.

وما سبق يُعدُّ من القراءة للوجه الآخر للأحداث المؤلمة التي مرَّت بها أمة الإسلام -ولا تزال-، والأحداث بهذه القراءة في الوقت ذاته مما تمنح التفاؤل وتُعزِّز الأمل والعمل، والإيمان بأن الأحداث ليست بالبدايات، بل لها مآلات ونهايات، والحقيقة التاريخية تقول: إن هذه الأحداث بانعكاساتها الكبيرة لم تنته بعد!

وقراءةٌ يسيرة في القرآن عن قصة فرعون وقتله للأطفال من بني إسرائيل، ونجاة الطفل موسى من القتل خير تعبيرٍ عن حكمة المقدمات والمآلات، وخلاصة الأمر أن ما يحسبه العقل البشري شراً قد يكون في مآلاته خيراً له أو للبشرية جمعاء، كما قال الله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ (النور:١١).

الجانب السادس: الأصل الأخلاقي ودوره الإيماني:

تمتلك أمة الإسلام ما يجعلها متفائلةً في يُسرها وعُسرها، حيث امتلاكها (الأصل الأخلاقي) القائم على العقيدة، ففي ظل الصراعات الفكرية والعسكرية تكون عَصِيَّةً على الذوبان أو الزوال، ولذلك يلجأ العدو إلى استهداف هذا الأصل الأخلاقي بحروبه الإعلامية والأيديولوجية، يقول محمود محمد شاكر -رحمه الله- عمَّا يسميه الأصل الأخلاقي لدى الأمة الإسلامية: «لها لغة، ولها ثقافة، وكان لها بعد تمام ذلك حضارةٌ مؤسَّسةٌ على لغتها وثقافتها، فهذا الأصل الأخلاقي هو العامل الحاسم الذي يُمكِّنُ لثقافة الأمة بمعناها الشامل، أن تبقى متماسكةً مترابطةً تزداد على الأيام تماسكاً

وترابطاً، بقدر ما يكون في هذا الأصل الأخلاقي من الوضوح والشُّمول والتغلغُل والسيطرة على نفوس أهلها جميعاً»[1].

وأمة الإسلام في التعاطي مع الأصل الأخلاقي لازالت تكتسب منه المناعة والحصانة عبر أربعة عشر قرناً مضت، وجذوَة الإسلام تزدادُ وَهَجاً وقوةً وجاذبية وانتشاراً وانتصاراً، والاستدلال بالعصور السابقة عن تكالب الأمم على الإسلام وأهله وفشلهم مما يبعث على المزيد من التفاؤل عند المسلمين، حيث تجاوزت أمة الإسلام أزمات الصراع والحروب والاجتياح الخارجي تلك الأزمان، بل إن هذا القلق الغربي المعاصر من الإسلام يكشف عن حقيقة انتصاره مُجدداً، وليس العكس، وقد عبَّر ابن تيمية عن الصراع ومآلاته عند المسلمين بقوله: «ومن سُنَّة الله: أنه إذا أراد إظهار دينه، أقام من يعارضه، فيُحق الحق بكلماته، ويقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق»[2].

---

(١) انظر: محمود محمد شاكر، رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، مصر: مكتبة الأسرة، ١٩٩٧م، ص٣١.

(٢) انظر: فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد الحنبلي، المجلد ٢٨، ط١، بيروت: دار العربية، ١٣٩٨هـ ص٥٧.

الصراع الدولي وخيار إعداد القوة

استخدم الغرب في فرض سيادته وهيمنته على العالم وسائل متعددة في التخويف والإرهاب بقوته، ويتأكد هذا مع المسلمين من خلال حروبه العدوانية قديماً بما أسماه أجدادهم بالجهاد الصليبي المقدس، وحالياً بإرهاب العالم الإسلامي بالنووي الغربي والصهيوني والإيراني، إضافةً إلى حروبه المتنوعة ومنها: (الحروب القذرة والنظيفة! والحروب الأيديولوجية، والباردة والساخنة، والحرب الهجومية)، وغير ذلك كثير من تسميات الغرب لحروبه، ومن أقوى هذه الحروب العدائية الحرب الاستباقية المعاصرة القائمة في فترات هيمنة الغرب وسيادة قوته، وهذه الحرب الاستباقية مما ينطبق عليها أنها من حروب الطلب -إن صح التعبير- في الوقت الذي يُجرِّد العالم الإسلامي من هذا الحق ويُجَرِّم من خصومه، بل إن التجريم للإسلام وأهله بممارسة حق جهاد الدفع والمقاومة!

ويتوالى الصراع الدولي الغربي في دعم الاستبداد السياسي في العالم العربي والإسلامي، والتدخل في شؤونه سياسياً وعسكرياً مما يزيد من حالات العنف والحروب، وعن هذا التدخل العسكري البغيض كتب نعوم تشومسكي: «وتُظهر الدلائل التي جرى استعراضها من قبل العالم السياسي تيمو كيفيماكي بأن «حروب الحماية (التي تخوضها تحالفاتَ القوى الراغبة في ذلك) قد أصبحت المصدر الرئيسي للعنف في العالم، والتي تسهم أحيانا بأكثر من ٥٠ في المئة من إجمالي عدد ضحايا النزاع»، علاوة على ذلك، ففي العديد من هذه الحالات ومن ضمنها سوريا، بحسب استعراضه، كانت هنالك فرص للتسوية

الدبلوماسية جرى تجاهلها»[1].

والغرب بهذا المكر الكُبَّار، وبهذا الواقع العدواني المتعصب والتدخلات يحتاج إلى علاج لأزمته النفسية المزمنة في نزعة الكراهية والصراع التي تعمل على الإقصاء حيناً، والاستئصال والإبادة للآخرين حيناً آخر بصور متنوعة، من خلال أدواره المباشرة أو عبر وكلائه، وهو مرضٌ فسيولوجيٌ وأيديولوجي مزمن يتطلب العلاج، وتتنوع المعالجة حسب الحالة المرضية من دولةٍ غربية لأخرى، لكن هذا المرض المزمن مما يطرح بقوة مشروع جهاد الطلب لدى المسلمين كوقايةٍ أو علاج لهذا الواقع المصنوع والمفروض على أمة الإسلام، والجهاد بهذا الواقع العدواني حق مشروع لا يُجادِل حوله أحد من ذوي العقول والبصائر حتى من مُشرِّعي الحروب وقوانينها -عدا عن تشريعه في الدين الإسلامي!!- ولذلك فإن الإرهاب بالنووي يُمكن أن يُقابل بالجهاد، وأقصد بالجهاد هنا الذي يُحقق الشروط ويأخذ بكل أسباب القوة ويصدر عن الأمة وعلمائها المعتبرين.

والحديث هنا عن خيار إعداد القوة وعن المقاومة والجهاد السابق ذكره في هذا المبحث يُعدُّ من نتائج البحث المكمل لما ورد في المبحث الثاني من هذا الكتاب، وهو ما يوضح أحقيته للمسلمين، ومن حق أي مسلم أن يتساءل هنا عن أحقية القوة الجهادية للمسلمين، وهل تكون بأقل أحقيةً من الأمم الأخرى بالنووي وغيره من وسائل القوة؟ بل إن هذا الخيار قيمةٌ منافسةٌ للغرب في ميادين القوة، ومن حق المسلمين إرهابَ عدوهم بالجهاد كمصطلحٍ قرآني: ﴿تُرۡهِبُونَ بِهِۦ

---

(١) انظر: نعوم تشومسكي، من يحكم العالم؟ ص٣٢٠.

عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ) (الأنفال:٦٠)، فاستخدام الجهاد عند الحاجة إليه مما يُعدُّ من الحقوق، وهو ما يعني مبادرة علماء الأمة الربانيين وساستها الصادقين تنشيط الاجتهاد فيه، ولاسيما كيف يكون؟ ومتى يكون استخدامه؟

ومع هذا فإن الحوار مطلوب مع هؤلاء المتعصبين وشعوبهم، بل إن الحوار المتكافئ يُعد من القوة وهو مما يكشف للشعوب الغربية عدوان متعصبيها، وهذا الحوار من المسلمات والبديهيات -كما ورد في مجمل هذا الكتاب- لكن إعداد القوة والاستعداد للعدو مما يسبق الحوار أو يصحبه. فإعداد القوة والمقاومة الجهادية نتيجة منطقية تنسجم إلى حدٍّ كبير في ردع واقع الاستراتيجيات الغربية القائمة على مصالحها وما يترتب على ذلك من اعتداءٍ على الآخرين وثقافاتهم، وإلغاء ما يتعلق بأصل القتال والمقاومة من مناهج التعليم وبرامج الوسائل الإعلامية وهذا من الأدلة على أهميته، ولاسيما أن دولة الكيان الصهيوني المُغتصِب في الوقت ذاته تُعزِّز مناهجها التعليمية بما من شأنه صناعة الكراهية وتأجيج للصراعات والحروب تجاه الإسلام والمسلمين، بل إن المسلمين في أصقاع الأرض لا يمكن أن ينسوا أن إسحاق شامير طالب في مؤتمر مدريد عام ١٩٩٢م!! بإلغاء كلمة الجهاد من القاموس الإسلامي في المناهج والكتب والمقالات، متجاهلاً أن جهاد القتال أمرٌ رباني عند المسلمين لا خيار لهم في تعطيله، فهو عقيدةٌ وعبادة: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ (الأنفال:٦٠).

وقوله تعالى عن جهاد الدفع: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ (الحج:٣٩)، وقوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (البقرة:١٩٠)، وقوله تعالى: ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة:١٩٤).

يقول الشيخ صالح الحصين في رسالة له عن حيثيات جهاد القتال[١] الذي يتأكد العمل به في عصر الظلم والعدوان: «وفيما يتعلق بحروب الجهاد اللاحقة [المعاصرة] فلا يمكن أن يَغِيبَ عن الذهن أن العلاقات الدولية سواء بين المسلمين والكفار، أم بين الكفار فيما بينهم [الحروب الأوروبية الأوروبية] كانت دائماً، وباستثناء حالات الهدنة والموادعة، علاقة حرب أو تهديد بالحرب، بحيث يمكن القول: إن قيام حالة الحرب بين الدول هي سبب الجهاد، وليس الجهاد سبب قيام حالة الحرب، لذلك فإن سلوك المسلمين الحربي وآراء الفقهاء كان الواقع يفرضها، بغض النظر عن دلالة النصوص»[٢].

كما يوضح الحصين أن قتال المسلم ضد عدوه ليس فقط في مجال الدفاع فحسب عن النفس أو العِرض والدين قائلاً: «ولكن على كل حال ليس معنى هذا أن الحرب الجهادية حرب دفاعية، بمعنى أن ينتظر المسلمون حتى يهاجمهم العدو فينطلقون لمقاومته. إن قتال

(١) يُلاحظ أن كلمة الجهاد إذا أُطلقت فهي تعني ما هو أوسع من جهاد القتال، وقد فصَّل ذلك ابن القيم في كتابه: (زاد المعاد في هدي خير العباد)، ج٣، ط٨، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ (١٩٨٥م)، ص٩-١١، حيث قسَّم الجهاد إلى ثلاثة عشر فرعاً آخرها الجهاد بالسلاح، وقبله الجهاد باللسان للمنافقين.

(٢) انظر: صالح الحصين، التسامح والعدوانية بين الإسلام والغرب، طبعة كرسي الأمير سلطان، ص٢٣٤.

المسلمين العدو الذي يحاربهم أو يهددهم بالحرب أو يفتن المسلمين عن دينهم، أو يحول بين الناس وأن يكون دينهم لله، أو يخرجهم من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا: ربنا الله، كل هذا داخل في مضمون قتال المسلمين من يقاتلهم. على أنه لو افترض اتفاق الناس في وقت من الأوقات على أن تقوم بينهم حالة السلم، وأن توضع الحرب ويحرم استخدامها لحل النزاعات بين الدول، ووجود ضمانات حقيقية لتنفيذ هذا الاتفاق، لما ساغ -والله أعلم- القول بأنه لا يمكن للمسلمين الدخول في السلم والانضمام إلى مثل هذا الاتفاق بحجة تعطيل فريضة الجهاد؛ لأن الجهاد مثل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وسيلة لا غاية، والله أعلم»[1].

والمسلمون في التعاطي مع هذه الشريعة لا يمكن أن ينسوا ما يُشرِّفهم على غيرهم بقوله تعالى: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾ (الأنفال:٦١)، ولكن المسلمين في الوقت ذاته لن ينسوا صفات عدوِّهم بقوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ (البقرة:٢١٧).

فالإعداد والاستعداد بالقوة من بديهيات قيم العلاقات الدولية وحقوقها، وبالتالي فالجهاد من قوة المسلمين وحقوقهم، كيف وكل إنسان يرى ويسمع ويقرأ عن التحالف الثلاثي أو الرباعي (الصهيوني، الصليبي، الصفوي الرافضي، الروسي) بالرغم من تَبايُناته الفرعية وعواقبه الخطيرة، حيث أصبح واقعاً مُعيشاً! وهو تحالف بالطبع لا يهدف لتوزيع الهدايا ونشر الورود في العالم الإسلامي السُّنِّي! هذا أو

---

(١) انظر: المرجع السابق، ص٢٣٥.

بعضه قد يجعل من المقاومة أو الجهاد الشرعي من أفراد أو مجموعات أو دول أو منها جميعاً في هذه الحالة -وفي حالات معينة أخرى مماثلة- البوابة الـمُثلى للحفاظ على أمة الإسلام.

فالواقع الدولي المعاصر مما يُذكي روح الجهاد عند المسلمين، بل إنه سيفرض نفسه، حيث الظروف السياسية الدولية المنظورة وما فيها من مظالم وانتهاكٍ للعدالة والحقوق واستنزاف للثروات بالحروب وغيرها، وهذا ما يعكس للعالم أن نمو نزعة الجهاد وتزايد حركاته يُعدُّ أمراً طبيعياً لحقٍ مشروع، بل إنه من المُسلَّمات في الشرائع السماوية والنُظم البشرية، وقد أصبحت مشروعية الجهاد الشرعي حقّاً سيادياً لمواجهة حروب التصفيات والإبادة للعالم السُّنِّي التي تتم بلافتات (حرب الإرهاب) وغيرها.

والواقع أن هذه الصراعات والحروب التي يصنعها ساسة التعصب هي ما يُولِّد الجهاد والمجاهدين بمشروعٍ مُنظَّم أو بغيره، فالصراع بهذا الحجم الكبير والمكشوف على أمة الإسلام عاملٌ موحِّد للجهاد وحركاته عبر التاريخ، بل إن محاضن توليد أمة الجهاد هو الصراع والتكالب عليها من أعدائها.

ومن حقائق التاريخ أن أوروبا وأمريكا لم تعرفا الاستقرار السياسي والوحدة والاتحاد وحقوق الإنسان داخلها إلا بعد حروبٍ مُدمرةٍ دمويةٍ هائلة، مات فيها ملايين البشر، ومن ذلك ما حدث في الحرب العالمية (الأوروبية) الأولى والثانية، حيث قُتل فيها ما يزيد عن ستين مليوناً من البشر، فالحروب والفتن في أحيانٍ كثيرة بوابةٌ للنصر وللاستقرار السياسي والوحدة والسلام.

وعن مخاطر هذا الصراع القائم فإن الجهاد من الصادقين والمخلصين للإسلام وأمته من المُرجح أن يكون خارج سيطرة الحكومات الغربية ومن يسير في فلكها، فمن الملاحظ تعدد بؤر الجهاد في العالم الإسلامي وتنامي مجموعاته أفقياً ورأسياً رغم الحرب العالمية المُعلَنة عليه، ولذلك فمؤشر الجهاد عالمياً في ارتفاع وصعود، وليس في نقصٍ أو هبوط!

ويبقى أن الأحداث والمحن والصراعات التي يُصرُّ الغرب على صناعتها وتأزيمها في العالم الإسلامي هي ما يُنضج رؤية الشعوب المسلمة للجهاد الشرعي، وهنا لا ينفع الندم عند الغرب وغيرهم، حيث ينتقل الجهاد لدى الشعوب المسلمة من مفهوم جهاد الدفع إلى جهاد الغزو والفتح، مما يُسمى عند فقهاء الإسلام بجهاد الطلب، وبالتالي تنتقل مفاهيم الإعداد للقوة من قوةٍ للدفع والمقاومة إلى قوةٍ للطلب، وحينها تكون قوة العالم الإسلامي بجهاد الطلب وأدواته المشروعة سيكون للإسلام والمسلمين شأنٌ آخر في منظومة السيادة الدولية -والله أعلم-، فالصراعات والحروب الكبيرة هي مما يُنضج الأمم ويُوسع مداركها لمعرفة الشيء وضده عند المسلمين -حسب التاريخ- كما هو الحال عند الغرب حينما تعلموا من الحربين العالميتين. والمسلمون يؤمنون حق الإيمان بما ورد في القرآن عن حقيقة الصراع ومآلاته.

الخاتمة

بالقراءة التاريخية وما نتج عنها من معطيات تمت مناقشتها من خلال عموم مباحث هذا الكتاب (الإسلام والغرب - رؤية مستقبلية)، وبالنظر في كثيرٍ من المستجدات المعاصرة وتحليلها بمؤشراتها على أرض الواقع يتضح ضَعْف فُرص السلام والحوار، واحتمالية تزايد حِدَّة الصراعات والحروب، وهي نتائج سلبية تتعارض مع ما تنشده شعوب طرفي الصراع من العدالة والأمن والسلام.

وقد كان من أبرز مخرجات هذا الكتاب الواضحة تشخيص حقيقة المنافسة الإسلامية، مقارنة مع المستوى الغربي الذي حَقَّقَ جوانب من العدالة والحقوق وأَخَذَ بوسائل العلم والمعرفة والتفوق في الإعلام والسياسة، لكن الغرب بهذه الحضارة المادية المعاصرة لا يمتلك بهذه المنافسة وحدها عنصر الاستمرارية والبقاء، إضافةً إلى أن هذه الوسائل متاحةٌ لتفوُّق عامة البشر دون احتكار. وفيه ما يُعزِّز ثقة المسلم بنفسه ودينه وحضارته وتاريخه.

وهذه المنافسة الحضارية بين الطرفين تدور في أبرز جوانبها على قيادة العلم والمعرفة التي تصنع التفوق والسيادة في مناحي الحياة، ولذلك فإن وجود الصراع الغربي تجاه الطرف الآخر وهم المسلمون نتيجةٌ طبيعيةٌ لما في الإسلام من عناصر منافسة أصيلة ثقافية، حيث إن باعثها الدين عند المسلمين، فمنافسة هذا الدين لقيم الغرب وحضارته عاملٌ قوي لا يمكن إنكاره، حيث العقيدة بثوابتها، والتشريعات بشمولها، والقيم الإسلامية بجاذبيتها، واللغة العربية بكنوزها وجمالياتها، وحيث كانت الحضارة الإسلامية الراقية والتاريخ حقيقة

ماثلة. ولذلك يبدو أن المتعصبين من الغرب وغيرهم يُدركون إمكانية عودة ذلك كله عند المسلمين، ولاسيما أن (الإسلام) قد استيقظ في ضمائر الشعوب حقيقةً، وأن العاملين به أصبحوا يتوقون إلى الحريات السياسية والسيادة، وأن المستقبل للشعوب المسلمة الواعية التي ترى بعقيدتها وإيمانها أن الإسلام الذي لا يتجزأ هو الحل، وأنه بديل مُنقذ للبشرية من ظلم السيادة الغربية للعالم.

وثورات ما يُسمى بالربيع العربي مما يُعدُّ أنموذجاً لرغبة تلك الشعوب في التغيير والإصلاح بالرغم من إخفاقها المؤقت، وهذا أمر كان مرجحاً حدوثه يوماً ما، فلقد جَنَت شعوبٌ كثيرةٌ من دول العالم العربي والإسلامي الكثير من المصائب والتشرُّد من جرَّاء الاستبداد المدعوم غربياً، الذي يُعدُّ من أقل نتائجه دخول الإسلام السلمي لدول الغرب، ثم النزوح الجماعي الكبير والهجرات غير الشرعية إلى الغرب ليحصد بعض ما زرعه.

والذي يمكن تأكيده هنا أن المنافسة الإسلامية التاريخية مما ولَّدَ دوافع الصراع لدى الغرب، وبالتالي فإن المعركة الأيديولوجية والسياسية والعسكرية بين الغرب من جهة والإسلام والمسلمين من جهة أخرى في السابق واللاحق هي من الحقائق المُشاهَدة التي لا يمكن تجاهلها.

إن جملة ما تم تناوله من مواقف حول الصراع في ثنايا هذا الكتاب تقود إلى خلاصة مفادها أن مظاهر عدائية الغرب المُتحَيِّز تجاه الإسلام والمسلمين أضحت حقيقة من الصعب إخفاؤها، وهي في الوقت ذاته مما يكشف عن تناقضات الغرب وازدواجيته في كثيرٍ

من الأزمات والمحكَّات العالمية حسب ما ذهب إليه غير قليل من الكُتَّاب والمفكرين كما هو خلاصة قول الكاتب الصحفي روجر كوهين في صحيفة النيويورك تايمز تأكيداً لزميله الصحفي البريطاني غودفري هودجسون عن أمريكا كأنموذج «مجرد بلد عظيم، وإنما غير مثالي، على غرار بقية البلدان»[1]، بل إن هذه الخلاصة مما يَكاد يُجمع عليها كثيرٌ من الباحثين من أصحاب الموضوعية العلمية في الشؤون الاستراتيجية والسياسية من المسلمين وغيرهم.

ومما يؤكد هذه النتيجة في هذا البحث وأنها ليست خاصةً بالباحث ما صدر مؤخراً عن نعوم تشومسكي في كتابه المطبوع عام ٢٠١٦م، بعنوان (من يحكم العالم؟) وفيه يقول: «لاشك أن الولايات المتحدة وحلفاءها الغربيين حريصون على القيام بكل ما بوسعهم القيام به لمنع قيام أي ديمقراطية حقيقية في العالم العربي. لمعرفة السبب، ما علينا سوى الاطلاع على دراسات الرأي العربي التي أجرتها وكالات استطلاع الرأي الأمريكية. رغم ندرة ما يجري نشره عن تلك الدراسات، فهي بالتأكيد معروفة للمخطِّطين. إنها تُظهر أن العرب بغالبيتهم العظمى ينظرون إلى الولايات المتحدة وإسرائيل بوصفهما الخطر الرئيسي الذي يواجهونه، كذلك ينظر (٩٠٪) من المصريين وأكثر من (٧٥٪) من أبناء المنطقة عموماً إلى [خطر] الولايات المتحدة!»[2].

ومن هذه النتائج التي تختصر كثيراً من الدراسات ما تَوصَّل إليه الباحث -غير المسلم- نبيل خليفة الذي أثبت فيه حقيقة الصراع وحدَّد فيه الخصوم وأهدافهم العدائية من الإسلام والمسلمين، كما

---

(١) انظر: نعوم تشومسكي، من يحكم العالم؟ ص٤٦،٤٥.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص٦٣.

نبّه إلى أهمية العمل باللوازم وضرورة إيقاظ الأمة وإحياء روح الأمل والعمل لدى المسلمين عامة، فالتحليل الدقيق الذي توصَّل إليه الباحث خليفة في تناول بعض القضايا بشيء من التفصيل كموقع السعودية من هذا الصراع، أو استهداف السُّنة بالذات يختصر كثيراً من الدراسات المعنية بهذا الشأن[1].

وحول الذاكرة المسلمة عن الصراع الغربي كتب الحوالي خطاباً مفتوحاً إلى الرئيس بوش بمناسبة عدوانية واشنطن على العالم الإسلامي مؤكداً العدائية ومنبهاً ومحذراً من عواقب الصراعات والحروب، وكان مما قال: «أيها الرئيس... لا تظن أنني أريد تعداد عيوبكم القليلة وأنسى عيوبنا الكثيرة جدًا في أعينكم، لا بل سوف أذكِّركم بعيب خطير فينا نحن المسلمين؛ وهو أننا لا ننسى مآسينا مهما طال عليها الزمن، تصوّر -أيها الرئيس- أننا لا زلنا نبكي على الأندلس ونتذكر ما فعله فريدناند وإيزابلا بديننا وبحضارتنا وكرامتنا فيها! ونحلم باستردادها مرة أخرى، ولن ننسى تدمير بغداد ولا سقوط القدس بيد أجدادك الصليبيين؟»[2].

ولذلك فإن عموم المسلمين ومعهم في هذا الغربيون من المتعصبين على حدٍّ سواء يُدركون جيداً أن هذا الواقع للعالم العربي والإسلامي لا يمكن أن يبقى على هذه الحال، بل إن الحركات الجهادية في أنحاء العالم الإسلامي المخطئ منها والمصيب نتيجة هذا الواقع ربما تصبح -إلى حدٍ كبير- متجاوزةً سيطرة كثير من الحكومات، وبنمو أفقي

---

(١) انظر بتصرف: نبيل خليفة، استهداف أهل السنة، ص١١-١٢.

(٢) انظر: سفر الحوالي، رسالة بعنوان: خطاب مفتوح إلى الرئيس بوش، الرابط التالي:
http://bit.ly/2iUkfS9

ورأسي في مواقع متعددة ورقاع متنوعة، وأن أقل ما في الحاضر عنها من مخاطر أنها تُعدُّ تدريبات وإعداداً لمرحلة تكون خارج السيطرة الإقليمية والدولية، ومن المهم التنبيه من قبل الباحث بأن هذه النتائج عن العدوانية الغربية لا تبرر ردود الأفعال للأعمال الخاطئة والاجتهادات المنحرفة ضد الغرب التي طالما أضرت بالإسلام وأهله وزادت من سعار العدوان!!

لابد للمخلصين من المفكرين وأصحاب الرأي وأنصار العدالة والحقوق في العالم من الاتجاه إلى فَهم دقيقٍ وشامل عن حقيقة صراع الغرب المتعصب وأهدافه المعاصِرة ووسائله الحديثة، فبعد الإخفاقات في الحروب الصليبية التي لم تُفلح في تحقيق أهدافها من القضاء التام على المنافس وإقصائه عن الوجود وساحات السيادة إقصاءً كبيراً، وحينما ثبت للغرب الأوروبي إخفاقه في اختراق دار الإسلام بالحروب المباشرة أدركت معظم دول أوروبا وواشنطن أهمية تَنحيَة الجهاد والسلاح لدى المسلمين عن الصراع، فالجهاد يَستثِيرُ ما يعلمون مَغبَّتَه من سوء العواقب عليهم، ولذلك عمل الغرب بِنَفَسٍ جديد وأساليب جديدة تختلف عن السابق إلى حدٍّ معين، حيثُ العمل الدؤوب البصير الصامت القائم على الدهاء والصبر، ومن ذلك الحرب الأيديولوجية وصناعة مؤامرات الصراع الداخلي القومية والطائفية وما شابهها مما هو ملحوظ ومشاهد.

وهنا يرى محمود محمد شاكر أن عوامل السلاح والحروب الغربية المتابعة على العالم الإسلامي أُصيبت بالإخفاق واليأس عبر التاريخ؛ لأنها لم تفعل شيئاً يُذكر في القضاء على المنافس، وخَمَدَت الحروب العسكرية تقريباً بين الصليبية والإسلام حينما راجع الغرب نفسه

وإخفاقاته في تغييب المنافس عن الساحات العالمية، واكتشف في هذه المراجعة سِرَّ قوة المسلمين ومناعتهم وحصانتهم القائمة على الدين الصحيح وما فيه من العلم والمعرفة، ليتجه هو الآخر إلى العلم والمعرفة سِرّ قوة الإسلام والمسلمين[1]، وهو ما يفرض على المسلمين استخدام الأسلوب ذاته من دراساتٍ للغرب للاستفادة من علومهم المادية والمعرفية، وفي الوقت ذاته معرفة مصادر القوة ونقاط الضعف لدى الغرب واستثمار ذلك وتوظيفه على مستوى المؤسسات والدول في تفويت خُطط الصراع، وتوظيف المعلومات لخدمة الإسلام والمسلمين كما فعل الغرب بمستشرقيه قبل قرنين من الزمان في توظيف معلوماته لتحقيق أهدافه المشروعة وغير المشروعة، وهذا ما يُسميه الدكتور علي النملة بعلم الاستغراب، ومن التوظيف السلبي أن علوم الغرب المادية والمعرفية التي اكتسبها الغرب من المسلمين طوَّرها في بعض الجوانب وسخَّرها -مع الأسف- لصناعة القوة وحروب الدمار الشامل! حيث الأسلحة الفتاكة وتجارة الموت التي أفسدت على الغرب إنسانيته وعدالته.

أما عن تمحور الحديث عن الولايات المتحدة الأمريكية أكثر من غيرها فيما مضى من مباحث هذا الكتاب فلأنها جزءٌ من الغرب، واعتادت بأن ترمي بظلالها على ما يُسمى «المجتمع الدولي»، والتي صراعها يتكامل -أحياناً كثيرة- مع دعم الغرب الأوروبي المتعصب، وهي حديثة التجربة في صراعها مع الإسلام وشعوبه ودوله حيث إنها قريبة التكوين، وبالرغم من علمانية الولايات المتحدة الأمريكية فإن

---

(١) انظر بتصرف: محمود محمد شاكر، رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، ص٥١،٣٦. ويلاحظ أن من الأسباب الرئيسة لاتجاه الغرب نحو العلم والمعرفة الصراع بين الكنيسة والعلم.

الخلفية الدينية غير غائبة في قراراتها السياسية، ومن ذلك انتقاد الرئيس الأمريكي الأسبق جيمي كارتر[1] للسياسة الأصولية الأمريكية، حيث يقول: «إن إقحام هذه المعتقدات [الأصولية النصرانية] في سياسات الحكومة الأمريكية هو الذي يُشكِّل سبباً للقلق. فهؤلاء المؤمنون مقتنعون أن عليهم مسؤولية شخصية للتعجيل بهذا القدوم للتصدع في النظام لتتحقق نبوءة الإنجيل. ويدعو جدول أعمالهم إلى حرب في الشرق الأوسط ضد الإسلام في (العراق؟) وإلى أخذ كل الأرض المقدسة بواسطة اليهود، حيث (احتلال الضفة الغربية؟) مع الطرد الكامل لكل المسيحيين وغير اليهود الآخرين»[2].

وعن مواجهة الولايات المتحدة الأمريكية مع الإسلام وقضايا دوله، فإن استقصاء وتحليل أبعاد سلوكياتها في هذا البحث قد أكَّد أن استخدام واشنطن للحرب الأيديولوجية وتعزيز الصراعات الطائفية الداخلية وممارسة صناعة الصراع والحروب العسكرية في مواقع متعددة من العالم الإسلامي يكشف أهمية المراجعة السياسية، ولاسيما أن ديفيد ووكر وغيره ذكر أن ذلك من مؤشرات السقوط للولايات المتحدة أو الضعف كما هو ترمب في كتابه (أمريكا المقعدة)! قُبيل توليه الرئاسة!

---

(١) جيمي كارتر هو الذي تحول بعد الرئاسة الأمريكية إلى مُنَصِّر، وأنشأ مركزاً للتنصير في بلدته في ولاية جورجيا، وتبعه في هذا جورج بوش الابن.

(٢) انظر: جيمي كارتر، كتاب قيمنا المعرضة للخطر -أزمة أمريكا الأخلاقية، ترجمة محمد محمود التوبة، ط١، الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٨هـ (٢٠٠٧م)، ص١٢٨، وانظر كدليل إضافي على دور الخرافة الدينية في بعض السياسات الأمريكية ما ورد أيضاً عن الرئيس الأمريكي بوش الصغير ومحادثته مع الرئيس الفرنسي شيراك في المبحث الثاني من هذا الكتاب بعنوان: (الأصولية الإسلامية والمسيحية).

وعن انعكاس التدخلات الدولية في شؤون العالم الإسلامي وأنها سببٌ رئيسٌ في حالات التوتر والعنف والحروب -كما توصلت إليه نتائج هذا الكتاب- يقول نعوم تشومسكي: «تُظهر الدراسات التي أجراها معهد أوسلو لأبحاث السلام بأن ثلثي الكوارث الناجمة عن نزاعات المنطقة كان سببها أساساً النزاعات الداخلية التي يفرض عليها الدخلاء من الخارج حلولهم، في مثل هذه النزاعات فإن ٩٨ في المئة من الكوارث حدثت فقط بعد أن كانت تلك العناصر الخارجية قد دخلت على خط النزاع المحلي بقوتها العسكرية الضخمة، ففي سوريا تضاعف عدد ضحايا النزاع المباشر أكثر من ثلاث مرات بعد أن شرع الغرب في شن ضرباته الجوية ضد الدولة الإسلامية التي أعلنت عن نفسها بنفسها، وبدأت الـ CIA تدخلها العسكري غير المباشر في الحرب»[1].

ومع هذا التدخل والتطرف الغربي فإن مباحث القراءة التاريخية وما تلاها من مؤشرات سياسية تكشف أن حكومات الغرب ليست متعصبةً كلها، حيث يختلف التعصب من حكومةٍ إلى أُخرى ومن حزب سياسي لآخر، بل ومن كنيسةٍ إلى كنيسةٍ أُخرى، وفي هذه الدول يوجد المتعصب والمعتدل والمُضَلَّل من الشعوب، لكن القرار السياسي بيد المتعصبين -في الغالب- دون سواهم، ويمكن للمعتدلين من مفكرين ورجال دين وإعلاميين وأحزابٍ سياسيةٍ معتدلة ومن عامة الشعوب الأوروبية والأمريكية أن يكونَ لهم دورٌ ضاغطٌ على حكوماتهم وعلى المتعصبين من رجال الدين والفكر ومهندسي السياسة - ولاسيما في مناخ الديمقراطية وأجواء الإعلام

(١) انظر: نعوم تشومسكي، من يحكم العالم؟ ص٣٢٠.

ووسائله المتنوعة- بأن يعملوا كل ما من شأنه رفع أيدي حكوماتهم من التدخل المباشر وغيره في شؤون العالم العربي والإسلامي، مع إتاحة فرص حوار الشعوب مع بعضها.

ولأهمية هذه الخاصية لدى شعوب الغرب جاء هذا الكتاب في بعض أهدافه ليكشف عن جوانب زيف بعض هذه الحكومات والمتعصبين، وفي هذا السياق كان توجيه الرسالة المشهورة إلى الرئيس بوش المتضمنة كلمات مُشفقة للشعب الأمريكي من قِبل سفر الحوالي، ومما قال: «فنحن نعتقد أن للشعب الأمريكي -جملةً- من صفات الخير ما يجعله أقرب الشعوب الغربية إلينا، وأجدرها بأن نحب له الخير في الدنيا والآخرة، فهو شعب يؤمن غالبيته العظمى بوجود الله، وهو ينفق على الأعمال الخيرية ما لا ينفقه شعب آخر في العالم (ولا نعني بذلك التنصير بين المسلمين)، وأصدق دليل على ما فيه من خير أنه أكثر شعوب العالم قبولاً للإسلام وأسرعها اعتناقًا له ومحاولة لفهمه؛ حتى بعدما نـزل به من فاجعة حمَّلتم -أنتم الحكومة- المسلمين مسؤوليتها بلا دليل. ومثل هذا الشعب نحب لـه الخير والكرامة من أعماق قلوبنا[1]».

ومن المخرجات البحثية في هذا الكتاب أن من جوانب الإيمان عند المسلمين اليقين بسنن الله في هلاك الأمم وسقوط الدول وقُدرة الله حيث يُعزُّ من يشاء ويُذل من يشاء، وسقوط الاتحاد السوفيتي المعاصر نموذج لذلك، فسُنَن الله جارية لا تُحابي الكبير لكِبَره والقوي لقوته، ولا تجامل الصغير لصغره والضعيف لضعفه،

---

(١) انظر: سفر الحوالي، رسالة بعنوان: خطاب مفتوح إلى الرئيس بوش، الرابط التالي:
http://bit.ly/2iUkfS9

ولكنه الحق الذي هو أكبر من كل شيء، والتفاؤل والتشاؤم بينهما تلازم من وجوه متعددة، ومن مقتضى إيمان المسلم الإيمان بالقضاء والقدر خيره وشَره، وأن الله يريد بأمة الإسلام خيراً، وهذا الإيمان من السُّنَن الربانية والقوانين الكونية، وهو عامل مسهم ومساعد في تجاوز الأزمات والمحن وقبول الحقائق الغيبية لدى المسلمين على مر العصور، كما أن الإيمان بأن الكون والأرض لله يورثها من يشاء من عباده مما يبعث على العمل الجاد عند المسلمين بكل أسباب النهضة والقوة والسيادة.

وعن تلازم الفأل مع الإرادة شرح صاحب كتاب (قيمة القيم) المهدي المنجرة فقال: «لا يمكن الإقرار بأن الواقع وردي، في حين أنه أسود، لكن هذا لا يمنع أن تكون لدينا الإرادة التي هي سبب التفاؤل»[1]، ونقل عن غرامشي قوله: «يجب أن يكون عندنا تشاؤم الواقع، ولكن مع تفاؤل الإرادة»[2].

ومع تفاؤل الإرادة والعمل أكون قد أكملت -بحمد الله- عقد فصول هذا الكتاب، وأحسب أني أوصلت رسالتي للأمة الإسلامية شعوباً وحكومات لتُعبِّر عن إرادتها في النهوض ولتتبوأ مكانتها المرموقة بها التي تنتظرها بين أمم العالم، راجياً الله عز وجل أن يكون ذلك قريباً.

---

(١) انظر: المهدي المنجرة، قيمة القيم، ط٢، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٧م، ص٢٧٧.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص٢٧٧.

المصادر والمراجع

المراجع (كُتب السُّنة):

١. أبو داود، الإمام سليمان بن الأشعث السجستاني. سُنَن أبي داود، بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع، الرياض-السعودية.

٢. البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل. صحيح البخاري، طبعة الراجحي، الرياض: بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع، ١٤١٩هـ (١٩٩٨م).

٣. البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى. السُّنَن الكبرى، بيروت: دار الكتب العلمية.

٤. الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى. جامع الترمذي، طبعة الراجحي، الرياض: بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع.

٥. الطبراني، أبو القاسم، سليمان بن أحمد. المعجم الكبير، ج٢، القاهرة: مكتبة ابن تيمية، ١٤٠٤هـ.

٦. مسلم، أبو الحُسَين مسلم بن حجاج. صحيح مسلم، طبعة الراجحي، الرياض: بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع، ١٤١٩هـ (١٩٩٨م).

المراجع العربية:

٧. ابن القيم، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر. زاد المعاد في هدي خير العباد، ج٣، ط ٨، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ (١٩٨٥م).

٨. ابن تيمية، شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم. منهاج السُّنَّة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، المحقق: محمد رشاد سالم، ط١، القاهرة: مؤسسة قرطبة، ١٤٠٦هـ (١٩٨٦م).

٩. ابن خلدون، عبد الرحمن. مقدمة تاريخ ابن خلدون، ج١، ط ١، بيروت: دار الفكر، ١٤٠١هـ (١٩٨١م).

١٠. ابن منظور، محمد بن مكرم. لسان العرب، تحقيق عبد الله الكبير ومحمد حسب الله وهاشم الشاذلي، ج٨، القاهرة: دار المعارف.

١١. أبو رمان، سامر رضوان. كيف ينظرون إلينا؟.. الإسلام والمسلمون في استطلاعات الرَّأي العالمية، الرياض: مركز البيان للبحوث والدراسات، ٢٠١٥م.

١٢. الأحمري، محمد بن حامد. ملامح المستقبل، ط١، الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٦هـ (٢٠٠٥م).

١٣. إعداد مجموعة من العلماء والمثقفين السعوديين، (خطاب إلى الغرب رؤية من السعودية)، ط١، الرياض: دار غيناء للنشر، ١٤٢٤هـ (٢٠٠٣م).

١٤. الأندلسي، أبو محمد علي بن حزم. الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق أحمد شاكر، ج٨، ط٢، بيروت: دار الآفاق الجديدة، ١٤٠٣هـ (١٩٨٣م).

١٥. الحصين، صالح بن عبد الرحمن. التسامح والعدوانية بين الإسلام والغرب، الرياض: طبعة كرسي الأمير سلطان للدراسات الإسلامية المعاصرة، ١٤٢٩هـ.

١٦. الحصين، صالح بن عبد الرحمن. التسامح والعدوانية بين الإسلام والغرب، ط١، الرياض: مؤسسة الوقف، ١٤٢٩هـ.

١٧. الحصين، صالح بن عبد الرحمن. العلاقات الدولية بين منهج الإسلام ومنهج الحضارة المعاصرة، ط١، الرياض: مؤسسة الوقف، ١٤٢٩هـ (٢٠٠٨م).

١٨. الحصين، صالح بن عبد الرحمن. رؤى تأصيلية في طريق الحرية، ترتيب وجمع من الباحثين، ط١، ١٤٣٦هـ (٢٠١٥م).

١٩. الحصين، صالح بن عبد الرحمن، الحرية الدينية في السعودية، ط١، الرياض: دار غيناء للنشر، ١٤٣٠هـ (٢٠٠٩م).

٢٠. الحوالي، سفر بن عبد الرحمن. العلمانية - نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة، ط١، مكة المكرمة: دار مكة، ١٤٠٢هـ (١٩٨٢م).

٢١. الحوالي، سفر بن عبد الرحمن. القدس بين الوعد الحق والوعد المفترى، ط١، القاهرة: مكتبة السُّنَّة، ١٤١٤هـ.

٢٢. خليفة، نبيل. استهداف أهل السُّنَّة، ط١، لبنان: مركز بيبلوس للدراسات والأبحاث، ٢٠١٤م.

٢٣. زقزوق، محمود حمدي. الإسلام والغرب، ط١، القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ١٤٢٦هـ (٢٠٠٥م).

٢٤. السلومي، محمد بن عبد الله. ضحايا بريئة للحرب العالمية على الإرهاب، ط١، الرياض: مجلة البيان، ١٤٢٨هـ.

٢٥. السلومي، محمد بن عبد الله. القطاع الثالث والفرص السانحة رؤية مستقبلية، ط ١، الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٣١هـ (٢٠١٠م).

٢٦. السلومي، محمد بن عبد الله. القطاع الخيري ودعاوى الإرهاب، تقديم صالح الحصين، ط٢، الرياض: مجلة البيان، ١٤٢٥هـ (٢٠٠٤م).

٢٧. شاكر، محمود محمد. رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، مصر: مكتبة الأسرة، ١٩٩٧م.

٢٨. شبانة، محمد كمال. الإسلام فكراً وحضارة، ط٢، دبي: دار العالم العربي، ١٤٢٨هـ (٢٠٠٨م).

٢٩. الشنقيطي، محمد الأمين. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ج١، بيروت: عالم الكتب.

٣٠. العبده، محمد. (تعليق على التعصب الأوروبي أم التعصب الإسلامي؟ - مئة مشروع لتقسيم الدولة العثمانية ١٢٨١م - ١٩١٣م)، ط ١، الرياض: مطابع دار طيبة، ١٤٢٦هـ (١٩٩٥م).

٣١. علي، محمد كرد. الإسلام والحضارة العربية، ج١، ط٣، القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٨٦م.

٣٢. عمر، عماد الدين خليل. المرأة والأسرة المسلمة من منظور غربي، أربيل: دار التفسير، ١٤٢٩هـ (٢٠٠٨م).

٣٣. الغامدي، صالح بن عبد الله. الإسلام الذي يريده الغرب - قراءة في وثيقة أمريكية، ط ١، الرياض: مركز الفكر المعاصر، ١٤٣٢هـ.

٣٤. الغريب، عبد الله محمد. أطماع الشيعة في الخليج والجزيرة العربية، بيروت: دار الإسلام.

٣٥. الغريب، عبد الله محمد. وجاء دور المجوس - الأبعاد التاريخية والعقائدية والسياسية للثورة الإيرانية، ط٥، ١٤٠٧هـ (١٩٨٧م).

٣٦. فراج، السيد أحمد. حوار الحضارات في ظل الهيمنة الأمريكية، دار الوفاء للطباعة والنشر، ٢٠٠٤م.

٣٧. الكواكبي، عبد الرحمن. طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، تقديم ودراسة: أسعد السحمراني، ط٣، بيروت: دار النفائس، ١٤٢٧هـ (٢٠٠٦م).

٣٨. مجموعة من الباحثين، التطورات الاستراتيجية العالمية - رؤية استشرافية. ط١، أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ٢٠١١م.

٣٩. مجموعة من الباحثين، الخليج في سياق استراتيجي متغير. تحرير: محمد بدري عيد وجمال عبد الله، ط١، الدوحة: مركز الجزيرة للدراسات، ١٤٣٥هـ (٢٠١٤م).

٤٠. محمود، مصطفى. الإسلام السياسي والمعركة القادمة، القاهرة: مطابع أخبار اليوم.

٤١. المغامسي، خالد بن محمد. الحوار آدابه وتطبيقاته في التربية الإسلامية، ط٣، الرياض: مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني، ١٤٢٨هـ (٢٠٠٧م).

٤٢. مناع، هيثم. صرخة قبل الاغتيال، المكتب الدولي للمنظمات الإنسانية والخيرية، ط١، ٢٠٠٤م.

٤٣. المنجرة، المهدي. قيمة القيم، ط٢، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٧م.

٤٤. المودودي، أبو الأعلى. المصطلحات الأربعة في القرآن الكريم، ط٥، الكويت: دار القلم، ١٣٩١هـ (١٩٧١م).

٤٥. مؤنس، حسين. الحضارة: دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والعنون والآداب، الكويت، ع١، ط٢، ١٩٧٨م.

٤٦. النكدلي، صلاح الدين. قراءة في كتاب نيكسون: انتهزوا الفرصة، بون: الدار الإسلامية للإعلام.

٤٧. النملة، علي بن إبراهيم. إشكالية المصطلح في الفكر العربي - الاضطراب في النقل المعاصر للمفهومات، ط١، بيروت: بيسان للنشر، ١٤٣١هـ (٢٠١٠م).

٤٨. النملة، علي بن إبراهيم. مراكز النقل والترجمة في الحضارة الإسلامية، ط٢، الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤٢٤هـ (٢٠٠٤م).

٤٩. النملة، على بن إبراهيم. مصادر الاستشراق والمستشرقين ومصدريتهم، ط٢، بيروت: دار بيسان، ١٤٣٢هـ (٢٠١١م).

٥٠. النملة، علي بن إبراهيم. هاجس المؤامرة في الفكر العربي بين التهوين والتهويل، ط١، الرياض: مطبعة سفير، ١٤٣٠هـ (٢٠٠٩م).

٥١. الهويريني، وليد بن عبد الله. عصر الإسلاميين الجدد، الأحساء، ١٤٣٤هـ.

المراجع المترجمة:

٥٢. أسد، محمد. الإسلام على مفترق الطرق، ترجمة الدكتور عمر فروخ، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨١م.

٥٣. أسد، محمد. الطريق إلى مكة، ترجمة رفعت السيد علي عن طبعة ١٩٥٤م، الرياض: مكتبة الملك عبد العزيز العامة، ١٤٢٥هـ.

٥٤. آل جور، ألبرت أرنولد. هجوم على العقل، نقله إلى العربية الدكتورة نشوى ماهر كرم الله، ط١، الرياض/ أبو ظبي: مكتبة العبيكان/ كلمة، ١٤٣٠هـ (٢٠٠٩م).

٥٥. الباحثان جوناثان بنثال وجيرم بيليون، كتاب الهلال الخيري، (المقدمة).

٥٦. باس، ناتانا دي لونج. دعوة الشيخ محمد بن الوهاب من الإحياء والإصلاح إلى الجهاد العالمي، ترجمة عبد الله بن إبراهيم العسكر، الرياض: دارة الملك عبد العزيز، ١٤٣٣هـ.

٥٧. برو، شارل سان. الإسلام - مستقبل السلفية بين الثورة والتغريب، ترجمة وجيه جميل البعيني، الرياض: مكتبة الملك عبد العزيز العامة، ١٤٣١هـ (٢٠١٠م).

٥٨. بروكلمان، كارل. تاريخ الشعوب الإسلامية، نقله للعربية نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، ط٧، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٧٧م.

٥٩. بوكانن، باتريك جيه. موت الغرب، نقله إلى العربية محمد محمود التوبة، الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٦ه (٢٠٠٥م).

٦٠. تشومسكي، نعوم. من يحكم العالم؟ ترجمة فواز زعرور، لبنان: دار الكتاب العربي، ٢٠١٦م.

٦١. تشومسكي، نعوم. من يمتلك العالم؟ ترجمة أسعد حسين، دمشق: دار نينوى، ١٤٣٥هـ (٢٠١٤م).

٦٢. جارودي، روج. وعود الإسلام، ترجمة ذوقان قرقوط، ط٢، بيروت: دار الرقي، والقاهرة: مكتبة مدبولي، ١٩٨٥م.

٦٣. ديورانت، وِل وَايريل. قصة الحضارة - حياة اليونان، ترجمة محمد بدران، مجلد ٨ في الخاتمة، بيروت: دار الجيل.

٦٤. سلسلة الكتب المترجمة، أوضاع العالم ٢٠١٥ الحروب الجديدة، إشراف: برتران بادي ودومينيك فيدال، ترجمة: نصير مروّة، ط١، لبنان: مؤسسة الفكر العربي، ١٤٣٦هـ (٢٠١٥م).

٦٥. فرانكِل، جوزيف. العلاقات الدولية، ترجمة غازي عبد الرحمن القصيبي، ط٢، جدة: مطبوعات تهامة، ١٤٠٤هـ (١٩٨٤م).

٦٦. كارتر، جيمي. قيمنا المعرضة للخطر - أزمة أمريكا الأخلاقية، ترجمة محمد محمود التوبة، ط١، الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٨هـ (٢٠٠٧م).

٦٧. كتاب موريس بوكاي، القرآن الكريم، والتوراة والإنجيل والعلم، ط ١، القاهرة: مكتبة مدبولي

٦٨. لامبرت، فرانك. الدين في السياسة الأمريكية، نقله إلى

العربية عبد اللطيف موسى أبو البصل، الرياض: نمو للنشر، ١٤٣٦هـ.

٦٩. لوبون، غوستاف. حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، القاهرة: مكتبة الأسرة، ٢٠٠٠م.

٧٠. موريس، جون كلود. لو كررت ذلك على مسمعي فلن أصدقه، منشورات بلون الفرنسية، ٢٠٠٩ - ٢٠١٠م

٧١. ناظر، هشام. القوة من النوع الثالث، ترجمة خالد محمد باطرفي، ط١، جدة: دار العلم، ١٤٢٣هـ (٢٠٠٢م).

٧٢. نيكسون، ريتشارد. الفرصة السانحة، ترجمة أحمد صدقي مراد، طبعة القاهرة، ١٩٩٢م.

٧٣. نيكسون، ريتشارد. ما وراء السلام، ترجمة مالك عباس، ط١، عَمّان: الأهلية للنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ (١٩٩٥م).

٧٤. هانكوك، غراهام. سادة الفقر، ترجمة ناصر السيد ومستهار السقيد، ط١، بيروت: دار الحداثة، ١٩٩٤م.

٧٥. هنتنجتون، صموئيل. صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي، نقله إلى العربية الدكتور مالك عبيد أبو شهيوة والدكتور محمود محمد خلف، ط١، مصراته: الدار الجماهيرية للنشر.

٧٦. هنتنجتون، صموئيل. صدام الحضارات وإعادة صنع النظام العالمي، ترجمة طلعت الشايب، مكتبة الإبداع، ط٢، ١٩٩٩م.

٧٧. هوفمان، مراد. الإسلام عام ٢٠٠٠، نقله للعربية عادل المعلم، ط١، الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٤هـ (٢٠٠٣م).

٧٨. هوفمان، مراد. الإسلام في الألفية الثالثة ديانة في صعود، تعريب عادل المعلم ويس إبراهيم، ط١، الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٤هـ (٢٠٠٣م).

٧٩. هوفمان، مراد. الإسلام كما يراه ألماني مسلم، نقله للعربية كامل إسماعيل، ط١، الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٨هـ (٢٠٠٧م).

٨٠. هونكه، زيغريد. الله ليس كذلك، ترجمة دكتور غريب محمد غريب، ط٢، القاهرة: دار الشروق، ١٤١٧هـ (١٩٩٦م).

٨١. يارغر، هاري آر. الاستراتيجية ومحترفو الأمن القومي، ط١، أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ٢٠١١م.

المراجع الأجنبية:

٨٢. دانييل غانسر (Daniele Ganser)، في كتابه: *Nato's secret armies: Operation Gladio and Terrorism in Western Europe*.

٨٣. ريتشارد نيكسون، في كتابه: اغتنم اللحظة – تحدي أمريكا في عالم تسوده قوة عظمى واحدة *Seize the Moment: America's Challenge in a One-Superpower World*.

٨٤. غيدو ألبا (Alpa، Guido)، في كتابه: المبادئ العامة للقانون *General Principles of Law*, Annual Survey of International & Comparative Law: Vol. 1: Iss. 1, Article 2 1994.

٨٥. كاثرن بولوك (Katherine Bullock) في كتابها: *Rethinking Muslim Women and Veil*.

٨٦. ليستر بيرسون (Lester B. Pearson)، في كتابه: الديمقراطية في عالم السياسة (مطبعة جامعة برينستون، ١٩٥٥م)، *Democracy in World Politics* (Princeton: Princeton University press 1995) pp.83-84.

الصحف والمقالات والمجلات الإلكترونية وغيرها :

87. http://alkhaleejonline.net/#!/articles/1425841205923338200/

88. http://cutt.us/TuSz

89. http://en.wikipedia.org/wiki/Wesley_Clark.

90. http://en.wikipedia.org/wiki/Willy_Claes

91. http://goo.gl/54dBE1

92. http://goo.gl/8Tqad8

93. http://www.bbc.com/arabic/middleeast/2015/12/151230_saudi_king_turkey_al-jubayr_erdogan

94. http://www.alarab.co.uk/m/?id=48715

95. http://www.almaany.com/quran-b/%D9%83%D9%8A%D8%AF/

96. http://www.almaany.com/quran-b/%D9%85%D9%83%D8%B1/

97. http://www.almoslim.net/node/132820

98. http://www.cordoue.ch/human-security/item/183-مداخلة-هيثم-مناع

99. http://www.islamdaily.org/ar/press/711.article.htm

100. http://www.iso-tec-demos.com/al-fikr/container.php?fun=nview&id=56

101. http://www.newsmax.com/archives/articles/2002/7/24/230153

102. http://www.nytimes.com/2010/02/20/us/20anthrax.html?pagewanted=all

103. http://www.saaid.net/arabic/696.htm.

104. www.arabji.com/palestine/govt.htm

105. http://goo.gl/AvVfOD

106. https://twitter.com/anwarmalek/status/411157684201615360

107. https://twitter.com/hussenalmoyd/status/647059425341997056

١٠٨. إبراهيم نويري، المجلة العربية، العدد ٣٩٧، تاريخ صفر ١٤٣١هـ (فبراير ٢٠١٠م).

١٠٩. أبو عبد الله العليان، بحث بعنوان: ماذا تعرف عن مركز (مسبار) المشبوه؟! موقع المجتمع السعودي سياسية: https://saudi-society.blogspot.com/2011/12/blog-post_24.html

١١٠. إحسان الفقيه، مقال بعنوان: أحفاد العلقمي وبوابة العراق، صحيفة شؤون خليجية، بتاريخ ٦/ ٤/ ٢٠١٥م: http://alkhaleejaffairs.news/c-16647

١١١. إحصائيات حرب البوسنة والهرسك: https://goo.gl/Evq8sZ

١١٢. إحصائيات السويد: http://www.al-muthaqaf.net/index/news.php?action=show&id=457

١١٣. أحمد التويجري، مقال بعنوان: رسالة عتاب إلى الدكتور توفيق السيف: http://sabq.org/TD1aCd

١١٤. أحمد موفق زيدان، مقال بعنوان: الشام التي وحدت الغرب والشرق عليها، صحيفة العرب: http://t.co/CljgJxi22d

١١٥. إرم نيوز، بتاريخ ٢٠ ديسمبر ٢٠١٦م: http://www.eremnews.com/news/reports/655326

١١٦. أمجد خشافة، مقال بعنوان: الموقف الخليجي بعد سقوط صنعاء وتداعيات عاصفة الحزم، مجلة البيان، العدد ٣٣٥، بتاريخ ١٩/ ٤/ ٢٠١٥م: http://www.albayan.co.uk/Mobile/MGZarticle2.aspx?id=4301.

١١٧. إيكيهارد شولتس، مقال بعنوان: حوار الحضارات.. مصالحة أم مصالح؟ بتاريخ يوم السبت ٠٩ أغسطس ٢٠٠٣م: http://www.onislam.net/arabic/madarik/culture-ideas/90799-2003-08-09%2013-33-02.html

١١٨. إيناس عمر، مقال بعنوان: رواية بوابة العقرب - ودور إيران في مشروع الشرق الأوسط الجديد، إسلام ديلي: http://www.islamdaily.org/ar/democracy/11990.article.htm

١١٩. تانيا سو، مقال بعنوان: بعض الوقت لمحمد بن عبد الوهاب؟: http://www.islamdaily.org/ar/alwahabia/4931.article.htm

١٢٠. تركي الجاسر، مقال بعنوان: من يحصد أرباح الحرب على الإرهاب؟ صحيفة التقرير، بتاريخ ١٠ يونيو ٢٠١٤م: http://url.qwled.com/ls3x

١٢١. تصريحات الفاتيكان، بتاريخ ١٩ ديسمبر ٢٠١١م: http://islammemo.cc/akhbar/Africa-we-Europe/2011/12/19/140196.html

١٢٢. تقارير مكتب الأمم المتحدة، الجزيرة نت، بتاريخ ٢/ ١٢/ ٢٠١٦م: http://bit.ly/2gV91I1

١٢٣. تقارير الجوع وسوء التغذية بأطفال اليمن، الجزيرة نت، بتاريخ ٢٩ أكتوبر ٢٠١٦م: http://bit.ly/2flMovP.

١٢٤. تقرير عن رويترز: تواطأت أميركا مع الميليشيات وأشعلت الفتنة الطائفية في العراق، موقع إسلام ديلي، بتاريخ ٦/ ٣/ ١٤٣٧هـ: http://www.islamdaily.org/ar/democracy/12048.article.htm

١٢٥. تقرير مؤسسة راند الشهير، بعنوان: تكوين شبكات إسلامية معتدلة Building Moderate Muslim Networks، الصادر عام ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٧م.

١٢٦. تقارير خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي، الجزيرة نت، بتاريخ ٢٦/٦/٢٠١٦م: http://bit.ly/28Vx1G9

١٢٧. جاري لوب، مقال بعنوان: الإسلام التمهيدي، بتاريخ ٢٣ يوليو ٢٠٠٢م: http://www.counterpunch.org/2002/07/23/an-islam-primer/

١٢٨. جريدة الخبر، بتاريخ ١/٣/٢٠١٦م: http://alkhabarkw.com/index.php/middleeastandinternational/gccnews/45722.html

١٢٩. جريدة الشرق الأوسط، العدد ١٢١٦٨، بتاريخ يوم الخميس ٢٨ ربيع الآخر ١٤٣٣هـ (٢٢ مارس ٢٠١٢م).

١٣٠. جريدة الشرق الأوسط، العدد ١٣٤٧٧، بتاريخ ٩ محرم ١٤٣٧هـ (٢٢ أكتوبر ٢٠١٥م): http://bit.ly/2kGqREc.

١٣١. جريدة القبس الكويتية.

١٣٢. جريدة مباشر الإلكترونية الكويتية: http://mobashernews.net/news/61636

١٣٣. جعفر شيخ إدريس، الإسلام السياسي، صحيفة الأمة الإلكترونية، بتاريخ ١٥ أكتوبر ٢٠١٤م: http://bit.ly/1WHubea

١٣٤. جوزيف كرويتورو، مقال بعنوان: مصطلح (فاشية الإسلام) في الغرب... خطر واقعي أم هوس تحريضي؟ ترجمة ياسر أبو معيلق، ٢٠١٣م، موقع قنطرة: http://goo.gl/TKOSz8

١٣٥. جون بلجر، مقال بعنوان: محاكمة سياسية لرجل يهتم بالمحتاجين ونهاية العدالة في أمريكا، بتاريخ ٢٦ ذي الحجة ١٤٣٣هـ موقع الإسلام اليوم: http://www.islamdaily.org/ar/charity-organisations/11502.article.htm

١٣٦. الجزيرة نت، بتاريخ ٢ رجب ١٤٣٣هـ الموافق ٢٣ مايو ٢٠١٢م: http://bit.ly/28O1Dvg.

١٣٧. الجزيرة نت، بتاريخ ١٧ يوليو ٢٠١٦م: http://bit.ly/29FVgof

١٣٨. الجزيرة نت، بتاريخ ١٥ أغسطس ٢٠١٦م: http://bit.ly/2bSgJYU.

١٣٩. الجزيرة نت، بتاريخ ١٦ أغسطس ٢٠١٦م: http://bit.ly/2buPtuv.

١٤٠. الجزيرة نت، بتاريخ ٢٥ أغسطس ٢٠١٦م، الرابط التالي: http://bit.ly/2ce8QtX.

١٤١. الجزيرة نت، بتاريخ ٢٦/٦/٢٠١٦م: http://bit.ly/2dLqvXW.

١٤٢. الجزيرة نت، بتاريخ ٢٩ محرم ١٤٣٨هـ، الموافق (٣٠ أكتوبر ٢٠١٦م): http://bit.ly/2f8aCdk.

١٤٣. الجزيرة نت، بتاريخ ١ صفر ١٤٣٨هـ الموافق (١ نوفمبر ٢٠١٦م): http://bit.ly/2fzNEPl

١٤٤. الجزيرة نت، بتاريخ ٢/١٢/٢٠١٦م: http://bit.ly/2gV3Ckk

١٤٥. الجزيرة نت، بتاريخ ٢٢/ ٣/ ٢٠١٦م: http://bit.ly/2hwNyII

١٤٦. الجزيرة نت، بتاريخ ١٤ ديسمبر ٢٠١٦م، الرابط التالي: http://bit.ly/2h8AIkG.

١٤٧. حسن حنفي، الغرب وأزمة البحث عن عدو، الكويت: مجلة العربي، العدد ٥١٨، بتاريخ يناير ٢٠٠٢م.

١٤٨. الحلقة التلفزيونية الأولى على قناة الجزيرة، برنامج بلا حدود: http://goo.gl/eqYaTZ

١٤٩. الحلقة التلفزيونية الثانية على قناة الجزيرة، برنامج بلا حدود: http://goo.gl/xGew6X

١٥٠. حلقات قناة روسيا اليوم (RT): https://www.youtube.com/watch?v=okIvtY6seSs&list=PLCBCFPeio1PXBTd6oYTDJWjcMHXRy9fmV&index=1

١٥١. الحوار الحضاري والثقافي أهدافه ومجالاته، مؤتمر مكة الخامس، مكة المكرمة: رابطة العالم الإسلامي، ١٤٢٥هـ (٢٠٠٥م).

١٥٢. حوار مع عضو الكونجرس الأمريكي الأسبق بول فندلي، السياسات الأمريكية - الشرق أوسطية تصنع في (إسرائيل) لا في واشنطن، مجلة البيان، العدد ١٩١، بتاريخ رجب ١٤٢٤هـ (سبتمبر ٢٠٠٣م).

١٥٣. خالد بن محمد الشهري، مقال بعنوان: إعلان جمهورية المثليين!! وماذا بعد؟: http://qalmey.blogspot.com/2015/08/blog-post.html

١٥٤. خطاب الأمير تشارلز، الإسلام والغرب، بتاريخ ٢٧ أكتوبر ١٩٩٣م، في مركز أكسفورد للدراسات الإسلامية، الموقع الرسمي للملكية البريطانية.

١٥٥. خليل العناني، مقال بعنوان: العرب وإيران وتحولات الإقليم، موقع الرسالة نت، بتاريخ ٢١ يوليو ٢٠١٥م: http://bit.ly/2bekBzF

١٥٦. دراسة تحليلية عن كتاب الحرب الكونية الثالثة فريد هاليداي، صحيفة الحياة، بتاريخ ١٨/ ١٢/ ٢٠٠٤م.

١٥٧. ديف ستراتمان (Dave Stratman)، مقالة بعنوان: *Inventing the Enemy*: http://www.axisoflogic.com/artman/publish/Article_10445.shtm

١٥٨. ديفيد هيرست، كيف هزم جهاز الآيفون الدبابات في تركيا؟ ميدل إيست آي، بتاريخ ١٦ يوليو ٢٠١٦: http://www.middleeasteye.net/columns/how-iphone-defeated-tanks-turkey-1556177810

١٥٩. ديفيد ووكر، مقال بعنوان: أمريكا تخاطر بمصير روما *America risks the fate of Rome*، فايننشال تايمز (Financial Times)، بتاريخ ٢١ أغسطس ٢٠٠٧م: http://www.ft.com/intl/

cms/s/0/f98a1f4e-4fef-11dc-a6b0-0000779fd2ac.html#axzz3kTTNBY15

١٦٠. راغب السرجاني، مقال بعنوان: انتشار الإسلام بالسيف: http://url.qwled.com/5en7

١٦١. روبرت ماكنمارا ، واقتربت الساعة، مجلة فورن يولسي، مايو - يونيو ٢٠٠٥م ، Robert Mcnamara "Apocalypse Soon" Magazine may - June 2005.

١٦٢. ريم آل عاطف، مقال بعنوان: صدق توماس شيتوم! وكذب عبد الرحمن الراشد: http://www.alarab.qa/story/302506

١٦٣. سامية عبد الله، مقال بعنوان: أسرار رفع إيران وحزب الله من قوائم الإرهاب الأمريكية، صحيفة الشؤون الخليجية، الرابط التالي: http://alkhaleejaffairs.org/c-15582

١٦٤. ستيفن تشان، مقال بعنوان: صراع الحضارات أم حوار الثقافات: http://www.startimes.com/f.aspx?t=7867988

١٦٥. ستيفن وولت، برنامج (من واشنطن) قناة الجزيرة، حلقة بعنوان: الثورات العربية ومستقبل القوة الأميركية: http://goo.gl/Ixga2R.

١٦٦. سفر الحوالي، بحث بعنوان: بيان للأمة عن الأحداث: http://bit.ly/2fbLd1N.

١٦٧. سفر الحوالي، بحث بعنوان: كشف الغمة عن علماء الأمة - وعد كيسنجر: http://bit.ly/2drVdEV

١٦٨. سفر الحوالي، رسالة بعنوان: خطاب مفتوح إلى الرئيس بوش: http://bit.ly/2iUkfS9

١٦٩. سفر الحوالي، مقال بعنوان: نصيحة وذكرى، بتاريخ ١٤ ربيع الثاني ١٤٢٤هـ: http://www.saaid.net/Warathah/safar/5.htm

١٧٠. سكاي نيوز عربية، بتاريخ ٢١ مارس ٢٠١٥م: http://bit.ly/2eAUPGU

١٧١. سكاي نيوز عربية، بتاريخ ٢٠ يناير ٢٠١٦م: http://www.skynewsarabia.com/web/article/809019

١٧٢. سيد أحمد غزالي، مقال بعنوان: (عدوانية السياسة الخارجية الإيرانية.. نهج مستمر من الخميني إلى خامنئي)، موقع العربية نت، بتاريخ ١٧ رمضان ١٤٣٧هـ، الموافق (٢٢ يونيو/ ٢٠١٦م): http://bit.ly/29bSxMb.

١٧٣. شبكة الثورة السورية، بتاريخ يوم الثلاثاء ٨ يوليو ٢٠١٤م: http://www.syria2011.net/t83594-topic

١٧٤. صادق جواد سليمان، تعارف الحضارات وتقابسها عبر التاريخ، ندوة الجمعية العمانية للكتاب والأدباء بصلالة - عُمان، بتاريخ يوم الأحد ٢٦ أغسطس ٢٠٠٧م: http://www.uae7.com/vb/t28639.html

١٧٥. صالح الغامدي، مقال بعنوان: حركة كولن وموقف الغرب منها: http://goo.gl/5S6Y3t

١٧٦. صالح الحصين، مقال بعنوان: أساس وحدتنا الوطنية، بتاريخ ٥ نوفمبر ٢٠١٢م: http://rowaq.org/?p=341.

١٧٧. صالح الحصين، مقال بعنوان: تجربتي في الحوار مع الآخر، في مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني: http://rowaq.org/?p=212

١٧٨. صالح الحصين، مقال بعنوان: جهود الغرب في تحجيم البذل التطوعي الإسلامي، لماذا؟: http://goo.gl/PRVtWs

١٧٩. صالح الحصين، مقال بعنوان: في ذكرى أفظع جريمة إرهابية: http://rowaq.org/?p=177

١٨٠. صالح الحصين، ورقة بعنوان: رأيٌ في طبيعة الديمقراطية والاختلاف الثقافي: http://rowaq.org/?p=359

١٨١. صالح الصحين، مقال بعنوان: الحرب الأيديولوجية: http://cutt.us/tktQ

١٨٢. صحيفة البرافدا، بتاريخ ٠١/ ٠٧/ ٢٠١٥م: http://goo.gl/JnIMTF

١٨٣. صحيفة البيان الإمارتية، بتاريخ ٢٦/ ٦/ ٢٠١٤م: http://www.alhayat.com/m/story/3234336.

١٨٤. صحيفة التقرير، بتاريخ ١٦ سبتمبر ٢٠١٦م: http://bit.ly/2cPUZXR

١٨٥. صحيفة الجزيرة، العدد ١٣٦٩٣، بتاريخ ١٠ ربيع الآخر ١٤٣١هـ: http://www.al-jazirah.com/2010/20100326/ar6.htm

١٨٦. صحيفة الجزيرة، بتاريخ ٢٥/ ١٠/ ٢٠١٥م: http://www.al-jazirahonline.com/news/2015/20151025/64597

١٨٧. صحيفة الجزيرة، بتاريخ ١ أغسطس ٢٠١٥م: http://www.al-jazirah.com/2015/20150801/rj3.htm

١٨٨. صحيفة الحياة، العدد ١٧٤٤٨، بتاريخ يوم الأحد ٧ محرم ١٤٣٢هـ الموافق (١١ الكانون الثاني ٢٠١١م).

١٨٩. صحيفة الحياة، بتاريخ ١٤/ ١١/ ١٩٩٣م.

١٩٠. صحيفة الحياة، بتاريخ ١٠ أكتوبر ٢٠١٥م، الرابط التالي: http://goo.gl/G7MolS.

١٩١. صحيفة الرياض، العدد ١٧٣٤٠، بتاريخ ٤ / ٣ / ١٤٣٧هـ: http://www.alriyadh.com/1110002

١٩٢. صحيفة الرياض، العدد ١٥٩٣٢، بتاريخ ١٤/ ٣/ ١٤٣٣هـ: http://www.alriyadh.com/707420

١٩٣. صحيفة الرياض العدد ١٧٣٥٩، بتاريخ: ٢٣/ ٣/ ١٤٣٧هـ: http://www.alriyadh.com/1116040

١٩٤. صحيفة الشرق الأوسط، بتاريخ ١٤/ ٢/ ٢٠٠٢م.

١٩٥. صحيفة الشرق الأوسط، مقال بعنوان: بصراحة.. إيران أخطر من (داعش) بألف مرة، بتاريخ ٥ مارس ٢٠١٥م: http://cutt.us/Oc9D/

١٩٦. صحيفة العرب، بتاريخ ١٤ ديسمبر ٢٠١٥م: http://goo.gl/mSEs3v

١٩٧. صحيفة المدينة، بتاريخ ٦/ ١/ ٢٠١٢م: http://www.al-madina.com/node/349688

١٩٨. صحيفة المصري اليوم، بتاريخ ٢/ ٦/ ٢٠١٤م: http://www.almasryalyoum.com/news/details/457493

١٩٩. صحيفة الوطن السعودية، بتاريخ ١٢/ ١٢/ ٢٠٠٢م.

٢٠٠. صحيفة اليمني اليوم، بتاريخ ٢٩ أغسطس ٢٠١٦م: http://www.alyemenialyoum.com/news15270.html.

٢٠١. صحيفة اليوم السابع، بتاريخ ٣٠ أبريل ٢٠١٥م: http://goo.gl/LMwckM

٢٠٢. صحيفة اليوم السابع، بتاريخ ٦ أكتوبر ٢٠١٦م: http://bit.ly/2eAbiKT

٢٠٣. صحيفة ترود، بتاريخ ٠٩/ ١٠/ ٢٠١٢م: http://goo.gl/aT5o2e

٢٠٤. صحيفة جورنالنيزال، بتاريخ ١١/ ٠٢/ ٢٠١٥م:

٢٠٥. http://magazines.russ.ru/oz/2001/1/mitr.html

٢٠٦. صحيفة ديلي سكيب، بتاريخ ٢٧ / ١١ / ٢٠١١م، الرابط التالي: http://goo.gl/OQR63F

٢٠٧. صحيفة روسيسكايا غازيتا، بتاريخ ١٤/١١/٢٠١٣م: http://m.rg.ru/2013/11/14/resin.html

٢٠٨. صحيفة سياتل تايمز (The Seattle Times).

٢٠٩. صحيفة شؤون خليجية، بتاريخ ٢/ ٣/ ٢٠١٦م، الرابط التالي: .http://bit.ly/2bWgMN3

٢١٠. صحيفة شؤون خليجية، بتاريخ ١٨/ ٤/ ٢٠١٥م، الرابط التالي: http://soo.gd/7vUd

٢١١. صحيفة صدى موسكو، بتاريخ ٢٨/ ١١/ ٢٠١٤م: http://echo.msk.ru/news/1445316-echo.html

٢١٢. صحيفة كومسومولسكايا برافدا، بتاريخ ٠١/ ٠٢/ ٢٠٠٨م: http://m.kp.ru/daily/24041/98824

٢١٣. صحيفة لـوس أنجـلـوس تـايـمـز (Los Angeles Times): http://alkhaleejonline.net/#!/articles/1425841205923338200/

٢١٤. صحيفة نيويورك تايمز (The New York Times).

٢١٥. صحيفة نيويورك تايمز، بتاريخ ١٠ يناير ٢٠١٧م: https://www.nytimes.com/2017/01/10/world/middleeast/yemen-iran-weapons-houthis.html?ref=world&_r=0

٢١٦. الصفحة الروسية من موقع بي بي سي: BBC.COM– ١٠/ ٠٧/ ٢٠١٥.

٢١٧. طلعت رميح، مقال بعنوان: إيران: حرب نفسية أم إعلان حرب!، موقع بوابة الشرق: http://www.al-sharq.com/news/details/317272#.VQmjtI6sW3w

٢١٨. عبد الله المفلح، مقال بعنوان: قبل أن تصل السوخوي الروسية إلى اليمن!، صحيفة شؤون خليجية الإلكترونية، بتاريخ ٣ فبراير ٢٠١٦م: http://alkhaleejaffairs.info/c-32141

٢١٩. عبد العزيز كامل، مقال بعنوان : حرب الأفكار بين بأس الأمريكان ويأسهم، موقع صيد الفوائد: http://www.saaid.net/Doat/kamel/17.htm.

٢٢٠. علي النملة، ندوة الوفاء الثقافية، بتاريخ اليوم الأربعاء ١ ربيع الآخر ١٤٣١هـ: http://cutt.us/uUzG

٢٢١. عوض الدرمكي، مقال بعنوان: المغول على أبواب الخليج، موقع الإمارات اليوم، بتاريخ ٢٧ يونيو ٢٠١٦م: http://www.albayan.ae/opinions/articles/2016-06-27-1.2669310

٢٢٢. غادة الشامي، مقال بعنوان: البراجماتية: عرض المنهج ونقد الواقع، موقع الألوكة: http://www.alukah.net/culture/0/77581/

٢٢٣. غانم جواد، عن تعريف الغرب – الإسلام الليبرالي، ورقة عمل قُدمت في مؤتمر نحو خطاب إسلامي ديمقراطي مدني، عَمَّان: تنظيم مركز القدس للدراسات السياسية، في ٢٧-٢٩ مايو ٢٠٠٦م.

٢٢٤. فرهاد محمد أحمد، الحرب الباردة: http://farhad-mohmmed.blogspot.com/2015/04/1946-1991-2711-1946-1953-1953-1975-1975.html

٢٢٥. قصة الإسلام، الرابط التالي: http://goo.gl/n28tZ4

٢٢٦. قناة الجزيرة: http://goo.gl/88d1gO - http://goo.gl/azi5vT

٢٢٧. قناة (CNN)، بتاريخ ١٧ يناير ٢٠١٧م: https://arabic.cnn.com/middleeast/2017/01/17/aljubair-iran-nuclear-agreement-internal-clashes

٢٢٨. كارين فون هيبل، نحت موضوع بعنوان: جذور الإرهاب الديني، موقع كلية لندن للدراسات السياسية، في شهر سبتمبر ٢٠٠٢م.

٢٢٩. ليون برخو، مقال بعنوان: الانتخابات الأمريكية والخيار بين النفاق والجنون، صحيفة الاقتصادية، بتاريخ: https://www.aleqt.com/2016/10/28/article_1097803.html

٢٣٠. مجلة البيان اللندنية، العدد ٢٨٠، بتاريخ شهر ذو الحجة ١٤٣١هـ الموافق (ديسمبر ٢٠١٠م).

٢٣١. مجلة البيان اللندنية، بتاريخ ٢٥/ ٦/ ٢٠١٣م: http://www.albayan.co.uk/article2.aspx?ID=2881

٢٣٢. مجلة البيان، بتاريخ ٠٧/ ١١/ ٢٠١٢م: http://www.albayan.co.uk/text.aspx?id=2361

٢٣٣. مجلة الدستور اللندنية، بتاريخ ١ أغسطس ١٩٨٣م الموافق (٢١ شوال ١٤٠٣هـ)، العدد ٢٩٧: https://pbs.twimg.com/media/BB2kfQwCUAAaaD6.jpg

٢٣٤. مجلة العصر، بتاريخ ٧ يوليو ٢٠١٦م: http://alasr.me/articles/view/17734

٢٣٥. مجلة المجتمع، بتاريخ ٢٣ أبريل ٢٠١٦م: http://mugtama.com/hot-files/item/33221-2016-04-23-17-50-27.html

٢٣٦. مجلة النبأ، العدد ٦٠، بتاريخ جمادى الأولى ١٤٢٢هـ: http://islammemo.cc/2003/06/19/501.html?lang=ar-sa

٢٣٧. مجلة منبر الإسلام، العدد الصادر في شعبان ١٤١٩هـ (ديسمبر ١٩٩٨م).

٢٣٨. مجلة نيوزويك، بتاريخ يوليو ١٩٩٠م.

٢٣٩. محمد إقبال، مقال بعنوان: أجيال الحروب، صحيفة ذي قارنا، بتاريخ ١ أكتوبر ٢٠١٦م: http://bit.ly/2dVBfSS.

٢٤٠. محمد إلهامي، مقال بعنوان: تركيا في توقعات جورج فريدمان، موقع تركيا بوست، بتاريخ ٦ يناير ٢٠١٦م: http://www.turkey-post.net/p-101772/

٢٤١. محمد السعيدي، مقال بعنوان: محاولات تقزيم السعودية ومشروع الأيديولوجية، الموقع الرسمي للدكتور محمد بن إبراهيم السعيدي، بتاريخ ٣ أكتوبر ٢٠١٦م: http://www.mohamadalsaidi.com/?p=5364#.V_Nis_krKUl

٢٤٢. محمد السلومي، مقال بعنوان: الحرب العالمية على الإرهاب - السعودية والويكيليكس نماذج إضافية، رسالة مركز القطاع الثالث للاستشارات والدراسات الاجتماعية (قطاع): http://bit.ly/2h1cHug

٢٤٣. محمد السلومي، مقال بعنوان: هل يمكن أن تثور الشعوب الغربية؟، رسالة مركز القطاع الثالث للاستشارات والدراسات الاجتماعية (قطاع): http://bit.ly/2hzi1G1.

٢٤٤. محمد السلومي، مقال بعنوان: القوة المهدرة - درس من الانقلاب التركي، بتاريخ ١ ذو القعدة ١٤٣٧هـ، رسالة مركز القطاع الثالث للاستشارات والدراسات الاجتماعية (قطاع): http://bit.ly/2eDD9Hr.

٢٤٥. المرصد السوري لحقوق الإنسان: http://bit.ly/2fBRXHw.

٢٤٦. المركز السوري للإحصاء والبحوث: http://csr-sy.org/index.php?id=479&sons=redirect&l=2&.

٢٤٧. مشاري الذايدي، مقال بعنوان: المزيد من نظريات المؤامرة، صحيفة الشرق الأوسط، العدد ٩٤٢٢، بتاريخ ١٤ سبتمبر ٢٠٠٤م: http://goo.gl/XRuJPD

٢٤٨. معاهدة لوزان، الجزيرة نت، بتاريخ ٢١/ ٨/ ٢٠١٦م: http://bit.ly/2fazIu5

٢٤٩. معجم المعاني الجامع: http://goo.gl/K7bxU4

٢٥٠. معجم المعاني: http://goo.gl/A7AAKN

٢٥١. المعجم: عربي عامة: http://goo.gl/ozdnpW.

٢٥٢. المؤتمر الأول للدعوة والدعاة المنعقد في المدينة المنورة عام ١٣٩٧هـ: https://www.binbaz.org.sa/article/379

٢٥٣. مفكرة الإسلام، بتاريخ ٧ أبريل ٢٠١٥م: http://islammemo.cc/akhbar/arab/2015/04/07/239294.html

٢٥٤. ملخص ورقة (دور الإعلام في مواجهة الإساءة إلى الإسلام)، مؤتمر رابطة العالم الإسلامي، صنعاء، عام ٢٠٠٩م، تحت عنوان (الإعلام المعاصر بين حرية التعبير والإساءة للدين).

٢٥٥. موقع أدب: http://www.adab.com/modules.php?name=Sh3er&doWhat=shqas&qid=14559

٢٥٦. موقع إسلام الآن: http://khilafaislamiya.blogspot.com/2012/04/blog-post_12.html

٢٥٧. موقع إسلام ديلي، بتاريخ ٢٤ محرم ١٤٣٨هـ: http://www.islamdaily.org/ar/scholars/12139.article.htm

٢٥٨. الموقع الألماني (made for minds)، بتاريخ ١٦ أكتوبر ٢٠١٦: http://bit.ly/2dYA5aP.

٢٥٩. موقع البينة: http://www.albainah.net/index.aspx?function=Item&id=16336&lang

٢٦٠. موقع العربي الجديد، بتاريخ ١٥ أكتوبر ٢٠١٦م، الرابط التالي: http://bit.ly/2dUZ6pz

٢٦١. موقع العربية نت، بتاريخ ٣٠ أغسطس ٢٠١٦م: http://bit.ly/2bFBmAD

٢٦٢. موقع المناطق، بتاريخ ٨ أكتوبر ٢٠١٥م: http://almnatiq.net/136347/?mobile=1

٢٦٣. موقع بوابة القاهرة، بتاريخ ٣١ أغسطس ٢٠١٦م: http://bit.ly/2eyKI5R

٢٦٤. موقع بي بي سي (BBC)، بتاريخ ١٤ سبتمبر ٢٠١٦م: http://www.bbc.com/arabic/middleeast/2016/09/160913_us_aid_israel

٢٦٥. موقع ترك برس، بتاريخ ١٦ سبتمبر ٢٠١٥م: http://www.turkpress.co/node/12643

٢٦٦. موقع ترك برس، بتاريخ ١٣ يوليو ٢٠١٥م: http://www.turkpress.co/node/10456.

٢٦٧. موقع حضرموت نت، بتاريخ ١٦ ذو القعدة ١٤٣٧هـ الموافق (١٩ أغسطس ٢٠١٦م): http://bit.ly/2brObgy.

٢٦٨. موقع خبر خليجي، بتاريخ ١ أكتوبر ٢٠١٥م، الرابط التالي: http://goo.gl/c8MffO

٢٦٩. موقع ساسة بوست، بتاريخ ١٠ يناير ٢٠١٦م: http://www.sasapost.com/who-laughs-last-state-or-terrorism/

٢٧٠. موقع عربي ٢١، بتاريخ يوم الخميس ٢٤ ديسمبر ٢٠١٥م: http://goo.gl/KqC9fr

٢٧١. موقع فرانس ٢٤، بتاريخ ١٤/ ٠٧/ ٢٠١٥م: http://goo.gl/csJ2rZ

٢٧٢. موقع نقابة السادة الأشراف، من أقوال غوستاف لوبون: http://url.qwled.com/vgsl.

٢٧٣. موقع وزارة الخارجية الروسية: http://goo.gl/7hob4e.

٢٧٤. موقع الوطن أونلاين، بتاريخ، ١٢/ ٤/ ٢٠١٦م.

٢٧٥. ميدل إيست أونلاين، بتاريخ ١٨ أغسطس ٢٠١٦م:
http://www.middle-east-online.com/?id=231053

٢٧٦. نافذ أحمد، مقال بعنوان: ضحايا منبوذون: الحروب الغربية قتلت ٤ ملايين مسلم منذ عام ١٩٩٠، بتاريخ ٩ / ٤ /٢٠١٥م: http://goo.gl/tZKmUf.

٢٧٧. النشرة الدولية للبحوث التبشيرية: http://www.gordonconwell.edu/resources/documents/2IBMR2015.pdf

٢٧٨. هيلين توماس، الغرب يعيش على غباء العالم الثالث والدول الفقيرة، بتاريخ ١٠ أغسطس ٢٠١٦م: http://bit.ly/2bouTRP.

٢٧٩. الهيثم زعفان، مقال بعنوان: الإعلام الفضائي الشيعي بين الاختراق والمواجهة السنية، موقع طريق الإسلام، بتاريخ ٥ جمادى الآخر ١٤٣٧هـ (١٤ مارس ٢٠١٦م): http://bit.ly/1UTWJAd.

٢٨٠. الوطن أون لاين، بتاريخ ٢٥/ ٣/ ٢٠١٦م: http://alwatan.com.sa/Culture/News_Detail.aspx?ArticleID=257193&CategoryID=7.الوطن

٢٨١. الوطن أون لاين، بتاريخ ٢٥ يناير ٢٠١٧م: http://www.

alwatan.com.sa/Politics/News_Detail.aspx?ArticleI
D=291885&CategoryID=1

٢٨٢. وثيقة كامبل السرية، بتاريخ أيلول ٢٠١١م: http://alkashif.org/html/10/02/4/19.pdf.

٢٨٣. ويكيبيديا الموسوعة الحرة.

كتب للمؤلف

كتب صدرت للمؤلف (بفضل الله تعالى وتوفيقه):

١. كتاب: القطاع الخيري ودعاوى الإرهاب، الناشر: مجلة البيان.

٢. كتاب: ضحايا بريئة للحرب العالمية على الإرهاب، الناشر: مجلة البيان.

٣. كتاب: ضحايا بريئة للحرب العالمية على الإرهاب (اللغة الإنجليزية)، الناشر: أوثر هاوس - أمريكا.

٤. كتاب: ضحايا بريئة للحرب العالمية على الإرهاب (ثماني لغات) (فرنسي، ألماني، روسي، هولندي، إندونيسي، ألباني، بوسني، أوردو)، الناشر: مركز القطاع الثالث للاستشارات والدراسات الاجتماعية (قطاع) مع دور نشر أجنبية أخرى.

٥. كتاب: القطاع الثالث والفرص السانحة- رؤية مستقبلية، الناشر: العبيكان ومركز قطاع.

٦. كتاب: أمي مدرستي، الناشر: مركز قطاع.

٧. كتاب: سليمان بن ناصر بن سليمان السلومي -رحمه الله- (الشخصية والرسالة) الناشر: مركز القطاع الثالث.

٨. كتاب: عبد الله بن سليمان بن ناصر السلومي -رحمه الله- (تجارب تطوعية مبكرة)، الناشر: مركز القطاع الثالث.

٩. كتاب: رسالة إلى أرباب المال والأعمال، الناشر: مركز استثمار المستقبل للأوقاف والوصايا، بالتعاون مع مركز قطاع.

١٠. كتاب: المجتمع السعودي والتغيير، الناشر: مجلة الأسرة بالرياض، بالتعاون مع مركز آسية للدراسات والاستشارات والتدريب.

١١. كتاب: الإسلام والغرب بين المنافسة والصراع - رؤية مستقبلية للواقع العربي والإسلامي وعلاقته بالآخر!، الناشر: مركز الفكر الغربي بالتعاون مع دور نشرٍ أخرى في النشر والتوزيع.

١٢. كتاب: شاهد من الصحوة.. الشيخ خليفة بن بطاح الخِزِّي - دراساته ورؤاه حول المشروع الليبرالي، الناشر: شركة دار رسالة البيان.

فهرس المحتويات


طبعت في
الدار العربية للطباعة والنشر
الجوال / ٥٦٣ ١١٠ ٥٦٣ ٠٠٩٦٦